جوانب من الحياة في مصر
في العصرين البطلمي والروماني
في ضوء الوثائق البردية



جوانب من الحياة في مصر في العصرين البطلمي والروماني

فى ضوء الوثائق البردية

الأستاذ الدكتور
محمد السيد محمد عبد الغني
أستاذ التاريخ والحضارة اليونانية والرومانية
كلية الآداب – جامعة الأسكندرية

٢٠٠١

المكتب الجامعى الحديث
الأزاريطة - الإسكندرية
تليفاكس ٤٨٤٣٨٧٩

الأهـــداء

إلي كل طالب جاد وباحث مدقق



شكر وتقدير

اتقدم بوافر شكري وتقديري لكل من وقف بجانبي في مشواري البحثي الطويل وعلي رأسهم زوجتي التي لم تبخل بشيء لمعاونتي علي إنجاز أبحاثي ، وكانت تفرح مع مولد كل بحث جديد.

كما أتقدم بخالص شكري وتقديري لتلميذتي المتميزة نانيس عبد العظيم الجيار خريجة شعبة الدراسات الأوربية المتفوقة المدققة التي راجعت معي قدراً كبيراً من مادة الكتاب عند إعداد مادته للنشر .

كما أشكر غاية الشكر الأستاذ حسين سعيد فني الكومبيوتر علي ما بذله من جهد كبير في كتابة مادة الكتاب وخصوصاً في كتابة الحواشي الصعبة باللغة اليونانية التي يكتبها لأول مرة والتي أرهقته كثيراً ، فله مني الشكر والتقدير وله من الله الجزاء .

كما أشكر السيدة الدكتورة / إيمان رمزى المدرس المساعد بقسم الجغرافيا بالكلية لتفضلها مشكورة برسم خرائط هذا الكتاب الموجودة في ملحق الخرائط ، فلها مني الشكر والتقدير.

فهرس المحتويات

الباب الثالث
من جوانب الحياة الأقتصادية

الباب الرابع
أضواء على بعض الأقاليم المصرية

الباب الخامس
المسيحية المبكرة

المقدمة

هذا الكتاب غير تقليدى ، إذ لم أفكر فى إخراجه ككتاب إلا بعد أن كانت كل مادته قد اكتملت وخرجت للنور بالفعل فى صورة أبحاث منشورة فى المجلات العلمية ، ومجلدات المؤتمرات المتخصصة بالإنجليزية والعربية . حين وجدت أن مجمل هذه الأبحاث الواردة فى هذا الكتاب يمكن أن تؤلف معاً سياقاً متجانساً فكرت فى أن أضمها بين دفتى كتاب وفكرت فى عنوانه فوجدت أن أنسب أطار يمكن أن يلائم مجمل هذه الأبحاث ومحتواها هو :

« جوانب من الحياة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى فى ضوء الوثائق البردية » .

ولعل ما دفعنى إلى جمع هذه الأبحاث فى هذا الكتاب هو أنها متفرقة هنا وهناك فى المجلات العلمية والمؤتمرات فى مصر والخارج ، وبالتالى فهى ليست متاحة بصورة يسيرة لمن يرغب فيها. من هنا فإن جمعها فى هذا الكتاب - بعد تعريب المكتوب بالإنجليزية منها ، وهى أغلب هذه الأبحاث ، وهى تحديداً ثمانية أبحاث من إحدى عشر - يتيح لمن يرغب فى الإطلاع عليها والإفادة منها أن يصل إليها فى سهولة ويسر . ولا أخفى أن لى دافعاً شخصياً من وضع هذا الكتاب وهو أن أرى كل مجموعة من أبحاثى ذات الإطار المتقارب والسياق المتجانس وقد اجتمعت بين دفتى كتاب واحد بدلاً من أن ينفرط عقدها وتتوه هنا وهناك . لقد نفذت ذلك من قبل فى أبحاثى الأخرى : فحين اجتمع لدى بضعة أبحاث عن الفكر اليونانى فى التاريخ والأسطورة والعقيدة واللغة جمعتها فى

كتاب بعنوان «بعض ملامح الفكر اليونانى القديم » ، وحين توافر لدى بحثان كبيران نسبياً عن اثنين من زعماء نوميديا (الجزائر القديمة) الذين تصدوا لهيمنة الرومان فى ظل الحكم الجمهورى والإمبراطورى وهما « يوجورثا » ثم « تاكفريناس » على التوالى أخرجت كتيباً بعنوان «نماذج من الكفاح الجزائرى القديم ضد الهيمنة الرومانية » ، ولما أنجزت مجموعة من الأبحاث حول التجارة الشرقية للإمبراطورية الرومانية ومدى إسهام عرب شبه الجزيرة وكذلك مصر فيها قمت بالتنسيق بينها فى كتاب بعنوان « شبه الجزيرة العربية ومصر والتجارة الشرقية القديمة » . وها هو الكتاب الذى بين أيدينا يضم مجموعة كبيرة من الأبحاث عن أوضاع المجتمع فى مصر فى العصرين لبطلمى والرومانى فى ضوء الوثائق البردية . وفى الطريق بإذن الله كتب أخرى على نفس النهج والمنوال .

إن هذه الكتب التى تتبنى هذا النهج يمكن أن تسمى كتباً «مفتوحة » ، بمعنى أنها لم تتخذ شكلها النهائى بعد إذ يمكن أن يضاف إليها مستقبلاً أبحاث أخرى تتبع نفس الإطار أو السياق فى طبعات جديدة مزيدة ومنقحة . ولذلك حرصت على أن تكون عناوينها مفتوحة وليست نهائية ، فهى « ملامح » و « نماذج » و «جوانب» وكلها قابلة للإضافة والمراجعة على ضوء المستجدات البحثية والوثائقية الجديدة .

ورغم أن منهج هذه الكتب المعتمدة على الأبحاث الأكاديمية الدقيقة والموثقة يتلاءم أكثر مع الباحثين فى مرحلة الدراسات العليا وما بعد الدكتوراه إلا أن الطالب الجاد والطموح فى مرحلة الليسانس

يمكن أن يستفيد كثيراً من مثل هذا النوع من الكتب . ولكى يخدم الكتاب مثل هذا الغرض المزدوج حرصت على أن ينقسم الكتاب إلى مباحث متعددة تندرج كل مجموعة منها تحت عنوان باب يجمع الفكرة الأشمل لموضوعاتها وجعلت حواشى كل مبحث على حدة فى نهاية البحث ، كما حرصت على أن تكون هذه الحواشى توثيقية بقدر الإمكان وتتعامل مع النصوص إذا لزم الأمر . على هذا النحو يستطيع الطالب أن يتعامل مع المعلومات السلسة الواردة فى المتن والتحقق من مصدرها فى الحواشى إن شاء ، أما الباحث فيستطيع أن يتعمق فى معالجة المشكلات البحثية الواردة فى كل بحث ويتناولها ويستفيد منها أو ينقدها أو قد توحى له بفكرة جديدة أو معالجة أوسع لنقطة وردت مختصرة .

ومن دواعى اعتزازى بهذا الكتاب أن أبحاثه الأحد عشر تشكل حوالى ثلثى إنتاجى الذى تقدمت به للترقية لوظيفتى أستاذ مساعد ثم أستاذ على التوالى . وهو يمثل جزءاً كبيراً من إنتاجى العلمى خلال الفترة من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٩٥ ، والحمد لله فإن كل أبحاثى الخمسة عشر التى تقدمت بها للترقية للوظيفتين على مدى تلك الفترة قد أجيزت بفضل الله ونالت أستحسان أساتذتى مع بعض النقد العلمى الذى لايخلو منه أى عمل جاد .

وينقسم هذا الكتاب إلى خمسة محاور رئيسية أو أبواب . **الباب الأول** ويتناول العلاقة بين فئات السكان فى مصر على مدى العصرين البطلمى والرومانى وتناولته من منظور عمل المترجمين كأداة ربط بين العناصر والأجناس المختلفة داخل البوتقة المصرية .

ومن خلال علاقة القرويين بالاسكندرية ووجوه نشاطهم فيها ودوافع ذهابهم إليها ، وأخيراً من خلال أروقة المحاكم فى مصر ومرافعات المحامين فى القضايا المتنوعة التى تفصح عن تشابك العلاقات بين فئات السكان فى مصر . **أما الباب الثانى** فيصور علاقة الإدارة الرومانية بالمزارعين المصريين وهى علاقة اتسمت بالعسف والإبتزاز لملىء الخزانة الإمبراطورية على حساب معاناة والآم المزارعين المصريين الذين كانوا يرزحون تحت وطأة الضرائب والأعباء الثقيلة . ويتضح ذلك جليا فى بحثين عن « أزمة الإقليم المنديسى فى عصر ماركوس أوريليوس » و « مشكلة الأرض غير المروية فى العصر الرومانى » .

أما الباب الثالث فيتناول بعضاً من جوانب الحياة الاقتصادية فى مصر مثل ظاهرة دفع العربون كمقدم لثمن سلعة أو أجر خدمة وما كان يفرضه من التزامات ، ونسبته ، وجوانب الحياة الاقتصادية التى يتدخل فيها . وكذلك البحث الآخر عن تقارير الدخل الخماسية الأيام عن مصادر الدخل التى كان جباة الدولة يحصلون الضرائب منها ويدونون ذلك فى تقارير كل خمسة أيام ثم يتم تجميعها فى تقارير شهرية وتجمع بدورها فى تقارير سنوية . **أما الباب الرابع** فيتناول دراسة عن بعض الأقاليم المصرية ، وقد تناولت هنا بحثاً عن إقليم هيليوبوليس ثم بحثين تفصيليين عن الواحات فى العصرين الرومانى ثم الرومانى المتأخر .

ولما كان بحث الواحات فى العصر الرومانى المتأخر قد تعرض بصورة طفيفة لموضوع انتشار المسيحية فقد آثرت أن أضيف إلى أبواب الكتاب دراسة كنت قد نشرتها منفصلة من قبل عام ١٩٩٣

بعنوان « أضواء على المسيحية المبكرة » هى عنوان الباب الخامس . هذه الدراسة تتناول ما ورد عن المسيحية من آراء ومعلومات عند الكتاب والمؤرخين الرومان من وثنيين ومسيحيين من مفكرى الكنيسة المبكرين فى أرجاء الإمبراطورية ، ثم ماورد عنها فى الوثائق البردية من مصر من معلومات تتسم بالطرافة والحيوية .

هذه هى محتويات كتابى الحالى التى أرجو أن تضيف جديداً - ولو كان يسيراً - إلى ماهو مألوف من معلومات فى هذه الموضوعات . إن أملى فى هذه الإضافة أو الإسهام ينبع من المعالجة العلمية لموضوعات بحوث الكتاب بالتعامل المباشر مع المصادر والاجتهاد فى العديد من النقاط الخلافية فيها مع آراء العديد من العلماء وهو ما سيلمسه القارىء - إن شاء الله - عندما يشرع فى قراءة ومتابعة موضوعات الكتاب فى قراءة متأنية .

آمل أن أكون قد أضفت إضافة يسيرة فى حقل خصب وغزير المعلومات من خلال الوثائق البردية الكثيرة التى تضن بالمعلومات إلا لمن تعامل معها بما هى جديرة به من جدية ومثابرة وحب للتخصص.

« نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم »

صدق الله العظيم

محمد السيد عبد الغني

٢٠٠٠/١٠/٢٠

الباب الأول

العلاقات بين فئات السكان

المبحث الأول

تفاعل القوميات علي أرض مصر

« المترجمون فى مصر
فى العصرين البطلمى والرومانى »

بحث ألقى باللغة الانحليزية فى الندوة الدولية التى انعقدت فى جامعة الاسكندرية فى الفترة من ١٣ إلى ١٦ أبريل سنة ١٩٨٨ بالتعاون بين جامعتى الاسكندرية وليفوبول الانجليزية تحت عنوان : " The Alexandrian Civilization : Classical and Egyptian "
كما نشر البحث « بالانجليزية » فى مطبوعات. جمعية الاثار بالاسكندرية فى العدد الثامن ١٩٨٩ بعنوان « دراسات أثرية وتاريخية » .



المترجمون فى مصر
فى العصرين البطلمى والرومانى

مقدمة تاريخية :

بعد قدوم الاسكندر الأكبر إلى مصر عام ٣٣٢ ق.م. وضمها إلى إمبراطوريته المقدونية ، ثم بعد أن صارت مملكة تحت حكم الملوك البطالمة بعد وفاة الإسكندر وتقسيم إمبراطوريته بين قواده بعد عام ٣٢٣ ق.م. هاجر كثيرون من الإغريق ومواطنى الممالك الهللينستية الأخرى إلى مصر واستقروا بها . ولكن رغم ذلك فإن العلاقات بين مصر واليونان ترجع إلى عصور أقدم من ذلك بكثير ، إذ أن هناك شواهد أثرية كثيرة من كريت وموكينى لآثار مصرية ترجع إلى النصف الأول من الألف الثانى ق.م. تؤكد وجود علاقات قوية بين مصر وتلك المناطق من تلك الفترة المبكرة . ثم جاءت بعد ذلك فترة من الزمن فترت فيها علاقات البلدين لظروف خارجة عن إرادة الطرفين : إذ تعرضت مصر على مدى قرن تقريباً (١٦٤٠ - ١٥٤٢ ق.م. تقريباً) لغزو الهكسوس من الشرق إلى أن طردهم أحمس الأول وأسقط عاصمتهم أواريس فى شرق الدلتا وتعقب فلولهم إلى فلسطين ، ثم نجد بعد نهاية هذه المحنة قرائن على علاقات متبادلة قوية بين مصر وكريت خلال عصر الأسرة الثامنة عشرة الفرعونية (١٥٥٠ - ١٣٥٠ ق.م. تقريباً) فى أوائل عصر الدولة الحديثة كما يدل على ذلك نقش الكفتيو الشهير من عصر تحتمس الثالث فى الربع الثانى من القرن الخامس عشر ق.م. .

ولكن بعد ذلك تعرضت الحضارة المينوية فى كريت مع

بدايات النصف الثانى من الألف الثانى ق .م. (حوالى ١٤٥٠ ق. م.) لمرحلة تدهور ثم انهيار سريع .كما تدهورت الحضارة الموكينية فى اليونان ثم انهارت خلال الربع الأخير من تلك الألفية تحت وطأة الغزو الدورى ودخلت بلاد اليونان العصر المظلم الذى استمر حتى بداية القرن الثامن ق . م. وبعد ذلك عادت بلاد اليونان إلى الصحوة مرة أخرى مع تغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ملموسة أدت إلى موجات من الهجرة والاستيطان والنشاط التجارى اليونانى فى أرجاء البحر المتوسط خصوصاً خلال القرنين السابع والسادس ق. م. وبعد أن انتابت مصر موجة من الضعف منذ أواخر عصر الدولة الحديثة بعد الأسرة العشرين مما أدى إلى نشوب حروب أهلية فيها منذ منتصف القرن العاشر ق.م. ثم تعرضها بعد ذلك لموجات متعاقبة من غزو النوبيين (الأسرة الخامسة والعشرين من حوالى ٧٥٠ إلى حوالى ٦٦٧ ق.م.) ثم الأشوريين لفترة قصيرة من ٦٦٧ إلى ٦٦٣ ق.م. ثم ظهرت أسرة حاكمة مصرية قوية فى سايس هى الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ – ٥٢٥ ق.م.) والتى يشار إليها باسم عصر النهضة وكان أبرز ملوكها هم ابسماتيك الثانى ثم أمازيس أو أحمس الثانى .

فى ظل حكم هذه الأسرة توطدت العلاقات المصرية اليونانية من جديد فى ظل أطر ومصالح متعددة ومتداخلة . إذ استعان الملك إبسماتيك الثانى بعناصر من المرتزقة الإغريق فى التخلص من الحكم الأشورى ، وفى القيام بحملة على الحدود الأثيوبية فى الجنوب كما يتضح من شاهد نقشى تركه هؤلاء الجند المرتزقة على أحد قدمى

تمثال ضخم لرمسيس الثانى فى مدخل معبد أبو سمبل[1] . وقد أقام إبسماتيك لجنده المرتزقة من الأيونيين والكاريين معسكرات على جانبى الفرع البيلوزى للنيل شرق الدلتا إلى الشمال قرب البحر حيث مكثوا هناك فترة طويلة إلى أن نقلهم خليفته أمازيس إلى منف لحمايته من المصريين [2] . كما منح أمازيس الإغريق مدينة نقراطيس فى شمال غرب الدلتا ليقيموا بها وجعلها مركزاً تجارياً وميناءً رئيسياً لهم [3] .

هذا الوجود الإغريقى الكثيف نسبياً فى مصر فى العصر الصاوى خلال الأسرة السادسة والعشرين ثم وجودهم الرسمى - فاتحين وحكاماً - بعد فتح الاسكندر وحكم البطالمة انتج مزيجاً ثقافياً يجمع بين الحضارتين المصرية والإغريقية وهو ما جعل من الترجمة - كهمزة وصل بينهما - ضرورة لا ترفاً .

اهتمام الحكام وكبار المثقفين بالترجمة :

والآن نتتبع حركة الترجمة فى مصر فى تلك الفترة بالإضافة إلى ظواهر الامتزاج الثقافى والتواصل من جانب حكام مصر وكذلك من جانب كبار مثقفى ذلك العصر .

إن أول إشارة إلى المترجمين - حسب علمى المتواضع - هى تلك التى وردت عند هيرودوت فى القرن الخامس ق.م. عندما تحدث فى كتابة الثانى عن مصر عن العناية التى أولاها الملك ابسماتيك أول ملوك الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية بجندة من المرتزقة الإغريق الذين منحهم الملك أراضى يقيمون عليها على ضفتى الفرع البيلوزى للنيل جنوب بوبسطة ومنحهم كل ما وعد به .

وبصدد موضوع المترجمين يذكر مؤرخنا عن هؤلاء الجند المرتزقه «لقد وضع الملك تحت عنايتهم أطفالاً مصريين ليقوم هؤلاء بتعليمهم اللغة اليونانية . ومن بين هؤلاء الذين تعلموا اليونانية بهذه الطريقة انحدر الجيل الحالى (أيام هيرودوت) من المترجمين المصريين » [٤] وفى فقرة أخرى يخبرنا هيرودوت أن الشعب المصرى كان ينقسم على أيامه إلى سبع فئات هى « الكهنة والحاربون ورعاة الأبقار ورعاة الخنازير وأصحاب الحوانيت والمترجمون وبحارة القوارب » [٥] .

أما عن القرن الرابع ق. م. فإن الجغرافى والمؤرخ الشهير سترابون – من أواخر القرن الأول ق.م. – فى سياق حديثه عن مدينة هليوبوليس المصرية يروى أن « يودوكسوس قدم إلى هنا برفقة أفلاطون وأنه – وفقاً لرواية البعض – قد عاش ثلاثة عشر عاماً وسط مجتمع كهنة (هليوبوليس) .. وقد كانوا يتدارسون المعارف الخاصة بأجزاء النهار والليل على مدى ٣٦٥ يوماً والتى تتكون منها دورة العام ، وهو أمر لم يكن معلوماً للإغريق - فى ذلك الوقت – مثل أمور أخرى كثيرة ، حتى قام فلكيون لاحقون بنقلها من الأشخاص الذين ترجموها من سجلات الكهنة إلى اللغة اليونانية» [٦] وفى سياق هذه الفقرة يشير سترابون إلى تفوق كهنة هيليوبوليس الواضح فى علم الفلك ومعرفة الأجرام السماوية وإلى فرضهم ستاراً كثيفاً من السرية على هذه العلوم وضنهم بها على الأجانب والغرباء، وأنهم لايبوحون منها إلا بالقشور .

ومع بدايات حكم البطالمة فى مصر قام المؤرخ المصرى مانيتون

أحد كهنة هيليوبوليس بكتابة مؤلفه عن تاريخ مصر القديم وتقسيم الأسر الحاكمة الفرعونية باللغة اليونانية (٧) . وفى نفس الوقت تقريباً تمت ترجمة العهد القديم (التوراة) من لغة العبرانيين (الآرامية) إلى اللغة اليونانية . وقد تم ذلك بطبيعة الحال فى الاسكندرية عاصمة الحكم فى مصر فى عصر البطالمة وعاصمة الثقافة فى عالم البحر المتوسط آنذاك ، وكان ذلك بناءً على نصيحة ديمتريوس الفاليرى وتحت الرعاية الملكية للملك بطليموس الأول سوتير للأحتفاظ بنسخة من هذه الترجمة للتوراه بمكتبة الاسكندرية القديمة . ويتضح هذا الأمر فى رسالة أدبية كتبها يهودى اسكندرى كان يلقب تحت اسم مستعار هو أريستياس ، ربما عاش فى حوالى منتصف القرن الثانى ق.م. ففى إحدى فقرات هذه الرسالة الأدبية يروى المؤلف الحوار التالى الذى جرى بين ديمتريوس الفاليرى والملك بطليموس الأول .

ديمتريوس : نما إلى علمى أن قوانين اليهود جديرة بأن تنقل وتكون ضمن مكتبتك .

الملك : وماذا يحول بينك وبين ذلك ؟ كل ما تحتاجه طوع يمينك . ديمتريوس : تعوزنى الترجمة . إذ أن لليهود كتابتهم فى بلدهم تماماً كما أن للمصريين نظام حروفهم ولغتهم (٨) .

وفى فقرة أخرى من تلك الرسالة الأدبية يرسل الملك بطلميوس (بطليموس الثانى فيلادلفوس كما يتضح من السياق) برسالة إلى اليعازر الحبر الأعظم لليهود (فى فلسطين) يخبره بأنه (أى الملك) قد قرر « ترجمة قوانينكم من لغة العبرانيين التى تتحدثونها إلى اللغة

اليونانية » ويطلب منه « اصطفاء مجموعة من الأحبار المتميزين ممن لهم دراية بالقانون وكفاءة فى الترجمة »[9] . وهكذا تمت الترجمة السبعينية للتوراة التى قام بها سبعون من هؤلاء الأحبار . هذه القصة تظهر لنا بوضوح مدى اهتمام وشغف البطالمة الأوائل بترجمة كل ماهو مفيد ومتاح من معلومات وثقافات مكتوبة فى ذلك العصر بلغات أخرى إلى اللغة اليونانية واقتنائها بمكتبة الاسكندرية .

وفى أواخر العصر البطلمى كان إمتزاج الحضارتين المصرية واليونانية قد وصل إلى ذروته حتى أننا نجد أن « الملكة كليوباترا نفسها - رغم أنه ربما لم يكن يجرى فى فروعها نقطة من الدم المصرى - حرضت على أن تتعلم لغة المصريين وأبدت انحيازاً واضحاً للديانة المصرية القومية وصورت نفسها بمنتهى الجدية فى صورة إيزيس . بل أنها حتى فى اختيارها لطريقة موتها اتخذت وسيلة من التراث المصرى إذ أن حية الكوبرا التى اختارتها كأداة لهذه الوفاة كانت هى الحية المقدسة التى كانت صورتها أو شكلها أحد مكونات تاج مصر السفلى »[10] .

المترجمة وشئون الحياة اليومية فى مصر :

كانت هذه رؤية الحكام والمثقفين البارزين لقضية الترجمة وضرورتها كوسيلة اتصال حيوية بين الثقافات . ولكن ماذا عن الناس العاديين فى مصر - من مصريين وإغريق وغيرهم - وماهى الدوافع التى كانت وراء حرص كل جانب على تعلم لغة الآخر ؟

كما سبق أن رأينا فإن المثقفين البارزين من بين الإغريق كانوا ينظرون بتقدير بالغ إلى الحضارة المصرية . فأفلاطون - على سبيل

المثال – أمضى ثلاثة عشر عاماً بين كهنة هيليوبوليس يحاول أن يستفيد من معارفعهم . ويذكر أرسطو أن « المصريين اشتهروا بأنهم أقدم الأمم ، وكان لهم دوماً قوانينهم ونظامهم السياسى » (١١) . ولابد أن أفلاطون قد تعلم اللغة المصرية أثناء إقامته فى هيليوبوليس أو أنه – على الأقل – قد لجأ إلى تراجمة للاتصال والتواصل مع الكهنة هناك . واقتداءً بهؤلاء المفكرين العظام فإن بعضاً من الإغريق الذين استقروا بمصر تحت حكم البطالمة وأعجبوا بالحضارة المصرية الذائعة الصيت عاشوا حياة النسك فى المعابد المصرية لأن هذه المعابد كانت هى مستودع المعرفة والحكمة المصرية القديمة (١٢) .

وكان من أمثلة هؤلاء النُساك الإغريق واحداً يدعى بطلميوس الذى صار ناسكاً فى معبد السرابيوم الكبير فى منف حيث مكث هناك عدة سنوات (١٣) رغم أنه مقدونى الأصل . وقد اضطلع ببعض الواجبات الكهنوتية فى المعبد (١٤) – رغم كونه إغريقياً – فى حوالى منتصف القرن الثانى ق.م. وكان يعتقد بشدة فى دلالات نبؤات الأحلام وكان هو نفسه من مفسرى الأحلام (١٥) . ونظراً لأن مهارة تفسير الأحلام كانت تمارس فى مصر منذ أزمان طويلة سابقة فى العصور الفرعونية (١٦) فإن من تعلموها ومارسوها لاحقا لابد أنهم كانوا – فى تقديرى – على دراية ومعرفة طيبة بالكتابة (أو اللغة) المصرية . ومما يؤيد هذا الافتراض فى العصر البطلمى أحد الخطابات الخاصة من القرن الثالث ق.م. يفسر فيه شخص يدعى بطلميوس حلماً لآخر يدعى أخيليوس (وكلاهما كانا على الأرجح من الإغريق) . هذا الخطاب يتضمن عبارة ذات مغزى خاص فى هذا

الصدد إذ يقول بطليموس لصديقه أخيليوس « وقد ذيلت الخطاب بالكلمات المصرية حتى تكون على بينه دقيقة بالأمر » (١٧) .

Αιγυπτιστ[1]τι δε υπεγραψα οπως ακριβως ειδηις....

ومن الدوافع الأخرى للإغريق لتعلم لغة المصريين كسب العيش والرزق . ففى خطاب من القرن الثانى ق.م. (١٨) تبعث سيدة إغريقية بالتهنئة إلى أحد أقاربها على نجاحه فى تعلم اللغة المصرية وحصوله على وظيفة مساعد – فيما يبدو – لطبيب مصرى فى الأمراض الباطنية فى مدرسة طبية افتتحها الأخير لتعليم حرفته للأطفال والصبية (١٩) . وتبدو سعادة هذه السيدة واضحة لأن تعلم اللغة المصرية من جانب المرسل إليه قد مكنه من ضمان وسيلة مأمونة لكسب الرزق حتى يبلغ سن الشيخوخة (٢٠) .

وبوسعنا أن نضيف – فى هذا السياق – أن الفئات الدنيا من الإغريق فى مصر كانت متغلغلة داخل نسيج المجتمع المصرى المحلى فى الريف وكان التزاوج مع المصريين شائعاً فى أوساطهم على الرغم من تحريمه على مواطنى المدن اليونانية الثلاثة فى مصر بهدف الحفاظ على نقاء الدم الإغريقى (٢١) . وهناك شواهد مبكرة من القرن الثالث ق . م. تتضح فى وثائق زينون البردية تبين هذا التأقلم والتكيف مع المجتمع المصرى المحلى والتزاوج مع المصريين من جانب الطبقات الدنيا من الإغريق فى مصر (٢٢) . هذا التأقلم والتواصل مع المجتمع الجديد لابد أنه حتم على هؤلاء الإغريق تعلم لغة المصريين.

والآن لننتقل إلى الجانب الآخر من الصورة ، أى إلى المصريين

لكى نحاول التعرف على دوافعهم إلى تعلم اللغة اليونانية . لعل أول هذه الدوافع – أو بالأحرى الحوافز – وأكثرها منطقية هو أن اللغة اليونانية أصبحت اللغة الرسمية للإدارة ودواوين الحكم ولغة الحكام الجدد من البطالمة . من هنا فإن تعلم اللغة اليونانية كان أحد السبل التى يستطيع الطموحون من المصريين من خلالها تحسين وضعهم الاجتماعى مادياً بل ومعنوياً . ومن المفارقات الصارخة من جانب الإغريق فى مصر احتقارهم للمصريين على الرغم من إعجابهم وميلهم المتزايد للحضارة المصرية (٢٣) . هذا الاحتقار يتضح فى شواهد عديدة من بينها قصيدة شهيرة للشاعر ثيوكريتوس اسمها « نساء سيراكيوز » (وهى إحدى مدن الاستيطان اليونانى على الساحل الشرقى من جزيرة صقلية) . فى هذه القصية تذكر سيدة من سيراكيوز تدعى براكسينوى المصريين باحتقار شديد إذ تقول فى حديثها عن الملك بطلميوس الثانى فيلادلفوس :

« إن كثيراً من الانجازات الطيبة قد تمت على يديك أيها الملك بطلميوس : فمنذ رحيل أبيك إلى عالم الخالدين لم يعد أى شرير يهاجم المسافرين وهو يزحف متسللاً فى اللباس المصرى . وهم (تقصد المصريين) كما كانوا من قبل مجبولون على الخداع بصورة مطلقة ويتشابهون فى حيلهم الشريرة ، وجميعهم لا قيمة لهم » (٢٤) . كما يتجلى هذا الاحتقار والنظرة الدونية للمصريين فى شواهد الوثائق البردية (٢٥) ، وهناك وثيقة ملائمة تماماً للتعبير عن هذا الغرض يذكر فيها أحد الأشخاص – فى أحد وثائق زينون – أنه تعرض للاحتقار لمجرد أنه « بربرى لا يعرف اللغة اليونانية » (٢٦) .

وهذا يعنى أن من يستطيع أن يعبر عن نفسه باليونانية لم يكن موضع احتقار فى عيون الإغريق وربما كان يحظى بمعاملة أفضل واحترام أكبر نسبياً عن بقية أقرانه .

ومن الدوافع الجديرة بالذكر فى تعلم المصريين لليونانية أن اليونانية كانت سهلة التعلم إذا ما قورنت بالديموطيقية العسيرة (٢٧) . ومع ذلك فإن المصريين لم يتخلوا مطلقاً عن لغتهم القومية ليس فقط فى أحاديثهم اليومية ، بل أنهم استخدموها كذلك فى بعض الوثائق الرسمية . فهناك مثلاً بعض ايصالات استلام ثنائية اللغة (مكتوبة باليونانية والديموطيقية) خاصة بالعمال الزراعيين المصريين عثر عليها فى وثائق أرشيف زينون (٢٨) . كما أن لدينا بعض الأرشيفات العائلية من الوثائق البردية ثنائية اللغة تخص عائلات مصرية سجلت معاملاتها وأعمالها باللغتين اليونانية والديموطيقية . هذه العائلات كانت مواظبة – قبل الفتح المقدونى لمصر ولأجيال متعاقبة – على عاداتها وتراثها فى الحفاظ على معاملاتها مدونة فى أرشيفات (سجلات) مكتوبة بالديموطيقية . وكانت النقطة التى جدت على هذه السجلات – بعد أن حكم البطالمة مصر – هى ترجمة هذه السجلات إلى اليونانية – بحكم الضرورة – بعد أن صارت لغة الإدارة الجديدة (٢٩) . واقع الأمر باختصار هو أن المصريين – فى ظل الحكم البطلمى – ظلوا يحافظون على استخدام لغتهم القومية فيما بينهم فى شئونهم الخاصة ، ولكن متى ما كان هناك اتصال بالإدارة أو بالسلطة الحاكمة لم يعد هناك مفر من كتابة هذه المراسلات أو الاتصالات – من إقرارات وسجلات احصاء وعقود

والتماسات ... الخ – باللغة اليونانية [٣٠] . وهكذا فإن جانباً مهماً من جوانب الحياة المصرية فى العصرين البطلمى والرومانى وهو الجانب المصرى لانجده ممثلاً تمثيلاً عادلاً ومعقولاً فى الوثائق البردية اليونانية. ومن هنا فإن كلير بريو محقة تماماً عندما تقول « وهكذا وبصورة آلية ومن جراء صعوبة اللغة لاغير (تقصد الكتابة الديموطيقية) وقلة عدد المتخصصين فى الديموطيقية فإن ألفتنا ومعرفتنا بمصر المصرية أقل بكثير من معرفتنا بمصر المتأغرقة (ذات الطابع الهيلليني)» [٣١] .

ومن أجل الاتصال بالإدارة باللغة اليونانية فقد كان من الضرورى لمعظم المصريين الذين كانوا أميين αγραμματοι[٣٢] أن يستعينوا بخدمات كتبة محترفين γραμματεις اعتادوا أن يختموا الوثائق بالعبارة الشائعة جداً :

كتبت نيابة عن فلان (أو فلانة) لجهله بالكتابة

εγραψα υπερ αυτου δια το μη ειδεναι γραμματα

والجهل بالكتابة أو الأمية المقصودة فى مثل هذه العبارات هى الأمية باللغة اليونانية بصرف النظر عن معرفة الشخص المعنى بالكتابة الديموطيقية من عدمه . ففى واحدة من هذه الوثائق – وهى وثيقة فريدة – يوقع رجل يجهل اليونانية باسمه بالديموطيقية تحت ترجمة يونانية لعقد بيع مصرى [٣٣] . وفى وثيقة أخرى تتضمن عقد بيع لمنزل من عام ٥٥ م. ينهى كاتب الوثيقة العقد بقوله أنه كتب نيابة « عن صاحب الشأن لأنه » يجهل الكتابة اليونانية وإن كان يكتب بالمصرية » [٣٤] .

لقد كان هؤلاء الكتبة المحترفون - سواءً كانوا مصريين أو إغريق - مترجمين بصورة أو بأخرى بلاشك لأنهم كانوا على دراية تامة أو معقولة باللغة الرسمية للإدارة (اليونانية) وبلغة البلاد المحلية (المصرية) . وكانوا يفهمون ويترجمون موضوعات عقود زبائنهم المصريين إلى اليونانية ويصيغونها فى وثائق مكتوبة باليونانية .

ومن أبرز الأمثلة من العنصر البطلمى على الدور الذى لعبته الترجمة فى نقل آراء الملوك البطالمة ورد فعلها عند الكهنة المصريين **حجر رشيد** الشهير المكتوب باليونانية والهيروغليفية والديموطيقية والذى أتاح لنا تفسير وفهم الكتابات المصرية القديمة بعد جهود شامبليون . إن هذا النقش يعكس لنا الوضع والنفوذ القوى المؤثر للكهنة المصريين تحت حكم الملوك الضعفاء من الأسرة البطلمة مثل بطلميوس الخامس إبيفانيس الذى يرجع هذا النقش إلى أوائل عصره فى بداية القرن الثانى ق.م.. هذا النفوذ القوى للكهانة المصرية يتضح بجلاء بصفة خاصة بعد موقعة رفح سنة ٢١٧ ق.م.) والانتصار الذى أحرزه بطلميوس الرابع «فيلوباتور» على الملك السليوقى القوى انطيوخوس الثالث والذى يرجع الفضل الأول فى إحرازه إلى قوات المشاه من المحاربين المصريين μαχιμοι[٣٥] الذين أبلوا بلاء حسناً فى تلك الموقعة انتهى بنصر مؤزر وغير متوقع للملك البطلمى الذى كان قد شرع فى الانسحاب والفرار من وجه الملك السليوقى بعد أن أصابه القنوط . هذا الانتصار أعطى المصريين ثقة كبيرة بأنفسهم وجعلهم يتمردون على الحكم البطلمى الأجنبى ومنح كهنتهم - وهم الفئة القوية المعبرة عن طموحات المصريين - وضعاً قوياً مكنهم

من فرص كتابتهم المقدسه « الهيروغليفية » وكتابة أبناء شعبهم « الديموطيقية » على قدم المساواه مع اللغة اليونانية - لغة الإدارة والحكام – فى هذا المرسوم الملكى عن الملك بالعفو عن المصريين الذين ثاروا عليه والمنقوش على حجر رشيد . فى هذا النقش انتهز الكهنة المصريون الفرصة للتعبير عن شكرهم وتقديرهم للملك بطليموس الخامس إيبفانيس على هذه المبادرة عام ١٩٦ ق.م. لذا جاء محتوى النقش مكتوباً باليونانية ومترجماً للكتابات الهيروغليفية والديموطيقية حتى يفهمه ويستوعبه كل أو معظم سكان البلاد . ومن المرجح أن مراسيماً أو قرارات ملكية هامة أخرى من العصر البطلمى – بعد هذه الفترة – ربما ترجمت إلى الكتابات المصرية وإن لم يعثر عليها بعد ، وأن المصادفة البحتة هى التى جعلتنا نعثر على حجر رشيد دون سواه من النقوش الثنائية أو الثلاثية اللغة . لقد كانت المعابد على الدوام هى بؤرة الشعور والحس الوطنى فى الحياة المصرية القديمة وحافظت على اللغة والعادات والموروثات المصرية (٣٦). إن حجر رشيد يفصح – فى رأى أحد العلماء (٣٧) – عن «التمصير» المتزايد والمتنامى للأسرة البطلمية بدءاً من عصر بطلميوس الرابع .

ومن الجدير بالتنويه أن ندرة النقوش التى تحمل مراسيم ملكية مترجمة من العصر البطلمى – ذات لغتين أو ثلاثة –ربما كان مرده كذلك أن اللغة اليونانية التى أصبحت منذ العصر البطلمى المبكر اللغة الرسمية للإدارة قد صارت مألوفة للمصريين بمرور الوقت وبالتالى لم يكن هناك ما يدعو إلى ترجمتها للكتابات المصرية . ولكن حالة حجر رشيد مثلت ظرفاً خاصاً تنامت فيه الروح الوطنية

المصرية وفرضت نفسها بقوة فى ظل ضعف من جانب ملوك البطالمة ساعد على استمرار هذه الحالة - بصورة متقطعة - حتى نهاية الحكم البطلمى ، ولذلك لا نستبعد وجود نقوش مماثلة من تلك الفترة وإن لم تصل إلينا .

ثم انتقل حكم مصر بعد ذلك إلى الرومان بعد فتح أوكتافيان لمصر سنة ٣٠ ق.م. ومع ذلك ظلت اليونانية – التى ألفها الناس فى مصر – وليست اللاتينية هى لغة الإدارة والحكم فى مصر . وهكذا فاءن المراسيم الامبراطورية والصادرة من الأباطرة فى روما باللاتينية – بطبيعة الحال – والتى كانت ترسل إلى ولاية مصر كانت تترجم فى مصر من اللاتينية إلى اليونانية وتبلغ لمن يهمه الأمر مترجمة إلى اليونانية . ورغم أن هذا هو واقع الحال فى المراسيم الإمبراطورية الصادرة من روما والموجودة فى الوثائق البردية والنقشية – باليونانية فى الأغلب الأعم – فى مصر إلا أن هناك بعضاً من تلك المراسيم الامبراطورية قد أشارت إلى هذه البديهية - عرضاً - وورد فيها ما يفيد بأن المرسوم مترجم إلى اليونانية من اللاتينية . ولعل خطاب الإمبراطور هادريان إلى واليه على مصر راميوس مارتياليس عام ١١٩ م. بشأن الحقوق الوراثية لأبناء الجند الذين ولدوا خلال مدة الخدمة العسكرية للجند [٣٨] مثال على ذلك إذ ورد فى مقدمته أنه مترجم إلى اليونانية. من هنا يمكن أن نرجح بدرجة كبيرة من الثقة أن كل المراسلات الرسمية من روما لمصر - وخصوصا قرارات الأباطرة – كانت تترجم من اللاتينية إلى اليونانية رغم عدم النص على ذلك صراحة فى معظم الوثائق

ومن الجدير بالتنويه هنا قبل مواصلة الموضوع أن نذكر أن الكلمة اليونانية التى تعنى « مترجم » هىερμηνευς ، كما تعنى كذلك وسيط أو سمسار[٣٩] حسب السياق الذى تستخدم فيه الكلمة . ومن السهل إدراك العلاقة بين المعنيين إذ أن المترجم والسمسار كليهما وسيط بين طرفين ، كما أن الكلمة اليونانية نفسها مشتقة من اسم الإله « هيرميس » وهو رسول الآلهة أو الوسيط بين الآلهة . وفى بعض الوثائق التى ترد فيها كلمة ερμηνευς يكون السياق غامضاً أو مقتضباً أو حيادياً بحيث يصبح من الصعب أن نعرف هل المقصود بها « مترجم » أو سمسار[٤٠] .

ومن المجالات الأخرى للترجمة (والمترجمين) فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى **هو مجال القضايا القانونية فى المحاكم،** وهو مجال خصب للترجمة كما تشهد بذلك القرائن الوثائقية . ومن الممكن تفسير ذلك **أن** تخصيص المحكمة التى تنظر **أمامها أى قضية فى مصر كان** يعتمد فى أول الأمر – فى بداية العصر البطلمى – على **جنسية أطراف عملية التقاضى** ، ثم أصبح يعتمد بعد ذلك على **اللغة المكتوب بها العقد** أو الوثيقة موضوع النزاع كما يتضح بجلاء من فقرة فى قرار العفو الذى أصدره بطلميوس الثامن يوإرجيتيس الثانى عام ١١٨ ق.م.[٤١] ، وهذه الفقرة يفهم منها أن المصرى كان يحاكم أمام محكمة من القضاة الإغريق -χρημα τισται إذا كان العقد موضوع النزاع مكتوبا باليونانية ، والعكس صحيح بمعنى أن اليونانى كان يحاكم أمام محكمة من القضاة المصريين λαοκριται إذا كانت لغة العقد المتنازع علية هى

المصرية . هذا الوضع حتم وجود مترجمين للوثائق القانونية . ففى أحد المنازعات حول ملكية منزل فى طيبة (الأقصر) بين ضابط إغريقى يدعى هيرمياس وجماعة من المصريين يحترفون مهنة تحنيط جثث الموتى χοαχυται يطالب محامى الضابط الإغريقى بطرد المصريين من المنزل وإعادته إلى هيرمياس (٤٢) . ولكن يرد محامى المصريين بأن موكليه هم ملاك المنزل ولديهم نسخ من عقود شراء المنزل مكتوبة بالمصرية ومترجمة لليونانية (٤٣) . ونلتقى فى وثيقة أخرى بعقد يسجل بيع سدس مقبرة (مكان للدفن) فى إحدى مناطق الأقليم الطيبى لواحد من جماعة المحنطين المصريين المذكورين أعلاه. هذا العقد هو عقد (بيع) مصرى ترجم إلى اليونانية بأقصى ما فى وسع (المترجم) من كفاءة (٤٤) ، كما ورد فى النسخة اليونانية من العقد .

وفى التماس مقدم إلى حاكم (ابيستراتيجوس) الأقليم الطيبى يذكر مقدمو الالتماس أن لديهم نسخة من عقد تنازل مصرى مترجم إلى اليونانية بأقصى ما فى وسع (المترجم) (٤٥) : كما أن هناك عقد بيع مصرى آخر لنصف فناء منزل مترجم إلى اليونانية بأقصى طاقة للمترجم ومؤرخ بعام ٥٥ ق.م. (٤٦) .

وكما نلاحظ من الأمثلة المذكورة أعلاه فقد تكررت عبارة أن هذه الوثائق القانونية قد « ترجمت إلى اليونانية بأقصى ما فى وسع (المترجم) μεθηρμηνευμενης κατα δυναμιν ». وربما كان تفسير ورود مثل هذه العبارة فى هذه الوثائق المترجمة هو محاولة الشخص (الطرف) الذى لديه نسخة مترجمة من العقد المكتوب

بلغة أخرى أن يعزو أى خطأ قد يوجد فى محتويات النسخة المترجمة إلى سهو أو عدم دقة المترجم ، وأنها ليست تزييفاً متعمداً فى محتوى الوثيقة القانونية .

وإذا ما انتقلنا إلى العصر الرومانى لوجدنا كذلك وثائق قانونية مترجمة ولكننا فى هذه المرة نجد معظم الوثائق المتاحة إما مترجمة من اللاتينية إلى اليونانية أو وثائق ثنائية اللغة بين لاتينية ويونانية . وتفسير ذلك بسيط وميسور : فبعد فتح الرومان لمصر ظلت اللغة اليونانية - كما ذكرنا آنفاً - هى اللغة الرسمية للإدارة والحكم فى تلك الولاية . ولذلك فاءن رجال الإدارة الرومانية - سواء فى روما أو فى مصر - كانوا يكتبون الوثائق القانونية والإدارية بلغتهم الأم اللاتينية ثم تنشر أو تبلغ لذوى الشأن فى الولاية بعد أن يكون مترجمون مختصون قد ترجموها وصاغوها باللغة اليونانية كما رأينا فى خطاب هادريان حول حقوق أبناء الجند .

وهناك أمثلة عديدة من الوثائق القانونية التى ورد بها أنها ترجمت إلى اليونانية من اللاتينية أو من الوثائق ثنائية اللغة . وهذه الأخيرة كان ترتيبها على النحو التالى : موضوع الوثيقة مكتوب باللغة اللاتينية ويليه عبارة ترجمة من اللاتينية (الرومانية) أو بإيجاز كلمة ترجمة ، وتكتب هذه العبارة أو الكلمة باليونانية :

ερμηνεια των Ρωμαικων – ερμηνια

ثم يلى ذلك الترجمة اليونانية للوثيقة اللاتينية الأصلية .

وكانت هذه الوثائق القانونية المترجمة من اللاتينية إلى اليونانية

تتضمن وصايا [٤٧] ، وطلبات لتعيين أوصياء على القصر [٤٨] أو استلام مواريث [٤٩] بالإضافة إلى إثبات مرافعات ومداولات [٥٠] قضايا فى ردهات المحاكم مسجلة « باللغتين اللاتينية واليونانية » . ومعظم تلك الوثائق مؤرخة بالقرن الثالث وأوائل القرن الرابع للميلاد ، وهو ما يقودنا إلى أن نستنتج أن هذه الظاهرة من الوثائق القانونية الثنائية اللغة (لاتينية ويونانية) ربما اقترنت بمرسوم كاراكللا الذى منح بمقتضاه المواطنة الرومانية لكافة سكان الإمبراطورية الرومانية سنة ٢١٢ م .

وهناك نقطة أخرى جديرة بالملاحظة تتصل بأروقة المحاكم فى مصر تحت الحكم الرومانى وهى استخدام هذه المحاكم لمترجمين لكى يترجموا عن أطراف التقاضى أو الشهود من المصريين حين يعجز هؤلاء عن التعبير عن أنفسهم باليونانية عند استجوابهم من قبل هيئة المحكمة فيقوم المترجمون بترجمة أقوالهم إلى اليونانية [٥١] . وفى وثيقة من هذا النوع – مهشمة للأسف فى أجزاء منها – كان المترجم يقوم بالترجمة إلى اليونانية من العربية على الأرجح [٥٢] .

وأخيراً فلابد أنه كان هناك ترجمة من نوع ما للأدب القائم والمتاح فى البيئة المصرية رغم أن الشواهد على ذلك ضئيلة للغاية . ولدينا فى هذا المقام نتف وشذرات من أعمال مصرية ذات طبيعة دينية ترجمت إلى اليونانية فى الفترة اليونانية – الرومانية ، لكن ذلك لم يكن يتم فى كنف الرعاية الملكية كما حدث مع تاريخ «مانيتون» السمنودى [٥٣] . كما أن هناك وثيقة من القرن الثالث الميلادى قام فيها شخص يدعى « ايزيدوريانوس » بترجمة مؤلف كاتب لاتينى –

لم يذكر اسمه في الوثيقة – إلى اليونانية [٥٤] .

ومن الطريف – بعد كل ذلك – أن نجد شذرة بردية من البهنسا مكتوب عليها « من الواضح أن الترجمة مهنة غير مربحة رغم ما يكتنفها من عناء وصعوبة جمة » [٥٥] .

حواشي البحث

1 - P. Jouguet, Les destinees de l'Hellenisme dans l'Egypte Greco - Romaine. Chronique d'Egypte, 19, 1935, pp. 89 - 108. P. 90

لمزيد من التفاصيل عن العلاقة بين مصر واليونان قبل الاسكندر الأكبر أنظر:

D. Mallet. Les premiers etablissements de Grecs en Egypte, Memoires publies par les membres de la mission archeologique francaise, t. XII, 1er fasc., Paris, 1893; Les rapports des Grecs avec l'Egypte, de la conquete de Cambyse a cette d'Alexandre III, Memoires publies par les membres de l'Institut F.A.O. du Caire, t. XLVIII. Le Caire, 1922; Smith, Naucratis, A Chapter in the History of the Hellenization of Egypt, Journal of the Society of Oriental Research. X. 1926, PP. 119 - 206.

2 - Herodotus II. 154.

3 - Ibid. II. 178 - 79.

4 - Herodotus II, 154. 2 : Και δη Και παιδας παρε–λαβε αυτσισι Αιγυπτιους Την Ελλαδα γλωσσαν εκδιδασκεσθαι, απο δε τουτων εκ–μαθοντων την γλωσσαν οι νυν ερμηνεες εν

Αιγυπτωι γεγοναισι.

5 – Ibid. II, 164, 1 : εστι δε Αιγυπτιων επτα γενεα και τουτων οι μεν ιρεες , οι δε μαχιμοι κεκλεαται, οι δε βουκολοι, οι δε συβωται, οι δε καπηλοι, οι δε ερμηνεες, οι δε κυβερνιται.

6 – Strabo XVII. 29 : Συνανεβη γαρ δη τω Πλατωνι ο Ευδοξος δευρο, και συνδιετριψαν τοις ιρευσιν εκεινοι ενταυθα τγισκαιδεκα, ετη, ως, ειρηται τισι., ... Ουτοι δε, τα επιτρεχοντα της ημερας και της νυκτος μορια ταις τριακοσιαις εξηκονταπεντε ημεραις" εις την εκπληρωσιν, του ενιαυσιου χρονου παρεδοσαν. αλληγνοειτο τεως ο ενιαυτος παρα τοις Ελλησιν, ως και αλλα πλειω, εως οι νεωτεροι αστρολογοι παρελαβον παρα των μεθερμηνευσαντων εις το Ελληνικον τα των ιερεων υπομνιματα.Cf. also Seneca, Quaest. Nat. 7.3; Diogenes Laertius 8.86.

7 - H.I. Bell, Cults and Greeds in Graeco - Roman Egypt, Liverpool, 1953, p. 60.

8 - M.M. Austin, The Hellenistic world from Alexander to the Roman Conquest, Cambridge,

1981, pp. 440 - 442. Cf. also M. Hadas, Aristeas to Philocrates, 1951, I, 10 - 11.

9 - Austin, op. cit., p. 241 : Hadas. op. cit., V, 35 - 40.

10 - Bell, op. cit., p. 63.

11 - Aristotle, Politics 1329 (b) 32 - 34 : οτι δε παντα αρχαια, σημειον τα περι Αιγυπτιον εστιν. ουτοι γαρ αρχαιοτατοι μεν δουκουσιν ειναι νομων δε τετυχηκασιν <αει> Και ταξεως πολιτικης.

وهناك كذلك تنويهات أخرى لمساهمات المصريين فى مجالات الطب والعمارة فى كتاب السياسة لأرسطو :

1286 (a) 13. 1313 (b) 21.

12 --C. Preaux. les Egyptiens dans la civilisation Hellenistique d'Egypte, Chronique. d'Egypte 1943. pp. 148 - 160, p. 156; R. Remondon. Problemes du bilinguisme dans l'Egypte Lagide, Chronique d'Egypte, 1964, pp. 126 - 146, PP. 131 - 32.

13 - Bell. op. cit., P. 61 ' Remondon, loc. cit.

14 - U.P.Z. I. pp. 67 - 68, 107 - 8.

15 - U.P.Z. 78, 159 B.C.

16 - Bell, loc, cit., :

وأفضل مثال على ذلك تفسير النبى يوسف عليه السلام لحلم فرعون عن السبع بقرات السمان اللائى يأكلهن سبع عجاف

17 - P. Cairo Goodspeed 3. Fayum, Third century B.C., 11. 7 - 9 Cf. also Bell, op. cit., p. 60; Remondon, op. cit., p. 132.

18 - U.P.Z. 148 = P. London I, 43, p. 48 = Wilcken, Chrestomathie 136.

19 - R. Remondon ...op. cit., pp. 126 - 135. هذه وجهة نظر Cf. also M. Rostovtzeff, S.E.H.H.W. 11, P. 883 : and Bell, loc. cit,

الذين اعتبرا أن هذا الخطاب كان موجهاً من أم إلى ابنها الذى يدرس اللغة المصرية وحصل على وظيفة معلم للأطفال عند أحد الأطباء المصريين .

20 - U.P.Z. 148 :

πυνθανομενης μανθα|νειν σε αιγυπτα |γραμματα συνεχαρτην σοι| και εμαυτηι, οτι | νυγ γε Παραγενομενος | εις την πολιν διδαξεις | παρα Φαλου.. ητι ιατροκλυστηι, τα | παιδαρια και εξεις |εφοδον εις το γηρας.

21 - Bell, loc, cit, : Remondon, op. cit., P. 142.

22 - A. Swiderek, La Societe indigene en Egypte au

·III^{e} s. avant notre ere d'apres les archives de Zenon. journal of Juristic Papyrology. VII - VIII (1953 - 1954) pp. 259 ff.

23 - C. Preaux." Les raisons de l'originalite de l'Egypte", Museum Helveticm. 10. fase. 3/4 (july 1953), p. 204.

24 - Theocritus. Idyll XV. verses 46 - 50 .

25 - P. Enteuxeis 79, 86.

26 - P. Columbia Zenon II, 66, according to Remondon, op. cit., p. 140.

27 - Cf. Preaux, Les Egyptiens dans..., pp. 150 - 151.

28 - Cf. W. Spiegelberg, Die demotischen Urkunden dės Zenon - Archivs, Leipzig, 1929.

29 - C. Preaux, op. cit., pp. 153 - 154 and notes.

30 - Ibid, pp. 154, 158.

31 - Ibid. p. 152.

32 - Cf. Ernst Majer - Leonhard,Αγραμματοι, Frankfurt, 1913.

33 - P. dem. Strasb. 32 (a) + dem. griech. 1 (b). Cf. Preaux. op. cit., p. 153, note 2.

34 - N. Lewis, Life in Egypt under Roman Rule, Oxford, 1984,

S.B. 5117 الذى يستشهد هنا بالوثيقة

35 - Polybius. V, 63 and 65;

وعن النتائج الداخلية المترتبة على موقعة رفح أنظر :

Polybius V, 107 and XIV. 12.

36 - Willy Peremans, Egyptiens et etrangers en Egypte au III[e] siecle avant J.C., Chronique d'Egypte, no. 21, 1936, p. 158; Preaux, op. cit., pp. 154 - 155.

37 - M. Austin, op. cit., p. 374.

38 - B.G.U. 140, 11. 1-2 :

Αν [τι] γρχ(φον)επιστ[ολ(ης)του Κυριου με] θηρμ [νη] ευ– | μενης

39 - Cf. F. Preisigke, Worterbuch d. gr. Papyrusurkunden. vol. 1, under ερμηνευs

40 - E.g.P. Michig. Tebtunis, 123. R. XXI, 1. 8; 124, R.I, 1.20; P. Fayum Towns 23. Second century A.D.. 1. 12 ; p. Ox. 1650, Late first or early second cent. A.D., 11. 10, 28

إذ ترجمها الناشر فى الوثيقة الأخيرة على أنها « مترجم » فى حين ترجمها

٤٠ . في شرحه عن ... لصريين في مصر الرومانية ، ص ٣٠٢ ، ٤٦٥ على أنه ... بسيط ، أو ...

41 P Tebt I.5 118 B.C., 11 207 220 especially 11 211 217

42 - U P Z 162. 117 B C col IV II 33 34

ηξιου τους αντιδικους εξοικισθηναι, εαυτωι δε παραδοθηγαι την οικιαν

43 - Ibid., col. V, II 3-4

Φησας ειναι αυτων την οικιαν καθ'α παρεκειτο αντιγραφα 6υγγραφων Αιγυπτιων, διηρμηνευμενων δ, ελληνιστι.

44 - P Lond. I 3 146 or 135 B.C., pp. 45 - 48, 11 1-2

αντιγραφ|ον συ|νγραφης Αιγυπτιας με |θερμηνευομ|ενης κατα δυ|ναμιν|

45 - P Gissen 36 the reign of Euergetes II 5 - 6.

π| αρεχοντων α(ντιγραφον ησυγχωρησεως Αιγυπτ]ι[ας με]θη[ρ]μην[ευ]μενης Ελληνιστι κατα το δυνατον

46 B G U 1002. Hermopolis. 55 B C 11 1 2

Αντιγραφον συνγραφης πρασεως Αιγυπτιας

μεθηρμηνευμενης κατα το δυνατον.

47 B G U 326. Fayum, p. Leipzig 9. Hermopolis, 233 A D.

48 - P Ox. 1466. 245 A.D., 2710. May 261 A.D.

49 - P Ox. 1201, 258 A.D.

50 - Papyrus de Theadelphie, Fayum, 322 - 323 A.D.

51 - P.S.I. 450, col. II, 1. 34, 107 - 112 A.D. ; P. Ox. 237, col. VII, 11. 36 - 37, 129 A.D. (12 th year of Hadrian); P. Antinopolis II, 87, 1. 12, Late third century B.C.

52 - P. Ox. 3074. Third century A.D., cf. 11. 4,8.

53 - H.I. Bell, op. cit., p. 59.

54 - P Ryl. II. 62 cf 11 29 - 30 : Ολυμπ[ιος]|Ισ[1] δωριανος . .| ερμηνευσα απο Ρω [μα] ικων.

55 - See. P.S.I vol. I.P VI · ερμηνια | μοχθογ και κοπον πολυ | ακερδην δηλοι.

المبحث الثاني

« علاقة القرويين بالاسكندرية في العصرين البطلمي والروماني »

بحث ألقى (باللغة الانجليزية) فى الندوة الدولية التى انعقدت بالاسكندرية فى الفترة من ٢٥ - ٢٧ مارس ١٩٨٦ تحت عنوان " The Legacy of Ancient Alexandria "

ونشر (بالانجليزية) كذلك فى مطبوعات جمعية الآثار بالاسكندرية - العدد الثامن ١٩٨٩ - « دراسات أثرية وتاريخية »



علاقة القرويين بالاسكندرية
فى العصرين البطلمى والرومانى

يتناول هذا الموضوع الدوافع الشخصية التى كانت تدفع سكان الريف المصرى - فرادى أو جماعات - إلى الذهاب إلى الاسكندرية والإقامة هناك بشكل دائم أو مؤقت وأعنى بسكان الريف أو أهل الريف هنا العناصر المختلفة من السكان التى تسكن الريف المصرى أو الـ Χωρα الذين كان معظمهم بطبيعة الحال من المصريين . ويتناول البحث أيضا - بالإضافة لدوافع الإقامة المؤقتة أو الدائمة لأهل الريف بالاسكندرية - رد فعل الإدارة الحاكمة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى حيال هذه الظاهرة .

فيما يتصل بهذه الظاهرة فى مصر فى العصر البطلمى فإن شواهدنا البردية قليلة جدا ولاتكاد تعطينا فكرة عن علاقة أهل الريف المصرى بعاصمة البلاد . ولكن يغطى هذه الفجوة فى البردى الوثائقى اثنان من المصادر الأدبية يرجع تاريخهما إلى القرن الثانى ق.م. ويرسمان صورة عامة عن هذه العلاقة : المصدر الأول هو أديب كتب تحت اسم مستعار هو أريستياس كتب رسالة أدبية (1) تهدف إلى تقديم صورة عن ترجمة العهد القديم أو التوراه إلى اللغة اليونانية ، تلك الترجمة التى تمت فى الاسكندرية فى عهد ثانى ملوك البطالمة فيلادلفوس وقام بها سبعون من أحبار اليهود من بيت المقدس وعرفت بالترجمة السبعينية للتوراة (2) .

ويرجع تاريخ هذه الرسالة الأدبية لأريستياس إلى حوالى ١٦٠ ق.م. [٣] وفى هذه الرسالة يعرج أريستياس بعض الشىء على الحياة الاجتماعية للاسكندرية فى عصره . ويخصنا فى هذه الرسالة ذلك الجزء (الفقرات ١٠٨ - ١١١) التى يتناول فيها صاحبها الجذب الذى تتمتع به المدن الكبرى وما ينجم عن ذلك من اقفار الريف وهجر أهله له ، ويقول فى هذا الشأن « والاسكندرية خير مثال على ذلك الوضع لأن أهل الريف الذين قدموا إليها لأعمال وشئون مؤقتة جعلوا حالة الزراعة محزنة حيث أطالوا فترات إقامتهم بالمدينة . ومن هنا فإن الملك اتخذ إجراءات تحد من إقامتهم بها وعجل على وجه الخصوص الإجراءات القضائية وأقام محاكم بالأقاليم المصرية كى يمنع المزارعين ومن ينوب عنهم من الذهاب إلى الاسكندرية للبحث عن مصير قضاياهم مما يجعلهم لايساهمون فى توريد حاصلاتهم إلى المدينة (أى الاسكندرية) » [٤] .

من هذه الفقرة المقتبسة من رسالة أريستياس يبدو أن أعداد القرويين الذين كانوا يقيمون بالاسكندرية على - الأقل فى القرن الثانى ق.م. -كانت كبيرة بصورة تهدد الزراعة فى الريف وتهدد إمدادات الاسكندرية العاصمة من الغذاء الذى يأتى من الريف . ولعل الإجراءات التى لجأ إليها الملك البطلمى السادس (فيلوميتور) والمذكورة بالفقرة السابقة تفصح بجلاء عن مدى خطورة الظاهرة .

أما المصدر الثانى فهو المؤرخ بوليبيوس الذى كان فى الاسكندرية

فى فترة ما من حكم بطلميوس الثامن يوإرجيتيس الثانى (١٤٥ - ١١٦ ق.م). ويتحدث بوليبيوس عن فئات السكان بالاسكندرية (٥) فيذكر فئات المصريين والمرتزقة والاسكندريين . وعندما يتحدث عن المصريين يذكرهم واصفا إياهم بالعبارة التالية :

Το τε Αιγυπτιον Και επιχωριον φυλον.

ويترجم فريزر (٦) هذه العبارة على أنها حى أو منطقة المصريين من أهل البلاد ، أى أنه يترجم كلمة επιχριον على أنها « من أهل البلاد » أو native ولكن هذه الترجمة غير دقيقة والأرجح منها هى ترجمة Braunert (٧) الذى يترجم هذا اللفظ على أنه « القادمون من الريف أو الـ Χερα . والأسباب التى تجعلنى أرجح الترجمة الأخيرة هى أنه من البديهى أن يكون المصريون هم أهل البلاد وهو أمر لايحتاج لتأكيد ، وعلى هذا الأساس فمن المستبعد أن يكون بوليبيوس قد قصد بها هذا المعنى . والأمر الثانى أن الفقرة التى اقتبسناها أعلاه من رسالة المدعو أريستياس والتى يتحدث فيها عن إقامة القرويين فى الاسكندرية بأعداد كبيرة - وجل هؤلاء بالطبع من المصريين - تدعم وترجح ترجمة Braunert . وإذا ماصح استنتاجى فى هذا الصدد فيمكن القول بأن السكان المصريين فى الاسكندرية فى العهد البطلمى - كما أورد المؤرخ بوليبيوس - فى جزء كبير منهم من القرويين . ولعلنى لا أتجاوز الحقيقة إذا ترجمت عبارة بوليبيوس الواردة أعلاه على أنها « العنصر المصرى والقروى » ، وإذا ما فسرت ذلك بإن المقصود بالعنصر المصرى

لئك المصريون الذين كانت لهم إقامة دائمة ووجود بالإسكندرية منذ فترة طويلة عند انشاء المدينة وبعدها، أما العنصر القروى فهم أولئك المصريون من القرويين الذين قدموا للاسكندرية لغرض ما وأقاموا مددا طويلة أو قصيرة. وإن صح هذا التفسير فإنه يؤكد ماسبق عند تزايد اعداد القرويين فى الإسكندرية بحيث أصبحوا يشكلون عنصرا بارزا وملموسا .

ومن خلال الفقرة التى سبق اقتباسها من المدعو أريستياس يتضح أن أهل الريف كانوا قد اعتادوا أن يطيلوا اقامتهم بالاسكندرية ليتحاشوا العمل الزراعى ويكسبوا قوتهم من العمل فى العاصمة [٨] . ويبدو أن فرص العمل بالاسكندرية كانت جيدة وليس أدل على هذا من أن يوليوس قيصر قد عبر عن اعجابه بتلك المدينة « الشاسعة المساحة الواسعة الثراء » [٩] . ومما يزيد من دلالة هذا الإعجاب من جانب قيصر بمدينتنا الخالدة انه قد جاء فى وقت حرج بالنسبة للاسكندرية التى كانت تطحنها إذ ذاك فى اواخر عصر البطالمة الصراعات والمشاحنات بين أفراد الأسرة المالكة بين بعضهم البعض من جانب وبينهم وبين الاسكندريين من جانب آخر ، فما بالنا إذن بالاسكندرية فى عهد عظمتها وسلطانها على عهد البطالمة الأوائل .

أما إذا انتقلنا إلى الاسكندرية تحت حكم الرومان لمصر فإن الشواهد الوثائقية البردية من الوفرة بحيث تسمح لنا بفكرة جيدة وصورة واضحة عن علاقة القرويين بالاسكندرية والوثائق البردية حول هذا الموضوع تنقسم إلى صنفين أو نوعين : الأول يضم الوثائق التى تتعلق

بالأنشطة الفعلية التى كان يمارسها أهل الريف بالاسكندرية والدوافع التى كانت تجعلهم يذهبون للاسكندرية ويقيمون بها ، والنوع الثانى من الوثائق يمثل رد الفعل الرسمى من جانب الإدارة الرومانية الحاكمة تجاه إقامة القرويين المصريين بالاسكندرية وقرارات الولاة والاباطرة الرومان فى هذا الشأن .

دوافع القرويين للقدوم إلى الاسكندرية وأنشطتهم فيها :

فيما يتعلق بالنقطة الأولى وهى دوافع الذهاب للاسكندرية وأنشطة القرويين فيها فيأتى **العمل فى الاسكندرية** على رأس قائمة هذه الدوافع. وهناك بعض الدوافع الأخرى مثل **حضور الاحتفالات الدينية بالعاصمة** وفى بعض الاحيان كان القرويون يقومون بهذه الطقوس فى معابد العاصمة فى أثناء عملهم بها أى أن غرضهم الأصلى فى هذه الحالات كان العمل وليس التعبد والطقوس . وأقدم الوثائق حول هذا الموضوع ترجع إلى سنة ١ ق.م. وهى عبارة عن خطاب شخصى من شخص يدعى ايلاريون إلى زوجته يخبرها فيه أنه كان حينئذ بالاسكندرية ويقول « إذا ما تقاضيت أجرى على وجه السرعة فسأبعث به إليك »[10] وهذه العبارة توحى أنه كان بالاسكندرية من أجل العمل رغم عدم ذكره لطبيعة ذلك العمل . وفى بعض الاحيان لم يكن عمل القرويين بالاسكندرية مقصودا فى حد ذاته بغرض كسب النقود ، وانما كان يأتى عرضا فى سياق قدومهم للعاصمة لمهمة أخرى . ففى احدى الوثائق قدم للاسكندرية شخص يدعى سارابيون لكى يحضر الدورة

القضائية διαλογισμος التى يعقدها والى مصر هناك ويقدم التماسا إليه[١١] وكان على هذا الشخص أن ينتظر حتى موعد انعقاد الدورة القضائية، وفى تلك الأثناء اضطر - كما يقول - تحت ضغط اصدقائه ان يلتحق بالعمل لدى كبير حجاب الوالى حتى يصحبه إلى الجلسة يوم انعقادها [١٢] . وهكذا فقد كان هدف سارابيون من العمل لدى كبير الحجاب هو تدعيم موقفه فى التماسه ليس إلا . ولكن يجب أن نلاحظ أنه من الواضح أن اصدقاء سارابيون الذين جعلوه يلتحق بخدمة كبير الحجاب كانوا من أبناء قريته باقليم أوكسيرينخوس (بمحافظة المنيا فى البهنسة الحالية) وكانوا ممن يقيمون بالاسكندرية مؤقتا من أجل العمل. وفى نفس هذا الخطاب الذى بعث به سارابيون إلى أخيه بأوكسيرينخوس يخبر أخاه بأنه قد علم من بعض الصيادين (صيادى الاسماك) الذين كانوا بالاسكندرية [١٣] أن منزله قد تعرض للتفتيش . وليس من المعروف هنا ما إذا كان هؤلاء الصيادون يقومون بصيد الأسماك فى الاسكندرية أم أنهم كانوا هناك لغرض آخر .

وفى وثيقة أخرى يقدم شخص من مدينة اوكسيرينخوس اقرارا مشفوعا بقسم للإدارة فى ذلك الاقليم تفيد أن ابنه الذى يعمل نساجا يقيم بصفة مؤقتة فى الاسكندرية وأنه يندرج فى قائمة من يدفعون ضريبة الرأس عن ذلك العام [١٤] ، ويبدو أن هذا النساج الابن كان يعمل بالاسكندرية . ومما يؤيد هذا الافتراض وثيقة مماثلة فى محتوياتها إلى حد ما لهذه الوثيقة وهذه الوثيقة هى عبارة عن التماس قدمه مجموعة من النساجين من قرية فيلادلفيا بالفيوم إلى حاكم الإقليم

الذى تتبعه قريتهم (فى التقسيم الهيراكليدى) [١٥] ، ويقول هؤلاء النساجون فى التماسهم انهم قد تلقوا مبلغا من المال من خزانة الدولة لكى يجهزوا بعض الملابس الحكومية أو الزى الرسمى . ولكن أربعة من هؤلاء النساجين نقلوا إلى الاسكندرية [١٦] – رغم ارادتهم على مايبدو – رغم أن كيفية هذا النقل غير واضحة لتهشم بعض اجزاء البردية . وهكذا حرم بقية هذه المجموعة من النساجين من مجهود هؤلاء الزملاء الأربعة وأصبحوا ثمانية نساجين فقط بعد أن كانوا من قبل اثنى عشر [١٧] .ونظرا لأن موعد تسليم الزى المطلوب كان قد اقترب فقد لجأ هؤلاء النساجون الثمانية إلى حاكم الاقليم أو الاستراتيجوس – لكى يعاونهم فى استرجاع زملائهم الأربعة المنقولين للاسكندرية لحاجتهم الماسة إلى جهودهم [١٨] . ويوحى هذا الالتماس بأن النساجين الأربعة الذين انتقلوا إلى الاسكندرية قد طلبوا للعمل وكانت هناك حاجة إليهم من قبل احدى ورش النسيج بالعاصمة وربما كانوا من النساجين المهرة.

ولكن كيف انتقل هؤلاء النساجون للاسكندرية أو نقلوا بالأحرى؟ على الرغم من أن الوثيقة السابقة لاتعطينا إجابة على هذا السؤال فإن هناك وثيقة أخرى من القرن الثانى الميلادى [١٩] تعطينا إجابة على سؤال أشمل من السؤال السابق وهو كيف كان أصحاب الأعمال فى الاسكندرية يحصلون على حاجتهم من الحرفيين والعمال من الريف المصرى ؟ هذه الوثيقة عبارة عن خطاب من شخص إلى آخر يتعلق ببعض شئون الأعمال بينهما وقد أرسل المرسل خطابه من

الاسكندرية حيث كان يشغل على ما يبدو وظيفة فى الرى كما يتضح مما كتب على ظهر الوثيقة ξυλομετρης [٢٠] . ويتضح من الخطاب أن المرسل إليه كان قد كلف أحد الأشخاص ويدعى ماركينوس بأن يأتى ببعض الأفراد من بعض المناطق القريبة من الاسكندرية [٢١] وأن يذهب بهم إلى المرسل فى الاسكندرية . ويبدو أن هذا الوسيط ماركينوس قد تأخر فى الذهاب إلى الاسكندرية ومعه الأشخاص المذكورين مما دفع المرسل إلى الذهاب إليه فى الريف وهناك عرف أنه مريض . ولكن هذا الوسيط أخبر المرسل بأنه « عند شفائه سيذهب إليه فى الاسكندرية فورا ومعه هؤلاء الاشخاص من قرية باكيركى » [٢٢] فرد عليه المرسل « إذا ما ارسلت إلىّ الرجال فلسوف أكافئك على ذلك » [٢٣] . ويبدو أن الوسيط قد وفى بوعده وأرسل الرجال حيث يذكر المرسل فى جزء لاحق من الخطاب أنه « يولى هؤلاء الأشخاص عنايته » [٢٤] .

من محتويات الوثيقة السابقة يمكن أن نستنتج بسهولة أن ماركينوس هذا كان وسيطاً أو وكيلا وكانت مهمته هى أن يأتى بالعمال القرويين إلى أصحاب الأعمال فى الاسكندرية فى مقابل عمولات أو مكافآت منهم (من أصحاب الأعمال) . وفى وثيقة أخرى من القرن الثانى الميلادى [٢٥] أيضا نجد وسيطاً آخر ولكن مجال عمله كان مختلفا : هذه الوثيقة هى خطاب من شخص يدعى هيراكلامون إلى آخر يدعى كاليستوس يحضه فيه على إنجاز عقد يبدو أنه كان متفقا عليه فيما بينهما أو أنه سيأتى إليه لتصفية بعض الأمور المتعلقة بينهما بشكل يرضى الطرفين . وفى هذا الخطاب يذكّر

هيراكلامون كاليستوس « بالأولاد » أو « الغلمان » الذين كتب إليه بشأنهم من قبل (٢٦) ويضيف « فى الحقيقة فقد أخبرتنى السيدة العجوز من الاسكندرية : اذا ضمنت كاليستوس ضمنت الغلمان (٢٧) » . ثم يذكر هيراكلامون فى خطابه أنه « يفكر أيضا فى ثلاثة من الشباب الذين يلعبون الاكروبات » (٢٨) . هذه الإشارة إلى الاكروبات توحى بأن الغلمان المشار إليهم سلفا ربما كانوا أيضا ممن يقومون بألعاب التسلية (٢٩) .

وهكذا يمكن تفسير الوثيقة السابقة كما يلى : كان كاليستوس المشار إليه وسيطاً أو وكيل فنانين معروف - إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير الحديث - وصلت سمعته ومجال نشاطه إلى الاسكندرية وقد أوصت السيدة السكندرية العجوز مرسل الخطاب هيراكلامون بأن يكسب وده حتى يضمن طلبه من الغلمان وراقصى الاكروبات كما رأينا . وواضح أن هيراكلامون كان - كما يبدو - صاحب صالة للحفلات أو الترفيه فى اوكسيرنيخوس أو المنطقة المجاورة وكان فى حاجة لهؤلاء اللاعبين ، وكذلك كان الحال بالنسبة للسيدة السكندرية العجوز التى أوصته بالإتصال بكاليستوس التى لابد أنها قد تعاملت معه من قبل فى هذا المجال للحصول على راقصين ولاعبين للعمل طرفها بالاسكندرية .

وفى خطاب آخر من شخص يدعى هارابالوس إلى أخيه هيراس (٣٠) نسمع عن نشاط تجارى ومالى واسع النطاق بين اوكسرنيخوس والواحة

الكبرى (الخارجة) والصغرى (البحرية) يشمل سلعا مثل النبيذ والجلود . ويظهر فى هذا الخطاب نشاط ونظام تجارى محكم نرى فيه «رسوم شحن نهرية وبرية [٣١] وخطابات اعتماد » [٣٢] . وما يعنينا من هذا الخطاب هو أن هذا النشاط التجارى والمالى فى اوكسيرينحوس والواحات كان ممتدا للاسكندرية إذ يقول هارابالوس لأخيه « وأرسل (أبعث) إلى مع رسول أمين خطاب الاعتماد الذى أرسل إليك من الاسكندرية »[٣٣].
وهذا التعامل التجارى بين هذين الأخوين يتضح أيضا من خطاب آخر أرسله هيراس إلى أخيه هارابالوس بينما كان الأخير فى الاسكندرية كما يتضح من ذكره لمعبد سيرابيس فى الأسكندرية [٣٥] . وهناك خطاب طريف آخر أرسله شخصان من الاسكندرية إلى صديقهما ديودوروس وهو صاحب حانوت καπηλος فى إقليم اوكسيرينخوس [٣٦] . وفى هذا الخطاب يطلبان فيه أن يذهب إلى أريتيون الخباز وأن يحصل منه على ٤ تالنتات كان الخباز قد أخذها منهما عندما كان فى الاسكندرية [٣٧] ، كما يطلبان من صديقهما صاحب المحل فى حالة حصوله على المبلغ المذكور أن يشترى لهما بعض المستلزمات من المؤن ويحضرها معه عند مجيئه للإسكندرية [٣٨] . كما يخبران صديقهما هذا بأنهما قد اشتريا له بعض السلع مثل الخل والحلويات (التى ربما يبيعها فى محله) وأنهما سيرسلان إليه هذه السلع مع شخص يدعى اموناس [٣٩] . ويتضح من هذا الخطاب كيف كان بعض القرويين يسافرون للعمل كمجموعة فى الاسكندرية [٤٠] ، كما يتضح منه كيف كان القرويون الذين يعملون بالاسكندرية يبعثون إلى ذويهم وأصدقائهم

فى مواطنهم الأصلية بعض السلع المميزة فى الأسكندرية غير المتوافرة فى الريف كما يظهر فى عدد من الوثائق الأخرى (٤١) .

وفى خطاب آخر من ابن بالاسكندرية إلى أبيه فى الريف يحاول هذا الابن أن يسترضى أباه الذى ظن أن ابنه يتفاخر بما يرسله إليه من نقود من الاسكندرية ولكن الإبن ينكر فى خطابه هذا الإتهام من أبيه (٤٢). ويتضح من محتويات الخطاب أن الإبن كان يحاول أن يكسب المزيد من المال بالإضافة إلى عمله بالمدينة فكان يرسل بعض السلع السكندرية إلى أبيه ليبيعها فى الريف (٤٣) . ويقول الإبن – وهو يسترضى أباه – بأنه كان عاطلا فى الاسكندرية أكثر من شهرين وإلا لكان قد أرسل إلى الأسرة كلها مزيدا من النقود (٤٤) . وهذا يوضح أن العمل بالاسكندرية لم يكن على الدوام أمراً هيناً كما قد يتوقع . كما أن هناك حالة مماثلة فى خطاب آخر عن ابن كان يعمل بالاسكندرية ويرسل نقودا وأغذية إلى أبيه فى الريف من خلال صديق له كان يعمل بالاسكندرية أيضاً (٤٥) .

ونأتى الآن للحديث عن بعض الدوافع الأخرى التى كانت تدفع القرويين للذهاب إلى الاسكندرية وهى دوافع أقل أهمية بطبيعة الحال من دافع العمل . ويأتى على رأس هذه الدوافع الأخرى تقديم الإلتماسات والشكاوى لكبار رجال الإدارة والحكم بالعاصمة وحضور جلسات المحاكم التى تنظر تلك الشكاوى أو القضايا . وكان بعض القرويين يذهب للأسكندرية خصيصا من أجل هذا الغرض كما رأينا

قبل قليل فى حالة سارابيون الذى كان ينتظر انعقاد الدورة القضائية لوالى مصر واضطر للعمل لدى كبير الحجاب [٤٦] ، وكما يتضح من الإقرارات التى يقسم فيها القرويون لحكام الأقاليم التابعين لها بأنهم سيذهبون للاسكندرية بعد موسم الحصاد ليكونوا تحت تصرف كبير القضاة αρχιδικαστης [٤٧] أو وزير المالية διοκητης [٤٨] . وكان البعض الآخر من القرويين يكلفون أصدقائهم أو ذويهم المقيمين فى الاسكندرية من أجل العمل أو لأى سبب آخر أن يقدموا الإلتماسات لرجال الإدارة نيابة عنهم وأن يتابعوا سير قضاياهم فى المحاكم أو يرسلوا إليهم قرارات وتعليمات رجال الإدارة أولا بأول حتى يرتبوا أمورهم فى قضاياهم وفقا لأحدث هذه القرارات [٤٩] .

كذلك فإن من كان يرغب فى الإلتحاق بالخدمة العسكرية كان عليه أن يذهب للاسكندرية كما يتضح من خطاب أرسلته ابنة إلى أمها تقول لها فيه أنها قد وصلت الاسكندرية بسلام بعد رحلة أربعة أيام وتضيف « وإذا رغب « ايون » (ربما كان أخوها أو أحد أقاربها) فى أن يخدم كجندى فليأتى إلى هنا ، فالكل يلتحق بخدمة الجيش » [٥٠] ، كذلك فقد كان الكشف الطبى للتأهيل للخدمة العسكرية ومعرفة ما إذا كان الشخص لائقا من عدمه كان يتم بالاسكندرية ، ولدينا فى إحدى الوثائق شهادة اعفاء من الخدمة العسكرية صادرة من الاسكندرية وموقعة من والى مصر لنساج من اوكسيرينخوس يعانى من المياه البيضاء فى عينيه وقصر النظر [٥١] .

وكـان بعض القـرويين يذهبـون للاسكندرية **للعبادة فى معابد المدينة** (٥٢) وعلى الأخص معبد **السرابيوم** الشهير حيث يعبد الاله سيرابيس الذى ادخل عبادته بطلميوس الأول سوتير وأصبح يتمتع بشهرة وشعبية حتى وقت متأخر من حكم الرومان . وهناك الكثير من الوثائق التى تدل على مدى شعبيته فى مصر فى العصر الرومانى فى خطابات مرسله من الاسكندرية إلى الريف المصرى (٥٣) حتى ان فيلكن (٥٤) أكد أن ذكر عبارة تحية سيرابيس بصفتها المألوفة فى الوثائق ترجح أن الوثيقة أو الخطاب قد كتب من الاسكندرية .

كـما كان بعض القرويين يذهبون للاسكندرية بغرض الترفيه والتسلية .هناك .ونجد فى أحد الخطابات والداً يؤنب ويذم سلوكيات ابنه الذى كـان بالاسكندرية قـائـلا « أنك تقـيـم بالاسكندرية مع معشوقتك » (٥٥) . وفى خطاب آخر يوبخ أخ أخاه على سلوكه المعوج ومغامـراته الغراميـة الكثيرة فى كـل مكـان فيقـول له « إذا ذهبـت إلى أنطينوبوليس التـقـيت بـ « بيـتـاميناريا » وفى الاسكندريـة تلتـقى بسـوزانا وفى هيراكليوبوليس تحـظى بأورانيـا ، وفى مدينتك تسعـد بـ « كونديتاريا » (٥٦) .

موقف الإدارة الرومانية من إقامة القرويين بالاسكندرية :

وأخيرا نعود إلى رد الفعل الرسمى من جانب الإدارة الحاكـمة الرومانية تجاه ظاهرة إقامة القرويين بالعاصمة – والمصريين منهم على وجه الخصوص – حيث نجد قرارات ومراسيم صادرة عن الولاة

والأباطرة تحاول التحكم فى تلك الظاهرة . فمن النصف الثانى من القرن الأول الميلادى أصدر الوالى الرومانى **أيتيرينوس فرونتو** أوامره بأن يقدم أهل الريف اقرارات مكتوبة عن أقاربهم الذين يقيمون مؤقتا بالاسكندرية (٥٧) وكان الهدف من هذا المرسوم هو إصدار سجل بهؤلاء القرويين المقيمين فى الاسكندرية والخاضعين لضريبة الرأس حتى يمكن جبايتها منهم أو من أقاربهم بالريف (٥٨) . وفى بداية القرن الثانى الميلادى أصدر الوالى **فيبيوس مكسيموس** مرسوما يأمر كل الأشخاص المتغيبين عن مواطنهم الأصلية ἰδια بالعودة إلى مواطنهم لإستيفاء اقرارات حصر الملكية والمنازل والإحصاء ولكى يهتموا بزراعة الأرض (٥٩). أما بالنسبة للاسكندرية فقد اعترف الوالى بحاجتها إلى بعض سكان الريف (٦٠) وطلب من القرويين الذين يعتقدون أن لديهم أسبابهم الكافية والمقنعة للبقاء فى الاسكندرية أن يسجلوا اسماءهم لدى موظف عينه الوالى خصيصا لهذا الغرض (٦١) وأن من يثبت منهم ضرورة بقائه بالاسكندرية سوف يحصل على تصريح إقامة موقع ومعتمد (٦٢) .
وكان الهدف من هذا الإجراء ضد القرويين بالاسكندرية هو بلا شك الحد من أعدادهم والإبقاء فقط على من يقدمون الخدمات للمدينة ولايمكن الاستغناء عنهم ، وتوفير العمالة الزراعية اللازمة لزراعة الأرض. وبخصوص هذه النقطة أيضا لابد أن نضيف مرسوما صدر بعد قرن من المرسوم السالف الذكر أى فى أوائل القرن الثالث الميلادى عن الوالى **سوبا تيانوس أكويلا** يأمر فيه بإعادة القرويين بالاسكندرية إلى أقاليمهم الأصلية فى موسم الحصاد (٦٣) . وبعد هذا المرسوم بخمس

سنوات أى فى ٢١٥م . أصدر الامبراطور الرومانى **كاراكللا** مرسوما امبراطوريا يأمر فيه بطرد كافة المصريين المقيمين بالاسكندرية وخصوصا القرويين الفارين من مواطنهم بكافة السبل [٦٤] . والطريف فى هذا المرسوم الامبراطورى هو تخصيصه لفئات القرويين المعفيين منه من المقيمين بالاسكندرية وهما من فئتين هما :

(١) الأشخاص الذين تحتاج المدينة لخدماتهم مثل مربى الخنازير ونوتية المراكب النيلية والأشخاص الذين يجلبون البوص لتدفئة حمامات المدينة [٦٥] .

(٢) زوار المدينة الذين كانوا يأتون لحضور الاحتفالات الدينية ويؤدون الطقوس ويقدمون الأضحيات فى المعابد وأولئك الذين كانوا يأتون للترفيه والزيارة ومشاهدة المدينة العظيمة والتمتع بحياة أكثر تحضرا ورقيا ، وكذلك من كانوا يأتون لأعمال طارئة [٦٦] .

وواضح من هذا المرسوم أن الامبراطور كان حريصا على ألا يقيم بالاسكندرية بشكل منتظم من القرويين إلا من تحتاج إليه المدينة أما الآخرين فيسمح لهم بالزيارة المؤقتة السريعة لأداء أغراض بعينها ثم يعودون لمواطنهم [٦٧] .

وأحب أن أنوه أخيراً بأن هذه الدراسة تتناول فقط ظاهرة محاولة بعض الريفيين البقاء فى الاسكندرية من أجل العمل حيث يفضلون العمل بالمدينة على العمل الزراعى ، أما أولئك الذين كانوا يفرون هربا من جباة الضرائب ومن الديون المتراكمة عليهم للإدارة فليس

هـذا البحث مجالا للحديث عنهم وهناك أبحاث أخرى تناولت هذا الموضوع [٦٨] ورسالة دكتوراه لزميل من جامعة عين شمس [٦٩] ، وهناك بحث آخر ضمن أبحاث هذا الكتاب يعالج هذه الظواهر وهو بحث « أزمة الإقليم المنديسى فى عصر الإمبراطور ماركوس أوريليوس » .

الحواشي

1 - R. Tramontano, La lettera di Aristea a Filocrate, Naples, 1931.

2 - W.L. Westermann, "Alexandia in the Greek Papyri", BSAA, 38, pp. 36 - 50, p. 39.

3 - P. M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, vol, 1, p. 57.

٤ - وقد اعتمدت على ترجمة :

C. Preaux, "L'attache a la terre : continuites de l'Egypte ptolemaique a l'Egypt romaine" (Akten des internationalen Symposions 26 - 30 September 1978 in Trier about "Das Romisch - Byzantinische Agypten", published 1983) p. 2.

5 - Strabo. 797 = Polyb. XXXIV. 14. 6.

6 - Fraser, op. cit., p. 61.

7 - H. Braunert, Die Binnenwanderung, Studien Zur Sozialgeschichte Agyptens in der Ptolemaerzeit und Kaiserzeit (Bonner Historische Forschungen 26) Bonn, 1964, P. 78.

8 - Fraser, op. cit., vol. 2 chapter 2, note 184, p. 145.

9 - Appian, Bella Civilia, II 89.

10 - P. Oxy. IV. 744. 1 B.C., 11. 7-8 : και εαν. ευθυς. οψωνιον λαβωμεν αποστελω σε ανω.

11 - P. Oxy. II 294, A.D. 22.

12 - Ibid., ll. 16 - 19 : εγω δε βιαζο – | μαι υπο φιλω[ν] γενεσθαι οικιακος του αρχι–|στατορος. Απολλωνιου. εινα συν αυτω επι δια–| λογισμον. ελ[θ]ω.

13 - Ibid., ll. 5 - 6 :

εμ[αθον παρα τιων | αλιεων εις Αλεξανδρι [αν].

14 - P. Oxy. (36), ll. 11 - 14 : Του Ν[ι]κανορος υιου Ισιδωρου – γερδι[ου] αποφαινομεθα τουτον επ, Αλεξ[αν]–|δριας – διατριβειν και εν ομολογ [ω λα–]|ογραφιας του ενεστωτος.

15 - Papyri, Ostraka und Wachstafeln aus Theadelphia, 1572, Philadelphia, A.D. 139.

16 - Ibid., ll. 7-9 : τουτων τεσσαρες εδοθησαν εις επι. [13 – 14 letters] ενεκα της χρειας αφηρεθησαν αφ,ημ[ων και εις Αλεξαν–]δρειαν επορευθησαν.

17 - Ibid., ll. 16 - 18 :

Ημεν δ[ε προτερον ανδρες] | δεκαδυο, εξ ων οι

τεσσαρες απεσπασθησα[ν, ωστε ν]υν [ειν]αι | ημας ανδρες οκτωι.

18 - Ibid., ll. 9 - 12 :

και ετι μαλλον ε [............] εγενο– |μεθα, αναγ–καιως επι σε κατεφυγαμεν [και αιτ]ουμεν, εαν σοι δοξη, επιτρεψαι εαθηναι ημας τους [κατα] λειπομε|νους απο της τεχνης απερισπαστο[υς] α [πο πασων] χρει–|ων.

19 - Ibid., P. Oxy. (41) 2981, second century A.D.

20 - Ibid., 1. 33. note.

21 - Ibid., ll. 4-7 notes.

22 - Ibid., ll. 9 - 12 :

εταξατο ότι αναλαβω εμαυ–|τον ευθυς ελευσο–μαι σοι εις | Αλεξανδρειαν μετα των αν–| θρωπων των απο Πακερκη.

23 - Ibid., ll. 13 - 15 :

εφην δε αυτω οτι εαν μοι παρα – | δοις. μοι τους ανθρωπους φιλαν –|θρωπηθηση.

24 - Ibid., ll. 27 - 28 : και μελι μοι περι των ανθρωπων.

25 - P. Oxy. (38) 2860, Second Century A.D.

26 - Ibid., ll. 9 - 10 : ως και προτερον | εγραψα σοι περι παιδων εαν που επινοης.

27 - Ibid., ll. 11 - 13 : και γαρ η γρεα επεμψε μοι απο Αλεξαν –|δρειας οτι αν σχης Καλλιστον εχεις | τα παιδια.

28 - Ibid., ll. 15 - 16 : εφροντισα δε και νεανισκων | πετευριστων τριων.

29 - Ibid., introduction.

30 - P. Oxy, (41) 2983, Second / third century A.D.

31 - Ibid., ll. 10 - 11.

32 - Ibid., ll. 11 - 12 .

33 - Ibid., ll. 11 - 13 : το επιστολιον το | της επιθηκης το διαπεμφθεν σοι απ, Αλ –|εξανδρειας δια ασ–φαλους μοι πεμψον.

34 - P. Oxy (41) 2984, Second / third century.

35 - Ibid., ll. 4 - 7 : και το προσ–| κυνημ[α σ]ου ποιω καθ' [ε – |καστην [η]μεραν παρα τω[ι |Κυριω Σα[ρα]πιδι

قارن فيلكن (Grundzuge, P. 122) الذى يؤكد أن وجود صيغة تحية

الإله سرابيس فى خطاب ما يعد مؤشراً وقرينة على أن الخطاب صادر من الاسكندرية .

36 - P. Oxy. (8) 1158, Third century A.D.

37 - Ibid., ll. 5 - 9 : Καλως | ουν π[ο]ιησις απελθειν προς [Α] ρητιωνα τον αρτοκοπον και δεξε, π [α] ρ' αυτόυ τεσ <σ> ε– |ρα ταλαν{ν}τα ων αντου οντος εν Αλεξανδρια ελα– |βεν παρ' ημων.

38 - Ibid., ll. 10 - 13.

39 - Ibid., ll. 16 - 18 : ελαβα ουν το κνειζειν (read κνι–διν or κνιδιον) παρα Αμμω –|να του οξους και επεμψα σοι δι'αντου σφυ– |ριζειν (: σπυριδιον) τραγηματων.

٤٠ – كما رأينا كذلك أصدقاء سارابيون (P. Oxy. 294) الذين ساعدوه فى الالتحاق بالخدمة فى منزل رئيس حجاب المحكمة و (P. Oxy. 1291) وفيها تخطر سيدة أخاها فى خطاب مرسل إليه أن أحد أبناء قريتهم فى طريقه للسفر إلى الاسكندرية إن كان أخوها يرغب فى مرافقته والذهاب معه إلى العاصمة .

41 - P. Oxy, VIII. 1153, 1st century A.D.: VII. 1069. 3rd A.D.: 1070, 3rd century A.D. 11. 26 - 32: P.Fouad 74, 4th century A.D.

والأخيرة قائمة بالسلع التى كان على أحد الأشخاص أن يشتريها من

الاسكندرية أثناء وجوده هناك .

42 - P. Oxy. (8) 1160, Late third or early fourth century A.D.

43 - Ibid., ll. 11 - 13 : ει επρακαται | δε τα ιδη ων υμας επεμψα, γραψον | μοι εινα αλλα υμιν πεμπω.

44 - Ibid., ll. 14 - 15 : διμηνου δε ηργηκα ωδη, ει μη, | ημελλα υμιν πα <σ> ει αλλα πεμπιν.

45 - P. Mich. III. 213, Third century A.D.

46 - P. Oxy. II. 294, A.D. 22.

47 - P. Fouad 22, col. II, Arsinoite nome, 126 A.D. : 23 provenance unknown, A.D. 144; 24, Arsinoite nome, 144; A.D.

48 - P. Flor. I. 6, Hermopolis Magna, 210 A.D.

49 - P. Oxy. VIII. 1155, ll. 11 - 13, A.D. 104; VII. 1070, ll. 32 - 42, Third century A.D.; VIII. 1160, ll. 16 - 22. Late third or early fourth cent. A.D.; P. Flor. III. 338, Third century A.D.; P. aus Theadelphia, 1671, A.D. Third century.

50 - P. aus. Theadelphia 1680, A.D. Third century, 11. 9 - 10 : και εαν θεληση Αιων στρατευσασθαι, ερ–

χεσθω. στρατευονται γαρ παντες.

51 - P. Oxy. 1. 39, A.D. 52.

52 - P. Tebt. II - 416, Third century A.D.

٥٣ – هذه التحية هى :

Το προσκυνημα υμων ποιω καθ' εκαστην ημε–ραν παρα τω κυριω Σαραπιδι.

See for example P. Mich. III. 213; 11. 2 - 4, VIII. 477, 2 nd century A.D.II. 4 - 5; P. Oxy. VIII. 1070, 11. 7 - 9.

54 - U. Wilcken, Grundzuge, p. 122.

55 - P. Oxy. VIII. 1160, 11. 24 - 26 : εγραψες μοι δε οτι κα–|θη εν' Αλεξανδριαν (read : Αλεξανδρια) μετα του μυχο[υ](or .μοιχου) σου

56 - P. Fouad I, 85, 6 th or 7 th cent. A.D., 11. 4 - 6 :

Εαν απελθης εις Αντινοου | ευρισκεις την Πε–ταμηναριαν, εαν εις Αλεξανδρειαν Σωσανναν, εαν εις Ηρακλεους Ουρανιαν, εαν εις την Πο–λιν σου την Κονδηταριαν.

57 - P. Oxy, (36) 2756. A.D. 78/79, ll. 6 - 9 :

προς τα [ταχ –]|θεντα υπο του κυριου ηγεμον

[ος] Αιτερνι[ο]υΦροντωνος περι των | επ' Αλεξανδριας διατριβοντ [ων] ..

58 - Ibid., ll. 12 - 14 : αποφαινομεθα τουτον επ, Αλεξ[αν]– |δριας διατριβειν και εν ομολογ[ω λα –]|ογραφιας του ενεστωτος ...

59 - P. Lond., III 904, A.D. 104.

60 - Ibid., ll. 28 - 29 : ειδες μεντο[ι ο]τι ενιων των [απο] της χωρας η πολις ημων εχει χρε[ιαν].

61 - Ibid., ll. 30 - 35 : Βουλομ[αι] παντα[ςᴬτ]ους ευ[λ]ογον δο[κουν] – | τα[ς] εχειν του ενθαδε επιμενιν [αι–]|τιαν απογραφεσ[θ]αι παρα βουλ...[...] | Φηστω επαρχω[ι] ειλης |, ον επι το[υτω] εταξα.

62 - Ibid., II. 35 - 37 : ου και τας [υ]πογραφας οι αποδ[ει–]|ξαντες αναγκ[αιαν α]υτων την παρου[σιαν] λημψονται .

63 - P. Flor. 1. 6. Hermopolis Magna, A.D. 210, 11. 10 - 13: ο λαμπροτατος ηγεμων Σουβατιανος Ακυλας δια το α[παρ]αιτητον της [συ]νκομιδης και τονς ε[ν Αλεξανδ]–ρεια προτερον οντας απεπεμψατο εις τους ιδιους νομους προς τον

κ[αιρον τη]ς συνκομιδης.

64 - P. Giss. 40, col. 2, 11. 16 - 29, A.D. 215, ll. 16 - 17 :

Αι[γυπτι]οι παντεσ οι εισιν εν Αλεξανδρια, και μαλιστα α[γ]ροικοι, οιτιϖες πεφε[υγασιν] αλ[λοθεν κ]αι ευμαρως ε[υ]ρισ[κε]σθαι δυναν– ται, παντη παντως εγβλησιμοι εισιν.

65 - Ibid., ll. 18 - 19:

ο[υχ]ι | μ[εν]τοι γε χοιρεμπο[ρ]οι και ναυται ποτα[μ]ιοι | εκεινοι τε οιτινες καλαμον πρ[ο]ς το υποκαιειν τα βαλα[νει]α καταφερουσι:

66 - Ibid., ll. 19 - 22, 24-26.

67 - Ibid., ll. 23-24 : ε[κεινοι] κωλ[υ]εσθαι οφε[ι]λουσι οιτινες φευγουσι τας χωρας τας ιδιας ινα μη | ερ[γον] αγροικον ποιωσι.

68 - N. Lewis, " Μερισμος Ανακεχωρηκοτων " : An aspect of the Roman oppression in Egypt "JEA 23, 1937, pp. 63 ff., R. Remondon, Απορικον et Με– ρισμος απορων, Annales du service des Antiquites d'Egypte, 51, 1951, pp. 221 ff., ; H. Henne, Documents et travaux sur l'anachoresis, Preceedings of the VIII th International Congress of Papyrology (5),

1956, pp. 59 ff.; J.F. Oates, "Fugitives from Philadelphia", American Studies in Papyrology, I, 1966, pp. 87 ff.

٦٩ - أبو اليسر فرج « ظاهرة الفرار فى مصر البطلمية والرومانية » رسالة دكتوراه غير منشورة - كلية الآداب - جامعة عين شمس - القاهرة ١٩٨٤ .

المبحث الثالث

من أروقة المحاكم في مصر

« مرافعات المحامين فى مصر
فى العصرين البطلمى والرومانى » *

(*) بحث منشور باللغة العربية فى المجلد الثالث من « مجلة مركز الدراسات البردية » بجامعة عين شمس عام ١٩٨٦ ، الصفحات من ٥٦ إلى ٩٣ .



مقدمة البحث (المحاماة فى أثينا وروما) :

قبل أن نتناول موضوع مرافعات المحامين فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى سنحاول القاء نظرة عابرة على مدى وجود وشكل مهنة المحاماة فى بعض المجتمعات القديمة فى فترة سابقة على الفترة موضوع الدراسة وعلى وجه التحديد فى مصر الفرعونية وبلاد اليونان وروما وهى البيئات الثلاثة التى ستشكل صلب الموضوع فى الفترة اللاحقة أى « مصر البطلمية الرومانية » .

فبخصوص نظام العدالة فى مصر الفرعونية مثلا نجد مؤرخا من مدرسة الاسكندرية هو هيكاتيوس الابديرى الذى كان فى مصر فى عهد بطلميوس الأول سوتير – وحسب قول ديودور الصقلى وجوسيفوس – يتناول ذلك الموضوع فى كتاب شامل له يسمى « عن المصرين » . ورغم أن هذا الكتاب لم يصلنا فإن مقتطفات هامة منه وردت عند ديودور الصقلى الذى أخذ عنه وذلك فى كتابه الأول من مؤلف «التاريخ» . وقد انقسم مؤلف هيكاتيوس إلى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ – علم الكون وعلم اللاهوت المصرى .

٢ – جغرافية مصر .

٣ – حكام مصر من المصريين .

٤ – عن العادات والتقاليد المصرية .

وقد تناول هيكاتيوس نظام العدالة فى مصر الفرعونية فى حديثه فى الجزء الرابع والأخير من مؤلفه « عن المصريين » . ويصف

هيكاتيوس السلطة القضائية المكونة من ثلاثين عضواً : عشرة من هليوبوليس وعشرة من طيبه وعشرة من منف . وكانت هذه هي المحكمة العليا لشئون العدالة ويقول « ولم تكن هذه المحكمة أقل من الاريوباجوس في أثينا أو مجلس الجيروزيا في اسبرطة » . ثم يقول أن كل الاتهامات كانت تقدم الى المحكمة مكتوبة بالتفصيل كما كان المدعى عليه يرد على هذه الاتهامات كتابة أيضا وكان القضاة يصدرون حكمهم على القرائن المكتوبة بان يضعوا صورة «الحقيقة » على دعوى المدعى أو رد المدعى عليه حسب اقتناعهم . وكان الغرض من هذه الاجراءات الكتابية هو إبطال تأثير ومفعول بلاغة أو فصاحة أحد طرفي الدعوى على القضاة الذين قد يكونون عرضة للميل والهوى أمام المرافعات الماهرة المثيرة للعواطف كما كان يحدث في الإجراءات القضائية الاثينية [1] .

من خلال هذا الوصف لهيكاتيوس الابديرى يمكننا القول أن نظام المحاماة بشكله المتعارف عليه حاليا وهو أن يترافع محامى عن قضية موكله شفاهة أمام هيئة المحكمة دفاعا عن موكله لم يكن قائما في مصر الفرعونية وان كنا لا نستبعد أن تكون دعوى المدعى أو رد المدعى عليه – وكلاهما كان يقدم مكتوبا – كانا يكتبان بمعرفة أو بعد استشارة شخص عليم بالقانون وبالاجراءات القضائية.

أما عن نظام المحاماة في بلاد اليونان فقد كان بوسع أطراف القضية (الخصوم) الاستعانة إما بمحامٍ محترف يقوم بكتابة المرافعة λογογραφδς لموكله ويقتصر دوره على ذلك الحد ويقوم موكله بعد ذلك بحفظ هذه المرافعة عن ظهر قلب ويلقيها أمام هيئة المحكمة

بنفسه ، وقد عرف هذا النظام قرب أواخر القرن الخامس ق.م.[٢] .
وربما كان هؤلاء المحامون من كتبة المرافعات يقومون أيضا بتقديم الاستشارات القانونية حول استراتيجية وسير القضية برمتها [٣] ، كما يتضح من مسرحية « السحب » لاريستوفانيس حيث نجد أن من الأشياء المفيدة التى سيجنيها ستربسياديس – أحد شخصيات المسرحية – من دراسته وتعلمه للأمور القانونية هى الأموال التى سيكسبها من أولئك الذين يأتون لاستشارته فى المسائل القانونية والمرافعات المضادة [٤]. وكان من أشهر كتبة المرافعات فى أثينا شخص يدعى «ايسايوس» تخصص فى كتابة مرافعات تتصل بأمور خاصة بقانون الأسرة ، كما كان الخطيب والمعلم إيسوكراتيس فى بداية حياته العملية يكتب مرافعات قانونية وإن كان قد أنكر – فى مرحلة لاحقة – صلته بمثل هذا النشاط كما أن عددا من أحاديث ديموسثنيس كانت عبارة عن مرافعات قانونية [٥] .

ويذكر أن شخصا يدعى انتيفون كان أول من بدأ كتابة مثل هذه المرافعات وقد أثنى ثوكيديديس على استشاراته القانونية وأعتبرها ذات قيمة كبيرة [٦] . وبالاضافة الى كتبه المرافعات λογογραφοι كان هناك أشخاص يترافعون أمام المحكمة نيابة عن أحد طرفى القضية ، أى أشبه بنظام المحاماة الحالى ، وكان يطلق على هؤلاء لفظة σ υνηγοροι. وفى الاصل لم يكن هؤلاء محامين محترفين يتقاضون أجرا وانما كانوا يقومون بهذا العمل بصورة تطوعية نيابة عن أحد أطراف القضية اذا كان صديقا أو قريباً [٧] فى حالة عدم تمكنه من القاء المرافعة بنفسه لعدم فصاحته أو ضعف ذاكرته أو

مرضه [٨] أو عدم اتقانه للغة اليونانية كأن يكون من الاجانب المقيمين [٩] . وقد ظل هؤلاء المحامون يترافعون عن موكليهم بصورة تطوعية من الناحية الشكلية أو النظرية [١٠] أما من الناحية العملية فلابد أنهم أو بعضهم كانوا يتقاضون اجرا عن ذلك ، رغم أن القانون الاثينى كان يشترط لكى يقوم شخص بهذه المهمة الا يتقاضى اجرا [١١] .

أما فى روما التى قدمت للحضارة البشرية تراثا قانونيا عظيما لايزال يدرس فى كليات الحقوق حتى يومنا هذا فلابد أن مهنة المحاماة كانت مزدهرة فى العصرين الجمهورى والامبراطورى . ويبدو أن المحاماة كانت مقترنة الى حد كبير فى روما بالبلاغة والخطابة بدليل أن لفظا واحدا كان يستخدم للتعبير عن الاثنين وهو Rhetor. وليس أدل على ذلك من أن خطيب روما المفوه البليغ شيشرون والذى وصلنا من خطبه عدد كبير كان أيضا محاميا ناجحا ، ولعله بنى مجده السياسى الى حد كبير بعد نجاحه فى المرافعة فى احدى القضايا الشهيرة . هذه القضية التى نعنيها هى قضية «فيريس» الحاكم الرومانى لجزيرة صقلية أمام شيشرون ، وهذا الحاكم استغل أهل الجزيرة بلا رحمة وابتز أموالهم دون وجه حق ولفق التهم للأبرياء ليستولى على أملاكهم . وأمام سوء الحالة واليأس الشديد اتجه الاهالى الى شيشرون الذى كان قد تولى الكويستورية فى صقلية سنة ٧٧ ق.م. وأشتهر بالنزاهة والاستقامة ، ودافع شيشرون عن الصقليين فى هذه القضية ضد حاكمهم فيريس دفاعا محكما مدعما بكافة الادلة والاسانيد التى تدين هذا الخصم على الرغم من

شهرة فيريس ونفوذه كقنصل سابق له مجد سياسى وعلى الرغم من أنه كان حتى ذلك الحين أكبر خطباء روما وكذلك على الرغم من أنه اتخذ لنفسه محاميا كبيراً فى روما . وقد دافع شيشرون عن الصقليين وأثبت إدانة فيريس بمهارة واقتدار بحيث لم يدع فرصة للقضاة الا أن يحكموا بإدانة فيريس . ومن حسن الحظ أن مجموعة خطب شيشرون فى هذه المناسبة قد وصلتنا كاملة (١٢) .

ويبدو أن مهنة المحاماة فى روما كانت منتشرة حتى أن بعض النساء كن يمارسنها ، ونسمع عن سيدة تدعى «أفرانيا» كانت تعمل بالمحاماة فى روما فى عصر الامبراطور كلوديوس وأوائل عصر نيرون (أى حوالى منتصف القرن الأول الميلادى) ويقول عنها أحد المؤرخين المعاصرين أنها « كانت تغير على هيئة المحكمة بنباحها ، وأنه من الخير ان نذكر تاريخ وفاتها أفضل من أن نتذكر تاريخ ميلادها » (١٣) .

حواشي المقدمة

(1) P.M. Fraser, Ptolemaic Alexandria, Oxford, 1972,vol. I., p. 502.

(2) A.R.W. Harrison, The Law of Athens, Oxford, 1971, P. 157.

(3) Ibid.,

(4) Aristophanes, Clouds, 466 ff.

(5) Harrison, op. cit., pp. 157 - 58.

(6) Thucydides 8, 68, 1.

(7) Harrison, loc. cit.,

(٨) مثل ملتياديس بطل معركة الماراثون ضد الفرس أمام المحكمة سنة ٤٨٩ ق.م. بعد كبوة جزيرة باروس وكان مريضا جدا فترافع بعض اصدقائه نيابة عنه وكان هو موجودا فى المحكمة وجالسا على أريكه (Herodotus 6. 136) ، وفى سنة ٣٤٣ ق.م. كان فيلوكراتيس مريضا فطلب من ديموستنيس أن يترافع نيابة عنه (Plut. Mor. 839 6.)، وفى سنة ٣٥٦ ق.م. كان ايسوكراتيس مريضا فاوكل الى زوج ابنته أفاريوس الدفاع عنه .

(٩) كان فورميون عبدا ثم اعتق ولم تكن لغته اليونانية سليمة وحدث ان كان وصيا على شخص قاصر يدعى ابوللود وروس فرفع هذا القاصر قضية ضده فى المحكمة فنطق فورميون بضع كلمات بسيطة ثم تولى ديموسثنتيس الدفاع نيابة عنه .

(10) Harrison, loc. cit..

(١١) هناك قائمة تفصيلية مقيدة بكافة المرافعات التى وصلتنا عن أثينا سواءا تلك التى كتبها كتبه المرافعات أو التى القاها المحامون تجدها فى كتاب :

M. Levency, Aspects de la Logographic judicaire a
tique, Lovain, 1964, pp. 26 ff.

(12) Cicero, Ante Verrem.

(13) The Legacy of Rome, Oxford, 1947 (Essays by various scholobs), p. 227 (In the essay of Hugh Last about " Family and Social Life", pp. 209 - 236).

مجالات عمل المحامين فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى :

أما اذا ما تناولنا الوثائق البردية المتعلقة بالمحامين فى مصر البطلمية والرومانية وأردنا أن نستخلص منها مجال أو حدود عمل هؤلاء المحامين ونوعيات القضايا التى كانوا يتصدون للدفاع فيها فنجد فى إحدى وثائق العصر البطلمى من القرن الثانى ق.م. اشارة الى مرسوم ملكى من زمن سابق يحظر على المحامين الدفاع فى القضايا المتصلة باقتصاد الدولة وان من يثبت قيامه منهم بالدفاع فى مثل هذه القضايا ملحقا الضرر باقتصاد الدولة يدفع غرامة تعادل ضعف ما ألحقه من الضرر بالاضافة الى العشر ويحرم من ممارسة مهنة المحاماة ، واذا ضبط يمارس هذه المهنة مرة أخرى يقبض عليه وتصادر أملاكه لخزانة الدولة [1] . وفى هذه الوثيقة التى ورد بها ذكر ذلك المرسوم الملكى نجد خمسة من المزارعين الملكيين بالفيوم يتوجهون الى الملك بطليموس السادس فيلوميتور وزوجته كليوباترا الثانية بالتماس يتهمون فيه عمدة قريتهم سوكنوبايونيسوس ويدعى تيسينوفيس ، ببعض التجاوزات والاختلاسات العينية والنقدية περι τινων αδικηματων και παραλογειων σιτου τε Και χαλκου [2] وقدموه للمحاكمة أمام الابيميلتيس والكاتب الملكى ومحكمة الخريماتيستاى ، ولكنهم علموا أن المتهم سوف يستعين عند المحاكمة بخدمات محام محترف فكتبوا هذا الالتماس للملك يذكرونه فيه بذلك المرسوم الصادر عن اسلافه والذى يحظر على المحامين الترافع فى القضايا المتصلة بدخل الدولة حتى لا يلحقوا به الضرر . ومن المحتمل أن يكون هذا المرسوم قد صدر عن الملك

بطليموس الثانى فيلادلفوس لان هذا الامر الملكى موجه الى أبو للونيوس – الذى ربما كان وزير ماليه فيلادلفوس الشهير [٣] . ومما يرجح هذا الاحتمال اهتمام الملك فيلاد لفوس الكبير بالامور الاقتصادية وخاصة الاحتكارات الملكية كما يتضح من وثيقة بردية مشهورة هى Revenue Laws of Ptolemy Philadelphus. واذا صح هذا الترجيح يكون ذلك دليلاً على أن استخدام المحامين وخدماتهم فى المحاكم فى العصر البطلمى كان مسموحا به منذ أوائل ذلك الحكم وإن وضعت له بعض الضوابط فيما يختص باقتصاد الدولة . ولكن يبدو أن هذا الحظر على عمل المحامين فى الأمور المتصلة بدخل الدولة كان معمولا به فى عصر القوة البطلمى (على عهد البطالمة الثلاثة الأوائل) ، أما بعد ان دب الضعف فى أوصال الحكم البطلمى فى القرن الثانى بسبب الصراعات المحتدمة فى البيت البطلمى الحاكم وثورات المصريين ضدهم بعد معركة رفح سنة ٢١٧ ق.م. فقد ضعفت سيطرة الدولة على الاوضاع الداخلية والخارجية . ولجوء العمدة المتهم بالاختلاس من أموال الدولة الى مساعدة محامين للدفاع عنه يدل على أن القرار الذى ربما أصدره فيلاد لفوس فى هذا الصدد ربما أصبح فى ذلك الحين فى طى النسيان ولم يعد يأبه به مما اضطر المزارعين الملكيين المدعين الى تذكير الملك به حتى لايخسروا قضيتهم ضد العمدة .

أما فى العصر الرومانى فيبدو أن هذا الحظر على ترافع المحامين فى القضايا التى تخص اقتصاد الدولة قد ولى ولم يعد قائما حيث نجد فى احدى وثائق القرن الثانى الميلادى من الفيوم ان أحد

المحامين يترافع دفاعا عن جماعة القصارين والصباغين للملابس فى الاقليم الارسنيويتى . وملخص هذه القضية التى يترافع فيها هذا المحامى أن القصارين فى الفيوم كانوا قد اعتادوا على دفع مبلغ ١٠٩٢ دراخمة سنويا كضريبة عن مهنتهم كما أعتاد الصباغون على دفع مبلغ ١٠٨٨ دراخمة سنويا ، ولكن أحد المشرفين على هذه الضريبة عين حديثا ، وكان يريد فرض زيادة على هذه الضريبة عن المقدار المقرر فى تعريفة الضرائب على الحرف . ومن هنا يطالب المحامى بأن يظل مقدار هذه الضريبة كما هو مقرر فى تعريفة الضرائب حيث لاداعى لهذه الزيادة ، كما أن الوالى سيمبرونيوس ليبراليس (١٥٤ - ١٥٩) سبق له أن أعفى هؤلاء من زيادة مماثلة فى قضية سابقة مماثلة [٤] .

من خلال معلومات هذه الوثيقة نجد أنه ليس هناك حظر على المحامين فى تناول قضايا الدخل الخاصة بالدولة ، ليس هذا فحسب بل أن الولاة الرومان فى مصر يتجاوبون مع مرافعات المحامين ويصدون قرارات لصالح دافعى الضرائب من أصحاب الحرف فى بعض الاحيان . ومعظم ما لدينا من وثائق عن المحامين يعود الى العصر الرومانى فى مصر وهى تلقى الضوء الى حد ما على مجال وحدود عمل هؤلاء المحامين ، فنجد فى هذه الوثائق المحامين يترافعون فى قضايا الاحوال الشخصية من زواج مكتوب أو غير مكتوب وما يترتب عليه من حقوق الارث [٥] ،أو تطليق الاب لابنته من زوجها [٦] وبعضها يتعلق باخلال أحد طرفى تعاقد سابق بشرط ذلك التعاقد [٧] أو يتعلق بالرهون والديون [٨] أو التنازل عن الملكية -Cessio bonor

um وشروطه الصحيحة [٩] أو بقانون الاجراءات [١٠] أو المنازعات الفردية [١١] أو الجماعية [١٢] أو الاعباء [١٣] أو النزاع على المناصب الكهنوتية [١٤] .

الأسس التى يرتكز عليها دفاع المحامين :

نأتى الآن الى الموضوع الأكثر أهمية فى هذا البحث وهو الاسس التى كان يرتكز عليها المحامون فى دفاعهم عن موكليهم ، أو فى عبارة أخرى منهجهم وكفائتهم العملية لاسيما وأنهم لم يكونوا يدربون – كما يبدو – فى مدارس قانونية خاصة حيث لم نسمع بمثل هذه المدارس وانما كانوا يكتسبون معرفتهم القانونية بالممارسة εμπειριαوينقلون هذه الخبرة الى مساعديهم أو من يتتلمذون عليهم [١٥] . ومن خلال عرض طرق ومناهج المحامين فى الدفاع سنتطرق الى المواد القانونية التى وردت فى تلك المرافعات المختلفة وما ورد فيها من معلومات قانونية .

كانت أسانيد المحامين فى الدفاع عن موكليهم تختلف حسب ظروف كل قضية : فتارة يلجأ المحامى الى محاولة ابراز حق موكله بتدعيمه بأدلة قانونية واستجواب خصمه وتفنيد ما لديه من أدلة أو قرائن وابراز ما يعتورها من نقص وقصور . وتارة أخرى يستشهد بأحكام سابقة صدرت فى قضايا مماثلة لقضية موكله ويطلب القياس عليها فى الحكم . وأحيانا يردد كلام موكله ويتبنى رأيه ويحاول أحيانا تضليل القاضى ، وأحيانا أخرى يستند الى ظروف خاصة تتعلق بموكله ويطلب الحكم على أساسها أو مراعاتها فى اصدار الحكم .

ومن الامثلة على محاولة المحامى اظهار حق موكله من خلال تدعيمه بأسانيد قانونية وتفنيد أدلة الخصم هناك قضية مشهورة من القرن الثانى ق.م. استغرقت احداثها زمنا طويلا (١٦) : ففى عهد بطليموس الخامس اندلعت ثورة للمصريين فى منطقة طيبة وأعتدى على من بها من الاجانب . وكان من بين حامية طيبة (فى منطقة تدعى ديوس بوليس تابعة لاقليم طيبة) شخص يدعى بطلميوس تزوج من حفيدة رجل يدعى هرمون بن هرمياس ، وكان يملك عن طريق زوجته بيتا وقطعة أرض فى تلك المنطقة فهجرهما بطليموس وأستقر مع زوجته فى كوم أمبو حيث أصبح إبنهما هرمياس بعد ذلك أحد فرسان حاميتها . وقد مرت السنوات دون أن يعود بطليموس الى هذا المنزل وقطعة الأرض أو يبدى أى اهتمام بهما مما جعل اقاربه يتصرفون فى هذه الملكية بالبيع وانتقلت ملكيتها مرات عديدة بالبيع والتوريث ، الى أن بيع هذا البيت جزءا جزءا الى احدى الاسر المصرية التى كانت تشتغل بحفظ جثث الموتى ΧΟΑΧΥΤΕΣ والتى أعادت بناء المنزل ومزاولة مهنتهم فيه . وبعد مضى فترة طويلة جدا حاول هرمياس بن بطلميوس أن يحصل على حقه فى الارث الذى أضاعه نتيجة لاهماله طيلة أربعين عاما وبدأ فى تقديم دعاوى طرد للمصريين من المنزل الى جهات قضائية متعددة منذ سنة ١٢٥ ق.م. الى سنة ١١٧ ق.م. دون كلل أو ملل. ولكن انتهت القضية وحكم فيها لصالح المصريين المدعى عليهم فى آخر الامر واستمروا فى الاحتفاظ بملكية البيت وأمر هرمياس بأن يكف عن ادعاءاته ومشاغباته . ما يعنينا فى هذه القضية هو دور

المحامين فيها وقد تجلى هذا الدور عند نظر القضية أمام الابيستاتيس بطلميوس فى ٢٦ يونيو سنة ١١٩ ق.م. وقد أفتتح الابيستاتيس هذه الجلسة التى حضرها الطرفان المتنازعان هرمياس المدعى وحورس وبقية شركائه من المصريين المدعى عليهم ومعهم محاميهم دينون . وقرئت فى الجلسة المذكرة المقدمة من هرمياس والتى تتلخص فى أن المتهمين (المدعى عليهم) قد انتهزوا ظروف نقله الى مكان آخر واستولوا على المنزل عنوة وأصلحوا الاجزاء المتهدمة منه وسكنوه وأدعوا ملكيته دون وجه حق (١٧) . وأنه سبق له أن تقدم سنة ١٢٤/١٢٥ بالتماس الى الاستراتيجوس هيرمياس فى هذا الصدد وأعلن الاستراتيجوس استدعاء المدعى عليهم بالمنزل فى حضرته فلم يفعلوا . وبعد ذلك بأربع سنوات فى سبتمبر سنة ١٢١ أنتهز فرصة زيارة هذا الاستراتيجوس نفسه الى ديوسبوليس وكرر شكواه وتكرر ما حدث فى المرة الأولى ، ولكن فى هذه المرة مكنة الاستراتيجوس من المنزل ولكن بمجرد عودته الى كوم أمبو عادوا وأقاموا ثانية بالمنزل (١٨) . ويقول أنه قدم شكوى أخرى ضدهم بعد ذلك الى الابيستاتيس السابق هيراكليديس الذى استدعاهم فلم يمتثلوا . ولذلك فإنه يطالب فى هذه المرة باجبار المدعى عليهم على ترك المنزل الذى استولوا عليه عنوة – حسب قوله – والذى يضعون فيه جثث الموتى (١٩) . وبعد قراءة مذكرة المدعى هبرمباس قام دينون محامى المدعى عليهم بالقاء مرافعته Μεταλαβων τον λογον ο συνκαταστας τας Tois περι Ωρον Δεινων 134. وبدأ هذا المحامى دفاعه بتفنيذ مزاعم المدعى هيرمياس على موكليه حين

سأله عما اذا كان بامكانه تقديم ما يثبت ان المنزل مورث له من أحد اجداده فكانت اجابته بالنفى ηρϖτησεν Τον Ερμιαν, ει Τινα αποδειξιν παρακειται, ϖs εστιν αυτου προγονικη. Αποκ{ρ1θ}εντos δ'αυΤου μηδεμιαν εχειν, (٢٠)

فأوضح بذلك ان هيرمياس كان يدعى على حورس ومن معه بغير بينة بغرض ارهابهم والحاق الاذى بهم . (٢١) ثم يستمر فى ايضاح الموقف فيقول ان آباء المدعى عليهم شركاء حورس قد اشتروا المنزل من أصحابه بعقود مصرية سليمة . (٢٢) ويذكر هذه البيوع وأطرافها وتواريخها التى تبدأ من سنة ١٥٣ ق.م. حتى سنة ١٤٦ ق.م. ، وقد تمت هذه البيوع لثلاثة مشترين لهم أنصبة غير متساوية فى المنزل (٢٣) . ويقول ان أحد المدعى عليهم فى هذه القضية وهو حورس اشترى من هؤلاء المشترين الثلاثة جزءاً من نصيب كل منهم يساوى سبع المنزل من كل واحد (٣/٧ من مساحة المنزل لحورس) . وبعد وفاة هؤلاء الشركاء الثلاثة إشترى حورس من ابن احدهم جزءا آخر من المنزل لم يحدد مساحته ، وكذلك اشترى ثلاثة أفراد آخرون أجزاءا من بقية الشركاء وأنه وبقية شركائه يتمتعون بملكية المنزل منذ ذلك الحين ودون أدنى منازع (٢٤). وبالاضافة الى ذلك فأن أحد قرارات العفو الملكى صادر فى سنة ١٤٥/١٤٤ ق.م. يسمح لهؤلاء المدعى عليهم بامتلاك البيت امتلاكا قانونيا بحق وضع اليد عليه لسنوات عديدة κεκρατηκοων Ετη λειονα حتى ولو لم يبرزوا عقود ملكية μηδεμγιαν επιφερειν αυτους

συγγραφην [٢٥] . وبعد كل ذلك تحدى المحامى المدعى ان يثبت بأية طريقة ان ايا من أبويه أو هو نفسه قد سكن مدينة ديوس بوليس (التى بها المنزل المتنازع عليه) أو أن المنزل ارث له من أجداده، وأردف قائلا أن دعوى المدعى كيدية ملفقة [٢٦] .

επι συκοφαντιαι και <δια> σεισμωι επαγειο–χοτ[ος τ]ο εγκλημα

وعلى ضوء هذه المرافعة المحكمة من محامى المصريين المدعى عليهم أصدرت محكمة الابيستاتيس بطلميوس حكما بأن يكف هرمياس عن ادعائه بملكية المنزل ويؤيد حق حورس وشركائه فى الاستمرار فى تملك البيت موضوع النزاع [٢٧] .

ولكن هرمياس لم ييأس بعد صدور الحكم لصالح خصومه على يد الابيستاتيس بطليموس وظل يعرض دعواه على كبار الموظفين مثل الابيستراتيجيوس الى أن أحيلت فى نهاية الامر الى الابيستاتيس الجديد هيراكليديس فى ١٠ نوفمبر سنة ١١٧ ق.م. وفى هذه المرة ترافع عن هيرمياس محامى يدعى فيلوكليس كما ترافع عن خصومه المصريين محاميهم دينون [٢٨] .

وتتلخص نقاط مرافعة فيلوكليس عن موكله هرمياس فى بضع نقاط أولها أنه أتى بسيدة تدعى لوبايس وهى واحدة من أولئك الذين ادعى المدعى عليهم أنهم اشتروا منها المنزل وذكر ان هذه السيدة قالت أنها لم تدع من قبل ولا تدعى الآن أنها من مالكى المنزل وهذا يسقط حجج الخصوم فى التشبث بالمنزل دون وجه حق [٢٩]. والنقطة التالية هو أنه قدم ما يفيد من سجلات كاتب القرية وكاتب

المركز بأن قطعة الارض كانت مسجلة فى سجل الاراضى « باسم هرمون ابن هرمياس جد والدة هرمياس » وقال أن هذا الحكم يعد دليلا قويا ممكن ان ينطبق على قضية المنزل المتهم فيها حورس وشركاه (٣٠) . والنقطة الثالثة هو أنه طعن فى صحة العقود التى قدمها حورس وزملاؤه المصريين يثبتون بها ملكية المنزل بحجة أنها غير مسجلة وبالتالى باطلة

(٣١) περι του τα–μη αναγεγραμμενα Αιγυπτια συ– ναλλαγματα ακυρα ειναι

وأنه اذا ما قدم شخص عقدا مزيفاً يرفض هذا العقد

(٣٢) και, εαν τις επενεγκηι ψευδη σνγγραφην, διαι– ρεισδαιαυτην

والنقطة الرابعة والاخيرة هى أن خصوم موكله يشتغلون بالتحنيط وهو أمر محظور بالقرب من الاماكن المقدسة ولذلك يأمر بطرد هؤلاء الخصوم من المنزل واعادته لموكله (٣٣) .

وجاء الدور على دينون محامى المصريين لكى يرد على ادعاءات ومرافعة محامى المدعى هرمياس فردد ما ذكره سلفا من ان المدعى هرمياس اقام دعواه « افتراءا وعلى غير أساس وبقصد الارهاب » (٣٤) . ثم ذكر ما لدى موكله من عقود مصرية مترجمة الى اليونانية (٣٥) وملكيتهم للمنزل دون منازع على مدى سبعة وثلاثين عاما (٣٦) . وأضاف بأن والد هرمياس قد غادر مدينة ديوس بوليس مع غيره من الجنود الى المناطق الجنوبية أيام الفوضى والثورة

فى عهد الملك بطليموس الخامس ابيفانيس [٣٧] (٢٠٤ - ١٨١ ق.م.) ، أى أنه لم يسكن ديوس بوليس هو أو أبنه هيرمياس قبل ٨٨ عاما من رفع الدعوى وبالتالى لم يكن له أى حق فى امتلاك العين هـو أو أبوه منذ ذلك الحين حتى وقت رفع الدعوى [٣٨] .

وبخصوص النقطة التى أثارها محامى هيرمياس عن عدم تسجيل المصريين لعقودهم فقد رد دينون بأن بعض فقرات من قرارات العفو أيدت حقوق الملاك الذين ليست لهم وثائق تثبت ملكيتهم [٣٩] لأن طول مدة الحيازة - كما سبق أن ذكرنا - تكسبهم الملكية فما بالنا وهم لديهم عقود تثبت مليكيتهم وان لم تكن مسجلة . ثم ادار دفة الاتهام الى المدعى هيرمياس وقال انه كان ينبغى عليه أن يأتى بما لديه من أدلة وبراهين على ملكيته للمنزل طبقا للقوانين والقرارات الصادرة فى هذا الشأن [٤٠]، وأن يدفع الضريبة على المواريث والا فتفرض عليه غرامة مقدارها عشرة الآف دراخمة ويحرم من الارث ويكون تصرفه فيه بأى شكل باطلا [٤١] .

وفى النقطة الخاصة بأن المصريين يقومون بتحنيط الجثث Ταριχευται فى المنزل المتنازع عليه وهو أمر محظور (سكنى المحنطين والقيام بالتحنيط قرب المعابد) فصلت فيه بعض القرارات وأدانته، يرد دينون محامى المصريين بأن موكليه ليسوا من المحنطين TAPIXYTAI وأنما وظيفتهم حفظ الجثث XOAXYTAI [٤٢] (ولا أعرف على وجه الدقة الفارق بين الوظيفتين وانما يتضح من مرافعة دفاع دينون أن هناك فارقا أو أختلافا بينهما) ، بل ويذكر أن هناك مرسوما يقضى بالا يتعرض حتى المحنطون للمضايقة [٤٣] .

وبعد تلك المرافعة المطولة التى ألمت بكل النقاط التى أثارها محامى الخصم وفندتها بأدلة قانونية محكمة ذكرنا أهم نقاطها اقتنع الابيستاتيس الجديد هيراكليديس بعدالة قضية المصريين وبكذب افتراءات المدعى هيرمياس فأصدر قراره فى ١١ ديسمبر سنة ١١٧ ق.م. بأن يكف هيرمياس عن مشاغباته وان يستمر حورس ورفاقه المصريون فى تملك المنزل موضوع النزاع كما كانوا منذ البداية [٤٤].

ان هذه القضية المطولة ومرافعات الدفاع التى تناولت بالتفصيل كافة جوانبها ومحاولة كل من المحامين فيها تعضيد موقف موكله بالاسانيد القانونية واستغلال الثغرات التى قد يتصورها ملائمة لاضعاف موقف الخصم تظهر الى حد بعيد مدى المام هؤلاء المحامين بالقوانين فى ذلك الحين ومدى براعتهم فى عرض القضية وتعطينا فكرة عن مناهج وكفاءة المحامين فى تمثيل مصالح موكليهم [٤٥] ، وترجح فى النهاية كفة من لديه اسانيد وأدلة أقوى من خصمه .

هذا عن العصر البطلمى أما عن فترة الحكم الرومانى فهناك - أمثلة عديدة عن مرافعات المحامين وسوف نستمر فى الحديث عن مسألة محاولة المحامى تأكيد وتدعيم حق موكله بالادلة والاسانيد القانونية وتفنيذ أدلة الخصم . من هذه القضايا نجد قضية أو دعوى رفعها شخص يدعى أحدث أفروديسيوس بن ابوللونيوس ضد آخر يدعى أمونيوس ابن أبيون أمام أحد القضاة من القادة العسكريين فى حضور أحد فقهاء القانون ΝΟΜΙΚΟΣ فى السنة الثامنة من عهد الامبراطور هادريان [٤٦] . وقد ترافع نيابة عن افروديسيوس فى هذه الدعوى المحامى سوتيريخوس وترافع عن المدعى عليه امونيوس المحامى

ماركيانوس [٤٧] . وتتلخص وقائع الدعوى المرفوعة من أفروديسيوس - كما يرويها محاميه سوتيريخوس - فى أن افروديسيوس قد تزوج من سيدة تدعى سارابوس زواجا غير مكتوب συνελθοντα εαν του αγραφωs Σαραπουτι τινι وانجب منها أبناء كان من بينهم اوريجينيس الذى توفى [٤٨] . وتتمثل المشكلة فى قول المحامى «وعلى الرغم من ان القانون يخول الآباء ان يكونوا ورثة لأبنائهم الذين أنجبوهم من زواج غير مكتوب ، فان الخصم (المدعى عليه) يريد ان يكون هو الوريث لاوريجينيس - من خلال وصية » [٤٩] . ويقول المحامى « ان هذه الوصية ليس لها سند من قانون لانه طالما كان الاب على قيد الحياة تكون كتابة وصية لشخص آخر أمرا غير قانونى وبذلك يكون ادعاء الخصم بأحقيته فى املاك الابن وتركته غير جائز قانونا » [٥٠] .

ويرد محامى المدعى عليه بان القانون المصرى يعطى الحق لكل من يكتبون وصية ان يورثوا ممتلكاتهم الخاصة لمن يشاءون وان موكله من أقارب المتوفى ، ولذلك ورث هو وابن آخر للخصم ولديه وصية كاملة بذلك وعدد من الشهود [٥١] . وبعد هذه المرافعات من المحامين نيابة عن طرفى القضية طلب القاضى قراءة نص وصية الابن المتوفى فقرأت الوصية ثم تداول القاضى مع المستشار القانونى وكان حكمه « أنه بما أن المتوفى ابن للمدعى من زواج غير مكتوب فيجوز للأب ان يرث أملاكه الخاصة ، ولكن لما كان الاب لايمتلك تفويضا بذلك من وصية من ابنه وهو على قيد الحياة ولما كان المدعى عليه امونيوس يقول بأن وريجينيس ابن لخصمه من زواج مكتوب بينما

يمنح افروديسيوس المدعى مهلة ستين يوما لاثبات إدعائه .

αυτο του[το] Α]φροδεισιοι αποδειξειν ημε-
ρα[ς] εξηκοντα

أما عن الشق الثانى من القضية فهو زعم افروديسيوس بأن تركة ابنه المتوفى كبيرة ومدونة بالسجلات فأصدر القاضى أمره للمشرف على السجلات أن يدون نسختين من التركة فيعطى احدهما لحملة مفاتيح منزل اوريجينيس الذى كان لايزال مختوما بالشمع من قبل أمونيوس » (٥٢) .

من ملابسات هذه القضية ومرافعات الدفاع نجد أن تركيز الدفاع كان على نقطة هل الابن المتوفى وصاحب التركة كان ابنا للمدعى من زواج غير مكتوب أم من زواج مكتوب εξεγγραφων γαμων فمحامى المدعى؟ افروديسيوس والد الابن المتوفى تبنى وجهة نظر موكله فى أن الابن من زواج غير مكتوب εξ αγραφων γαμων وبالتالى فمن حق والده ان يرثه طالما كان هذا الاب على قيد الحياة وبالتالى فان الوصية لشخص آخر غير جائزة. أما محامى المدعى عليه فقد تبنى وجهة نظر موكله أيضا فى أن الابن المتوفى كان من زواج مكتوب وبالتالى يحق للابن ان يوصى بتركته لمن يشاء - وأنه وبناءا على ذلك - أوصى لموكله ولاخيه (أخو المتوفى) بالتركة وأن الوصية لديه وكذلك الشهود . ومما يلفت الانتباه هنا أن الزواج غير المكتوب يكفل للزوج من أبنائه من هذا الزواج حقوقا والتزامات أكثر مما يكفله له الزواج المكتوب (٥٣) . من هنا فان قرار القاضى كان متوقفا على معرفة هذه

النقطة ولذلك أمهل المدعى ستين يوما لاثبات زعمه بأن الزواج غير مكتوب – بناءا على نصيحة المستشار القانونى νομικος – بعد المداولة معه فيما يبدو .

ومن الأمثلة أيضا على دفاع المحامين عن موكليهم من خلال تبنى مطالب موكليهم ومحاولة إنجازها بكل الطرق (٥٤) حتى وإن اغفلوا ذكر بعض الحقائق والقوانين ماورد فى محكمة الوالى موناتيوس فيلكس (١٥٠ – ١٥١م) فى منف . وفى هذه المحكمة عرضت طلبات من بعض المدينين يعرضون فيها على الوالى ان يتنازلوا عن أملاكهم Cessio bonorum – حيث أن تنازل الشخص المدين عن أملاكه كان يستتبعه بعض المزايا الهامة مثل اعفائه من السجن بسبب الدين ولذلك يعد هذا التنازل فى حالة قبوله ميزة، ولذلك لم يكن قبول مثل هذا التنازل أو منحه بغير شروط (٥٥) – وقد عرضوا هذا التنازل عن طريق محاميهم وقال أحدهم أن « موكله معسر ويتنازل عن أملاكه » .

Αρχ[ελ]αος ρητωρ ειπων. αποροs ιεστιν ο Γλυκων και εξισταται

أما المحامى الثانى فاكتفى بذكر أن موكله متنازل عن أملاكه (٥٦) . ومن هنا فربما كان من الشروط القانونية للتنازل أن يكون المدين معسرا أى غير قادر على السداد ، ولكن من خلال رد الوالى على هذه الطلبات نجد أن الأمر ليس بهذه البساطة اذ يقول الوالى إنه اذا كان الغرض من التنازل هو خداع الدائنين والاحتيال عليهم يكون التنازل باطلا (٥٧) . وفى هذه الطلبات نجد أن الوالى

أكمل شروط التنازل الواجبة التى اغفل المحامون بعضها ، وهكذا نرى أن المحامين أحيانا كانوا يذكرون القوانين مبتورة بما يتفق ومصلحة موكليهم ولكن القضاة (كالوالى فى هذه الحالات المذكورة) كانوا يفطنون الى ذلك ويطلبون استكمال الشروط القانونية اللازمة ، ويطلبون تحرى الامر وبيان دقة المعلومات كالبحث فى موارد المدين . [ξητηθησεται ο πορος αυτο[υ (1.7)

وفى قضية أخرى يبدو أن المحامى يدافع عن موكلته (٥٨) فى قضية ارث مضمونها ان سيدة كانت قد تزوجت شخصا وانجبت منه ابنة هى المدعية فى هذه القضية ، ثم تزوجت بعد ذلك من شخص آخر وأنجبت منه ابنا وبنتا وتوفيت هذه السيدة فى منزل زوجها الثانى (٥٩) . وقسمت التركة الخاصة بها - فيما يبدو - بالتساوى بين ورثتها حسب عددهم Κατα πρσωπον (أى فى هذه الحالة فأن ورثة المتوفاة هم أولادها الثلاثة من زوجها وزوجيها الثانى أى أربعة وبذلك تقسم التركة الى أربعة اجزاء بواقع الربع لكل فرد) . ويبدو أن المدعية قد أضيرت من جراء هذا التقسيم حيث يبدو أن القانون فى هذه الحالة يسمح بالتقسيم للتركة حسب المنازل (التى عاشت بها المتوفاة) وهو ما يطلق عليه Κατ' οικον بمعنى أن تقسم التركة مناصفة بين ورثتها من زوجها الأول (المدعية) وورثتها فى البيت الذى توفيت به (زوجها الثانى وأولاده منها) . ولذلك رفعت المدعية دعوى بهذا الخصوص عن طريق محاميها تطالب بالتقسيم حسب المنازل Κατ' οικον لتركة أمها المتوفاة (٦٠) ولكن للأسف فان هذه البردية غير مكتملة وتنقصنا معرفة بقية

تفاصيل هذه القضية ونتيجتها .

وفى وثيقة أخرى (٦١) نرى مشاجرة نشبت بين أحد القرويين من كرانيس بالفيوم واحد مواطنى مدينة أنطينوبوليس ، ووقعت هذه المشاجرة فى الفيوم . وفى المشاجرة تعرض المواطن الانطونينى – كما يدعى – للعنف والاهانة والابتزاز من قبل القروى ، فقدم شكوى للتحقيق مع هذا القروى وتوقيع الجزاء عليه ولكن القروى لم يمتثل ولم يحضر . ومن هنا يقدم الانطونينى شكوى عن طريق محاميه الى الابيستراتيجوس يطالب فيها بارسال القروى المدعى عليه ليحاكم فى مدينة انطنوبوليس لانه لم يحضر المحاكمة رغم استدعائه ولان المدعى انطونيتى أى يتمتع بحقوق مواطنى انطينوبوليس ومن بينها أن تنظر القضايا الخاصة بهم فى مديتهم كما يتضح من بعض الوثائق . (٦٢) – ومن هنا يركز محامى المدعى فى مرافعته على أن موكله أنطونينى ουτος Αντινοευς εστιν (٦٣) ثم يطالب فى مرافعته بأن يرسل المدعى عليه القروى الى أنطينوبوليس « بما يتفق مع الحقوق (حقوق الانطونيين) التى أكدتها (يخاطب الابيستراتيجوس) . αξιουμεν κατα α. την δικαια α και συνετηρησας πενφθηναι αυτον εις την Αντινοου δικασαμενον (٦٤) وقد استجاب الابيستراتيجوس لطلب محامى المدعى بعد أن تأكد من أن المدعى عليه من قرية كرانيس وأمر بارسال المدعى عليه الى أنطينوبوليس ووجه أمره هذا للاستراتيجوس (٦٥) ، مما يدل على اقتناع الابستراتيجوس بقانونية وأحقية الطلب المقدم .

أما عن الطريقة الثانية فى الدفاع فهى **الاستشهاد بأحكام**

سابقة فى قضايا مماثلة وطلب القياس عليها فى الحكم فى القضية المعروضة . وقد أشرنا الى إحدى هذه الحالات من قبل عند النظر فى موضوع التنازل عن الاملاك (Cessio bonorm (P. Ryl. II. 75 وكذلك فى موضوع الضريبة المفروضة على القصارين والصباغيين ومحاولة أحد الموظفين زيادة هذه الضريبة ورفض المحامى هذا الوضع بالنسبة لموكليه وأستشهد بحكم سابق صادر لصالحهم من قبل الوالى سمبرونيوس ليبراليس قبل سنوات (P. Tebt. 287) . ولكن اشهر هذه القضايا التى نجد فيها قياسا على أحكام سابقة قضية النزاع الطويل بين ديونيسيا ووالدها الذى يطالب بانفصال ابنته عن زوجها لأن هذه الابنة – كما يقول الاب – ارتكبت فى حق ابيها كثيرا من الأفعال الآثمة وغير القانونية بايعاز (من زوجها) . أى أن الأب فى هذه القضية يريد تطليقها رغما عنها ، كما يطالب باستعادة المبالغ التى قدمها اليها عند زواجها [٦٦] . ولكن ديونيسيا أوضحت أن ادعاءات أبيها لا أساس لها وأنها مبنية على الحقد فقط [٦٧] επι φθονωι δε μονον [λο] ιδορουμενος ثم أخذت تثبت عدم قانونية دعوى أبيها – فى التماسها المطول للوالى بومبونيوس فاوستينوس (ديسمبر ١٨٦ – سبتمبر ١٨٧ م) – من خلال أحكام سابقة فى قضايا ذات موضوعات مماثلة وصدرت فيها أحكام من ولاة سابقين وغيرهم من القضاة وآراء المحامين والمستشارين القانونيين البارزين ، وهذا هو بيت القصيد فى موضوعنا . وتورد ديونيسيا أحكاما سابقة فيما يتصل بنقاط ثلاثة على وجه التحديد :

١ – مدى أحقية الأب فى أن يطلق ابنته عنوة من زوجها .

٢ – أن الالتزامات المالية على أحد الاطراف لا تسقط باثارة تهمة جديدة ضد الدائن أو صاحب الحق ، لتثبت أن دعوى أبيها بتطليقها من زوجها لا تؤثر على حقها فى أموال أبيها والتزاماته المالية نحوها .

٣ – تسجيل العقود فى مكاتب التسجيل ، لتثبت أن حقها فى أملاك أبيها ثابت بعقود مسجلة .

ففيما يتصل بالنقطة الأولى أوردت بعض الحالات أو القضايا المماثلة لقضيتها :

ففى قضية نظرها الوالى فلافيوس تيتيانوس سنة ١٢٨ أنتزع أب ابنته بالقوة من زوجها بسبب مشاجرة معه : Σεμπρωνιον πενθερον εαυτο[υ] .....εις διαμαχην ελθ[ον]τα ακουσαν την θυγατερα απεσπακεναι (٦٨) ولما مرضت الابنة من جراء تصرف أبيها قال الابيستراتيجوس أنه اذا كان الزوجان يرغبان فى العيش سويا ، فلا ينبغى أن يمنعا من ذلك (٦٩) . ولم يأبه الاب بكلام الابيستراتيجوس وقال محاميه أمام الوالى تبريرا لعدم مبالاة موكله بعودة ابنته لزوجها أن الاب قد أهين حين هدده زوج أبنته بأن يرفع عليه دعوى زنا مع أبنته ولذلك استغل السلطة المخولة اليه بحكم القانون (٧٠) . وقد رد عليه محامى الزوج بأنه اذا لم يكن الزواج قد انفض فليس هناك سلطة للأب لا على المهر ولا على الابنة التى زوجها (٧١) . وكان حكم الوالى « بأن الامر بتوقف على رغبة الزوجة ومع من تريد أن تعيش » (٧٢) .

وفى حالة أخرى مماثلة تماما للحالة السابقة عرضت على

الابيستراتيجوس باكونيوس فيلكس سنة ١٣٤ قضية أب مصرى رفع دعوى أمام الابيستراتيجوس فى الاقليم السبنتيتى يطالب فيها عن طريق محاميه بأن يأخذ ابنته بعيدا عن زوجها المدعى عليه واجلت القضية لحين قراءة القانون المصرى فى هذا الصدد (٧٣) . ولكن كان يترافع عن الزوج هيرون محاميان ذكرا الابيستراتيجوس بأن الوالى تيتيانوس قد سبق أن خير الزوجة فى أن تعيش مع من ترغب كما ذكرنا فى القضية السابقة – ولم يكن حكمه وفقا لذلك القانون اللانسانى (٧٤) (يقصد القانون المصرى) .

أما فى الحالة الثالثة (٧٥) التى استشهدت بها ديونيسيا فى هذا الصدد فهى من تاريخ مبكر نسبيا سنة ٨٧ أمام أحد القضاة Iurid-cus فى قضية يبدو فيها أن أبا حاول أن ينتزع ابنته من زوجها قائلا «لاينبغى لها أن تعيش مع هذا الرجل (يقصد زوجها) » (٧٦) ولكن القاضى لم يوافق على ذلك وقال « ان من الأسوأ انتزاع (زوجة) من زوجها ....(٧٧) ويتهشم السطر بعد ذلك . ولكنه اقر بأن يسترد المهر اذا كان قد قدم اليها مهرا (٧٨) .

كما أوردت فى النهاية رأى أحد الفقهاء القانونيين أو المستشارين القانونيين (٧٩) الذى نصح احد ضباط الجيش من العسكريين الذين كانوا يمارسون بعض المهام القضائية ويدعى هذا الضابط سالفستيوس افريكانوس، ولم يورد هذا المستشار القانونى –νο μικοςتفاصيل القضية المعروضة عليه وانما اورد فقط الرأى الذى أفتى به ويقول :

« بما أن والد ديونيسيا (الأبنة موضوع هذه الحالة) قد

زوجها فلا سلطة له عليها لأنه حتى لو كانت والدتها قد عاشت مع أبيها بـــدون عقد زواج مكتوب وعليه تبدو الابنة نتاجا لزواج غير مكتوب (بدون عقد) فانها من واقع أن أباها قد زوجها – لم تعد تعتبر نتاجا لزواج غير مكـــتوب [٨٠] (بمــعنى أنه لم تعـد للأب سلطة عليها) .

والمفهوم من هذه الفقرة أنه اذا كانت الابنة نتاجا لزواج غير مكتوب (بدون عقد) بين أبيها وأمها فانها لاتخضع لسلطة ابيها اذا تزوجت هى زواجا مكتوبا (أى بعقد) εγγραφος γαμος: بمعنى أن الزواج المكتوب فى عقد بالنسبة للابنة يلغى وضعها السابق كأبنة من زواج غير مكتوب εξ αγραφων γαμων وبالتالى يلغى سلطة أبيها عليها بعد زواجها [٨١] . واذا كانت ديونيسيا (صاحبة الالتماس الى الوالى) قد أستشهدت بهذه القضية وهذا الحكم فانما لتثبت أن موقفها أفضل من موقف صاحبة القضية التى أدلى فيها النوميكوس برأيه لأن ديونيسيا صاحبة القضية الاصلية ابنة من زواج مكتوب فى عقد كما أنها تزوجت زواجا مكتوبا أى أنه ليس لأبيها أى سلطة عليها بعد زواجها. إذ تقول عن حالتها هى قبل أن تسوق هذه الشواهد من السوابق القضائية التى صدرت فيها أحكام :« ليس هناك قـانون يقـضى بأن تنفـصل الزوجـات عن ازواجهن رغم مشيئتهن، واذا ما كان هناك قانون مثل هذا فانه لاينطبق على السيدات اللاتى كن نتيجة زواج بعقد مكتوب وتزوجن هن أنفسهن (البنات) بعقد زواج مكتوب »[٨٢] .

وبعد ذلك أوردت ديونيسيا بعض الشواهد والسوابق القضائية

التى صدرت فيها احكام فيما يتعلق بالنقطة الثانية الخاصة بتأمين حقوق المرأة (الابنة) ضد أبيها فيما يتصل بالمهر [٨٣] لكى تثبت أن والدها خابريمون لايمكنه التنصل من مسئولياته القانونية نحوها عن طريق اثارة نقطة جديدة وهى حقه فى أن يفصلها عن زوجها - وان كانت هى قد دحضت هذا الحق بما ساقته من احكام وسوابق قضائية سابقة . ومن الشواهد والسوابق القضائية التى أوردتها فيما يتصل بتلك النقطة الثانية قرار أصدره الوالى فاليريوس يودايمون سنة ١٣٨ [٨٤] يقول فيه انه اتباعا لسابقة شهيرة جدا وهى رأى الوالى مامرتينوس (١٣٣ - فبراير ١٣٥)، ومن خلال ملاحظاته الشخصية اكتشف أن كثيرا من المدينيين عندما يضيق عليهم الخناق لرد مبلغ الدين يرفضون الوفاء بالمطالب العادلة لدائنيهم ويحاولون من خلال اثارة تهمة اكثر خطورة - إما أن يتملصوا نهائيا من الرد أو أن يؤجلوا الدفع . أن البعض منهم يتوقعون أن يرهبوا دائنيهم الذين ربما قد ينصاعون بدافع الخوف من الخطر إلى قبول أقل من المبلغ أو المقدار الكامل للدين، والبعض الآخر لأنهم يأملون أن يتخلى الدائنون عن مطلبهم من خلال التهديد الموجه اليهم برفع قضية ضدهم. « واننى لأعلن أن مثل هؤلاء الاشخاص سوف يكفون ويحجمون عن هذا النوع أو الشكل من الاحتيال وأنهم سوف يردون ديونهم أو يستخدمون الاقناع للوفاء بالمطالب العادلة لدائنيهم» [٨٥] . والسابقة القضائية الثانية التى أوردتها ديونيسيا فى هذا الصدد هى تقرير موجز جدا لقضية نظرت أمام الوالى موناتيوس فيلكس سنة ١٥١ بين سيدتين وقال محامى المدعى عليها « لقد ادرجنا فى القائمة

(الخاصة بالمتهمين) ولكننا نطالب بحقوقنا فيما يتصل بالناحية المالية» (٨٦) . فأمن الوالى على مطلبه هذا بقوله « ان المطالب المالية لاتحجب بهذه الاتهامات الجديدة والا فان كل شخص سيقول بل أنا الذى اتهمك (٨٧) .

أما عن النقطة الثالثة المتعلقة بحق ديونيسيا فى حيازة أو ملكية KATOXH مآل اليها من أبيها من خلال قيامها بالاجراءات الادارية السليمة لتلك العملية فانها تستشهد باعلان للوالى فلافيوس سولبكيوس سيميلبس سنة ١٨٢م ؛ يؤكد فيه على مرسوم سابق صدر من الوالى ميتيوس روفوس سنة ٨٩م. (٨٨) يتحدث فيه ذلك الوالى عما وصل الى مسامعه من الفوضى التى كانت سائدة فى مكاتب التسجيل لأن كثيرا من الوثائق الرسمية لم يحتفظ بها كما يجب على الرغم من الأوامر الصادرة من الولاة السابقين فى مناسبات عديدة بتصويب مثل تلك الوثائق. ولذلك أصدر هذا الوالى أوامره للملاك بضرورة تسجيل املاكهم فى مكاتب تسجيل الملكية فى غضون ستة أشهر ، وكذلك لكل من له حق فى ملكية أن يسجلها (٨٩) . وعليهم عند تقديم الاقرارات أن يوضحوا مصدر أملاكهم (٩٠) وان على الزوجات أن يودعن نسخا ضمن اقرارات ملكية أزواجهن اذا كان لهن حق فى ملكية أزواجهن طبقا للقانون المصرى المحلى وكذلك على الأبناء ان يفعلوا نفس الشيء فى اقرارات الملكية الخاصة بوالديهم حيث يضمن للوالدين حق الانتفاع بالملكية بعقود عامة . أما حق الملكية بعد وفاتهم فيؤول الى الأبناء. والغرض من ايداع هذه النسخ ألا يُخدع الاشخاص الذين

يرمون اتفاقات من خلال جهلهم (بحقوق الآخرين فى ملكية التعاقد) [٩١] ،كما حظر على كافة الكتبة ومسجلى العقود أن ينفذوا أى عقود بدون أمر من مكتب التسجيل والا بطلت اجراءاتهم وتعرضوا لعقوبة العصيان[٩٢].

ويبدو أن ديونيسيا قد أوردت الاستشهاد بقرار ميتيوس روفوس لابراز حقها ، حيث من الواضح أنها سجلت أو وضعت نسخة بحقها فى ملكية أبيها ضمن قرارات ملكية أبيها فى مكتب التسجيل وبالتالى ليس لأبيها أن يتصرف فى هذا الحق . بعد عرض كل هذه السوابق القضائية المتمثلة فى أحكام وقرارات وأراء صادرة من ولاة وقضاة ومستشارين قانونيين قد يقول قائل ان هذه السوابق القضائية لم ترد فى سياق مرافعة لأحد المحامين نيابة عن موكليه أمام أحد القضاه وانما وردت على لسان ديونيسيا فى التماسها للوالى. ولكن فى واقع الأمر فمن الواضح جدا - من خلال تلك المعلومات القانونية الدقيقة والموثقة والمؤرخة- أن الذى كتب ذلك الالتماس الذى يزخر باسانيد قانونية وسوابق قضائية مكثفة لابد وأن يكون محاميا ضليعا متمكنا، ولايمكن أن تكون هذه السيدة هى كاتبة الالتماس بكل ما يحويه من تلك المعلومات القانونية المكثفة .

ومن الأمثلة الأخرى على الاستشهاد بالسوابق القضائية والقانونية نجد أحد المحامين يترافع نيابة عن اثنين من موكليه فى قضية بصدد الاعتراض على تقسيم الملكية بعد مضى فترة طويلة من ذلك التقسيم . وتم نظر القضية فى حضرة الوالى سوباتيانوس اكويلا الذى قال « ان قرارات سادتنا (الأباطرة) تتعلق بمن يقطنون فى

امـاكن سكناهم (مـواطنهـم) أمـا اذا تم توزيع وتقـسـيم التـركـة (والمتـضـرر) فى مكان آخر (بعيـدا عن مـوطنه) فيكون من حقـه الدفع بقصر مدة العدالة بالنسبة للتركة . ويعتبر سكوته (فى المدة السابقة) مختلفا ، وكان يسمح له بتجاوز مدة العشر سنوات اذا ما كان لدى أصحاب التركة ضمانا (دليلا) على ذلك (حقهم فى التركة) [٩٣] .

وتفسير هذا القول هو أنه اعادة وتوكيد على الرد الذى أعطاه الامبراطور سبتميوس سيفيروس لسيدة سألته فى نفس الموضوع من قبل فكان رده « ان الاعتراض على التقسيم الطويل المدى (للتركة) لمن لهم الحق فى ذلك وبغير ان يكون قد نشب نزاع عند التقسيم مكفول لمن يقيمون فى مدينة أخرى لمدة عشرين عاما، أما من يقيمون فى نفس المدينة فمكفول لهم لمدة عشرة أعوام » [٩٤] . ويبدو أن هاتين السابقتين فى الحكم « رد الامبراطور وتأكيد الوالى على كلام الامبراطور فى قضية لاحقة » – كما أن هناك استشهادا آخر للوالى ميتيوس روفوس فى نفس الوثيقة ولكن سطوره مهشمة للأسف – أقول يبدو أن هذه الشواهد والسوابق القانونية قد أوردها محامى كحالات مماثلة لقضية موكله مما يدعم قضيته ويؤيد موقفه عند القياس عليهما .

ونأتى بعد ذلك لاستكمال الحديث عن وسيلة أخرى من وسائل دفاع المحامين عن موكليهم ألا وهى **تبنى المحامى لرأى موكله** ونقل ملابسات القضية – كما يراها موكله حتى وان كانت مضللة وخاطئة احيانا كما سنرى – ومحاولة اقناع القاضى بعدالة

قضية موكله . .

من الامثلة على ذلك أن محاميا ترافع عن موكله أمام الاستراتيجوس ضد سيدة تعمل مرضعة (٩٥) ولخص القضية فى أن هذا الرجل قد عثر على طفل ذكر لقيط فأخذه ثم أودعه لدى المدعى عليها لترضعه وأنه قد أعطاها أجرها عن العامين الأول والثانى وأن لديه وثائق تثبت استلامها للمبالغ (٩٦) . ولكن الطفل أصابه الضعف والهزال فأخذه متبنية من المرضعة ، ولكنها - كما يقول المحامى - تحينت الفرصة وأقتحمت بيت موكله وأخذت الطفل وأنها الآن تبرر اختطافها له بأن الطفل حر (وليس لقيطا) (٩٧) . وردت السيدة المرضعة بأنها فطمت طفلها (ولدها هى) ثم عهد اليها بالطفل اللقيط الخاص بالمدعى وأقرت بأنها استلمت منه اجرها بالكامل ، ولكن الطفل اللقيط توفى وأن الطفل الذى يتحدث عنه خصمها ومحاميه ويريدون انتزاعه منها هو إبنها هى (٩٨) . وكان حكم الاستراتيجوس هو « يبدو من ملامح الطفل أنه أبن لسارابوس (المرضعة) وانها اذا قدمت هى وزوجها اقرارا مكتوبا بأن الطفل اللقيط الذى عهد به اليها المدعى بيسوريس قد توفى فانه سوف يحكم - بناءا على قرار الوالى - بأن تحتفظ بطفلها على أن تدفع الأموال التى تسلمتها (٩٩)» . من هذه الأقوال لطرفى القضية نستنتج أن المدعى بيسوريس أراد أن يأخذ ابن السيدة المرضعة عوضا عن الطفل الذى تبناه حين عرف بوفاة الأخير وأصر على الادعاء بأن الطفل الموجود لدى المرضعة (إبنها) هو نفس الطفل الذى سلمه اياها. ويبدو أنه قام باختطافه من منزلها فقامت هى بانتهاز الفرصة

لاستعادة ابنها المختطف. ومن المؤكد أن المحامى كان يعلم هذه الأمور، ولكنه تبنى وجهة نظر موكله ودافع عنها، ولكن مهارة الاستراتيجوس فى ملاحظة الشبه الواضح بين ملامح الطفل والمرضعة انقذت الموقف .

وفى مثال آخر نجد محاميا يترافع عن موكله (المدعى) فى قضية يسرد المحامى وقائعها ويمكن ايجازها فى أن المدعى الذى يترافع عنه المحامى ο συνηγορουμενος قد استأجر من سيدة تدعى ديمتريا ملكية تابعة لهذه السيدة وذلك عقب انتهاء فترة تعاقد هذه السيدة مع مستأجر سابق يدعى فيلينوس [١٠٠] . وكان من بين شروط تعاقده مع هذه السيدة أن يستأجر منها كرما وبستانا αμπελωνα και πωμαριον لمدة ست سنوات وأن يعفى من الايجار لمدة أربع سنوات ويكتفى بدفع الضرائب عنهما للدولة ثم يدفع الايجارات والضرائب عن العامين الاخيرين و « أن يبنى سورا حول الكرم والبستان وان يأخذ من ديمتريا ألفى دراخمة ويبنى ساقية جديدة من الطوب الآحمر بمستوى محدد » [١٠١] . ولكنه اخذ النقود ولم ينفذ الالتزامات المذكورة وأهمل الكرم، وكان أخو المستأجر السابق ضامنا له فى تنفيذ تلك الالتزامات. والى هنا تتهشم البردية ولانعرف مطالب المحامى نيابة عن موكله ، ولكن يبدو أن عدم تنفيذ المستأجر السابق لشروط العقد قد أضر بمصالح المستأجر الجديد (المدعى) ولذا فيبدو أن محاميه قد تبنى مطالبه ويطالب أما بتنفيذ شروط العقد السابق أو التعويض أو الاثنين معا بناءا على كلام موكله .

وفى قضية أخرى نظرت أمام الوالى ڤولوسيوس مايكيانوس

بشأن رهن فرض على ملكية شخص يدعى فولتيموس وقد حجز الدائن سمبرونيوس اوريستينوس على الملكية المرهونة . وكان يترافع عن الدائن اوريستينوس المحامى ايزيدوروس ، وعن المدين فولتيموس المحامى كريسبينوس [١٠٢] . وقد قال محامى الدائن أن القضية قد نظرت من قبل أمام الخليارخ وأدين فيها المدين ηρηθαι το πραγμα και κατακεκρισθαι τον Ουλτιμον (وهناك بعض الفجوات فى البردية وان كان الموضوع واضح الى حد كبير)، وقد دارت مجادلات بين الوالى والمحامين واطراف القضية. وقال الدائن اوريستينوس أنه قد لجأ الى الطرق القانونية νομιμοις κεχρησθαι ، ويقول الوالى للدائن انه (أى الدائن) قد حصل على ارباح تفوق كثيرا الدين نفسه وأمر الدائن بأن « يسترد مبلغ الدين ويعيد الاشياء المرهونة للمدين απολαβε το δανειον και αποδος τας υποθηκας فيرد محاميه (محامى الدائن) ان البعض يذكرون أن المدين عليه ديون أخرى للمستعمرة (يبدو أنها مستوطنة عسكرية) وكذلك للمرابى فيدوس فأمر الخليارخ ببيع أرضه » [١٠٣] . فرد عليه الوالى « عليك أن تأخذ الدين ولا شأن لك ببقية الأمور » .

συ το [δανιον λ]αβε και περι τῶν λοιπῶν μη φροντιζε

فيرد محامى الدائن « وليرد (المدين) الأرباح أيضا και Τους τοκους αποδοτω فيرد الوالى « لقد حصلت عليها من أرباح الأرض [συ τα]υτα καρπ [ου]فيقول محامى الدائن بأن الأرض

لم تشمر αι Ισιδωρου λεγοντο μη κεκαρπῶσθ, فيتهمه الوالى بالتضليل Συ ενεβαδευσας ويقول أنه سواء حضر الخصوم أم لم يحضروا فسوف يأخذون معهم القاضى الذى يقوم بالبحث والتحرى وطبقا لحكم الخليارخ ويرد الدائن مرة أخرى بأن « الاملاك (أملاك المدين) ليست لديه -λε παλιν Ορεστινου γοντος μη ειναι παρ εαυτω τα υπαρχον τα فيرد عليه الوالى ردا صارما« شئت أو لم تشأ فانك ستعيدها اليه وان لم تفعل فلن اكتفى باداتنك فقط وانما ستجلد أيضا θε[λ] ων και μη θελων αποκαταστησεις υτ. οπερ εαν μη ποιησης ου μονον κατα κρισησει αλλα και δαρησ[ει من هذا النقاش الحاد بين الوالى وبين الدائن ومحاميه واصرار الاخيرين على آرائهما ومحاولة المراوغة والتضليل مما دفع الوالى أن يجتد عليهما ويرد على هذه المحاولات ردا قاسيا ، ورأينا الى أى مدى كان المحامى يدافع عن مصالح موكله بالحق أو بالباطل .

وفى مثال آخر من وثيقة مهشمة إلى حد كبير نجد ذكرا لمحامى ρητωρ فى الكلمات المتبقية من العمود الأول فى تلك الوثيقة ، ولكن فى العمود الثانى نجد بعض المعلومات التى تلقى بعض الضوء على موضوع القضية وربما كانت هذه السطور هى موضوع مرافعة المحامى المذكور أعلاه [١٠٤] . ويتلخص موضوع هذه القضية فى أن نزاعا ومشاحنات واعتداءات قد ثارت بين سكان بعض القرى المتجاورة فى الاقليم الطيبى وتزعم هذه المشاحنات بعض الأفراد الذين ذكروا فى هذه المرافعة مثل أسكلاس وأوسر باساس بن

حـورس من قـرية ΚΡΗΚΙΣ وهى القـرية المعـتـدية والتى قـدمت الشكوى فى حقها، وبسنتيواريس من قرية نابو (المعتدى عليها والتى ربما يبـدو أن المحامى يترافع عنهـا) . ويبـدو أن هذا النزاع بين هذه القـرى قـديم حيث بحثه من قبل الوالى لابيريوس مـاكسيـمـوس (٨٤/٨٣م.). وورد فى البردية أن المدعو أسكلاس تولى القيام ببعض الاعباء عمدا حتى يصرف الأنظار عن نفسه [١٠٥]. ويبدو أن الخلاف بين هذه القرى يرجع فى بعض أسبابه الى خلافات محلية وقومية فى عبارة « ببعض أغانى مصرية ضد رجالنا [١٠٦] » .كما يتضح من بقايا الوثيقة ان قرية أخرى تدعى هيبتاكوميا ΕΠΤΑΚΟΜΙΑ كان لها صلة ما بهجوم آخر وكان أهلها يصفرون ويصدرون أصواتا [١٠٧] . ومن الجدير بالذكر أن كلمة هجوم أو اعتداء ΕΦΟΔΟΣ قـد تكررت كثيرا فى المفرد والجمع فى بقايا هذه الوثيقة [١٠٨] ، مما يدل على حجم العداوة بين هذه القرى . وقد أصدر القاضى الذى ينظر هذه القـضيـة – بناء على هذه المرافعة التى شرح فيـهـا المحامى مـوقف الطرفين المتـخـاصـمين واعتـداء قـرية ΚΡΗΚΙΣ التى يتـزعـمـهـا اسكلاس وأوسـر باسـاس – اصـدر أمـره إلى أحـد حـراس الأمن ειρηνηφυλαξ باحتجاز أوسر باساس لفترة كافية وان يجعلاه يقدم اقرارا كتابيا بالمثول فى حضرة القاضى فى غضون ثلاثين يوما وان يودع أسكلاس السجن حتى لايقوما بتدبير الاعتداءات ضد أهل قرية نابو [١٠٩] .

ثم ننتقل الى الحديث عن طريقة أخرى يتبعها المحامون فى الدفاع عن موكليهم وهى الاستناد الى الظروف الخاصة بموكليهم

وطلب الحكم على اساسها أو مراعاتها عند اصدار الحكم. من ذلك تلك القضية الخاصة بقانون الاجراءات فى عهد ميتيوس بروفوس والى مصر (سنة ٨٩/٩٠م) فى عهد الامبراطور دوميتيان حين لاحظ ذلك الوالى أنه عند استدعائه لبعض الاشخاص المشكو فى حقهم ليمثلوا أمام محكمة الوالى لايمتثلون للاستدعاء فأصدر أمره للمنادى أن يعلن « ان على من طلب منهم المثول فى حضرتى وتخلفوا عن ذلك أن يحضروا ويمثلوا (امامى) وسوف يعلن هؤلاء مرة أخرى فاذا لم يذعنوا فسوف يصدر عليهم الحكم غيابيا» [١١٠]. وفى هذا الصدد ترافع أحد المحامين عن موكليه وهما امرأة ورجل وطالب بضرورة أن يمنحا الأمان والا فلن يستطيعا الادلاء بكلمة الحق مالم يحصلا على مرسوم بذلك من المشرفين كما يطالبان بالفصل فى الالتماس" المقدم منهما وقد وافق الوالى على الفصل فى التماسهما [١١١]. وفيما يتعلق بنفس الموضوع ايضا – اصدار الحكم غيابيا على من يتخلف عن الحضور – يلتمس أحد المحامين – فيما يبدو – العذر لموكله فى عدم الحضور أمام الوالى (يونيوس روفوس فى هذه المرة سنة ٩٤) بأن سبب تخلفه يرجع الى انه قد أصيب بأذى فى عينيه فيطلب منه الوالى اثبات ذلك ويأمر باستدعاء طرف القضية لأن شهادة (المحامى) مشكوك فيها [١١٢] .

وكما سبق أن رأينا فى مثال سابق عند النزاع الذى نشب بين أحد القرويين من كرانيس واحد مواطنى انطنيوبوليس (P.Mich. 365) فانه عندما تخلف المدعى عليه عن الحضور أمام الابيستراتيجوس طلب محامى المدعى ان يرسل المدعى عليه ليحاكم

فى انطينوبوليس لأن مـوكله المدعى انطونينى ومن حـقـه أن تتم المحاكمة فى مدينته ، أى أن المحامى طالب بأمر يتفق مع ظروف وحقوق موكله ، واستجاب الابيستراتيجوس لهذا المطلب .

ومثال آخير على هذه الطريقة فى دفاع المحامى عن موكله نجده فى قضية يترافع فيها موظف قضائى كبير هو الأرخيديكاستيس وهو فى الوقت ذاته ينارخـوس [113] ومحامى عن موكله ويلخص قضية موكله فى « انه على الرغم من شيخوخة موكله فقد اكره على امور تتنافى مع كافة القوانين مثل زراعة أرض الدولة (أرض الضيـاع) كما أنه اشترى ارضا أخرى من الدولة، ولكن نظرا لأنه قد حدث ، ان كلف بالزراعة منذ القديم فانه يدفع الايجارات والضرائب وملتزم بكل مـا يصـدر اليـه أو يسـأل عنه من رئيس السـجلات وانه يعطى الأرض كل رعاية واهتمـام كعادته [114] » . وليس هذا هو بيت القصيد وانما هو مقدمة لصلب القضية الذى يلخصه المحامى فى أن اربعة أشخاص (ذكرت اسماؤهم فى الوثيقة) قد هاجموه ساخرين من شيخوخته واستولوا على محصول الأرض الذى كان من المقرر سداده لخزانة الدولة ودفع الضرائب منه . ويقول المحامى أنه وموكله سبق أن قدما للاستراتيجوس شكوى بنفس الوقائع ، ولكن المتهمين قاموا بعد ذلك بسرقة مواشيه ودوابه وقاموا بتشـريد ذلك الشيخ العجوز [115] . وبعد ذلك يخاطب هذا المحامى الوالى – حيث كان هذا الدفـاع أمـامـه – بأن يسـتـدعى هؤلاء المعتـدين الآثمين الى محكمته لمخالفـاتهم وانتهـاكـاتهم للقوانين [116]. فاستجاب الوالى لطلب المحامى واصدر اوامره للاستراتيجوس والمشرفين على الأمن بأنه

ان كان فى الامر عنف أو اكراه ει τι προ[ς]βιαν εληµφθη
فليرسلوا اليه القضية على وجه السرعة لتنظر فى محكمته (١١٧) .

من هذه المرافعة نجد أن المحامى يدعم موقف موكله ويستدر شفقة الوالى عليه فى تلك القضية بذكر ظروفه الشخصية مثل كبر سنه ووهنه واحتماله مشاق الزراعة فى أرض الدولة وقيامه بكل هذه الالتزامات الشاقة رغم ذلك بكفاءة لولا هذا العدوان والسرقة من جانب المعتدين . وهذا مما جعل الوالى يهتم بالأمر ويأمر بتحرى الأمر واحالته اليه اذا ثبت ان عنفا قد ارتكب ضده .

وهكذا تلقى هذه الوثائق كلها الضوء على الكثير من الأوضاع القانونية التى تحكم معاملات الناس من الجنسيات المختلفة فى مصر فى العصرين البطلمى والرومانى . كما تبرز الإجراءات الإدارية والقانونية المنظمة للمحاكم المختلفة وتشكيل تلك المحاكم . ولكن أهم ما توضحه الوثائق فى سياق البحث الحالى هو أساليب المحامين فى الدفاع عن موكليهم مستخدمين كافة السبل والأسانيد القانونية التى تدعم موقفهم ، وكذلك الثغرات والحيل التى تخدم موكليهم بالإضافة إلى التعلل بالظروف الإنسانية والخاصة التى تلتمس الأعذار لموكليهم أو تخفف الأحكام عليهم .

الحواشي

1 - P. Amherst 33. Soconpaei Nesus. 157 B.C. 28. 36.

Βασιλευς Πτολεμαιος Απολλωνιωι χαιρειν. Επειδη τινες των υπογεγραμμενων συνηγορων προσπορεωονται προs ταs προς οδικας κρι- σεις κατα βλαπτοντες Τας προσοδους συν- ταξον οπως προχθωσι εις το Βασιλικον οι συνηγόρησαν τες διπλουν το επιδεκατον και τουτ[οι]ς μη κετι εξεστω συνηγορασαι περι μηθενος πραγματος. εαν δε τις των κατα- βλαπτοντων τας προσοδους ελεγχθηι συνη- γορησας περι πραγματος τινοs, αυτον τε προς ημας μετα φυλακης επιστειλατε και τα υπ- αρχοντα αυτον καταχωριστε εις το βασιλι- κον.

2 - Ibid., ll. 13 - 14.

3 - Ibid., Introduction and. 28, note.

4 - P. Tebt. 287, Fayyum 161-169 A.D.

5 - C.P.R. 18, Fayyum 124 A.D, P.Oxy. 237, Oxyrhun- chus 186. A.D., Also. P.Ryl. 269, Hermopolis (?), 2 nd century A.D.; P. Strassburg 41, Hermopolis

Magna; about 250 A.D.

6 - P. Oxy. 237.

7 - P.Oxy. 37.38, Oxyrhynchus, 49 A.D, 707, Oxyrhynchus, 136 A.D.

8 - P.Oxy. 653.

9 - P. Ryl. 75, Memphis, late 2 nd Century A.D.

10 - P. Hamb. 29, 89 - 94 A.D.

11 - P. from Karanis 365, Karanis, 194 A.D.

12 - P. Gissen 84, Antaiopolis, 2 nd century.

13 - P. Strassb. 5, Hermopolis Magna, 262 A.D.

14 - P. Tebt. II. 297, 123 A.D.

15 - M. Rostovtzeff, Social and Economic History of The Hellenistic world, Oxford, 1941, vol. II pp. 1894 - 95.

16 - U.P.Z. 161, 26 June 119 B.C, 162, 11 December 117 B.C. Cf. also Bouche - Leclerq, Histoire des Lagides, 4 tomes. 1963 - 1907. Paris, Tome IV, PP. 217 - 232.

أنظر كذلك : ابراهيم نصحى – تاريخ مصر فى عصر البطالمة ٤ أجزاء – الجزء الرابع طبعة ١٩٧٧ – ص ٦١ – ٦٧ .

17 - U.P.Z. 161, ll. 14 - 15 : εν δε τηι των καιπων περισ τασει καταγνοντες ε[π]ι τωι αλλου την κατοικιαν εχειν <με> επελθοντες επι τι μιαν των προγεγραμμενυω[ν] οικιων, ll. 17 – 19 : 1 και τηι περι εαυτουσ βιαι χρωμενοι, επισ πευασαν τες τα καθειρημενα μερη [ε]νοικ[υ] σ1 αντιποιουμενοι α δικως.

18 – Ibid, ll. 24. 26, συνεταξεν Ερμογενει [τ]ωι τοτε αρχιφυ[λα]κιτηι παρα δουναι μοι την οικιαν. Χωρισσθεντος δε γο[υ]εις το[ν]Ομβιτην παλιν επελθοντες επι την αγτην οικιαν ενοικου σιν.

19 – Ibid, ll.30 - 32 : αξιω συνταξαι κατα στησαι αυτους επι σε και συναναγκασαι εκ της οι– κιας εκχωρειν, περι δε αυτων εισβε βιασ μενων και νεκρους απηρεισμενων εν τηι. εμηι οικιαι διαλαβειν.

20 – Ibid, ll. 34 - 36.

21 – Ibid, ll. 36 - 39. υπεδεικνυεν τον Ερμιαν κατα κενον περιεσποκεναι το[υς π]ερι τον Ωρον χαριν τον διασεισαι αυτους και εις βλαβας περιστησαι.

22 – Ibid, ll. 37 - 39 : την γαρ οικιαν προτ[ερο]ν μεν εωνησθαι τους γονεις των συνε γκαλου μενων τωι Ωρωι παρα των κατ' αλι[θεια], κυ– ριων κατ Αιγυ τιας συγγραφ [α] ς.

23 – Ibid, ll. 39 - 49.

24 – Ibid, ll. 50 - 57: προσεξετιθετο τον ενα αυ των Ωρον εωνησ θαι παρα τετου Τεεφιβιος και Σαετος και Πεχυτου παρ εκαστου αυτων με– ρος εβδομον της οικιας και απο των της δια– γραφης χρονων κεκυριευκεναι τους γονεις των εγκαλουμενων συν τωι Ωρωι της οικιας εφ οσον περιησαν χρονον, μετα δε την εκεινων τελευτην τον Ωρον ... Κ.Τ.λ.

25 – Ibid, ll. 58 - 63.

26 – Ibid, ll. 58 - 66.

27 – Ibid, ll. 68 - 69 : Τωι μεν Ερμιαι ε[ι]παμιεν μη αντιποιεσθαιτης οικιας, τοις δε πεπι τον Ω [ρον κρ]ατειν αυτης [κ]αθοτι και προτερον.

28 – U.P.Z. 162, Col. III, ll. 18 - 20 : toutou ovtos Kai δικαιολογηθετων των συν κατασ ταντων αυ– τοις περι μεν του Ερμιαν Φιλοκλεους, υπερ

δε των περι τον Ωρον Δεινωνος.

29 – Ibid, ll. 28 -31: δι'ης εφη αυ την προ – ενηνεχθαι μητε προτερον μητε νυν αντι ποιεισ θαι της οικιας προς το απροφσισ τουs κατα στησαι τους αντιδικους μηθενος δικαιον αντεχομενους.

30 – Ibid, Col IV, ll. 6 - 9 : εκ των παρα του τοπογραμματεως και κωμογραμματεως ανενεχ θεν τωνπερι τον αναγραφεσθαι την γην εις Ερμωνα Ερμιον τον παππον της Ερμιου μητρos ... ΚΤλ.

31 – Ibid, ll. 14 -15 .

32 – Ibid, ll. 19 - 20 .

33 – Ibid, ll. 22 - 34.

34 – Ibid,. Col IV, l. 36 and col. V,l. 1 : tov Ερμιον κατα κενον περιεσ πακεναι τονς περι τον Ωρον επι τηι πασηι συκοφαντια και διασεισμωι.

35 – Ibid, Col. V, ll. 3 - 4 : φησας ειναι αυτων την οικιαν και καθ α παρεκειτο αντιγραφα συγγραφων Αιγυπτιων, διηρμηνευων δ'ελληνιστι.

36 – Ibid, ll. 19 - 20 : και κεκυριευ κεναι αυτους μεχρι του νυν αναμφιλεκτως ουθενος απλως εμποιησ αμενου ετη τριακοντα επτα.

37 Ibid, ll. 27 - 29 : τον εαυτου πατερα μετηλθαι εκ της Διος πολεως μεθ' ετερων στρατιωταιν ανω τοπους εν τηι γενομενηι ταραχηι επι Του πτρος των βασιλεων, θεου Επιφανους .

38 – Ibid, ll. 32 - Col VI l.1 : συντρεχειν ετη προς τα πη.....: μητε τον εαυτου πατερα μητε αυτον κα τωικηκεναι εντηι Διος πολει μηδε καταλει– πεσθαι αυτωι μηδεμιαν αντιρησιν καθολου περι της οικιας .... Κ.Τ.λ.

39 – Ibid, Col. V, ll. 21 - 24 : παρεθετο δε και μερη εκ των περι των φιλανθρωπων προσταγματων περι του τους κεκυριευκο τας τινων και μη δυναμενους παρτιθεσθαι τα κατ' αυτων συμ βολαια εαν κρατειν. cf also col. VII, ll. 13- 20.

40 – Ibid, Col. VIII, ll. 8 - 10 :τον αυ τον δε τροπον και κατα τους πολιτικους νομους και τα ψηφισματα τας αυτας επιδειξεις ποιησαμε– νον.

41 – Ibid, ll. 10 - 13 : και ταξαμενον την απαρχην Κληρονομιαν απογρμψασθαι η αποτινειν αυτον δραχμας μυριας και ας αν ποιησηται οικονομιας ακυρους ειναι και μη εξ ειναι επι τα των τετλευτη κοτων επιπορευεσθαι.

42 – Ibid, ll. 14 - 16 : τους γαρι περ τον Ωρον μη ειναι ταριχευτας αλλα χοαχυτας μη δε την αυτην εργασιαν επιτελειν, διαφερειν δε την του των λειτουργιαν.

43 – Ibid, ll. 22 - 24 : Αλλα Και Τους ταριχεντας εχειν προσταγμα, καθ <o> αυτους απαρενο χλητουςειναι .

44 – Ibid, col X, ll. 1 - 5 : ειπαμεν τωι μεν Ερμιαι μη εισβιαζεθαι τοις δε περι τον Ωρον κρατειν καθως και απο της αρχης διακατειχον.

45 – M.Rostovtzeff, op. cit., Vol ll, p. 1094.

46 - C.P.R. 18, Fayyum, 124 A.D.

أما عن الـ νομικos أنظر P. 237, OxyrhynchusA.D.186. حيث ذكر فى الـ note Col. VIII, l. 2 أنه غالبا ماكان يعين مستشار قانونى νομικos فى الحالات التى يكون فيها القاضى من العسكريين أى ليس خبيراً بالقانون ، حيث وردت أمثلة جاء بها ذكر هؤلاء

المستشارين .

47 - C.P.R. 18, ll. 6 - 7, 15.

48 - Ibid., ll. 7 - 8.

49 - Ibid., ll. 9 - 11 : τον νομον καλουντος τους πατερος επ[ι]τα[ς] κληρονομιας των εξ αγραφων παιδων, τον αντι δ[ι]κον θελειν κατα διαθη[κ]ην κληρονομον ε[ι]ναι τον Ωριγενους .

50 – Ibid., ll. 11 - 14 : ουκ εχοντος εκεινου αποτων νομων εξουσιαν περιοντος πατροσεις αλλον τινα γραφειν διαθηκην παραξιου[π]αρ[α] ουσης της τον αντιδι[κ]νομο[υ]θηκης αντι– ποιεσθ[α]αι των υποτου υιου καταλειφθεν[τ] ων.

51 – Ibid., ll. 16 - 20 : [τ]ο[ν] των αιγυπιων νομον διδοναι εξουσιαν πασι τοις διατιθεμενοις καΤαλειπειν [ο]ις, βουλ[ον]ται τα ιδια εαυ– τον μεντοι ανεψιον οντα του τετελ[ευ]Τηκοτ [ο]ς καταλελειφθαι συν ετερω υιωτου τουαν– τιδικου κλ[ηρ]ονομον [κ]αι την δι [α]θηκην πληρη εχειν τον των μαρ [τυ]ρων αρι[θμο]ν.

52 – Ibid., ll. 25 - 38.

هناك قضية أخرى تتعلق بالوصايا ويبدو أنها عبارة عن محتويات حجرة عرس παστοφοριον أخذتها سيدة عن أبيها ο διεδεξατο وأوصت بها لشخص يدعى أونوفريس (المدعى) وهو حينئذ فى شيخوخته κατα διαθηκη[ν] απαιδετο (απεδετο) κατα αιρογραφον τω συνηγορουμεν[ωι,Οννοφριν (Οννωφρεει) τοτε αφηλικ[ι] οντι δια της μητ [ρο]ς ولكنه يبدو أن أحدا نازعه أو أنكر عليه تلك الوصية (المدعى) عليه أسمه مذكور فى أول الوثيقة πρ(ος) Παωπιν Ψυφεως فاستعان بأحد المحامين ρητωρ للدفاع عنه . ولكن للأسف فإن البردية تقف عند حدود هذه المعلومات وتتهشم بعد ذلك .

(P. Tebtunis 489, 127 A.D.).

53 - R. Taubenschlag, The law in Greco - Roman Egypt in The light of Papyri, New york. 1944, pp. 99 - 100.

54 - P. Ryland II, 75, late Second Century A.D., Introduction.

55 - Ibid.

56 - Ibid., ll. 5 - 6, ll. 14 - 17 .

57 - Ibid., ll. 11 - 12 : ει τι επι περιγρ[α]φητων δανιστων εποιησαν, ακοιρον ειναι – cf also ll. 19

- 20.

58 - P. Ryl. 269, Second century A.D., ll. 7 - 8 : την συνηγ [ορου –| 1μενη [ν] .

59 – Ibid., ll. 6 - 11.

60 - Ibid., ll., 1 - 4 : Nikη Τερετος κατα Ερμι[νο]υ και των υιων αυτον περι του κατ' οικον ειναι τα υπαρχ[ον – | τα και μη κατα πρ[ο]σωπον. .

61 – P. Michigan, Papyri from Karanis 365, Karanis, 194 A.D.

62 - Ibid., Introduction.

63 - Ibid., l. 6.

64 - Ibid., ll. 11 - 13, l.,11 note.

65 - Ibid., ll. 17 - 19.

66 - P. Oxy. 237, Oxyrhynchus, 186. A.D.

67 - Ibid., Cols. IV - VI.

فى هذه الأعمدة من الوثيقة تروى ديونيسيا مطالب أبيها المذكور وقصة النزاع المالى بينهما مما جعله يطالب بتطليقها من زوجها رغماً عنها واسترداد المبالغ التى قدمها لها زواجها ، وان كانت كثير من كلمات الأعمدة ٥,٤ مهشمه .

68 - Ibid., Col. VII., ll : 21 - 22.

69 - Ibid., ll. 23 : "οτι ου δει αυτον κωλυεσθαι ει συνοικειν αλληλοις θελοιεν

70 – Ibid., ll. 26 - 27 : τον γαρ Αντων[ι]ου προσενεγ καμενου θυγατρομειξια εγκαλειν. μη ενεγ– καντοσ την υβριν τη κατα τους νομους σου– κεχωρημενηι (كانت للأب سلطة أخذ إبنته من زوجها عنوة فى القانون المصرى) εξουσια κεχρησθαι.

71 – Ibid., ll. 28 - 29 : εαν απεριλυτος ην ο γαμος τον πατερα νητε της προικος μηδε της παιδος της εκδεδομενης εξουσιαν εχειν.

72 – Ibid., l. 29 :διαφερε παρα τινι βουλεται ειναι η γεγαμημενη.

74 – Ibid., ll. 31 - 33 : τον ουν αιτιωμενον αποσπα– σαι βουλομενον Τη[ι] θυγατερα αυτου συ– νοικουσαν τω αντιδικω δεδικασθαι υπογυως προς αυτον επιοτου ε[πι]στρατηγον και υπ– ερτε θεισθαι την δικην υμειν ινα αναγνωσ θη ο των Αιγυπτω[ν] [νο]μος.

74 - Ibid., 34 - 35 : Τειτιανον τον ηγεμονευσαντα ομοιας υποθεσεως ακουσαντα[εξ] Αιγυπτιακων προσωπων μη ηκολουθηκεναι

τη του νομου απανθρωπια αλλα τ[η] επι [νοια] της παιδος, ει βουλεται παρα τ [ω αν– δρι] μενειν.

75 – Ibid., l. 39 - Col. VIII, l.2.

76 - Ibid., Col VII, l. 43 : τουτω τω ανδρι ου– θεν[προσ]ηκ[ει] σ υνιναι

77 – Ibid., : χειρον εστι ανδρος αφαι[ρεισθαι.....

78 –Ibid., l. 42 : ει εφθακας απαξ προικα δ[ους τηι θυγ] ατρι συν, αποκατατησον.

79 – Ibid., Col. VIII, ll. 2 - 7.

80 - Ibid., ll. 3 - 6 : Δ[ιον] υσια υπο του πατρος εκ– δοθεισα [πρ]ο γαμον εν τη του π[α]τρος εξ– ουσ[ια ου]κετι γεινεται. και γαρει η μητηρ αυτης τω πατρι αγραφως συνωπησε [κ]αι δια τουτο αυτη δοκει εξαγραφων γαμων γεγενη– σθαι, τω υπο του πατρος αυτην εκδοσθαι– προς γαμον ουκετι εξ αγραφον γαμον εστιν.

81 – Ibid., l. 2, note.

82 - Ibid., Col. VIII, ll. 12 - 13 : ουδεις γαρ νομος ακονσας γυναικας απ' ανδρων αποσπαν εφειησιν, ει δε και εστιν τις, αλλ' ου προς τας

εξ ενγραφων γαμων γεγενημενας και εν–γραφως γεγενημενας.(The latter γεγενημεναίς most probably a mistake for γεγαμημενας, l. 13, note).

83 - Ibid., Col. VIII, ll. 6 - 7 : και υπομνηματισμων η6φαλ[ι]σ ται περι της πρ[οι]κοσ η παις υπο του πατρος .

84 – Ibid., ll. 7 - 18 .

85 - Ibid., ll. 12 - 13 : παραγγελλω της τοιαυτης πανουργιας απε{σ}χεσ θαι αποδιδον τας οσα οφειλουσι η πειθοντας τους δικαως απαι–τουντας .... Κ.Τ.λ.

86 – Ibid., Col. VIII, ll. 19 - 20 : ρητωρ ειπεν εν τη ταξει εκκειμεθα περι του χρηματικουαξιου–μεν.

87 – Ibid., ll. 20 - 21 : Μουνατιος ειπεν. ουκ απεχε–ται τα χρηματικα δια τουτων των ενκλη–ματων. ει δε μη, παντες ερουσιν οτι κατη–γορω.

88 – Ibid., ll. 21 - 43.

89 - Ibid., ll. 31 - 33 : Κελευω ουν παντας τους

κτητορας εντος μηνων εξ απογραψασθαι· την ιδιον κτησιν συς την των ενκησεων βιβλιοθηκην...... Και τονς αλλους οσα εαν εχωσι δικαια.

90 – Ibid., ll. 33 - 34 : την δε απογραφὴν ποιεσθωσαν ηλουντες ποθεν εκαστος των υπαρχον των κατα βεβηκεν εις αυτους η κτησ{ε}ις.

91 – Ibid., ll. 34 - 36 :παρατιθετωσαν δε και αι γυναικες ταις υποστασεσι των ανδρων εαν κατα τινα επιχωριον νομον κρατειται τα υπαρχοντα, ομοιως δε και τα τεκνα ταις των γονεων οις η μεν χρησ{ε}ις δια δημοσιων τετηρται χρηματισμων, η δε κτησις μετα θανατον τοις τεκνοις κεκρατηται, ινα οι συναλλασσοντες μη κατ αγνοιαν ενιδρευονται.

92 – Ibid., ll. 34 - 38 : παραγγελλω δε και τοις συναλλαγματογραφοις και τοις μνημοσι μηδεν διχα επισταλματος του βιβλιοφυλακ[ιου] τελειωσαι, γνουσιν ως παρα τα προστεταγμενα ποιησαντες δικην υπομενουσι την προσηκουσαν.

93 – P.SErassburg 22, Hermopolis Magna, 3 rd century

A.D., ll. 18 - 24 . "Διαταξεις εισιν των κυριων περι των εν τοις εθνεσιν οικουντων. αν αλ– λαχοσε νομη παρακολουθηση εχοντos τινος αφορμην καν βραχειαν δικαιαν κατοχης σιωπησαντος του νομιξοντος αυτω διαφερε– ιν και ανασχομενον υπερ δεκαετιαν, εχειν τ[ο] βεβαιοντους κατα σχονΤας .

94 – Ibid., ll. 4 - 8 : Μακρας νομης παραγραφη τοις δικαι[αν] αιτιαν εσχηκοσι και ανευ τινος αμφισ β[η]–τησεως εν τη νομη γενομεοις προς μ[ε]τους εν αλλη πολει διατρειψαντας ετων εικοσι αριθμω βοηθουνΤαι, προς δε τους επι της αυ της δεκα.

95 – P. Oxy. 37, Oxyrhynchus, 49 A.D.

96 - Ibid., ll. 12 - 14 : οτι δε ταυτα αληθηι λεγωι, εστιν γραμματα αυτης δι' ων ομολογει ειλη– φεναι.

97 – Ibid., ll. 15 - 19 : μετ[α]ταυτα καιρον ευρου σ[α] εισεπηδη σεν εις την του ημετερου [ο] ικιαν και το σωματιον αφηρπασεν, και βον– λεται : ον[ο –]ματι ελευθερον το σωματιον απενεγκασθαι.

98 –Ibid., ll. 24 - 26 : μετα ταυτα [ετελευ] τησαν τ [ο σ]ωμα τιο [ν στα – ι]τηρων π[ερ]ιοντων. νυν βουλον [ται το] ι [δl] ον μου τεκνον αποσπασαι.

99 – Ibid., Col II. ll. 3 - 10 :επει εκ της οψεως φαιν ται της Σαραευτος ειναι το παιδιον, εαν χιρ– ογραφηση ι αυτηι τε και ο ανηρ αυτης εκεινο το ενχειρισθεν αυτηι σωματιον υπο Πεσου– ριος τετελευτηκεναι, φαινεται μοι κατα τα υπο του κυριου ηγεμονος κριθεν τα απδου– σαν αυτην ο ειληφεν αργυριον εχειν, το[lδlο]ν τεκνον.

100 – P. TebT. II. 707, Oxyrhynchus, A.D. 136.

101 - Ibid., ll. 25 - 28 : ανασ[τη]σαι τε τας του κτηματος και πωμαριου πλατας επι μετροις και λαμβανοντα παρα της Δμητριας (δραχμας) Β ανοικοδομησαι τροχον εκ και γης εξ ο[πτης]επι μετροι ςε ωρισμενοις.

102 – P.Oxy. 653, 161 A.D.

103 - Ibid., : εντυχοντων δε τινων [και λεγ]οντων [........] κολωνια οφει[λε]σθαι και Φ[δ]ου [δ]

ανιστας ειναι, Ονορατος εκελευσεν αυτα πραθηναι.

104 – P.Gıssen 40, Thebaid (Antaiopolis), Beginning of 2 nd Century A.D.

105 - Ibid., Col, II. l. 6 : επιτηδες εν ταις λ[ει] τουργειαις εγεινετο ινα λανθανη.

106 – Ibid., l. 8 :επωδαις τισ [ι] ν Αιγυπτειαις κατα των ημετερω [ν.

107 – Ibid., l. 11 : εφοδοις η Επτακωμια ησυρισ κοντο οντας ανθρ[νπους].

108 – Ibid., ll. col. l. 1, 21, Col. II, ll. 11,13,20.

109 - Ibid., col. II. ll. 16 - 20 : εκελευ6εν Παηριν ειρηνοφυλ(ακα) και Πυασιν [Πετεμεν] εκυσιος [ικανα παρασχειν] μετα χειρογραφειας, εντ[ο]ς ημερων τρια[κονταπα]ρα [στησαι τον Οσαρπασαν, και] Ασκλαν εις την φυλακην παρ[α]δοθηναι [.....ι τι επεγνωσι περι τ[ω]ν [α]πο Ναβοωι [..... μηδεμιαν εφοδον γεγοναι.

110 – P. Hamburg 22, 89, 94 A.D., ll. 6 - 9 :

"οι προτεθεντες επ' εμε και μη υπακουσαντας

16 τωσαν, οτι παλιν αναγορευθησονται κα
[ν] μηδε τοτε υπακουσωσ[ι]ν αποντες κριθη-
σον [ται]."

111 – Ibid., ll. 12 - 16 : αναγκαιως ασφαλιζοντ[α]ι, οτι [α] λλως δυνανται λεγειν την δικην, ει μη λαβοιεν τα βιβλια παρα των] επιτροπων, και αξιουσιον υπομνηματισθη[ναι]την εντευξ ιναυτων Μεττιος Ρουφος. υπομνηατισ θητωι.

112 –Ibid., ll. 24 - 26 : ε]β[λ]αβης οφθαλμ [ους]" Ιουνιος Ρουφος" πως αποδειξαι δυνασ [αι], οτι. παπηνγειλας, υποπτος μαρτ [υς].

113 – P. Strassburg 5, Hermopolis Magna, 262 A.D.l .7:

"Ερμω εναρχος αρχι δικαστης ρητωρ ειπεν.

114 –Ibid., ll. 8 - 11 : ο Πρεσ βυτης παθων επι το σονι] αι εις τουτ[ο]ηλικιας ηκων πεπονθεν βιαν πα[ρ]α παντας τους νομου[σ], γην μεν γαρ γεωργειν ουσια κην, αλλα και απο της δ [ι] δικησως ετεραν επριατο ..... Κ.Τ.λ.

115 – Ibid.,ll, 12 - 13 : αλλα εφοδον [α]υτω πε-ποιηνται καταφρονησαντες τη [ς] ηλικιας τ(ου) ανδρος...... κατα] στασεις ενσυνλαβο-

μενοι τους καρπον [ς] ηρπασαν τους μελλον–
τες τω ιερωτατω ταμειω. also ll. 15 - 16 : οι δε
μετα ταυτα και τα θρεμματα και τα τετραπο–
δα τα ημ ετερα αφηρ πασ[α]ν, οσα ειχομεν]
η τι δει λεγειν αν[ασ]τατον τον πρ [ε]σ βυτην
π[ε]ποιηντα [ι] .

116 – Ibid., ll. 16 - 17 :

ωστε επιστειλαι σε τοις ειρηναρχαις [τω] πρε
[σ] βυτη κθ τω ο[υδια]κω λογω ην επιλ[υ]
ποιεν εκεινοι απ[ο]νοια χρωμενοι εις το σον
δικαστηριον παραπεμψαι, ωςπαρα τους νο–
μους επραξαν.

117 – Ibid., ll. 18 - 19 .



الباب الثاني
المصريون والإدارة الرومانية

المبحث الرابع
أوقات عصيبة في الريف المصري

« أزمة الإقليم المنديسى
فى عصر ماركوس أوريليوس »

بحث منشور (باللغة الانجليزية) فى مجلة مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس – العدد الحادى عشر ١٩٩٤ – الصفحات : PP. 57 - 108



أزمة الإقليم المنديسى

فى عصر ماركوس أوريليوس

إذا كان مبحث سابق قد تناول الحالات الاختيارية التى كان القرويون يذهبون فيها إلى الاسكندرية للإقامة المؤقتة الطويلة أو القصيرة كالذهاب من أجل العمل أو التقاضى أو الزيارة لأغراض ومصالح شتى كما رأينا فإن بعض الأوضاع المتوترة أحيانا بين القرويين والإدارة الحكومية كانت تدفع بعضا من هؤلاء القرويين إلى حالات من الإحباط والقنوط التى تجعلهم يتركون قراهم فارين إلى المعابد للاحتماء بها أو إلى أماكن نائية أو مدن كبرى ليتوهوا فى زحامها بعيدا عن أعين رجال الإدارة التى تلاحقهم .

لقد كانت الأوضاع الاقتصادية السيئة فى بعض مناطق الريف المصرى نتاجا لعوامل عديدة سياسية وإدارية ودافعا إلى هجر القرى بصورة ملحوظة وجلية. وسوف نتناول فى هذا المبحث انموذجا من الريف المصرى تتجلى فيه – فى فترة من فترات الأزمات – هذه العوامل مجتمعة. هذا الأنموذج يأتينا من الوثائق البردية من منطقة الدلتا التى نادرا ما تحتفظ لنا – بحكم مناخها الرطب – بوثائق بردية، ومن مقاطعة منديس على وجه الخصوص فى النصف الثانى من القرن الثانى للميلاد تحت حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١–١٨٠م).

- عصر ماركوس أوريليوس وظروفه المضطربة :

ولكى نعطى الخلفية المناسبة للأزمة الاقتصادية التى أمسكت بخناق الإمبراطورية الرومانية بوجه عام ومصر كإحدى ولاياتها - كما يتجلى فى هذه المجموعة الوثائقية من منديس وثمويس وغير ذلك من الشواهد من أرجاء أخرى فى مصر - فلابد من إعطاء نبذة قصيرة عن الظروف التى خلقت وفاقمت تلك الأزمة الاقتصادية فى عهد الامبراطور ماركوس أوريليوس .

حظى الإمبراطور ماركوس أوريليوس بسمعة عامة طيبة وبتقدير وثناء المؤرخين بصفته الامبراطور الحكيم الفيلسوف (١) . فقد اعتنق هذا الامبراطور بإخلاص تعاليم الفلسفة الرواقية وطبق على نفسه مبادئها الأساسية من زهد وتقشف واحتمال للمكاره وصبر عليها وسلوك مسئول ودماثة خلق وتعاون مع رفاق السفر فى رحلة الحياة القصيرة للإنسان على ظهر البسيطة . وبتجلى ذلك بوضوح فى مؤلفه الفلسفى « تأملات مع الذات » ، كما يتجلى فى اضطلاعه بواجباته كحاكم بعزم لايلين (٢) .

هذا الإمبراطور الحكيم تعرض لاختبارات قاسية على مدى أغلب فترة حكمه إذ أمضى فترة طويلة من حكمه فى حالة حرب مع البارثيين على الجبهة الشرقية من الإمبراطورية ومن بعدهم مع القبائل الجرمانية على جبهة الذانوب فى الشمال. ففى الشرق غزا ملك البارثيين فولوجاسيس الثالث (١٤٨ - ١٩٢م). أرمينيا عام ١٦١ وهزم جيشين

من جيوش الإمبراطورية بالتعاقب . وفى عام ١٦٢ أسند ماركوس أوريليوس إلى شريكه فى حكم الامبراطورية لوكيوس فيروس (١٦١ - ١٦٩) القيادة العليا فى حرب كبرى ضد البارثيين ، لكن فيروس كان قائدا مترفا عاشقا للملذات واضطلع بالقيادة الاسمية للحملة. أما القائد الفعلى الذى أبدى حيوية فائقة ومهارة كبيرة فى تلك الحملة فهو جايوس أفيديوس كاسيوس الوالى الرومانى على سوريا حينذاك، إذ قام بغزو وتدمير أرمينيا ثم توغل فى بلاد ما بين النهرين وأخضع كثيرا من مدنها على مدى الفترة من ١٦٢ إلى ١٦٤ واستولى أخيرا على الحاضرتين العظيمتين سليوقية على الدجلة وكتيسيفون (طيسيفون) عاصمة البارثيين نفسها عام ١٦٥ - ١٦٦ [٣] .

وعلى الرغم من نجاح الحملة الرومانية ضد البارثيين عسكريا وسياسيا فقد كان لها سلبيات خطيرة على الرومان: إذ لابد أنها أنهكت الخزانة الإمبراطورية وأرهقتها بدرجة كبيرة دفعت ماركوس أوريليوس - بمجرد انتهاء الحروب البارثية وخلال الاستعداد لرد القبائل الجرمانية القوية عبر الدانوب والتى كانت وصلت حتى ميناء أكويليا الإيطالى على البحر الأدرياتيكى - إلى اللجوء إلى إقامة مزادات طارئة لبيع بعض ممتلكات القصر الإمبراطورى وكذلك إلى تخفيض قيمة العملة الفضية [٤]. أما الجانب السلبى الآخر لتلك الحملة فقد تمثل فى أن القوات الرومانية العائدة من الحملة البارثية قد نقلت عند عودتها وباء خطيرا يقال أنه قد أصاب الجند لأول مرة فى سليوقية. وقد كان طاعونا هائلا انتشر وألقى بظلاله المدمرة فى آسيا الصغرى وبلاد اليونان وايطاليا

بل وصل حتى إلى حدود الراين . وقد عاود هذا الطاعون الظهور والتفشى على فترات منذ عصر ماركوس أوريليوس وحتى مابعد منتصف القرن الثالث للميلاد. وتسبب هذا الوباء فى إخلاء العديد من مناطق الامبراطورية من سكانها بصورة شبه تامة وأضعف الامبراطورية بدرجة ملحوظة (٥) .

وعلى أثر هذه الكوارث مباشرة كان على الإمبراطور أن يشن حروبا على الحدود الشمالية للإمبراطورية ضد قبائل الماركومانيين والقاديين والصراماتيين ليطردهم إلى ما وراء نهرى الدانوب والراين فى سلسلة طويلة من المواجهات مابين عامى ١٦٧ - ١٧٥ حين أوشك على إعادة ترتيب الأوضاع فى تلك المنطقة واستعادة السيطرة التامة عليها لولا تمرد أهم ولاته فى الشرق أفيديوس كاسيوس وإعلان نفسه امبراطورا إثر سماعه إشاعات كاذبة حول مقتل الإمبراطور فى ميدان القتال. وبعد أن علق ماركوس أوريليوس حملاته ضد القبائل الشمالية لمواجهة تمرد كاسيوس الذى انتهى بمقتل الأخير عاود الامبراطور حملاته الشمالية من ١٧٧ وحتى وفاته - ربما متأثرا بالطاعون - على ضفاف الدانوب فى فيينا عام ١٨٠ (٦) .

وهكذا نرى أنه على الرغم من حكمة واتزان (٧) ماركوس أوريليوس فإن الظروف المضطربة والمعقدة للإمبراطورية فى عصره كانت حائلا بينه وبين الاهتمام بأحوال سكان الإمبراطورية . بل أن الإمبراطورية فى زمنه دفعت ثمنا باهظا للدفاع عن حدودها ومرت بأوقات حرجة للغاية .

أوضاع مصر تحت حكم ماركوس أوريليوس :

هذا عن مجمل وضع الإمبراطورية تحت حكم ماركوس أوريليوس. أما عن أوضاع الحياة اليومية فى مصر فى هذه الفترة فمن الطبيعى أنها كانت انعكاسا لهذا الجو العام الذى ساد الإمبراطورية، وأصبحت أوضاع الحياة المصرية أسوأ من ذى قبل . فمنذ منتصف القرن الثانى الميلادى لم يعد المصريون يطيقون صبرا على النظام الضرائبى المرهق من الإدارة الرومانية بضرائبه العديدة وعلى نظام «الأعباء» الإلزامية ولاسيما الأعباء الجسدية الوضيعة التى كانت تفرض على المصريين وكما لم يعد بوسع المصريين تحمل إهمال صيانة القنوات والجسور ونظام الصرف لاسيما بعد ثورة اليهود تحت حكم تراجان التى شكلت تهديدا خطيرا على الزراعة المصرية . كل تلك الظروف أدت إلى اندلاع ثورة خطيرة ضد الرومان فى الجزء الشمالى من الدلتا تحت حكم ماركوس أوريليوس فيما عرف بثورة الرعاة أو ثورة البقوليين عام ١٧١-١٧٢ . فقد قام الرعاة والمزارعون المصريون فى شمال الدلتا بمن عرفتهم المصادر باسم البقوليين [٨] - تحت زعامة كاهن يدعى ايزيدوروس - بانتهاز فرصة غياب الفرقة الرومانية الثانية التراجانية على جبهة الدانوب وهاجموا بشدة القوات المتبقية فى معسكراتها فى تلك المنطقة فى كر وفر أشبه بحرب العصابات . هذا التمرد الخطير شكل تهديدا حقيقيا على الحكم الرومانى فى مصر حتى أن الاسكندرية ذاتها كانت على شفا السقوط فى أيدى الثوار المصريين. وقد اندلعت هذه الثورة عام ١٧١ - ١٧٢ حتى قمعها فى نهاية

المطاف أفيديوس كاسيوس – الوالى الرومانى على سوريا وقاهر البارثيين الذى أشرنا إليه أعلاه – الذى منح صلاحيات خاصة وسلطات استثنائية فى الولايات الشرقية (خاصة سوريا ومصر) فى نفس عام ثورة الرعاة . وقد نجح كاسيوس فى القضاء على هذه الثورة وهزيمة الثوار ليس فى معركة واحدة فاصلة وإنما باللجوء إلى سلاح « فرّق تسد » بين هؤلاء الثوار حين أفلح فى شرذمتهم إلى جماعات منفصلة وأغرى بعضها وتعقب البعض الآخر حتى وضع فى ختام المطاف نهاية للتمرد [٩] .

كان ذلك هو الجو العام للإمبراطورية ككل ولمصر بشكل خاص تحت حكم ماركوس أوريليوس . والآن نأتى إلى صلب موضوع هذا المبحث وهو الإقليم المنديسى فى الدلتا الذى أخرجت لنا تربته مجموعة كبيرة من الوثائق البردية من تلك الفترة صورت لنا مدى سوء الأوضاع فى ذلك الجزء من مصر ، وهو ما يمكن القياس عليه إلى حد ما فى رسم صورة مشابهة فى بقية أرجاء مصر آنذاك .

إقليم منديس وموقعه :

ولكن من المهم قبل تناول هذه الوثائق من منديس وثمويس أن نحاول تحديد موقع إقليم منديس حسب وصفه فى كتابات المؤرخين والجغرافيين الكلاسيكيين من هيرودوت فى حوالى منتصف القرن الخامس ق .م . حتى بطليموس الجغرافى السكندرى فى حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى (إذ عاش بطلميوس من حوالى سنة ٩٠ إلى حوالى ١٦٨) . ولتحديد موقع هذا الإقليم على وجه الدقة ينبغى

أولا التعرف على طبوغرافية الدلتا من خلال أفرع النيل السبعة التى كانت تقسم الدلتا. فمن خلال وصف هيرودوت (الكتاب الثانى : ١٧) كانت هناك ثلاثة أفرع رئيسية للنيل تنطلق من رأس مثلث الدلتا فى الجنوب نحو الشمال وهى الفرع البيلوزى فى الشرق والسمنودى فى الوسط والكانوبى فى غرب الدلتا. ويتفرع عن الفرع السمنودى فرعان من الفروع الصغرى هما الفرع الصاوى والفرع المنديسى . هذا بالإضافة إلى فرعين صناعيين هما الفرع البقولى Bucolic والفرع الـ « بولبيتينى ». وعلى ضوء وصف هيرودوت رجح جون بول أن يكون الفرع البقولى متفرعا من الفرع السمنودى – مثله مثل الفرعين الصاوى والمنديسى – بينما يتفرع الفرع الصناعى الآخر – البولبيتينى – من الفرع الكانوبى قبالة دمنهور (هيرموبوليس الصغرى) نحو الشمال الشرقى. وهكذا فإن مصبات النيل السبع فى شمال الدلتا على البحر المتوسط كانت من الشرق إلى الغرب – حسب وصف هيرودوت وتفسير جون بول – على النحو الآتى : البيلوزى والصاوى والمنديسى والبقولى والسمنودى والبولبيتينى والكانوبى [١٠] .

هذا الوصف لمصبات النيل السبع عند هيرودوت ظل كما هو تقريبا عند ديودور الصقلى فى القرن الأول ق .م . مع تغيرات طفيفة فى بعض اسمائها (إذ يطلق على الفرع الصاوى عند هيرودوت مسمى التانيسى عند ديودور ، وعلى البقولى مسمى الـ « فاتنيتى » [١١]. واستمر الحال على ذلك عند سترابون (الكتاب السابع عشر : ١٨) وبلينى الأكبر فى كتاب « التاريخ الطبيعى » فى القرن الأول الميلادى

. [١٢] (V.XI. 64)

أما عن موقع الإقليم المنديسى بين هذه الفروع فمن الواضح أنه كان يقع على الفرع المنديسى الذى أخذ اسمه من مدينة منديس (تل الربع) عاصمة الإقليم المنديسى . ويذكر جون بول أن « الفرع المنديسى ربما كان يتفرع من الفرع السمنودى إلى الشمال قليلا من ميت غمر وكان يسير فى محرى ترعة البوهية تقريبا حتى قرية الحساينة ثم يتجه شمالا مرورا إلى الغرب مباشرة من تمى الأمديد (ثمويس القديمة) وتل الربع (منديس القديمة) ثم ينحنى نحو الشرق تجاه قرية ميت فارس إلى أن يصل إلى قرية أشمون الرومان ومنها كان يسير تقريبا فى مجرى البحر الصغير إلى قرية الجمالية ثم يتجه إلى البحر عند حلق الوحل على بعد ثلاثة عشر كيلو مترا تقريبا إلى الجنوب الشرقى من رأس البر » [١٣] .

وكان هيرودوت هو الأول والوحيد من بين الجغرافيين والمؤرخين الكلاسيكيين الذى ذكر أن ذلك الموقع الخاص بالإقليم المنديسى كان يشغله اقليمان : المندينى والثمويسى [١٤] رغم تشكك البعض حول هذا التقسيم [١٥] . أما سترابون [١٦] وبلينى الأكبر [١٧] فيذكران الإقليم المنديسى دون أن يشيرا إلى إقليم ثمويس .

أما عند بطلميوس الجغرافى السكندرى من القرن الثانى الميلادى فقد ظلت مصبات النيل السبع الرئيسية كما هى وإن تغيرت تسمياتها ومجرى فروعها كثيرا عن ذى قبل [١٨] . كما أضاف بطلميوس إلى

الفروع الرأسية المعروفة فرعا آخر أفقيا يمر بوسط الدلتا من غربها (من عند بوتوس) إلى شرقها متقاطعا مع الفروع الرأسية ويسمى هذا الفرع الأفقى نهر بوتوس [١٩] (انظر خريطة بطلميوس الجغرافى المرفقة). وكان الإقليم المنديسى عند بطلميوس يقع قرب تقاطع الفرع البوسيرى (أحد الفروع الرأسية شرق الدلتا) مع فرع بوتوس الأفقى المذكور أعلاه . ويذكر أن عاصمة ذلك الإقليم كانت ثمويس ويحدد موقعها بأنها كانت تقع على خط عرض ٣٠ درجة و٥٠ جزءا من الدرجة وخط طول ٣١ و ٤٥ من الدرجة [٢٠] . أما الأقاليم (النومات) المجاورة للإقليم المنديسى فقد كانت إقليم تانيس إلى الشرق وإقليم سمنود إلى الغرب وإقليم ليونتوبوليس إلى الجنوب واقليم ديوسبوليس الصغرى إلى الشمال الغربى [٢١] .

وتحت حكم البطالمة إشتهرت منديس بكونها مركزا لعبادة ذكر الماعز وعاصمة للإقليم المنديسى ، ولكن تحت حكم الرومان فقدت منديس أهميتها الإدارية وحلت محلها ثمويس – إلى الجنوب – التى صارت العاصمة الجديدة [٢٢] . وكانت ثمويس فى مساحتها واتساعها مثل منديس – وفقا للوثائق البردية – وكانت تنقسم فى القرن الثانى الميلادى إلى أحياء αμφοδα تحمل منازلها أرقاما [٢٣] .

وفى وثائق ثمويس المذكورة أعلاه فإن أعلى ترقيم متاح لأحياء ثمويس هو الحى رقم عشرون وأعلى ترقيم متاح بالنسبة لعدد منازل أحد الأحياء هو المنزل رقم ١٧٨ . ومن خلال حاصل ضرب هذه

الأرقام القصوى للأحياء والمنازل أحصى فيلكن عدد منازل ثمويس فى هذه الوثيقة بأنه ٣٥٦٠ منزلا [٢٤] . ولكن يبقى هذا الرقم لعدد منازل ثمويس رقما افتراضيا لأنه من غير المؤكد إن كانت هذه الأرقام تمثل بالفعل الحد الأقصى لعدد الأحياء فى ثمويس والحد الأقصى لعدد المنازل فى حى بعينه. ومع ذلك فيبدو أن ثمويس كانت مدينة كبيرة إلى حد ما لأنها وردت ضمن أهم المدن المصرية فى زمن أميانوس ماركيللينوس فى القرن الرابع الميلادى [٢٥] .

ثقل عبء الضرائب فى الإقليم المنديسى :

ونأتى الآن إلى تناول مجموعة من الوثائق البردية المتفحمة من الإقليم المنديسى التى تبرز بصورة جلية – على مستوى ذلك الإقليم – الأوضاع السيئة التى مرت بها مصر تحت حكم ماركوس أوريليوس كنتيجة للوضع العسكرى والسياسى المعقد فى الإمبراطورية آنذاك. وعلى ضوء هذه المجموعة من الوثائق سنحاول أن نستكشف ونتقصى أسباب وأعراض التدهور فى الإقليم المنديسى.

إن من أول هذه الأسباب والأعراض هو وطأة وثقل الضرائب . وهناك بعض قوائم الضرائب من ذلك الإقايم توضح فى تفصيل كامل الضرائب والمدفوعات العديدة فى قرى ومراكز الإقليم وقد تم تقسيم هذه الضرائب فى قوائم فى مقدمة وثيقة بردية هامة هى P.Rylands 213 إلى ثلاثة تصنيفات رئيسية هى :

أ – διοικησις   ب – ιερατικα   جـ – ειδη

والتصنيف الأول من بينها ينقسم بدوره إلى أربعة تصنيفات فرعية هى (١) διοικησις ولكن هذه المرة بمعناها الأضيق الذى يتضمن مدفوعات على أراضى الامتلاك الخاص وبعض الأرض العامة، وعلى بعض المعدات مثل معدات معاصر الزيت، وعلى أرباح الحمامات العامة والخاصة وأبراج الحمام ، وضرائب لدفع مرتبات عدد من الموظفين ، ومدفوعات متصلة بالأعباء الإلزامية .

(٢) λιμνιτικα وهى ضرائب كانت تفرض على الأرض المجاورة أو المطلة على البحيرات γη λιμνιτικη ، وقد كانت هذه الفئة إحدى فئات الأرض فى الدلتا .

(٣) و (٤) وهى ضرائب الرأس λαογραφια والجسور χωματικον وكانت تفرض على كافة الأفراد من المصريين فى الريف فوق سن الرابعة عشرة .

أما التصنيف الثانى من تصنيفات الضرائب ιερατικα فقد كان عبارة عن حصة ضرائبية تخصص للقسم الكهنوتى فى الإدارة المالية ويكرس دخلها للمعابد . وكان هذا التصنيف يتضمن ضرائب مثل الضريبة على الكروم απομοιρα ، وضريبة ٥٪ εικοστη ، وضرائب تفرض على الماعز والعجول الصغيرة، وضريبة تسمى ضريبة الثلاث دراخمات

أما التصنيف الثالث ειδη فقد كان فيما يبدو يضم ضرائب مرتبطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بمزارع الحيوانات التى تربى

القطعان من حيوانات صغيرة وليدة وقطعان الخنازير والضريبة على المراعى . كانت هذه هى الضرائب المالية التى تفرض على الأنشطة العديدة فى قرى الإقليم المنديسى .

أما عن الأرض الزراعية فقد كانت تفرض عليها ضرائب مالية عديدة فضلا عن الإيجارات العينية τα σιτικα καθηκοντα التى تحصل من الأرض المزروعة بالحبوب سواء كانت أرضا عامة أو خاصة. وكانت بعض الضرائب النقدية على الأرض الزراعية ضرائب γενησια نظامية وهى ضرائب αλλαγη, χωματικον, ναυβιον وكانت عادة ما تجمع مع بعضها. ومن الضرائب الأخرى التى كانت تفرض على الأرض الزراعية ضريبة تسمى παραναυλον التى كانت تفرض على أراضى البحيرات وعلى قطع الأرض العامة التى كانت تسند الى ملاك الأراضى الخاصة لزراعتها اجباريا مع أرضهم . أما الكروم فكانت تفرض عليها ضرائب عديدة أبرزها :

απομοιρα – φορος αμπελου – εικοστη – οκτα–δραχμος

ويضاف إلى كل هذه الضرائب المذكورة أعلاه بعض المدفوعات الضرائبية الإضافية مثل الضرائب على أجران حصاد المحصول θησαυρικον التى لم يكن معدلها معروفا ، وكذلك المدفوعات الإضافية على الأرض الزراعية προσδιαγραφομενα والتى كانت بنسبة ٦ ٪ من الضريبة الأصلية [٢٦] .

هذا مجرد سرد سريع وموجز للضرائب النقدية فى الإقليم المنديسى. وعلى الرغم من أن معظم هذه الضرائب شائع ومعلوم من مناطق أخرى فى مصر فإن هذا لايعنى أن كل هذه الضرائب كانت أمرا عاديا ومألوفا وإنما تشير الى حقيقة أن النظام الضرائبى الرومانى فى مصر عموما كان ثقيل الوطأة وغير محتمل . ولكن فوق ذلك فإن بعضا من الضرائب الواردة فى الوثائق السالفة الذكر من منديس كانت قاصرة على الإقليم المنديسى دون سواه مثل :

εικοστη – θησαυρικον – λυτρωσις αιγων – παραναυλον – τοκαδεια – φορος αμπελου.

حسب رأى ناشر مجموعة بردى ثمويس [(٢٧)] . ولكن المثير هو أن بعض الضرائب كانت تجبى أحيانا بمعدل أكبر من معدلها المعتاد بصورة متعمدة حتى يمكن لهذه الزيادة أن تعوض أوجه العجز الذى قد يحدث فى ضرائب أخرى . هذه الزيادات فى الضرائب فوق التقدير العادى كانت تجمع وتضاف لأقسام أخرى من الميزانية لتعويض العجز فى جباية الضرائب بصفة عامة [(٢٨)] وتعويض العجز فى ضريبة بعينها مثل الضريبة على الكتان [(٢٩)] . مثل هذا الإجراء الاستثنائى ربما يفصح عن حالة طوارىء اقتصادية ومالية بسبب الحاجة الملحة من جانب الحكومة الرومانية للأموال، وهو ما يتفق تماما مع الأزمة المالية الطاحنة للإمبراطورية تحت حكم ماركوس أوريليوس بسبب المواجهات العسكرية المتلاحقة شرقا وغربا .

هذا الضغط الضرائبى المرهق جعل حتى القادرين والأثرياء نسبيا من بين سكان مراكز الإقليم المنديسى (أو على الأقل من تعتبرهم الإدارة كذلك) لايستطيعون فى بعض الأحيان دفع الضرائب المطلوبة منهم بالكامل. ففى إحدى قوائم الضرائب من الإقليم المنديسى رتبت جغرافيا حسب مراكز الإقليم [٣٠] ومؤرخة على الأرجح بحكم ماركوس أوريليوس نجد كثيرين من الموظفين السابقين [٣١] من بين قاطنى هذه المراكز وقد ترددت أسماؤهم . بعض من هؤلاء الذين وردت اسماءوهم ذكر أنهم قد سددوا ما عليهم بالكامل ، ومن أمثلة هؤلاء مفتش سابق من المركز الهيرموبوليتى سدد ضرائبه التى تبلغ ٢١ دراخمه [٣٢] . ولكن هناك آخرين ممن ذكر أنهم دفعوا جزءا من المستحق عليهم من ضرائب ولكنهم لأزالوا مدينين للخزانة العامة ببقية المستحق . فهناك ستراتيجوس (حاكم إقليم) سابق كان يحكم الإقليم البوبسطى وهو من سكان ثمويس وكان عليه أن يدفع ٨٧١ دراخمه و ١,٥ أوبول كضرائب ، وقد دفع منها وقت كتابة هذه القائمة الضرائبية ٤٢٨ دراخمة و ٤ أبولات وتبقى عليه ٤٤٢ دراخمة و٣ أوبولات [٣٣] أى ما يزيد على نصف المستحق عليه. كما أن هناك شخصين ذكرا معا فى الوثيقة ولابد أنهما كانا من كبار الأثرياء – إذا ما أخذنا فى الاعتبار أملاكهما فى العديد من المراكز والضرائب النقدية والعينية المفروضة عليهما – ورغم ذلك قاما بتسديد ٨٠ دراخمة و ٤,٥ أوبول فقط (على أملاكهما فى المركز الهيرموبوليتى وحده) من إجمالى مقداره ٤٢٦ دراخمة و ٤ أوبولات و ٩٧,٥ قنينة من النبيذ [٣٤] .

فى هذه القائمة الضرائبية فإن النهج المستخدم للإشارة إلى السداد الكامل لمبلغ بعينه هو أن يحدد أولا إجمالى المبلغ المستحق على دافع الضريبة بالدراخمات ثم يلى ذلك عبارة :

« وهو المبلغ المدون (المضاف) عن الحساب من شهر – إلى شهر – عن سنة –

αι (i.e. δραχμαι) προσβ(λη θεισαι) δια λογου ( ) μηνου εως (μηνος) – (ετους) –

أما فى حالة السداد الجزئى لجزء من المبلغ الإجمالى المستحق فكان يذكر هذا الإجمالى المستحق بالدراخمات ثم يعقبه عبارة :

« حُصِّل منه مبلغ – عن حساب شهر – والمتبقى مبلغ – دراخمات ،εξ ων εισπραχθησαν δια λογου ( ) μηνου, λοιπαι δρ. [٣٥]

ولم يكن تدوين المبالغ المسددة كليا أو جزئيا فى هذا السجل يعنى أنها قد حصلت بالفعل وقت إعداد هذا السجل ، وإنما ربما كان هذا دليلا على التوصل إلى اتفاق بين الإدارة المالية وبعض دافعى الضرائب على كيفية السداد – فى وقت قريب – كاملا أو على أقساط للإدارة . ومما يرجح هذا الافتراض أننا نجد فى الوثيقة فى بعض من هذه الحالات ملحوظة كتبت بخط صغير على هامش الوثيقة تفيد بأن المبلغ المذكور فى السطر المقابل قد « تم تحصيله » (ελημ(ματισθησαν [٣٦] – وهذه الملحوظة الهامشية مكتوبة بخط مختلف عن خط الوثيقة مما يفيد

بأن تحصيل المبالغ المنوه عنها قد تم فى وقت لاحق .

نعود إلى هذه القائمة الضرائبية مرة أخرى لنجد عددا كبيرا من دافعى الضرائب الذين ذكروا فى هذه الوثيقة والمبالغ المستحقة عليهم ودون أن ينوه قرين أسم كل منهم مايفيد بالسداد الكلى أو الجزئى لهذه المبالغ، بمعنى أن هؤلاء لم يسددوا – أو حتى يتفقوا مع الإدارة على سداد – أى من المبالغ المستحقة عليهم (٣٧). وهؤلاء يمثلون أغلبية دافعى الضرائب . هذه الأغلبية من الذين لم يسددوا أيا من ديونهم نجدها موزعة على كافة مراكز الإقليم المنديسى باستثناء مركز هيرموبوليس الذى تنتمى اليه معظم الحالات التى قامت بالسداد الجزئى أو الكلى . ومن الصعب تحديد السبب فى وفاء معظم دافعى الضرائب فى هذا المركز تحديدا بديونهم وهل يرجع ذلك إلى شدة وصرامة جباة الضرائب هنـاك أم أن الظروف المحلية هناك كانت أفضل من بقية المراكز .

وهناك فى وثيقة أخرى من الإقليم المنديسى من أواخر القرن الثانى الميلادى (٣٨) ما يفيد ويؤكد بأن نسبة من لايدفعون الضرائب فى قرى الإقليم تفوق كثيرا نسبة من يقومون بسداد المستحق عليهم من ضرائب. هذه الوثيقة هى عبارة عن سجل ضريبى بالضرائب المستحقة على أرض الحدائق بمعناها الأشمل (الحدائق – كرمات الزيتون – كروم العنب والبساتين .. الخ) فى قرى الإقليم المنديسى. وقد قامت الإدارة بتقدير هذه الضرائب والمدفوعات الإضافية عليها -προσδιαγ ραφομενα بواقع ٦ ١/٤ ٪ من الضريبة فى فئات مختلفة حسب

الوضع الاجتماعى - فيما يبدو - لُملاّك هذه الحدائق على النحو الآتى :

١- السكندريون فى الفئة المميزة بضريبة مقدارها ٢,٥ دراخمة عن الأرورة .

٢- سكان أو قاطنو حواضر الإقليم بفئة ضريبة مقدارها ٣ دراخمات عن الأرورة .

٣- بقية السكان ممن لاينتمون الى الفئتين المذكورتين أعلاه ، أى من سكان القرى وغالبيتهم الساحقة من المصريين ، بفئة ضريبية مقدارها من ٨ إلى ١٠ دراخمات عن الأرورة . هذه التقديرات الضريبية ربما كانت على الأرجح متعلقة بأرض الحدائق عن فترة الضريبة المخفضة على هذه الحدائق والبساتين κουφοτελεια وهى تمنح المزارعين حق التمتع بدفع ضريبة مخفضة لمدة ثلاث سنوات (وست سنوات للاسكندريين) وذلك بعد نهاية فترة الإعفاء الضريبى ατελεια الممنوح لمزارعى هذه النوعية من الأرض لمدة خمس سنوات، وهو تقليد بطلمى استمر العمل به تحت الحكم الرومانى . (انظر مقدمة البردية) . وإذا كان هذا هو واقع الحال فعلا فإنه يعنى أنه بعد نهاية فترة « الضريبة المخفضة » سترتفع الشريحة الضريبية المقررة على فئات السكندريين وسكان مدن الإقليم وسكان القرى من المصريين من ملاك هذه الأراضى كل حسب فئته .

إن تقسيم الوثيقة يبين تقسيم الإقليم إلى مراكز وتحت اسم كل

مركز مجموعة القرى التابعة له بغير ترتيب أبجدى. وأمام أسم كل قرية تدون المساحة الإجمالية من أرض الحدائق التابعة لزمامها، وتقسم هذه المساحة الإجمالية إلى قسمين : قسم لم يقم ملاكه بسداد الضريبة المستحقة عن أملاكهم : ων των μη τελουντων , وقسم أخر وهو باقى المساحة الإجمالية دفعت عنه الضرائب λοιπαι τελουσαι وفى القسم الأخير يتم حساب الضرائب والمدفوعات الإضافية حسب الشريحة الضريبية لكل قطعة أرض حسب وضع مالكها. وكقاعدة عامة فى بنود هذا السجل فإن مساحة الأرورات التى لم يدفع عنها ضرائب تفوق مساحة تلك التى دفع عنها [٣٩] . هذا الوضع ربما يلائم ويتناسب مع الأوضاع المتردية من زمن تلك الوثيقة وتناقص أعداد سكان القرى (وهو موضوع سنتناوله لاحقا فى هذا البحث) والكساد الاقتصادى، وهو ما يوحى بأن أولئك الذين لم يدفعوا ماعليهم من مستحقات كانوا فى الأغلب من المصريين الذين لم يكن بمقدورهم تحمل عبء الضرائب الباهظ ومن ثم فربما فروا تاركين أرضهم بوارا .

هذا الرأى المذكور أعلاه يناقض رأى ناشر الوثيقة الذى يفترض أن عدم السداد من جانب دافعى الضرائب فى هذه القائمة أو السجل ربما كان يعزى فى بعض جوانبه إلى أنهم كانوا مازالوا يتمتعون بإعفاء كامل ατελεια من دفع الضريبة لم تنته مدته بعد [٤٠] . ولكن هذا التصور أو الافتراض من جانب ناشر الوثيقة من الصعب الأخذ به للأسباب الآتية :

أ- أنه تصور افتراضى بحت حيث لاتوجد أدنى إشارة فى الوثيقة « للإعفاء الضريبى » . وفوق ذلك فإذا كان كاتب هذا السجل الضريبى قد قصد الإشارة أو التلميح لمثل هذا « الإعفاء الضريبى » لكان التعبير المستخدم فى الإشارة اليه مختلفا عن ذلك الذى جاء فى الوثيقة : إذ كان لابد أن يقول μη τελουσαι فى إشارات الى الأرورات أو الأرض (αρουραι)لأن الإعفاء كان يمنح لملاك هذه النوعية بعينها من الأرض ، أى أن منح الإعفاء كان مرتبطا بنوعية الأرض (أرض الحدائق والبساتين هنا) أكثر من ارتباطها بالمالك . أما أن يستخدم تعبير ων των μη τελουντεν بدلا من التعبير الأول فإنه بذلك يشير الى ملاك لهذه الأراضى لم يسددوا الضريبة المستحقة عن هذه الأرض ، أى إلى أفراد مدينيين متأخرين فى السداد أو ممتنعين عنه لسبب أو لأخر .

ب - إذا كان سكان حواضر الأقاليم والسكندريون بل وحتى الرومان قد ظهروا فى وثائق أخرى (BGU 572 – 74, P.Oxy. 916) وهم يدفعون ضرائب بمعدل ثمانى دراخمات عن الأرورة - وهو ما يبدو أنه المعدل العادى للضريبة بالنسبة لهذه الفئات (بعد نهاية فترة الإعفاء الضريبى ثم الضريبة المخفضة) - فمن الواضح أن وثيقتنا الحالية معنية بأرض الحدائق فى مرحلة الضريبة المخفضة -Κουφοτε λεια كما يتضح من معدلات الضريبة أعلاه . فمعظم حالات سكان مدن الإقليم المنديسى فى هذه الوثيقة يدفعون الضريبة بمعدل ثلاث دراخمات من الأرورة [٤١]،وفى حالتين نجد سكندريين يدفعون هذه

الضريبة بمعدل -٢ دراخمة [٤٢] ، إضافة الى حالات أخرى قليلة من غير هؤلاء وأولئك - ومعظمهم من المصريين ممن لم تحدد هويتهم - يدفعون هذه الضريبة بمعدل ٨ دراخمات [٤٣] عن الأرورة ، وفى حالة واحدة عشر دراخمات [٤٤] . ومما يرجح هذا الافتراض هو أن بعض قطع الأرض قد أضيفت - بخط آخر - إلى نفس هذا السجل وكان معدل الضريبة عنها هو ثلاث دراخمات [٤٥] عن الأرورة. هذه القطع من الأرض لابد أنها كانت من قبل ضمن الأراضى (الحدائق والبساتين) التى كانت تتمتع بإعفاء ضريبى مدته خمس سنوات يبدو أنها انقضت وقت تدوين هذا السجل الخاص بالأرض ذات الضريبة المخفضة وبالتالى انتقلت هذه القطع من الأرض إلى هذا السجل الذى يلائم وضعها الجديد بعد نهاية فترة الإعفاء .

جـ - إن افتراض الناشر بأن حالة عدم سداد المستحقات الضريبية على هذا النطاق الكبير ربما كان يمثل فترة اعفاء ضريبى مرده (مرجعه) القيام بعمليات استصلاح مفترضة لأرض الحدائق فى الإقليم المنديسى قبل وقت قصير من إعداد هذا السجل الضريبى هو افتراض لايتفق - بل يتناقض - مع المناخ السائد فى تلك الفترة والذى كانت أبرز ظواهره الأزمة الاقتصادية وتدهور الأراضى وجفافها وتشققها وهجر سكان قرى الإقليم المنديسى لقراهم فى اعداد كبيرة كما نوهنا من قبل. أما القرينة التى يستند اليها الناشر ليدعم بها افتراضه المذكور وهى وصف رحلة أحد حجاج الأرض المقدسة سيلفيا أكوتيانا [٤٦] وخصوصا الجزء الخاص بالرحلة على ضفاف الفرع البيلوزى للنيل

فإنه يرجع الى القرن الرابع الميلادى أى بعد فترة طويلة من تاريخ وثيقتنا (أواخر القرن الثانى الميلادى) وبالتالى لايصلح للقياس عليه .

د – نظرا لأن معظم الأرض التى دفعت عنها الضرائب فى هذه الوثيقة تخص الأقلية المميزة من السكندريين [٤٧] وسكان حواضر الإقليم المنديسى من مُلاّك أرض الحدائق يصبح من المؤكد تقريبا أن غالبية الأراضى التى لم يدفع عنها ضرائب كانت تخص الغالبية الساحقة من المصريين الذين لم يتمتعوا بامتيازات والذين كانوا يعانون من ظروف لاتطاق وبالتالى لم يكن بوسعهم دفع ما عليهم من مستحقات .

« المدينون للخزانة العامة » و « الأرض البور » وتصرف الإدارة :

إن أولئك الذين لم يدفعوا المستحقات الضريبية عن أراضيهم والمشار اليهم فى الوثيقة بتعبير ων των μη τελουντων لابد أنهم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من اولئك الذين يطلق عليهم « المدينون للخزانة » χρεωσται του ταμειου (φισκου) الذين يرد ذكرهم فى كثير من أعمدة الوثيقة البردية الطويلة من بردى ثمويس (الجزء الأول) [٤٨] وغيرها من الوثائق [٤٩] من تلك الفترة من حكم ماركوس أوريليوس من الإقليم المنديسى . وفى معظم الحالات الواردة فى الوثائق المشار اليها يقترن هؤلاء « المدينون لخزانة الدولة » بأرض زراعية تابعة لهم فقدت خصوبتها وقلت انتاجيتها تدريجيا حتى صارت « بورا χερσος » واعترفت الإدارة رسميا بوضعها على هذا النحو بعد فحص وتدقيق من قبل لجان رسمية. وعليه فإن الضرائب العينية على هذه

الأراضى خصص لها سجل منفصل ، أما الضرائب النقدية (التى خصص لها هذا التقرير الذى أعده الكاتب الملكى للإقليم المنديسى = بردى ثمويس « الجزء الأول ») فقد عُلقّت إلى أجل ما حسب ظروف كل قطعة [٥٠] من هذه الأرض البور . وفى كل حالة من هذه الأحوال كانت تدبج قائمة مفصلة بالضرائب المعلقة على قطع عديدة من الأرض فى منطقة بعينها مع المعلومات المتصلة بكل قطعة أرض من حيث : التصنيف المالى لقطعة الأرض وموقعها ومالكها والشخص المسئول فعليا عن سداد الضرائب (المستأجر أو المستأجر من الباطن) ومساحة كل قطعة .

فى هذه الأمثلة المشار اليها نجد تلازمـا واضحـا بين ظاهـرتى « المدينين للخزانة العامة » و « الأرض .. التى ثبت بالفحص والتحرى أنها صارت بورا εδαφη ... εν χερσω επεσκεφθαι » بمعنى أن إحدى الظاهرتين قد أدت بالضرورة إلى الأخرى . وبالإضافة إلى ذلك فلابد أنه كانت هناك أسباب أخرى نتج عنها أى من الظاهرتين المذكورتين : الدين للخزانة أو بوار الأرض .

لنحاول الآن أن نتقصى الأسباب التى أدت الى ظاهرة « المدينيين للخزانة العامة » . فقد أصبح بعض الأفراد مدينيين للخزانة العامة بصفتهم جباة ضرائب [٥١] أو ضامنين [٥٢] لأفراد وقد أخفق هؤلاء أو أولئك فى تسديد ما تعهدوا به أو أنيط بهم من التزامات . ففى أثناء تلك الفترة المضطربة تحت حكم ماركوس أوريليوس ونهاية القرن الثانى

وأوائل الثالث للميلاد بصفة عامة كان لزاما على من يرغب فى أن يستأجر قطعة من أرض الدولة - حتى وإن كانت منخفضة الانتاجية υπολογος- أن يأتى للإدارة بضامن يضمن وفاءه بالتزاماته ويسددها عنه إن عجز الأول . ويتضح ذلك من قائمة مؤرخة من تلك الفترة يعرض فيها أشخاص متعددون أن يستأجروا قطعا من الأرض ذات الانتاجية المنخفضة فى الإقليم المنديسى سواء كانت هذه الأرض من فئة « الأرض الملكية » أو « أرض المعابد » أو « الأرض الواقعة على البحيرات والترع » . وقد أتى كل واحد من المتقدمين لتأجير الأرض بضامن أو كفيل (٥٣) من أقاربه على الأرجح . إن حالات العجز عن السداد من جانب جباة الضرائب أو الضامنين تكشف فى واقع الأمر عن العجز عن السداد من جانب دافعى الضرائب الفعليين – الذين ربما كان معظمهم من مستأجرى الأرض العامة – وهو ما ورط ضامنيهم وكذلك من يقومون بجباية الضرائب منهم .

أما فى معظم الحالات التى يقترن فيها « مدينو الخزانة العامة » «بالأرض البور » – كما هو الحال فى أعمدة وثيقة بردى ثمويس – لاتذكر الأسباب التى أدت الى مثل هذه الديون صراحة . وقد يستنتج المرء فى مثل هذه الحالات أن هؤلاء الأفراد قد أصبحوا مدينيين للخزانة العامة بسبب ملكيتهم لهذه الأراضى التى تدهورت حالتها وانتاجيتها لسبب أو آخر وعجزوا بالتالى عن دفع الضرائب المقررة عليها وتراكمت سنوات العجز عن السداد فصاروا مدينين مسجلين فى قوائم الإدارة . ويبدو أن بداية عجزهم عن السداد وتراكم ديونهم قد نشأت قبل فترة

طويلة من إرسال الإدارة لجان تفتيش لإثبات « بوار» الأرض ثم اعترافها رسميا بذلك . وبعد الاعتراف الرسمى من جانب الإدار ببوار الأرض Χερσος كانت الديون المرتبطة بها « تعلق » أو «تمنح مهلة» . ففى وثيقتنا الحالية (بردى ثمويس) – وهى سجل بالمتأخرات النقدية عن عاصمة الإقليم وبعض قرى الإقليم المنديسى أعدها الكاتب الملكى للإقليم فى العام الحادى عشر من حكم ماركوس أوريليوس – نجد الكثير من قطع الأرض الزراعية التى بارت خلال الفترة من العام الثانى والعشرين من حكم الامبراطور السابق أنطونينوس بيوس (١٥٨ -١٥٩) حتى العام التاسع من حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦٨ – ١٦٩م) (٥٤) .

معظم قطع الأرض هذه ظلت « بورا » قبل وبعد الاعتراف الرسمى من الإدارة بوضع الأرض على هذا النحو وحتى تدوين سجل المتأخرات من جانب الكاتب الملكى للإقليم عام ١٧٠ / ١٧١ م. وهذا معناه أن بعض هذه القطع من الأرض قد ظل « بورا » لأكثر من عشرة أعوام (٥٥) ، وأنه كان من الصعوبة بمكان إعادة هذه الأرض الى مستوى انتاجيتها المعتاد . وقد استمر هذا البوار أو الجفاف ملازما لتلك القطع من الأرض رغم محاولات الإدارة الحكومية المحلية فى الإقليم بيع أو تأجير تلك القطع – بعد أن أصبحت تحت تصرف الإدارة بعد عجز أصحابها عن السداد – إلى ملاك أو مستأجرين جدد ، وتسوية متأخراتها أو ديونها السابقة من ثمنها أو إيجارها (٥٦) . هذه الجهود الحكومية لبيع أو تأجير تلك الأراضى كانت غالبا ماتفشل ولم تكن

هذه الأرض المعروضة للبيع تجد من يشتريها وكانت تدون فى السجل ضمن الأرض التى لم تباع (εν απρατοις εταγησαν)[٥٧] .

ولم يكن ذلك غريبا فى مثل هذا المناخ العام من تلك الفترة، بل الأكثر من ذلك أن البعض كانوا «يتنازلون» عن أراضيهم للخزانة العامة (εις το δημοσιον) εξεχωρηθησαν τω δημοσιω[٥٨] إذا ما اعتبرنا أن فعل παρχωρεω مرادف لفعل εκχωρεω الذى يعنى «التنازل» كما يرى ناشر الوثيقة[٥٩] ، أما المعنى الحرفى للفعل المذكور فى الوثيقة فهو «يهجر». ربما تم التنازل عن الأرض فى هذه الحالات لخزانة الدولة، أو «هجرها» أصحابها إلى أماكن أخرى فآلت تلقائيا إلى خزانة الدولة .

وهناك قرائن كثيرة تثبت بما لايدع مجالا للشك مدى بؤس وفاقة ملاك ومستأجرى الأرض فى الإقليم المنديسى. من هذه القرائن أن الإدارة المالية فى الاقليم لم تكن تعترف رسميا بأن الأرض اصبحت «بورا» وينبغى تعليق ما عليها من متأخرات ضريبية أو منحها مهلة للسداد إلا إذا تأكدت تماما من أنه لايمكن تحصيل أى دخل على الإطلاق من هذه الأرض[٦٠] ومن أملاك صاحبها المدين[٦١] . بمعنى أن قرار «بوار» الأرض رسميا لم يكن يتخذ من قبل الإدارة قبل التأكد التام من أن مالك الأرض أو مستأجرها لم يكن لديه أية إمكانية لتسديد المتأخرات المستحقة عليه على الإطلاق . ومن القرائن القوية كذلك على حالة الفقر المدقع هو أننا وجدنا حالة واحدة استثنائية وجدت الإدارة فيها مشترى لقطعة أرض صغيرة جدا تقل مساحتها عن الأرورة

الواحدة (حالة واحدة فى وثيقة أو سجل ضخم مكون من ٩٣ عمودا !) والأغرب والأدهى أن يوصف هذا المشترى لهذه القطعة الصغيرة جدا بأنه ثرى أو ميسور ευπορος لمجرد أنه سدد ثمن قطعة أرض مساحتها ٣/٤ أروره [٦٢] . من المنطقى أنه فى الأحوال والظروف العادية لم يكن مثل هذا المشترى ليوصف مطلقا بأنه « ثرى » فى سجل رسمى للإدارة وأن يرد هذا الوصف مجرد مرة واحدة فى مثل هذا السجل الطويل . هذا فى حد ذاته يمكن أن يعد دليلا واضحا على مدى العوز والحاجة بين سكان الإقليم المنديسى تحت حكم ماركوس أوريليوس ويعطى المبرر على عجز المدينين عن السداد والافتقار إلى مشترين أو مستأجرين جدد للأرض البور المهجورة.

هذا الوضع جعل السلطات المحلية فى الإقليم فى حيرة من أمرها فيما يتعلق بالمساحات الكبيرة من الأراضى البور التى أصبحت مسئولة عن أمرها. هذه الورطة التى كان يعانيها الموظفون المحليون من جراء هذا الوضع عبروا عنها فى عبارة أو صياغة كررها الكاتب الملكى على مدى أعمدة وثيقة بردية ثمويس ، هذه العبارة تقول « لم يصلنى قرار واضح بشأنها » [٦٣] .

ουδεν ως περι αυτων κριθεν φανερον μοι εγενε-το مثل هذا القرار الواضح المنتظر كان يظل معلقا أحيانا لأكثر من عشر سنوات كما رأينا أعلاه. هذا القرار المشار إليه هو بلا ريب قرار يصدر من والى مصر فى جلسته القضائية (محكمة الوالى) السنوية -δια

λογισμος التى كانت تنعقد فى عواصم الأقاليم المصرية المختلفة فى الدلتا أو الوادى أو منف فضلا عن الاسكندرية. ويتضح هذا من القياس على قضايا مماثلة مثل ضرائب الرأس على القرى المهجورة من سكانها والتى كان يعلق البت فيها حتى يصدر بشأنها قرار من عظمـــة الوالى [٦٤] –αχρι της του κρατιστου ηγεμονος διαγνω σεως. وهكذا يتضح من القرائن المذكورة أن مشكلة الأرض البور لم تكن مسألة يسيرة المعالجة كما يتجلى من تعليق المستحقات عنها لفترة طويلة ومن بقاءها على حالها دون أن تجد مشترى ودون أن يصدر بشأنها قرار حاسم لمدة طويلة رغم انعقاد المحكمة السنوية للوالى .

من أسباب بوار الأرض الزراعية :

أما عن الأسباب التى كانت تؤدى الى جفاف وبوار الأرض Χερσωσις فى قرى الإقليم المنديسى من تلك الفترة فقلما أو نادرا ما ذكرت صراحة فى وثائق تلك الفترة. فعلى مدى السجل الطويل لبردى ثمويس وحالاته العديدة جدا التى ذكرت فيها مسألة الأرض البور وما عليها من مستحقات نجد حالة واحدة فريدة سأل فيها « المشرف على حسابات الإقليم εγλογιστης » صراحة عن سبب بوار أو جفاف كرمة من كروم العنب وأحال هذا الموضوع إلى لجنة تتقصى الأمر لتكشف عما إذا كان هناك متسبب فى هذا البوار ، إى إن كان بفعل فاعل . وتم التفتيش على هذه الكرمة بعد عام وأثبت الفحص والتحرى من جانب كاتب القرية التى بها الكرمة أن الكرمة المذكورة قد جفت

وبارت لأول مرة قبل عامين (عام ١٥٩ / ١٦٠) بسبب قدمها أو عمرها الطويل παλαιωσις ، وهو سبب سبق أن دونه المفتشـــون فى سجلات ذلك العام [٦٥] .

من ملابسات هذه الحالة يمكن أن نستنتج أن أسباب بوار أو جفاف الأرض كانت تبلغ لكبار الموظفين الماليين فى الإقليم ويدونه المفتشون على الأرض فى سجلاتهم. ولكن يبدو أن السبب فى هذه المرة بدا غير مقنع لمدير حسابات الإقليم الذى لم يقتنع بأن طول عمر الكرمة هو سبب جفافها وظن – أو بالأحرى شك – أن الأمر قد تم بصورة متعمدة وبفعل فاعل ει παρ'αιτιαν τινος εχερσωθη ليتهرب الفاعل من دفع الضرائب عن الكرمة. إن معنى الشك الذى ساور هذا الموظف المالى الكبير حول السبب الذى سيق عن جفاف الكرمة فى هذه الحالة (طول عمرها) يوحى بأن هذا التبرير لم يكن من التبريرات الشائعة أو المألوفة فى مثل هذه الحالات . إن من أكثر الأسباب والتبريرات التى تذكر فى حالة جفاف الأرض – كما يتبين من الوثائق – هو نقص مياه الرى وبالتالى عدم تمكن المزارع من رى الأرض وما يترتب على ذلك من عدم استطاعه هذا المالك أو الأجير دفع ما عليه من مستحقات مما يؤدى الى تراكم الديون ومصادرة الإدارة للأرضγη αναληµπτος [٦٦] أو تنازل المزارع عن هذه الأرض للخزانة العامة [٦٧] كما أسلفنا ، أو لديوان الإيديولوجوس (المشرف على الأملاك الخاصة) . هذه المصـــادرة أو التنازل للأراضى التى لم تروγη αβροχος وعدم افلاح الإدارة فى إيجاد مشترين جدد لها – فى

أغلب الأحوال كما رأينا - يؤدى الى إهمال هذه الأرض التى لايهتم بأمرها أحد ، وهو ما يزيدها جفافا وتشققا ويتكرس وضعها الجديد ويترسخ لتصبح رسميا وباعتراف الإدارة أرضا بور χερσος .

نعود الآن إلى الحديث وإلقاء المزيد من الضوء على السبب الرئيسى لبوار الأرض وجفافها وهو نقص مياه الرى التى يأتى بها الفيضان فى بعض الأحيان أو عدم وصولها إلى بعض المناطق . هذا الوضع ينتج عنه عدم رى بعض الأراضى αβροχος ، وأن تروى قطع أخرى من الأرض ريا صناعيا επηντλημενη γη بشفط الماء من باطن الأرض . (وهو موضوع جدلى اختلفت حوله الأراء وسوف نفرد له مبحثا مستقلا يعالج بصورة تفصيلية هذه الأراء ورأى المؤلف منها) .

إن جفاف وبوار بعض قطع ومساحات من الأرض الزراعية نتيجة نقص مياه الرى لم يكن أمرا يحدث فجأة أو بين عشية وضحاها وإنما كانت له مراحلة التدريجية. فعندما لايكون بالإمكان رى قطعة من الأرض مطلقا فى سنة ما فإنها تصبح « غير مروية » αβροχος وعندما يلجأ صاحبها أو مزارعها إلى ريها صناعيا بالمياه الجوفية - وهو ما يكلف جهدا ومالا - تصبح « مروية صناعيا » επηντλημενη . فى هذه الحالات كان ملاك أو مستأجرو هذه الأرض يتقدمون ببلاغات عن وضع أرضهم الى الموظفين المعنيين لكى يحصل هؤلاء الملاك والمستأجرون على إعفاء أو تخفيض للمستحقات التى عليهم دفعها عن

هذه الأراضى كما جرت العادة وحسب القرار الذى أصدره الإمبراطور هادريان [٦٨] فى هذا الشأن . ولدينا سجل أو قائمة وفيرة المعلومات عن هذه البلاغات عن الأرض « غير المروية » أو « المروية صناعيا » أعدها كاتب قرية من قرى الإقليم المنديسى [٦٩] وتؤرخ هذه القائمة أو السجل بعصر ماركوس أوريليوس تقريبا . هذه القائمة تضمنت مسحا موجزا لقطع الأرض فى تلك القرية والتى أوضح أصحابها فى بلاغاتهم الشخصية أن أرضهم « غير مروية » أو « مروية صناعيا » ، ومع هذه البيانات المستقاة من بلاغات المزارعين تضمنت القائمة نتائج لجنة التفتيش المخولة بالتحقق من صحة هذه الإقرارات . هذه القائمة احتوت على معلومات ضرورية عن كل قطعة من قطع الأرض التى وردت بشأنها مثل هذه البلاغات وتفقدتها لجان التفتيش επισκεψις، وهكذا فإن هذه القائمة غطت كافة هذه القطع من الأرض على مستوى القرية بما يغطى طبوغرافية تلك القرية .

هذه المعلومات الضرورية المشار اليهـا فى هذه القائمة احتوت على :

أ- تحديد تصنيف قطعة الأرض وكانت كل القطع فى الوثيقة تقريبا من أرض الحبوب σιτικης أى من ذات الانتاجية العالية أو المعقولة .

ب - اسم الشخص المسئول عن زراعة تلك القطعة وعن دفع المستحقات للخزانة الحكومية .

جـ - دافع تقديم الطلب أو الإقرار وما إذا كان « عدم رى الأرض » أو « الرى الصناعى للأرض » .

(د) مساحة قطعة الأرض موضوع الإقرار (مضافا إليها فى بعض الأحيان بعض من أرض الدولة ذات الانتاجية الضعيفة والتى كانت تفرض زراعة مساحات صغيرة منها على بعض ملاك الأرض الخاصة، وكان يطلق على هذه الأرض العامة فى وثيقتنا الحالية مسمى χαλασμα).

هـ - رقم البلاغ الأصلى الذى أخذت عنه هذه المعلومات فى مسلسل المجلد (الدوسيه) الذى يضم هذه الإقرارات وقد تم لصق كل منها κολλημα بما يليه فى نظام مرقم ومسلسل يشكل فى نهاية الأمر مجلدا τομος متكاملا [٧٠] . وفى نهاية كل حالة من هذه الحالات المدونة فى هذا السجل كان يضاف بخط ثان أسم مالك قطعة الأرض المعنية التى لم تصلها مياه الرى أو مستأجرها الأصلى (إذا كانت قطعة الأرض مؤجرة أو مؤجرة من الباطن) إذ أن اسم الشخص المذكور فى بداية كل حالة هو اسم الشخص المسئول مباشرة عن دفع المستحقات للإدارة أى المنتفع الفعلى ، والذى كان يؤدى كذلك جزءا من انتاج الأرض للمالك أو المستأجر الاصلى الذى يذكر لاحقا ويضاف اسمه بخط ثان كما أسلفنا. أما إذا لم تكن الأرض مؤجرة من المالك لشخص أخر أو من المستأجر لمستأجر آخر من الباطن، أى كان المالك أو المستأجر الأصلى لقطعة الأرض هو الذى يتولى زراعتها بنفسه

فكان ينوه عن ذلك ويضاف بخط ثان أن (زراعة الأرض وتقديم الإقرار عن حالتها وعدم وصول مياه الرى اليها قد تم) من قبل نفس الشخص (أو نفس السيـدة) [٧١] (υπο του α(υτου) – της α(υτης)، وتعنى هذه الإضافة بطبيعة الحال نفس الأسم المذكور أعلاه فى أول الحالة. كما كان يضاف بخط آخر (ثالث) الزمام أو التقسيم الذى تنتمى إليه قطعة الأرض المعنية فى كل حالة، إذ كانت الأرض الزراعية لكل قرية مقسمة إلى مجموعة تقاسيم أو زمامات مرقمة بأرقام معروفة للإدارة لتيسير عمليات حسابات المستحقات وتحديد موقع كل قطعة أرض بلا عناء ، ويطلق على الزمام فى هذه الوثيقة اصطلاحيا مصطلح κοιτη، ويطلق عليه فى وثيقة أخرى مماثلة فى طبيعتها (P. Brux - ëlles I) مصطلح σφραγις . والتعبير المستخدم فى هذه الوثيقة هو أن قطعة الأرض المعنية تتبع الزمام رقم – حسب المسح الدقيق [٧٢] (ευθ – υμετριας) κοι(της) α,β... ، ويتكرر هذا التعبير على مدى الوثيقة. وكانت اللجنة تنتهى أولا من مسح كافة القطع التابعة لزمام بعينه أولا ثم ننتقل لمسح زمام آخر كما يتضح من محتويات الوثيقة (من سطر ١٨ إلى سطر ١٩١ من الوثيقة قطع الزمام الأول ، ومن ١٩٤ – ٢٢٥ قطع الزمام الثانى ، ٢٢٦ – ٢٤٢ قطع الزمام الثالث ، ثم نجد فجوات فى البردية نجد بعدها قطعا من الأرض تابعة للزمام الثامن ٢٤٨ – ٢٥٢ ، والتاسع ٢٥٧ – ٢٧٦ ، والحادى عشر ٢٨٠ – ٣١٧ .. الخ).

معنى ذلك كله أن اللجنة المختصة بالمسح والتفتيش للتحقق من مزاعم الفلاحين بعدم وصول مياه الرى لبعض قطع الأرض ، كانت تحمل معها سجلا به البيانات الأساسية الخاصة بكل قطعة أرض وفى نهاية كل فقرة عن كل قطعة أرض كان يترك فراغ تدون فيه اللجنة اسم مالك القطعة أو المستأجر الأصلى لها وتحدد الزمام الذى تتبعه كل قطعة بالقياس الدقيق والحديث . هذه الإضافات من جانت لجنة المسح والتفتيش تتضح من الخط المختلف الذى دونت به هذه البيانات .

نعود الآن إلى العملية الفنية التى تقوم بها لجنة التفتيش للبحث والتحقق من مدى صحة مزاعم الفلاحين حول عدم وصول مياه الرى إلى أراضيهم. لقد كان كل زمام κοιτη يضم بطبيعة الحال عددا كبيرا من الحقول (الملكيات) التى قدم أصحابها أو مستأجروها تقارير عن عدم ريها، وكان أعضاء اللجنة يمرون بهذه الحقول فى كل زمام كما هى مدونة فى سجلاتهم ويفتشون عليها حتى ينتهوا من كل زمام على حدة فينتقلون للزمام الذى يليه، ويسجلون فى نهاية الأمر نتيجة عملية التفتيش ومساحة الأرض التى ثبت من خلال التفتيش عدم ريها ومساحة القطع التى رأت اللجنة أنها قد أرتوت من فيضان النيل. ولما كان بعض الملاك أو المستأجرين لهم حيازات أرض عديدة فى أكثر من زمام فقد كان يشار إلى هذه الحيازات المختلفة فى الزمامات العديدة برقم واحد متكرر وهو رقم البلاغ الذى رفعه للسلطات وعدد فيه حيازاته العديدة من الأرض التى لم تصلها مياه الفيضان . وكما سبق أن نوهنا، فإن هذا البلاغ كان يودع فى دار السجلات المختص بهذا الغرض

وتجمع هذه البلاغات ، وكان يطلق على كل بلاغ من هذه البلاغات مصطلح κολλημα ويأخذ رقما فى هذا الدفتر الذى يطلق عليه τo- μoς . معنى ذلك أن التقارير عن الأراضى (الحيازات) التى لم تصلها مياه الفيضان αβροχος وتلك التى رويت صناعيا επηντλημενη كانت تقدم للإدارة من قبل الملاك أو المستأجرين الأصليين سواء زرعوها هم أو زرعها آخرون. وكان بعض هؤلاء الملاك من المزارعين الكبار - الذين كانوا يشكلون استثناء للقاعدة من المزارعين الفقراء، وكان معظم هؤلاء المزارعين الكبار يحملون أسماء يونانية أو رومانية مثل فيلوكسينوس وكاليماخوس وسبتميوس - وكانوا يقدمون تقاريرهم عن حيازاتهم التى لايصلها الفيضان ويتضمن التقرير الواحد منها ١٣ وأحيانا ١٦ وأحيانا ١٩ حيازة موزعة على زمامات مختلفة [٧٣] .

ولكن أهم ما فى هذا الموضوع - من الناحية العملية - أن نتائج لجنة التفتيش المخولة بالتحقيق من مدى صحة ماتقدم من تقارير عن عدم وصول مياه الرى لم تكن تقر وتعترف إلا بأن جزءا يسيرا فقط من الأراضى أو الحيازات التى زعم أصحابها عدم ريها لم ترو بالفعل . وبذلك فإن الأرض التى اعترفت الإدارة رسميا بأنها غير مروية αβ- ροχος γη كان يمثل القدر اليسير مما ورد فى تقارير الملاك والمزارعين أما النسبة الأكبر من هذه الأراضى فقد كان أعضاء اللجنة ينفون ما ذكره الملاك والمزارعون ما ورد بشأنها فى تقاريرهم ويقولون أنها قد «ارتوت من مياه النيل (αι λ(οιπαι) νειλ(οβροχου) [٧٤]. وهكذا

كان على الملاك أو المزارعين أن يدفعوا كامل المستحقات على الأرض التى ذكروا أنها لم تصلها مياه الفيضان - سواء كانت قد رويت بالفعل أم لا - مادام تقرير لجنة التفتيش قد أعلن - بالحق أو بالباطل - أنها قد رويت.

وقد أفردنا بحثا منفصلا لمعالجة هذه الإشكالية توصلنا فيه - إن صح استنتاجنا - الى إن تقارير لجان التفتيش هى التى كانت تميل الى التعسف مع الملاك والمزراعين و « المبالغة » الشديدة فى التقليل من مصداقية ماورد بتقاريرهم خدمة للمصالح المالية للإدارة والحكومة الرومانية وبإيعاز - إن لم يكن بضغط - منها. (أنظر الحاشية رقم ٦٧). هذا الوضع - إن صح رأينا - كان يلقى بعبء إضافى وباهظ على كاهل المزارعين ويزيد من نسبة « المدينين للخزانة العامة » ويؤدى - فى حالة تكراره - إلى « بوار الأرض وجفافها » ضمن عوامل أخرى.

ولكن هناك قضية أخرى فى هذا السياق عن « الأرض غير المروية» تلفت الانتباه وتثير العجب فى الإقليم المنديسى خصوصا، إذ كيف يمكن أن تكون هناك مساحات كبيرة من أرض هذا الإقليم - الذى تحيط به فروع النيل من جوانب عديدة كما رأينا - لاتصلها مياه الفيضان ؟! بل والأعجب أنه قد ذكر فى عدد من المواضع التى وردت فى مثل هذه التقارير عن الأرض « غير المروية » أو « المروية صناعيا » أنها تقع فى معظمها بين الجسور وقنوات الرى » [٧٥] أى على مقربة من

مصادر المياه ! . إذا كان الأمر كذلك فلابد أنه كانت هناك أسباب أدت الى عدم إمكان رى هذه الأراضى رغم تمتعها بهذه المميزات الطبيعية من حيث موقعها المميز القريب من مصادر المياه .

لابد أنه كان من بين هذه الأسباب الظرف الاستثنائى فى مثل هذه الحالات وهو انخفاض منسوب مياه الفيضان فى سنوات معينة، وهو ظرف يسرى على معظم الأراضى . أما عن الأراضى ذات الموقع المميز القريب من قنوات الرى والجسور ومع ذلك لم تصلها مياه الرى أو رويت صناعيا فربما كان إهمال صيانة ومتابعة قنوات الرى التى كانت تحمل المياه من فروع النيل إلى الحقول . هذا الأمر يتناسب ويتفق تماما مع ظروف الأزمة الاقتصادية فى مصر تحت حكم ماركوس أوريليوس وما لها من أعراض مثل تدهور الأرض وجفافها وفداحة الضرائب وفرار أعداد كبيرة من القرويين لاسيما فى الإقليم المنديسى وقراه (كما سنرى بعد قليل) . ومما يؤيد مقولة أن إهمال الجسور والقنوات كان مسئولا عن عدم وصول مياه الرى إلى الحقول أن الأرض فى عدد كبير من حالات وثيقتنا كانت من الأرض « المروية صناعيا »[٧٦] وليست « غير المروية » تماما . هذا الرى الصناعى ربما كان يتم من خلال شفط المياه من باطن الأرض بالطلمبات أو من خلال تطهير الترع والقنوات المسدودة ، وكل ذلك على حساب المزارع وعلى نفقته الخاصة وهو ما يكلف جهدا ومالا مما يستوجب خفض قيمة المستحقات على الأرض المطلوبة منه من قبل الإدارة .

فرار القرويين وهجر القرى :

ومن الأعراض أو الظواهر المهمة والخطيرة على مدى تفاقم الأزمة الاقتصادية فى مصر – والإقليم المنديسى كشريحة من المجتمع المصرى وحالة دراسية لهذا البحث – فرار القرويين من قراهم بل وهجر الكثير من القرى هجرا كاملا خلال فترة الأعوام العشرة الممتدة بين أواخر حكم أنطونينوس بيـوس وأوائل حكم مـاركـوس أوريليـوس (١٥٩ – ١٦٩م) إن دراسة هذه الظاهرة تنقسم الى جانبين : الأول هو دراسة حجم الظاهرة ومدى خطورتها . والثانى الدوافع المؤدية اليها . وهناك العـديد من وثائق تلك الفـتـرة تكشف بوضـوح عن هذه الظـــاهرة بجانبيها [٧٧] .

إن حجم ظاهرة الفرار ومدى خطورتها يتضح بجلاء تام من خلال التقارير العديدة التى سجلها عدد من كتاب القرى فى الإقليم المنديسى حيث ورد بها أن ما يزيد على عشرين [٧٨] قرية قد هجرها سكانها تماما ولم يعد بها أحد والإصطلاحات المستخدمة هى –τελεον εγλελοι παι – ολερημος [٧٩] وكذلك فإن هناك « قرى كانت من قبل مأهولة بالرجال وتناقص عددهم الآن تناقصا حادا–τας κωμας πα-λαι πολυανδρους ουσας νυν εις ολιγους ολως περι–εστασθαι [٨٠].

وفى وثائق أخرى من هذا النوع نجد فيها لغة الأرقام الدقيقة التى لاتكذب ونستعير بعضا من الأرقام الواردة فيها لإجلاء الصورة :

ففى أحد هذه التقارير من قرية تدعى « نيميو » كان عدد دافعى الضرائب من قبل ١٥٠ (مائة وخمسون رجـــلا) تنـــاقص ليصبح (وقت كتابة التقرير) ٤٥ رجلا فر منهم ٣٤ ليتبقى فى القرية عام ١٦٨ / ١٦٩ من دافعى الضرائب إحدى عشر رجلا فقط (العمود رقم ٧٠ من الوثيقة « بردى ثمويس » الأسطر ١٤ - ٢١). وفى أربع قرى تابعة لمركز خياستيتيس كانت هذه القرى آهله بالسكان (دون تحديد بالأعداد فى الوثيقــة) فتناقصوا تدريجيا ليصــبح عــددهــم ١٤ (أربع عشرة) رجلا وقت كتابة التقرير عام ١٦٦ / ١٦٧ فر عشرة منهم ولم يتبق سوى أربعة رجال (عـمـود ١٢٤ من بردية ثـمـويس ، الأسطر ٩ - ٢١) . وفى حالات أخرى استمر عدد الرجال فى التناقص فى مرحلة من هذه الفترة المضطربة حتى لم يعد متبقيا فى بعض القرى ولا رجل واحـد أى صـارت مـهـجـورة ερημος أو مـهـجـورة كليـة ολερημος "٨١" . (لاندرى إن كـان للإصطلاحين نفس الدلالة أم أن الإصطلاح الأخير كان يعنى أن القرية فى تلك الحالة هجرت تماما ليس من قبل دافعى الضرائب من الرجال والشباب فقط ، بل هجرها كل سكانها عن بكرة أبيهم حتى النساء والأطفال).

أما عن دوافع هذا الفرار وهجر القرى كليا أو جزئيا فمما لاشك فيه أن ثقل وطأة الضرائب وتدهور وجفاف الأرض كانا من الأسباب الرئيسية وراء هذه الظاهرة. ولما كانت هذه الأسباب معروفة جيدا وواضحة بجلاء للإدارة - كما أوردنا وناقشنا أعلاه فى هذا المبحث - فإنها كانت تذكر ضمنا فى سياق تقارير رجال الإدارة عن تناقص

سكان القرى وهجرانها . وهكذا فإن فرار « المدينين للخزانة العامة » نتيجة عدم قدرتهم على سداد مستحقاتهم قد أدى إلى ثقل وطأة وعبء الضرائب أكثر فأكثر على الأقلية المتبقية التى كان يفرض عليها دفع نصيب من فروا . ونتيجة لهذا الوضع المتأزم والعبء الإضافى فإن هذه القلة المتبقية لم تستطع الوفاء بالأعباء المالية (٨٢) الإضافية و «أرهقت اقتصاديا » εξασθενησαντες مما دفعها - بدورها - إلى الفرار (ανακεχω(ρηκεναι. (٨٣) وقد كان غرض كتبة القرى.من تقديم هذه التقارير عن تناقص اعداد دافعى الضرائب من سكان القرى وهجر بعض هذه القرى هو إخطار سلطات الإقليم أن تحصيل الضرائب (وخصوصا ضرائب الرأس وما يتعلق بها والتى كان ينفق من حصيلتها على إعاشة ودفع مخصصات موظفى القرى والمراكز) أصبح أمرا عسيرا جدا ومستحيلا أحيانا . وعليه فقد بات من الضرورى - من وجهة نظر كتبة القرى أنفسهم - تخفيض هذه الضرائب والمدفوعات عن طريق وضع المدفوعات المستحقة على الفارين فى حساب جانبى وتعليقها حتى يصدر قرار من الوالى بشأنها وأن تحصل فقط المستحقات على من تبقى من سكان هذه القرى إن كان هناك من تبقى (٨٤) .

هذه القرارات من الوالى لوضع حلول لبعض المشكلات الطارئة فى شئون الحياة فى مصر - على غرار ما ذكرنا من قرارات كانت تصدر حول المدفوعات الخاصة بالمدينين لخزانة الدولة والأرض الجافة - كان ينتظرها الموظفون المحليون ليعملوا بموجبها وعلى ضوئها . كما كان كتاب القرى يتخذون من القرارات السابقة الصادرة من الولاة فى

أمر من الأمور بمثابة سابقة يحتذى بها ويذكرون بها الوالى الجديد. ففى عام ١٥٩ / ١٦٠ على سبيل المثال فر معظم سكان مجموعة من قرى الإقليم المنديسى ولم يتبق فى هذه القرى غير رجلين اثنين . وعليه أصدر الوالى أنيوس سيرياكوس فى مجلسه القضائى بالإقليم المنديسى عام ١٦٢ / ١٦٣ قرارا بأن تعلق مستحقات الفارين إلى حين عودتهم إلى قراهم وأن يدفع من بقى من سكان القرى المبالغ المستحقة عليهم فقط. (٨٥) هذا القرار من جانب الوالى سيرياكوس استشهد به كتبة قرى آخرون فى مناسبتين لاحقتين عامى ١٦٧/٦٦ و ١٦٩/٦٨ (عمود ١٢٥ الأسطر ١-٧ وعمود ٧١ الأسطر ١-٥ من بردى ثمويس). ونفس هذا الوالى أصدر قرارا بالإسقاط الكلى للديون عن بعض القرى التى هجرها سكانها كلية واستشهد بقراره هذا كتبة قرى آخرون هجرت قراهم تماما ١٦٧/٦٦ (٨٦) . وفى عام ٦٨ /١٦٩ أصدر الوالى باسايوس روفوس قرارا مماثلا لصالح العديد من القرى المهجورة (٨٧).

دور الإقليم المنديسى فى ثورة الرعاة :

أما عن الدوافع الأخرى وراء الفرار من قرى الإقليم المنديسى بخلاف الأسباب المالية والاقتصادية المذكورة أعلاه فإننا نجد فى الوثائق أسبابا أخرى من بينها انعدام الأمن والاضطرابات والأوبئة. ففى بعض فقرات « بردى ثمويس » نجد بعض القرى وقد هوجمت وأحرقت على يد جماعة من الناس يطلق عليهم فى هذه الفقرات « النيكوخيون

الأشرار » οι ανοσιοι Νεικωχειται) وذلك فى عامى ١٦٨/٦٧ و ١٦٩/٦٨ . وقد قتل فى هذه الهجمات أعداد كبيرة من القرويين وبلغ الأمر درجة عالية من الخطورة دعت إلى إخطار الوالى فى ذلك الحين بأمر هذا التهديد [٨٨]. ولما كان اسم «نيكوخيس Νικωχις » قد ورد عند أخيليوس تاتيوس (8 -7 ,12 ,4) كمقر للمصريين من البقوليين الذين تمردوا على السلطات الرومانية وأحرجوها حرجا بالغا يصبح من شبه المؤكد أن « النيكوخيين » أى « أهل نيكوخيس » كانوا أول من بادر بالعصيان على الإدارة الرومانية فى أحراش شرق الدلتا ، ربما كنتيجة للأوضاع البائسة التى كان يعانيها بقية المصريين .

ولكن إذا كان الأمر فعلا على هذا النحو فكيف يمكن تفسير قيام الثوار المصريين ضد السلطات « الرومانية » بمهاجمة وإحراق وتدمير قرى مصرية وقتل رفاقهم وبنى جلدتهم من القرويين المصريين ؟ وكيف يتسنى لكتبة هذه القرى – وهم من المصريين – وصف هؤلاء الثوار بأنهم الأشرار أو الملاعين ανοσιοι ؟ . وللإجابة على التساؤل الثانى فمن الطبيعى أن يتحدث كتبة القرى – وإن كانوا من المصريين – عن الثوار بهذه اللغة لأن هؤلاء الكتبة كانوا يمثلون الإدارة الحاكمة الرومانية ويرفعون تقاريرهم « الرسمية » إليها، وربما كانوا فى دخيلة أنفسهم متعاطفين مع هؤلاء الثوار. أما فى محاولة الرد على التساؤل الأول فقد يميل الظن إلى أن نواة الثوار من أهل «نيكوخيس ». ممن بدأوا العصيان على الرومان قد بدأوا يستميلون شيئا فشيئا أنصارا ومؤيدين لهم من المناطق المجاورة لهم فى شمال شرق الدلتا قرب مناطق

الفرع البقولى للنيل إلى الغرب من الفرع المنديسى (كما ورد عند هيرودوت فى بداية هذا المبحث) أى من قرى الإقليم المنديسى . ولكن يبدو أن بعض أهالى قرى الإقليم المنديسى لم يبدوا حماسا للثورة والعصيان ضد الرومان أو آثروا السلامة ولم يؤيدوا المتمردين من أهل نيكوخيس أو ينضموا إليهم، فما كان من الأخيرين الا أن هاجموهم وقتلوا أعدادا منهم وأحرقوا قراهم – كما رأينا – انتقاما منهم وتخويفا لغيرهم من المتقاعسين عن الثورة .

ومن جانب أخر يبدو أن أولئك الذين فروا من قراهم – أو جانبا منهم على الأقل – قد انضموا إلى الثوار البقوليين (معنى الكلمة هو رعاة الأبقار βουκολοι ، ولذلك يطلق على ثورة هؤلاء الفلاحين المصريين فى الدلتا أحيانا « ثورة الرعاة »). إذ يخبرنا ديوكاسيوس فى سياق حديثه عن هذه الثورة – أن هؤلاء البقوليين (الرعاة) قد بدأوا الاضطرابات والقلاقل – تحت زعامة كاهن يدعى إيزيدرورس – فى مصر السفلى وجعلوا بقية المصريين يثورون [٨٩] . ومن خلال بعض القرائن فى بردية ثمويس المطولة يبدو أن بعض قرى الإقليم المنديسى قد انضمت إلى صفوف الثوار الرعاة وصارت مصدرا للقلاقل والفوضى ταραχος عام ٦٧ / ١٦٨ مما أدى الى التدخل من جانب القوات الرومانية) التى قامت بمذبحة كبرى بين السكان مما أدى الى هجر (كامل لبعض القرى [٩٠] . ربما كانت هذه الحوادث – سواء ضد المناوئين لثورة الرعاة أو ضد أنصارها ومؤيديها– تمثل بدايات ثورة الرعاة (البقوليين) الشهيرة ضد الرومان فى الدلتا والتى اندلعت خلال عامى

٧١ / ١٧٢م [٩١] . ولكن يبدو أنه بحلول العام التالى ٧٢ / ١٧٣ قمعت هذه الثورة أو بدأ -على الأقل - قمعها وإخمادها على يد أفيديوس كاسيوس الذى « خطط ودبر لكى يبدد شملهم المجتمع ويبذر بذور الفرقة بينهم .. وهكذا حين سقطوا فى هاوية التناحر فيما بينهم أخضعهم ودحرهم » [٩٢] .

ومن بين القرائن البردية التى قد تدعم إخماد ثورة الرعاة فى ذلك التوقيت (٧٢ / ١٧٣) أن والى مصر فى ذلك التاريخ كالفيسيوس ستاتيانوس أصدر فى ذلك العام مرسوما بأن يقوم المشرفون الماليون فى الأقاليم (الإيكلوجيستاى) باستعادة بعض من المبالغ المستحقة على بعض القرى التى تسببت فى الاضطرابات (القرى المشار اليها فى حاشية رقم ٨٩ أعلاه)- وهى المستحقات التى كانت معلقة لمهلة من الوقت منذ عام ٦٧ /١٦٨ - ويضيفوا هذه المبالغ إلى قوائم الضرائب [٩٣] . هذا القرار يدل على العودة التدريجية لسكان هذه القرى إليها وبداية إعادة إعمارها بعد إخماد ثورة الرعاة والقضاء عليها .

ونعود مرة أخرى للحديث عن ثورة الرعاة أو البقوليين فى الدلتا - وهى الثورة التى شاركت فى أحداثها قرى عديدة من الإقليم المنديسى - لنتوقف بعض الشيء عند مقالة طويلة عن هذه الثورة كتبها جاك شفارتز فى سياق حديثه عن مصر تحت حكم ماركوس أوريليوس [٩٤] . وما استوقفنى فى هذه المقالة هو أن بعض الآراء التى أبداها شفارتز فى هذا الصدد بدت لى غير مقنعة تماما أو مناقضة للقرائن البردية لاسيما

بردية ثمويس المطولة المنشورة بعد مقالة شفارتز بأكثر من عشرين عاما، وسوف أحاول معالجة هذه الآراء فيما تبقى من هذا المبحث .

كان من بين الأسباب التى ساهمت فى خلو بعض قرى الإقليم المنديسى من سكانها - إضافة إلى الأسباب المشار اليها أعلاه - وباء أشير اليه فى إحدى فقرات بردية ثمويس عند الحديث عن هجمات أهل نيكوخيس المدمرة. ذكر فى هذه الفقرة على لسان كاتب إحدى قرى الإقليم أن معظم سكان قريته قد « لقوا حتفهم على أيدى النيكوكيون الأشرار الذين اندفعوا الى القرية وأضرموا فيها النيران » (الحاشية رقم ٨٧ أعلاه) فى حين توفى آخرون من جراء حالة الوباء (٩٥)- :

και αλλους τω λοιμικω καταστηματι τετελ-

(ευτηκεναι)

« أما من تبقوا - وهم أقل القليل - فقد فروا » .

إن استخدام عبارة من جراء « حالة الوباء » أو « الحالة الوبائية » τω λοιμικω καταστηματι يدل على حالة وبائية مستقرة وربما متفشية كما يفهم من معانى فعل καθισταμαι فى القاموس (الذى اشتقت منه كلمة καταστημα) الذى يعنى من بين معانيه (يوجد - يستقر - ينتشر - يسود) . هذا الفهم يرجح أن هذه الحالة الوبائية المشار اليها هنا ربما كانت جزءا من مسلسل الوباء الكبير الذى تفشى فى أرجاء الإمبراطورية الرومانية منذ عام ١٦٥ والذى حملته معها

القوات الرومانية العائدة من الحملات البارثية [٩٦] التى نوهنا عنها فى بداية مقالتنا . وإذا ما صح هذا التصور الذى نطرحه - بالإضافة إلى تصور ناشر بردية ثمويس من أن استخدام أداة التعريف فى الحديث عن « الوباء » يشير الى ذلك الوباء المعروف المشهود انذاك - فإنه يتناقض مع ما ذكره جاك شفارتز فى هذا الصدد من أن « هذا الوباء قد مر بمصر مر الكرام وأنها (مصر) سرعان ما تمكنت من التعافى من جروحها » [٩٧] .

ومن بين الأراء غير المقنعة لشفارتز فى هذا المقال ما يلى :

أ- أن بدايات التضخم فى عصر ماركوس أوريليوس لم تزعج جموع المصريين الذين كانوا معتادين على نظام المقايضة [٩٨] . قد يكون هذا الأمر صحيحا الى حد ما ، ولكن لاينبغى أن نتجاهل أن الفلاحين المصريين كانوا بحاجة الى كميات غير يسيرة من النقود لتسديد ماعليهم من ضرائب ومستحقات للإدارة على أهون الفروض . ولابد أن هذا التضخم النقدى قد رفع معدل الضرائب النقدية وبالتالى لابد أنه أزعج المزارعين المصريين كما ثبت لنا من خلال قرائن هذا البحث عن مزارعى الإقليم المنديسى . كما أن شيوع نظام المقايضة فى المعاملات بين القرويين المصريين لابد أنه زاد مسألة دفع الضرائب النقدية تعقيدا لقلة النقود بين أيديهم .

ب - قول شفارتز بأنه لاتوجد أية وثيقة هامة تفيد بتدهور ملحوظ فى حياة الريفيين من خلال الفيضان المنخفض أو الإهمال فى صيانة

القنوات . ومن هنا فإنه يخلص إلى عدم وجود أسباب مادية قاطعة للتعبير عن الاستياء من السلطات الرومانية [٩٩] . إن هذا القول يتناقض تماما مع القرائن والبراهين المطولة التى عرضناها على مدى البحث – مناقشة وتعليقا – من محتويات وثيقتى بردى ثمويس وبردية منديس جنيف المطولتين .

جـ – ما ذكره من أن الطريقة التى عالج بها أفيديوس كاسيوس موضوع ثورة الرعاة قد أكسبه تعاطفا وجعله يحظى بتأييد وترحيب حار فى مصر – وخصوصا فى الاسكندرية – عندما أعلن نفسه امبراطورا عام ١٧٥ حيث اعترفت به السلطات فى الاسكندرية إمبراطورا. ومن خلال هذا الافتراض استنتج أن مصر لم تكن – عن بكرة أبيها – تقف خلف إيزيدوروس « وقطاع الطرق » فى شرق الدلتا [١٠٠] . إن هذا الحكم من جانب شفارتز حكم متحيز ومن السهل دحضه. فهو قبل كل شيء يتعارض مع عبارة ديوكاسيوس القاطعة من أن البقوليين (الرعاة) قد جعلوا بقية المصريين يثورون . وثانيا فإن هناك فرقا كبيرا بين « سلطات الاسكندرية » – وخاصة الوالى كالفسيوس ستاتيانوس الذى آزر القائد أفيديوس كاسيوس الطامح الى العرش الإمبراطورى – وبين « الشعب المصرى » الذى لم يكن عادة يلعب دورا فى مثل تلك المنازعات السياسية . وحتى إن قدر للمصريين أن يلعبوا مثل هذا الدور فمن المستبعد تماما أن يؤيدوا هذا الرجل الذى أخمد ثورتهم التى كانت تهدف الى الخلاص من السيادة الرومانية .

أخيـرا ومن خـلال كل المعلومـات والقـرائن المذكـورة أعـلاه والمناقشات فى هذا المبحث يتضح بما لايدع مجالا للشك أن الإقليم المنديسى – ومصر ككل – قد عانت الكثير والكثير تحت حكم ماركوس أوريليوس كنتيجة لتراكمات أعباء الضرائب الباهظة والتى تزايدت بصورة مزعجة لمواجهة احتياجات ومتطلبات الحروب التى فرضت على الامبراطور. إن العقد الأول من حكم ماركوس أوريليوس مثل نقطة اللاعودة فى انحدار وتدهور الأوضاع الاقتصادية فى مصر تحت حكم الرومان .



الحواشى

(1) E. Gibbon, The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 6 vols. (1776 - 88), vol. 1.516; II. 354,

وهناك اتفاق على ذلك فى كافة المراجع اللاحقة عن الامبراطورية الرومانية باللغات المختلفة . أنظر – على سبيل المثال – المراجع التالية فى الحواشى اللاحقة عن ماركوس أوريليوس .

(2) .M. Grant, The Roman Emperors, New York, 1985, pp. 91 - 92; Cheilik, M. Ancient History, 2 nd edition, Harper Collins (New York), 1991, pp. 210 - 211.

سيد الناصرى : تاريخ الامبراطورية الرومانية السياسى والحضارى ، دار النهضة العربية (القاهرة) ، الطبعة الثانية ١٩٩١ ، ص ٢٧٦ – ٢٧٩ .

(3) M.Grant, op. cit., pp. 93 - 94; Cheilik, M., loc. cit.

سيد الناصرى : المرجع السابق ص ٢٧٩ .

(4) M.Grant, op. cit., p. 91;

سيد الناصرى : المرجع السابق ص ٢٨١ .

(5) M. Grant, op. cit., p. 94; A.H.M. Jones, The Decline of the Ancient World, Longman (New York) 1966,

p. 307.

(6) M. Grant, op. cit., PP. 89 - 91; Cheilik, M., op. cit., p. 211; Rostovtzeff, M., ROME (Translated from Russian by J.D.Duff), Oxford, 1960, p. 213.

(7) Ibid., p. 205.

(٨) سميت ثورة البقوليين باسم الفرع البقولى Bücolic للنيل وهو فرع صناعى (حفره الإنسان) وكان يتفرع عن الفرع السمنودى وكان يقع إلى الغرب من الفرع المنديسى (الذى كان يتفرع بشكل طبيعى من الفرع السمنودى) - حسبما جاء عند هيرودت وترجيح جون بول كما سيأتى ذكره وكما تبين الخريطة المتصورة عن هيرودوت - وربما كان هذا الفرع البقولى الصناعى يتفرع عن الفرع السمنودى عند قرية شبرا اليمن ويسلك مسار فرع دمياط الحالى . هذا الفرع أسماه هيرودوت البقولى وأطلق عليهم ديودور الصقلى الفاتنيتى Phatnitic فى حين أسماه سترابون وبلينى الأكبر الفاتميتى Phatmitic وورد ذكره عند بطليموس الجغرافى تحت اسم الباثنيتى Pathnitic (باستثناء مسماه عند هيرودوت فإن مسمياته عند الكتاب اللاحقين من القرن الأول ق.م. حتى الثانى الميلادى تبدو تحريفات فى النطق لمسمى واحد كما هو ملاحظ) . ورغم أختلاف المسميات من هيرودوت حتى بطلميوس الجغرافى فيبدو أن منطقة مجرى هذا الفرع قد احتفظت حتى عصر ماركوس أوريليوس بالاسم القديم الذى أطلقه هيرودوت على هذا الفرع إذ كانت تسمى Bucolica (وهى تعنى

منطقة رعاة الأبقار βουκολικα ومن هنا أطلق على الثـورة التى اندلعت فى هذه المنطقة ضد الرومان إبان حكم ماركوس أوريليوس اسم ثورة الرعاة βουκολοι)

(٩) عن المصادر التى عالجت موضوع ثورة الرعاة فى الدلتا أنظر :

مصطفى العبادى : الأمبراطورية الرومانية ومصر ص ١٤١ - ١٤٣ ، سيد الناصرى المرجع السابق ص ٢٨٣ .

Dio Cassius 71. 4. 1-2; Hist. Aug., Marc. Aur. 21; Achilleus Tatius 4.12. 7 - 8.

(10) J. Ball, Egypt in the Classical Geographers, Cairo, 1942, pp. 25 - 28.

(11) Ibid., p. 48.

(12) See also Ball, Ibid, PP. 58 - 59, 74 - 75.

(13) Ibid., p. 27.

(14) Herodotus, II, 166.

(15) H. Gauthier, Les Nomes d'Egypte depuis Herodote Jusqu' a La Conquete Arabe, Le Caire, 1935, pp. 16 - 18.

(16) Strabo XVII. 1. 19.

حيث ذكر الإقليم المنديسى حيث يعبد الإله بان وذكور الماعز .

وقد ذكر ذلك أيضاً عند هيرودوت (الكتاب الثانى : فقرة ٤٦) حيث يورد « فى اللغة المصرية يطلق على ذكر الماعز والإله بان اسم منديس »

καλεεται δε ο τε τραγος και ο Παν Αιγυπτιστι Μενδης.

(17) Pliny, Historia Naturalis, V.11. 64.

(18) Ptolemy, Geographia, IV. 5. 39 - 43.

(19) Ibid., IV. 5. 44.

(20) Ptolemy, IV. 5.51; J. Ball, op. cit., p. 109.

(21) Ibid.; H. Gauthier, op. cit., map at the end of the book; J. de Rouge, Geographie ancienne de la Basse - Egypte, Paris, 1891 (reprinted in Amesterdam 1972) pp. 108 ff.

(22) S. Kambitsis, Le Papyrus Thmouis I, (159 - 173 A.D.), Paris, 1985, Introduction, p. 48.

(23) P.S.I. III. 230, ll. 6,8:

απο] Θμουεως αναγρα(φομεν) επι κ αμφοδ(ου) οικιαν ροη;l. 13; l. 20 : ζαμφο(δου) οικιαν..

Ibid. 231, l.2 :

η αμφο(δου) οικιαν, ll. 6, 10, 22, 25.

(24) U. Wilcken, Archiv 6 (1920), P. 381.

(25) Ammianus Marcellinus, 22, 16, 6.

(٢٦) أهم الوثائق التى ظهرت حتى الآن عن الضـرائب فى الأقليم المنديسى هى :

-P. Rylands II. 213, Mendes, late 2 nd century A.D.

وخصوصا مقدمتها الهامة جداً التى يتحدث فيها ناشر الوثيقة عن تفاصيل الموضوع الذى تناولته الوثيقة .

-P. Thmouis I, Reign of Marcus Aurelius.

مع الاهتمـام بمقـدمـة البـردية عن الضـرائب المتنوعـة فى الأقليم المنديسى بمعدلاتها ومواضعها والهدف منها .

(27) P. Thmouis I, p. 31.

(28) P. Rylands II 214, Mendsian Nome, 2 nd century A.D., ll. 5 - 11 :

μητορπολεως Θμουεως (δρ.) ιβ (οβ.) | γ (ινονται) αργ(υριου) (ταλ.) α (δρ.) Γ τιγ (τριωβ.) | περι μεντοι των επανω πα – | ραδεχθεντων ως πεπλε–

ον[α]κ(ότων) | τω 5 (ετει) απο μερισμου διπ (λων) (δραχμων) υ | προπαρδεχθη δε ετερω μερ– ισμ(ω)εν πλειο (σι) .... κτλ.

ll. 17 - 27 :

[με]τα τ [ας απο μερισμου] του ε (ετους) πε – | [πλε]ονακ(υιας)[και συναχθεισ]ας ε[ις]τους | [εξ] ης μερισμ[ους αργ(υριου) (δραχμας) ...] (πεντωβολον)Χ(αλκουν) α και τας | [εν] μηνι Αθ [υρ και .....] και Φαρμουθ(ι)του 5 (ετους) δια– γραφεισα[ς υ]πο των προς παντων ως π (ροκιται) δηλ(ουμενων) επι πολ(εως) αποδεδωκ (εναι) | (δραχμας) τξ και τας απο μερισμου ενδε – | ηματος τελωνικων του ε (ετους) πεπλεο – | νακ(υιας) απο (δραχμων) Αμθ (οβολου) (χαλκου) α μετα τας ετε– |ροις λογοις |παρδεχθ (εισας) (δραχμας) Φ ξε......

(29) Ibid., ll. 42 - 45 :

ων εισιν αι παραδεχθ(εισαι) μερι[σμ(ω) | ενδεη– ματος οθονιηρας και [ο– |φειλ(ουσαι) εξ ων εισπ(ραττονται) υπερ λημματ(ων) δ[ια –

|λογισθ(ηναι) ως π(ροκειται) (δρ.) Βσμα .

(30) P. Rylands II. 217, introduction.

من مراكز الإقليم المنديسى الواردة فى الوثيقة :

Νεομαρη, ll. 9, 11, 13, 14; Ερμοπολιτης, ll. 15, 18, 26, 30, 34; Ψανιτης ll. 43,44,45,46,47,51,52,53,54; Φερνουφιτης ll. 57 (note), 59; Νεομψονο ll. 67,68: Θμουις ll. 20,78,79, 81,83; Θμουπολιτης ll. 86, 101; Χιαστιτης ll. 99, 101, 103, 106; Μενδης, l. 136; Θμοιβαστιτης l. 19; Πτεμπαθιω l. 20.

(31) Ibid., من نماذج الموظفين السابقين ممن ذكروا فى الوثيقة :

βασιλικος γραμματευς 1.8; επιτηρητης απρατων υπαρχοντων l. 11; επιτηρητης....., ll. 13, 76, 143; επισκεπτης, l. 15; κωμογραμματευς, ll. 26, 87, 97; στρατηγος, l. 82; παστοφορος, l. 120; σιτολογος, l. 139.

(32) Ibid., ll. 15 - 16,

وأمثلة أخرى مماثلة نجدها فى الأسطر ٢٥ – ٤٢ معظمها من المركز الهيرموبوليتى ، وفى الأسطر ١٠٥ – ١٠٧ من المركز الخياستيتى ، وكذلك الأسطر ١٢٥ – ١٣٠ .

(33) Ibid., ll. 82 - 85.

(34) Ibid., ll. 18 - 24, see also 100 - 104.

(35) See notes 32, 33, 34 above.

(36) Ibid., ll. 74, 114 and introduction p. 351.

(37) Ibid., ll, 5 - 14 from Neomare toparchy; ll. 43 - 54 from the Psanite toparchy; ll. 57 - 59 from the Phernouphite toparchy; ll. 61 - 64 from the Pheopite; ll, 73 - 81 from Thmouis.

(38) P. Rylands II. 216, Mendesian nome, late 2 nd century A.D., Introduction.

(39) Ibid., introduction, the table in p. 328.

(40) Ibid., p. 329.

(41) Ibid., ll. 3-5,16-18, 20-21, 24-25, 28-29, 36-37, 40-41, 44-45, 49-50, 56-57, 60-61, 64-65, 71-72, 76-77, 80-81, 84-85, 89-91

عن قرى المركز الأول المتاحة فى هذه الوثيقة والذى لا يتضح اسمه فى هذا الجزء الموجود من البردية . أما عن قرى المركز الآخر الذى ورد اسمه فى الوثيقة وهو مركز بتيمبائيو أنظر الأسطر :

160 - 63, 169 - 70, 177-8; 184-85, 188-89; 192-93, 196-97, 201 - 02, 209-10, 220-21, 274-75, 276-81, 286-87.

(42) Ibid., ll. 69 - 70

(نفس هذه القطعة ورد ذكرها فى الحساب الإجمالى فى الأسطر ٩٩ – ١٠١)
أنظر كذلك الأسطر ٣١٩ – ٣٢٠ .

(43) Ibid., ll. 51-52, 128-30, 163-64, 171-172, 179-80, 211-12 , 249-51, 282-83, 302-03.

(44) Ibid., ll. 203-04, 256-58.

(45) Ibid., ll. 7, 10, 12, 87, 90, 92.

(46) Ibid., Introduction, p. 330 (note2).

(٤٧) إن الحالات القليلة عن الاسكندريين فى هذه الوثيقة ربما تعزى إلى بعد الإقليم المنديسى عن الاسكندرية ، ولابد أن الاسكندريين كانوا يمتلكون مساحات أكبر من الأراضى فى الأقاليم المجاورة للأسكندرية .

(48) P. Thmouis I : cols. 74, 17; 81,1; 94, 7; 98, 3-4; 106, 1-2; 107, 18; 108, 16; 129, 6; 131, 5; 136, 137, 6-7; 140, 18-19; 141, 21-22; 143, 18; 150, 2-3; 151, 4; 154, 10-13; 155, 4-6.

(49) P. S. I. 108, 9-11; Ibid. 233, 5-7.

(٥٠) إن الصياغة المستخدمة للتعبير عن مثل هذا الوضع فى الكثير من الحالات فى الحاشيتين المذكورتين أعلاه تسير على النحو الآتى :

P. Thmouis I., col. 74, ll. 7 - 14 :

Εδαφη χρεωστων του ταμειου | εδηλ(ωθη) τω η (ετει) εν χερσω επεσκεφθαι. | Ενθεν τα μεν σειτικα καθηκ(οντα) [επι] | τω ειναι ολεπιγρφα τω θ (ετει) κ[αι ι (ετει)] | εν ετερω μερει διεσταλη, [τα δε] | αργυρικα ταλεσματα ε[νθαδε] | κατ'ακουλθιαν [επεσχ(εθη). παρ,ο] και προς το ια (ετος) [επεχεται].

Cf. other examples like col. 81, 11 1-8; 98, 2-9; 107, 17;108, 5.

(51) Ibid., col. 139, II. 4-5 : γεν (ομενου) μισθωτου ; 151. 18 : γενο (μενου) τελωνου.

(52) Ibid., 74, 19 :υπαλλαξαντος υ [περ ....; 75, 2-4 : Πανισκου Σαραπιωνος Σωσικο [σμ] ειου | υπαλλαξαντος υπερ του αυτου περι τον αυτον αγρον .Cf. 81, 11

(53) P. Rylands II. 221.

في هذه الوثيقة نجد أن كل مستأجر يتعهد بأن يستأجر (الأسطر ٧، ١٠، ١٨، ٢٦ ....) قطعة من الأرض الضعيفة الإنتاجية υπολογος γη ذات الإيجار المنخفض سواء كانت هذه الأرض من الأرض الملكية (الأسطر ١١ - ١٢ ، ٢٧) أو أرض المعابد (سطر ١٩) أو أرض ضفاف البحيرات (سطر ١٥) . وكان كل مستأجر يأتى بضامن ليضمنه لدى الإدارة وكان هذا الضامن فى كثير من الأحيان من الأقارب كأن يكون الضامن أخاً (سطر ٢) أو حفيداً (سطر ٦) أو غير ذلك (سطر ١٧ ، ٣٣) .

(٥٤) بعد الاعتراف رسمياً من قبل الإدارة بأن قطعة من الأرض قد أصبحت « بوراً χερσος» بعد التفتيش عليها رسمياً επισκεψις كان يعقب الاعتراف ببوار الأرض أن تعلق المتأخرات عنها وتمنح مهلة للسداد حتى يتغير وضع الأرض . وكان هناك فعلان يستخدمان فى هذه الوثيقة الطويلة - وكلاهما مرادف للآخر - يفيد تعليق هذه المتأخرات وهما διαστελλεται و επεχεται.

أنظر الأعمدة والأسطر التالية :

Cf.P. Thmouis I. cols. 74, 9-14; 81 2-8; 94, 6-15; 95, 15-17; 97, 4-9; 98, 4-9; 106; 5-11; 108, 1-5, 109, 8-9, 17; 129, 9-12; 131, 13-21, ...etc.

(55) Ibid., For thirteen years (158/59 - 170/71 A.D.) see col. 156, 13-157, 22. For 12 years (159/60 - 170/71):

cols. 154, 10-155, 3; 155, 4-156, 11; for 11 years (160/61 - 170/71) cols. 150, 1-151, 1; 151, 2-152, 8; for 10 years (161/62 - 170/71) cols. 147, 1-149, 20; for 9 years (162/63 - 170/71) cols. 143, 17-144, 14.

أنظر القائمة الخاصة بسنوات حكم ماركوس أوريليوس والعامين الأخيرين من حكم سلفه أنطونينوس بيوس فى مقدمة بردى ثمويس ص ١٥ – ١٧ ، وتطبيقها على تأريخ أعمدة الوثيقة .

(56) Ibid., col. 94, 11. 10-12 :

αχρις [α]ν απο τειμης υπαρχοντ(ων) | πρα[θ]εντων ·η προσοδο(υ) των | εξης [.ε]των αναπληρωθη

See also : cols. 95, 17-19; 106, 7-9;

(57) Ibid., cols. 96, 1.13; 106, 2-3; 107, 18-19; 129, 6-7; 131, 20; 151, 6; 155, 5; 156, 14-15.

(58) Ibid, cols. 96, 11. 15-17; 97, 14; 131, 7, 15, 20; 132, 8; 137, 13; 138, 1; 143, 20; 151, 7; 152, 2; 156, 15, 19.

(59) Ibid, Introduction, p. 19, note 6.

(60) Ibid., col. 69, 11. 14-15 : εν χε[ρ]σω, εξ ης μηδεν

δυνασθαι περιγεινεσθαι See also 70, 2-3; 129, 7-8.

(61) Ibid., 136, 11. 10-12 : Και προσφω (νηθεντος) | μηδεμιαν προσο[δ]ον εξ ετερων | υπαρχοντων αυτ[ο]υ περιγεινεσθαι.

Cf. also Ibid., 144, 1-3 :

Και [μηδε]μιας προσοδ(ου) εκ του αλ(λου) | πο–ρου του χρεωστου περιγεινο(μενης) επεσχεθη.

عن نماذج أخرى لهذه العبارة أنظر :

106, 5-7; 107, 22-23; 131, 10-13; 150, 7-9.

(62) Ibid., 137, 8-10 :

τιμης | δε του λοιπου υπο ευπορου επικρα (τουμενου) διαγραφεισης.

أنظر كذلك الأعمدة ١٣٧ (من سطر ٢٢) حتى ١٣٨ (سطر ١) وتفسير الناشر ص ١٤١ .

(63) Ibid., 129, 14-16:

ουδεν | ως περι αυτων κριθεν φανερον | μοι εγε–νετο.

See also : 131, 22-132, 1; 134, 16-17; 135, 18-19; 136, 17-18; 137, 17-19; 139, 1-2; 141, 2-3; 142, 5-6; 143, 2-3; 144, 6-7; 150, 13-15; 151, 13-15; 154, 16-18; 155, 10-18; 155, 10-11; 157, 6-7.

(64) Ibid., 77, 6-7 :

αχρι της του κρατιστου ηγεμονος διαγνωσεως 152, 13-14 : οφειλειν διασταληναι αχρι ηγε – | μονικης διαγνωσεως.

(65) Ibid., 108, 16-109, 7 :

Αμπελου χρεωστου του φισκου τα [τε] | τελεσματα τω α (ετει) Αυρηλιου Αντωνινου | Καισαρος του κυριου και θεου | Ουηρου επεσχεθη επι τω κεχερ – | σωσθαι. Ενθεν μετεδοθη υπο του | του νομου εγλογιστου, ιν, εξετασ[σ]θη | ει παρ;αιτιαν τινος εχερσωθη, και | επι της γενομενης τω β (ετει) επισκ(εψεως) | προς τα υπ, αυτου επ ξητηθεντα | 109 | παρετεθη τον κωμογρα (μματεα) προσ – | πεφωνηκεναι πρωτως τω κγ (ετει) θεου Αιλιου Αντωνινου | την αμπελ(ον) δια παλαιω[σ]ιν κε–|χερσωσθαι και τους επ–

ισκ(εψαμενους) τα αυ–|τενιαυτα ειδη γεγραφ [εν]αι εν | χερσω δια παλαιωσιν [ειν]αι.

(66) Ibid., 95, 11-14; 133, 19-134, 10; 135, 5-15; 139, 16-22; 140, 18-23.

(67) Ibid., 96, 14-17; 97, 2-5 and note on 1. 3; 131, 6-16; 143, 17-144, 4; 151, 6-10; 156, 15, 18-22.

(68) P. Giessen 4 (118 A.D.), 1. 19 :

παραδεχομενης αβροχου και ημισειας της επηντλη(μενης) [κα]τα το εθος.

Cf. M. Abd - El-Ghani, The Problem of αβροχος γη in Roman Egypt, 18 th International Congress of Papyrology, Athens, 1986, pp. 292 - 299.

(69) P. Mendesius Genevensis : Victor Martin, Un document administratif du nome de Mendes (Studien zur Palaeographie und Papyruskunde XVII, 1967, pp. 9 - 52).

(70) Ibid., pp. 33-34.

(71) Ibid., 11. 12, 14, 24, 26, 55, 81, 87, 126, 128.....etc where του α(υτου) or υπο του α(υτου) are used;

106, 109 where της α(υτης) is used.

(72) Ibid., pp. 31-32.

(73) Ibid., p. 34 .

(74) Ibid., 1. 535 : επ(εσκεφθησαν) αβρ(οχου) (αρουραι) δεκα τρεις α[ι λ(οιπαι)] νειλ (οβροχου)

أنظر كذلك الأسطر ١٤٨ ، ٤٥٦ ، ٥٠٤ ، ٥١٢ ، ٥٥١ حيث تتكرر نفس العبارة (الصياغة) ومعها مساحات ضئيلة من « الأرض غير المروية » هى ١٠ ١/٢ ، ١٠ ، ١٤ ، ٥ ، ١٢ أرورة بالترتيب . ولكن لسوء الحظ فإن اللجنة لم تورد فى تقريرها مساحة بقية الأرض (التى أختلف فيها رأى لجنة التفتيش عن رأى الملاك والمزارعين) والتى قررت اللجنة - خلافا لتقارير المزارعين - أنها قد ارتوت بماء النيل وتضمن التقرير عبارة :

« أما بقية الأرورات فقد ارتوت من فيضان النيل »

: αι λ(οιπαι) νειλ(οβροχου)

ومن الصعب كذلك حساب مساحة الأرض المروية والأرض غير المروية - حسب تقرير اللجنة - من حساب كل حالة على حدة كما ورد بالتقرير وذلك لوجود فجوات عديدة بالوثيقة . كل ما يمكن استخلاصه - بصورة إجمالية - من الإطلاع على هذه الحالات أن نسبة الحالات التى رأت فيها اللجنة أن الأرض قد « ارتوت من ماء النيل » - خلافا لما ورد بتقارير المزارعين

– أو على الأقل « رويت صناعياً » هي النسبة الكبرى أو الغالبة ، أما الحالات التي أقرت فيها اللجنة المزارعين على رأيهم بأن الأرض « غير مروية » فهي حالات قليلة تمثل نسبة بسيطة ومتواضعة من الإجمالي العام للأرض التي قال المزارعون أنها غير مروية .

أنظر كذلك تعليق فيكتور مارتن على هذه الوثيقة ص ٣٨ وحاشيته رقم ٥٢ عن هذه الجزئية والقرائن التي استقاها من وثائق أخرى مثل (P. Brux. I, cols. 4, 5,6) حيث اعترفت لجنة التفتيش بأن ١٥١ أرورة فقط من إجمالي ٤٢٠ أرورة هي فقط « الأرض غير المروية » في حين اعتبرت أن بقية مساحة الأرض أي ٢٦٩ أرورة قد ارتوت . وكذلك في بردية (P. Leipzig 105) اعترفت لجنة التفتيش أن ١٢٧ أرورة فقط من إجمالي ١٨٥٠ أرورة هي التي « لم ترو αβροχος » في حين اعتبرت أن بقية المساحة ١٧٢٣ أرورة قد تم ريها ! .

(75) P. Mendes Geneve, 11. 451/52 : αι ου]ασι εν || πλειστοις α[να μεσ]ον των χωματων | και] υδραγωγων.

See also 11. 342-43; 496-97 521-25; 538-39; 568-69.

(76) Ibid., 11. 17, 21,23, 29, 44, 60, 63, 65, 69, 102, 105, 108, 112, 114, 119, 120, 125, 130, 132, 135, 155, 159, 161, 168, 170, 172, 174, and many others.

(77) P. Thmouis I, cols : 70, 12-74,6; 76, 10-80, 23; 98.21-104, 8; 104, 9-105, 2; 114, 3-115, 20; 115,21-116, 18; 116, 19-118, 22; 120, 10-124, 8; 124, 9-127, 3; 152, 10-145,9.

BGU III 902, 903; P.S.I. I 101, 102, 103, 105.

(78) P. Thmouis I, p. 26 and note 5, and the table of p. 31.

(79) Ibid., 76, 17; 99,. 11; 117, 9; PSI 105, 10.

(80) P. Thmouis, col. 120, 14-16. Cf. also cols : 76, 16-19; 117, 4-7; 124, 18-21; 152, 15-18. BGU 902, 4-7; 903, 10-14; PSI I 101, 11-14; 102, 9-12; 105, 5-10.

(81) See note 79 above and col. 124, l.13.

(82) P. Thmouis, col. 77, 15-17 : δια το μη | [δυνασθαι ο]λιγους οντας το παν εισ[φερειν] .

(83) Ibid., cols : 70, 19-21; 76, 20-21; BGU 903, 14-15; P.S.I. 101, 14-15; 102, 12.

(84) P. Thmouis, 70, 11. 21-22.

εκου – |[φισεν το επιβαλ(λον) τοις ανακε]χω (ρηκοσι); 71, 5–10 : Οσα ουν | εξ αυτων αιρει

τοις δηλωθεισι | συμμενειν εις το πραχθηναι, | τα δε μετα <ταυ>τα υπολειπομενα | εις το επισ– χεθηναι αχρι κρι –|σεως τω θ (ετει) και τω ι (ετει) μεταδοθ(η) .

Cf. other examples in 76, 10-14; 77, 2-8; 104, 18-21; 116, 10-14.

(85) Ibid., 153, 1-4 :

[..] . ου ...... [7-8]. το | [ε]πιβαλλον αυτοις τελεσα [τ]ωσαν, | τ[ο] δε λοιπον οι αλλοι, οταν επαν –| ελθωσιν.

(86) Ibid., 120, 18-21 : Συριακον | [τον αριστ]ης μνημης επι του | [διαλογισμ]ου τα ομοια απο– λελυ – |[κεναι]

(87) Ibid., 76, 22-77, 2 : BGU 903, 16-20.

(88) P. Thmouis, col. 104, 11. 9-15 (A.D. 168/69) :

Ο αυτος κωμογρα(μματευς) και τα επι κωμης | Κερενουφ(εως) αναλαμβ(ανομενα) και αλλα εκου– |φισεν φησας τους πλειστους των | απο της κωμης ανειρησθαι | υπο των ανοσιων

Νεικωκειτων, | επελθοντων τη κωμη και εμ – |
πρησαντων αυτην.

أنظر التعليق على سطر ١٣ عن الـ Νεικωκειται. وعن أحداث مماثلة وقعت عام ١٦٨/١٦٧ أنظر عمود رقم ١١٤ ، الأسطر ٣-١٤ وخاصة الأسطر ٧-١٠ ، وكذلك عمود رقم ١١٦ ، الأسطر ٤-١٠ حيث أخطر الوالى بلاسيانوس بهذه الهجمات .

(89) Dio Cassius, 72, 4 :

Και οι καλουμενοι δε Βουκολοι κατα την Αιγυπτον κινηθεντες και τους αλλους Αιγυπτιους προσαποστησαντες υπο ιερει τινι Ισιδωρω.

وقد وصف إيزيدوروس الكاهن قائد الثورة هذا فى نفس الفقرة لديو كاسيوس بأنه « فاق كل معاصريه فى الشجاعة والإقدام » ، وقد بلغ مدى خطر ثورة الرعاة فى الدلتا أن الاسكندرية ذاتها كانت على وشك السقوط فى أيدى الثوار لولا أن أفيديوس كاسيوس قد أرسل من سوريا لمواجهتهم .

επειτα εκ παραταξεως τους εν Αιγυπτω Ρωμαιους νικησαντες μικρου και την Αλεξανδρειαν ειλον, ει μη Κασσιος εκ Συριας πεμφθεις επ'αυτους .

(90) P. Thmouis I, cols. 98, 21-99, 11 :

[Ο της] Πετετει και αλ(λων) κωμων κωμογρα (μματους) | [υποκειμενα] και αλλα αναλαμβ (ανομενα) 199 | προς τους απο της Πετετει κα [ι Ψ]ε –|ναρ.[π(οκρατεως) και Ψενιβιηνχον Ε. [...] | ρεφους εκουφισεν φησ [ας την] | Πετετει τω · ποτε ταραχ [ω .. π] ε– | ποιησθαι και τους πλειστου [ς] | τ [ω] ν της Πετετει και της Ψεν – | α[ρ]ποκ–(ρατως) και Ψενβιηγχ(εως) εν τη | Πε–τετει καταμενοντας ανη –| ρησθαι τω η (ετει) υπο της πεμφθει –| σης στρατιωτικης δυναμεως | και ολερημους ειναι τας κωμας.

(91) Cf. Ibid., PP. 28 (and note 11) and 29.

(92) Dio Cassius, loc. cit.

ما أوردته هنا هو اقتباس لترجمة إرنست كارى للنص فى طبعة « لويب Loeb» سنة ١٩٦٩ .

(93) P. Thmouis I, col. 103, 4-10, 11, 13 :

εξ ων εις ομολ(ογον) αποκατσταθ(ησαν) | υπο του του νο(μου) εγλοιστου ως | κειθ(εισα|) υπο

Στατιανου εν ω εποι– |ησατο του νομου δια– λογισμω τω ιγ (ετει) εν πραξιμοις λογισθ(ηναι) απο μεν των επι της Πετετει | του Ψανειτου δι– ασταλ(εντων) (δρ.) λβ – , ... κτλ . The names of the other villages are in ll. 11, 13. cf. also 121, 11. 19-21.

(94) J. Schwartz," Nouveaux aprecus sur l'Egypte au temps de Marc - Aurele (161 - 180)," (Ancient Society, 4, 1963), pp. 191 - 197.

(95) P. Thmouis, col. 104, 11. 15 - 16.

(96) Ibid., p. 29; and note 5 of this paper.

(97) J. Schwartz, op. cit., p. 192 : " Toute porte a croire que cette epidemie brutale passa assez vite et l'Egypte put bientot panser ses plaies".

(98) Ibid., p. 196.

(99) Ibid.

(100) Ibid., p. 195.

المبحث الخامس

تعسف الإدارة الرومانية مع المزارعين

« مشكلة الأرض التى لاتصلها مياه الفيضان في مصر في العصر الرومانى » (*)

(*) بحث نشر باللغة الانجليزية ضمن أعمال المؤتمر الدولى الثامن عشر لعلم البردى فى أثينا عام ١٩٨٦ :

M. Abd - el - Ghany, " The Problem of αβροχος γη in Roman Egypt ", in the Proceedings of the XVIII th International Congress of Papyrology, Athens, 1986 (1988), PP. 295 - 99.



تعرضنا خلال الفصل السابق من هذا المؤلف عن « أزمة الإقليم المنديسى فى عصر ماركوس أوريليوس » لكثير من الصعاب التى كانت تواجه المزارعين المصريين وتدفعهم – فى نهاية الأمر – إلى الفرار من أرضهم وتركها بوراً χερσος مما أدى إلى بوار مساحات من الأرض الزراعية . من هذه الصعاب التى عقّدت هذه الأوضاع ثقل عبء الضرائب والمستحقات الإضافية بصورة تعجز المزارعين عن الوفاء بها مما يؤدى لتراكمها مع مرور الوقت ، ومنها انخفاض معدل الفيضان فى بعض السنوات مما يؤدى لعدم وصول مياه الرى إلى مساحات كبيرة من « الأرض الزراعية التى لم تصلها مياه الفيضان » αβροχος γη .

والمشكلة التى رأيناها فى وثائق البحث السابق عن الإقليم المنديسى بخصوص « الأرض غير المروية » تمثلت فى أن لجان التحقيق επι-σκεψις التى كانت ترسل من قبل الإدارة للتحقق من صحة تقارير المزارعين فى هذا الصدد كانت غالباً ما تأتى بنتيجة منافية لما أورده المزارعون فى تقاريرهم بصدد « مساحة » تلك « الأرض غير المروية » لتقول بأن مساحة قليلة فقط مما زعم الفلاحون أنها « أرض غير مروية » كانت كذلك بالفعل ، أما أغلب المساحة فكانت إما أرض قد « رويت رياً صناعياً » επηντλημενη γη » أو أنها قد وصلتها مياه الفيضان νειλοβροχου. ومعنى نتائج هذه التقارير التفتيشية أنه كان على المزارعين أن يدفعوا ضريبة مخفضة نسبياً إن كانت الأرض قد رويت رياً صناعياً أو كاملة إن كانت اللجنة قد قالت بريها رغم قول المزارعين فى

تقاريرهم بعدم ريها . هذه التقارير المضادة من قبل لجان التفتيش لتكذيب تقارير المزارعين وإظهارهم بمظهر المبالغين جداً فى تقدير مساحة « الأرض غير المروية » كانت تجنح – فى الأغلب – إلى المبالغة فى تقدير مساحة الأرض « المروية » من مياه النيل أو صناعياً . هذه المبالغات من قبل لجان التفتيش فى تقليل مساحة الأرض «غير المروية» إلى أبعد حد والعكس كانت تلقى أعباءً ثقالاً – من الناحية الضريبية – على كاهل المزارعين وهو ما ساهم – كما رأينا فى البحث السابق – إلى هجر القرى بصورة كلية أو جزئية وبوار مساحات كبيرة من الأرض.

فى هذا البحث سنتناول زاوية أخرى من مشكلة الأرض غير المروية αβροχος γη أثارت عدة خلافات فى الرأى بين علماء التاريخ القديم من المختصين بشئون مصر تحت حكم الرومان ، وتتمثل هذه المشكلة فى أن هذه الفئة من الأرض التى لم تكن تصلها مياه الفيضان كانت تدفع إيجارات مساوية – وأحياناً أعلى من – الأرض التى كانت ترويها مياه الفيضان كما سنرى فى وثائق هذا البحث . وسيحاول الباحث أن يعرض للمشكلة ولهذه الآراء العديدة التى حاولت تفسيرها مع نقد كل منها ومحاولة الباحث التوصل إلى ما يعتقد بصوابه بشأن الموضوع المطروح .

عرض المشكلة :

فى الطلبات التى كان يبعث بها المزارعون إلى كبار الموظفين فى

الأقاليم المصرية مثل حكام الأقاليم « الاستراتيجوى » أو الكتاب الملكيين فى تلك الأقاليم لتأجير « أراضى الدولة » طواعية كان أصحاب هذه الطلبات من المزارعين يوردون فى هذه الطلبات شرطاً هو :

« إذا ما أصبحت الأرض المعنية غير مروية αβροχος أو غمرتها المياه εμβροχος أو καθ υδατος أو غطتها الرمال υφαμμος أو تآكلت من نحر النهر ποταμοφορητος ، يعفى (المزارع) من دفع الإيجارات » [1] .

وكان الظرف الأول من هذه الظروف الاستثنائية لفيضان النيل وهو انخفاض معدل الفيضان وعدم رى الأرض αβροχια هو أول ما يذكر على الدوام من بين هذه الظروف وكان هو الظرف الوحيد الذى يرد ذكره دائماً فى مثل هذه الطلبات كشرط للإعفاء من التزامات المزارع الايجارية ، أما بقية الظروف الاستثنائية الأخرى فكانت ترد لماماً وبصورة عارضة من وقت لآخر فى طلبات تأجير الأرض . هذا الشرط الأول والمتكرر فى هذه الطلبات – من الإيجار فى حالة عدم رى الأرض – ربما كان معناه التحسب من احتمال انخفاض الفيضان (وهو احتمال قائم ولايمكن للمزارع التنبؤ به) ، ويعنى كذلك أن عدم رى الأرض فى بعض السنوات كان يؤثر بصورة خطيرة على درجة إنتاجية الأرض فى حالة حدوثه . وبناء على ماتقدم فإن هذا الوضع فى حالة حدوثه – عدم رى الأرض – يجعلنا نتوقع أن يدفع مستأجرو أرض الدولة فى هذه الحالة إيجارات مخفضة للإدارة عنها فى أضعف الإيمان

إذا لم يعفوا إعفاءً كاملاً ، وكذلك الحال بالنسبة لملاك الأرض الخاصة الذين كان من المتوقع أن يدفعوا ضرائب مخفضة عن أرضهم التى لم تصلها المياه إن لم تسقط عنها الضريبة كلية فى هذا الظرف . لكن – وخلافاً لهذا التوقع المنطقى – تبرز فى الوثائق مشكلة بحاجة إلى تفسير معقول وتتمثل فى أن الأرض غير المروية αβροχος γη– من أرض الدولة بصفة خاصة – كان يدفع عنها فى حالات كثيرة إيجارات مساوية[2] أو تزيد [3] أحياناً عن تلك الأراضى التى وصلتها مياه الفيضان :

εν ομολογω – ομολογος γη – σπορου – σποριμη γη [4]

هذه المشكلة عالجها علماء وباحثون كثيرون لكن آرائهم لم تكن تبدو مقنعة بما فيه الكفاية .

رأي روجيرو :

وكان أول التفسيرات لهذه المسألة المحيرة هو رأى ر.R روجيرو .R Ruggiero فى تحريره لبردى بروكسل [5] حيث اقترح أن تكون هذه الأرض موضوع المشكلة هى تلك الأرض التى استفادت من الفيضان لكن المياه انحسرت عنها فيما بعد تاركةً الأرض فى حالة جفاف ، ولكن محصول القمح الذين كان ينمو على هذه الأرض التى اكتست بطبقة من طمى (غرين) النيل بعد جفافها كان مرتفعاً للغاية ومن هنا كانت الإيجارات عنها مرتفعة . هذا التفسير يبدو هشاً ولا يصمد طويلاً

لأنه ببساطة يتناقض مع الشرط الوارد فى طلبات التأجير التطوعية لأرض الدولة من إعفاء الأرض من دفع الإيجارات εκφοριαإن هى أصبحت αβροχος كما أوردناه أعلاه ، وإذا ما كان تفسير روجيرو صحيحاً فإن مثل هذا الشرط من جانب مقدمى طلبات الإيجار يصبح لا معنى له على الإطلاق . وقد رفض فيلكن [٦] هذا التفسير من جانب روجيرو ورأى أنه لابد من الالتـزام بالمعنى الأصلى لاصطلاح الـ αβροχος γη وهو « الأرض التى لم تصلها مياه الفيضان » ، وهو رأى أقره عليه وسترمان [٧] .

رأي فيلكن و والاس :

وفى محاولة فيلكن لتفسير هذه الظاهرة الإشكالية قدم شرحه للكيفية التى أصبحت اصطلاحات ομολογος التى تشير إلى الأرض المروية ، و αβροχος التى تعبر عن الأرض (التى زُعِمَ) أنها غير مروية مستخدمة بمعانيها هذه فى الـوثائق . فهو يفسر إصطلاح ομολογος γη(التى تعنى لغوياً « الأرض المتفق عليها ») بأنه ينطبق على الأرض التى لا خـلاف عليها أو متفق « صراحة » على وضعـها (من ناحية وصول مياه الرى إليها واتفاق المزارعين والإدارة على كونها كذلك) ، ومن هنا كان يفرض عليها معدل الإيجارات أو الضرائب المعتاد والمألوف . أما تفسيره للـ αβροχος γη والتى كـانت تدفع إيجـارات عـالية فـهـو أن تلك الأرض التى قـال الملاك أو المزارعـون العموميون أنها لم تصل إليها مياه الفيضان فقد كانت لجان التفتيش

επισκεψις التى يسند إليها أمر التحقق من تقارير المزارعين غالباً ما تتوصل إلى نتيجة مفادها أن قدراً ضئيلاً للغاية من الأرض التى وردت فى تقارير المزارعين على أنها « غير مروية » كانت كذلك فعلاً . ويستطرد فيلكن فيقول أن تلك الأرض التى لم تقر اللجنة مزارعيها على ما ورد بتقاريرهم من عدم ريها كانت تعامل معاملة طبيعية وكاملة من ناحية معدلات الإيجارات أو الضرائب المعتادة ، ومع ذلك لايمكن للإدارة أن تطلق على هذه الأرض (متفق عليها ομολογος) لأن معدلها الضريبى أو الإيجارى كان موضع خلاف [8] .

هذا التفسير من جانب فيلكن وافق عليه والاس وتبناه وتوصل إلى أن « نتيجة التفتيش كانت عادة ما تفصح عن أن ملاك الأرض الخبثاء كانوا يبالغون فى تقدير مساحة الأرض غير المروية ἄβροχος γη . ومن الواضح أن الأرض التى وردت بتقارير (الملاك أو المزارعين) علىى أنها غير مرويه αβροχος كانت فى الأغلب من الأرض التى كان يدفع عنها معدلات أعلى من الضرائب أو الإيجارات » [9] .

الرد على فيلكن و والاس :

أعود الآن إلى تفسير فيلكن والذى يوحى بأن الأرض « المتفق عليها » أو ομολογος γη هى تلك الأرض التى ارتوت من ماء النيل وبالتالى لم ترد فى تقارير – أو بالأحرى شكاوى – المزارعين والملاك إلى الإدارة عن أنها لم تصلها مياه الفيضان ، وأن الأرض التى ترد فى وثائق على أنها αβροχος γη ويدفع عنها ضرائب أو ايجارات عالية

هى تلك الأرض التى اختلف رأى لجنة التفتيش بشأنها عن « زعم » المزارعين وأنها من الأرض المروية حسب تقرير اللجنة .

ربما كان تفسير فيلكن حول « الأرض المتفق عليها » صحيحا من أنها الأرض التى لم تثر بشأن ريها مشكلة فى تقارير المزارعين وبالتالى فهذا اعتراف صريح من المزارعين بريها وقبلته الإدارة بالطبع ، ولكن ماذا عن المساحات الضئيلة للغاية من الأرض التى كانت لجان التفتيش تتفق فيها مع ما ورد فى تقارير المزارعين من أنها لم تصلها مياه الفيضان فعلاً وأنها غير مروية بالفعل αβροχος γη ؟ يفترض - حسب تفسير فيلكن - أن يطلق على هذه المساحات الضئيلة من الأرض«الأرض المتفق على عدم ريها ομολογος αβροχος γη». ببساطة إذا كان الأمر يتعلق باتفاق الرأى بين الإدارة والمزارعين أو الملاك فإن هذا الاتفاق ينبغى أن يطبق على حالتى رى الأرض وكذلك عدم ريها إذا تطابقت رؤية الطرفين . لكن تقارير لجان التفتيش الفعلية تطلق على الأرض التى لم تصلها مياه الرى - حسب رؤية اللجنة - ببساطة مصطلح « أرض غير مروية » . أنها تتحدث ببساطة وبمصطلحات تقريرية عن « أرض غير مروية » αβροχος γη- ضئيلة جداً فى مساحتها مقارنة بما ورد فى تقارير أو شكاوى المزارعين - وعن غالبية من الأراضى موضوع التفتيش رأت اللجنة أنها « مروية من النيل » [١٠] (λ(οιπαι)νειλ(οβροχου και هذا الموقف يوحى بأن رأى فيلكن غير دقيق أو على الأرجح غير صحيح .

أما عن طرح والاس للأمر فربما كان ماذكره عن أن الأرض التى وردت فى تقارير المزارعين على أنها « غير مروية αβροχος γη » كانت ذات نوعية جيدة ويدفع عنها ضرائب وإيجارات عالية صحيحاً جزئياً (وإن بالغ فى قوله « فى الأغلب ») لأن الأمر يتعلق بوصول المياة للأرض وليس بدرجة خصوبتها ، وقد لاتصل المياه - فى حالة انخفاض الفيضان - إلى أراض ذات خصوبة عالية أو ضعيفة . أما رأيه بشأن مبالغة الملاك « الخبثاء » فى تقدير مساحة الأرض غير المروية فاحتماله ضعيف لسبب بسيط وهو أن هؤلاء المزارعين كانوا يعلمون سلفاً - حسب النظام الإدارى - أن هناك لجنة تفتيش ستقوم بالتفتيش والمراجعة على ما ذكروه فى بلاغاتهم من بيانات وأرقام ، وتستطيع بسهولة أن تكتشف كذب ادعاءهم إن فعلوا ذلك . ببساطة لقد كان المزارعون هم الطرف الأضعف فى المعادلة أمام الإدارة ولجان تفتيشها التى تستطيع أن تكذّب بلاغات المزارعين وماجاء فيها إن كذبوا - وإن صدقوا ! لأن لجان التفتيش - وليس المزارعون - هم الجهة المصدقة من جانب الإدارة ، ولأن الإدارة كانت - على الأرجح - توعز لهذه اللجان بالتقليل ما أمكن من مقدار الأرض التى ورد فى بلاغات المزارعين أنها « غير مروية » حفاظاً على المصالح المالية للإدارة والحكومة الرومانية .

رأي وسترمان والرد عليه :

أما عن معالجة وسترمان لهذه المشكلة فقد توصل إلى نتيجة

مفادها أن « رى الأرض التى لم تصلها مياه الفيضان كان يتطلب نفقات أكبر بكثير فى القيام بأعمالها من تلك التى وصلتها مياه الفيضان . وقد أرادت الحكومة المصرية (يقصد الإدارة الرومانية ورجالها من المصريين) أن تجبر السكان على الوصول بإنتاج الأرض إلى الحد المقرر عليها . وكانت الوسيلة المستخدمة لتحقيق هذا الغرض هى فرض ضريبة عالية وايجارات مرتفعة كل عام على الأرض التى تقع تحت الفئة الإنتاجية المسماة « أرض غير مروية αβροχος» (١١) .

هذا الرأى لوسترمان يعطى انطباعاً واضحاً بأن الإيجارات المرتفعة على « الأرض غير المروية » كانت أمراً « مقنناً » من قبل الإدارة ومقصوداً بغرض إجبار المزارعين على رفع انتاجية الأرض . ولكن ثبت عدم صحة هذا الرأى لوسترمان من خلال فقرة نجدها تتكرر فى الطلبات المقدمة إلى حاكم إقليم الابوللونوبوليتى هيبتاكوميا (١٢) (السبع قرى) - فى شمال سوهاج الحالية فى مصر العليا - من مزارعى « الأرض الملكية » هناك طالبين فيها تخفيض الإيجارات عن أرضهم التى لم تصلها مياه الفيضان αβροχος γη بما يتفق وقرار الامبراطور هادريان فى هذا الشأن (١٣) . هذه الفقرة المقصودة تقول :

« على أن تعفى الأرض غير المروية ويحصل نصف الإيجار عن الأرض المروية صناعياً كما جرت العادة » :

Παραδεχομενης αβροχου και ημισειας επηντλ

(ημενης) κατα το εθος.

إن فهمى لهذه العبارة – حسبما ترجمتها أعلاه – هو أنها تشير إلى أن العادة قد جرت على أن الأرض الملكية التى لم تصلها مياه الفيضان ولم يتسن ريها صناعياً تعفى من دفع الإيجارات كلية ، أما تلك التى لم تصلها مياه الفيضان ولكن أمكن ريها صناعياً فقد جرت العادة على أن يدفع مزارعوها نصف الإيجار المقرر عليها . وهذا هو نفس فهم جونسون لهذه الفقرة (١٤) . لكن وسترمان (١٥) يبدى فهماً ملتبساً وغامضاً لهذه الفقرة التى يصفها بأنها « صعبة » .

رأي جونسون والرد عليه :

وأخيراً يقترح جونسون تفسيراً أو حلاً آخر لهذه المشكلة حين يقول :

« من المرجح جداً أن تلك الأرض التى لاتصلها مياه الفيضان كانت خارج نطاق الحياض وكانت تروى رياً دائماً (على مدار السنة) . ولما كانت هذه الأرض من الممكن زراعتها بأكثر من محصول واحد فقد كان ممكناً أن يفرض عليها ضرائب أعلى دون عنت أو إرهاق على المزارع لاسيما وأن محاصيل الصيف والخريف لم تكن خاضعة للضريبة » (١٦) .

لكن اقتراح جونسون عن الرى الدائم للأرض التى لا تصلها مياه الفيضان هو اقتراح افتراضى بحت وتنقصه الأدلة والقرائن . بل أكثر من ذلك أنه يتناقض مع المعنى الأصلى والبسيط لاصطلاح αβρο-χος الذى يعنى « أرض لا تصلها مياه الفيضان » ، فكيف تروى رياً

دائماً ؟ هل المقصود أنها كانت تروى رياً صناعياً -επηντλη
μενηعن طريق شفط المياه الجوفية بالطلمبات ؟ إذا كان ذلك هو المقصود فهى وسيلة مرهقة ومكلفة وتستدعى تحصيل إيجارات مخفضة عن تلك الأرض التى جرت العادة - كما يذكر المزارعون فى طلباتهم - على أن يحصل منها نصف الإيجار المقرر .

رأي الباحث في المشكلة :

بعد هذا العرض النقدى للآراء التى أوردها العلماء بشأن مشكلة الأرض التى لا تصلها مياه الفيضان αβροχος γη وايجاراتها المرتفعة رغم ذلك فإننى سأطرح تصوراً لما يبدو لى أنه التفسير المعقول ، وذلك على النحو الآتى :

اعتادت الإدارة الرومانية أن تضع معدلات محددة لإيجارات وضرائب الأراضى الزراعية وفقاً لدرجة خصوبة أو انتاجية كل قطعة على حدة . ولم تكن الظروف الاستثنائية لحالة فيضان النيل (سواءً كان مرتفعاً أو منخفضاً) تؤخذ مأخذ الجد وتوضع فى الاعتبار من جانب الموظفين المحليين إلا إذا أثرت هـذه الظروف الاستثنائية للفيضان (فى حالة تكرارها) على درجة خصوبة الأرض المعنية ، ومن ثم فقد كانت المعدلات المعتادة من الضرائب والإيجارات تظل تفرض على الأرض التى لم يروها الفيضان طالما لم تتأثر درجة خصوبتها وكما لو كان توصيل الماء إليها بأية طريقة هو من شأن المزارع . ومما يؤيد أن الإدارة الرومانية كانت تنظر للأمر على هذا النحو نموذج نورده من

الفيوم . فى هذا المثال – وهو تقرير مسحى عن الأرض الملكية فى إحدى القرى الواقعة جنوب الإقليم الأرسينويتى [١٧] – نجد قطعة أرض مساحتها ١٨ ٣/٤ أرورة من الأرض الملكية فى تلك القرية غمرتها وغطتها المياه καθ υδατος فى أحد الأعوام ومع ذلك استمرت الايجارات تجبى عنها كالمعتاد [١٨] ων τα εκφορια διεσταλη . ويبدو أن الإدارة قد حصلت الإيجارات المعتادة عنها لأنها كانت تأمل أن تنحسر عنها المياة الزائدة وأن تعود الأرض إلى طبيعتها فى القريب العاجل . ولكن نفس القطعة من الأرض ظلت مغمورة بالماء فى العام التالى ، وأمام هذا الوضع قامت الإدارة بتأجيرها – عن طريق شيوخ المزارعين بالقرية – بإيجارات مخفضة وكتبت فى التقرير تبرر هذا الإجراء بالقول « خفضت ايجاراتها فى العام الرابع لأنها مغمورة بالمياه [١٩] » . ويبدو أن إيجار هذه القطعة من الأرض قد خفض من قبل الإدارة فى العام التالى لأن بقاء هذه الأرض « تحت المياة » عامين متتالين قد أثر على خصوبتها تأثيراً سلبياً وجعلها على درجة عالية من الملوحة .

وهناك دليل آخر على أن ايجارات أراضى الدولة كانت تحدد وفقاً لمعدلات ثابتة ومحددة حسب درجة خصوبة قطعة الأرض المؤجرة وقت التأجير دون اعتبار – من جانب الموظفين المحليين – لظروف الفيضان الاستثنائية . هذا الدليل يتمثل فى احدى فقرات مرسوم الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر عام ٦٨ م [٢٠] ، وفى هذه الفقرة يدين الوالى ممارسات الموظفين فى هذا الشأن إدانة قوية قائلاً :

« إن الضرائب يتم تحصيلها بصورة تقديرية وليس حسب الارتفاع الفعلى لفيضان النيل بل من خلال حساب متوسطات بضعة فيضانات سابقة . ولكن ليس هناك ماهو أكثر عدالة من الحقيقة ذاتها . لذا يجب أن نجعل الناس يحيون فى ثقة ويزرعون حيازاتهم بمعنويات مرتفعة وهم على يقين من أن تحصيل الضرائب منهم سوف يكون طبقاً للحالة الحقيقية للفيضان الفعلى ولأرضهم التى تم ريها » (٢١) .

كما أن هناك مرسوماً آخر بهذا الشأن أصدره الإمبراطور هادريان فى أوائل القرن الثانى للميلاد سنة ١١٨ وقرر بمقتضاه « أن تؤجر الأرض الملكية والأرض العامة وأرض الضياع حسب القيمة الفعلية لكل قطعة أرض وليس حسب المعدل المحدد من فترة سابقة » (٢٢) . هذا المرسوم يبين بجلاء أنه قبل صدوره كانت أرض الدولة تؤجر وتحدد إيجاراتها حسب معدل محدد من وقت سابق εκ του παλαιου προσταγματος (أى حسب مرسوم أو قرار قديم) ، أو « حسبما جرت العادة بالنسبة للأرض » : (٢٣)

ακολουθως τη των αρουρων συνηθεια.

وقد كان هناك رد فعل واسع النطاق تجاوباً مع مرسوم الإمبراطور هادريان نلمسه فى الوثائق حيث نجد المزارعين يشتكون من أنه قبل صدور المرسوم لم تكن أرض المزارع منهم « تحتمل مثل هذا الإيجار المرتفع وأنه كان يشكل (الإيجار المرتفع) عبئاً ثقيلا عليه » (٢٤) ، ويطلب المزارع فى نهاية التماسه أن يطبق عليه قرار الإمبراطور .

وهكذا فقد كان فرض الإيجارات والضرائب المرتفعة المبالغ فيها على المزارعين بغض النظر عن الظروف الاستثنائية للفيضان – انخفاضاً وارتفاعاً – هو القاعدة السائدة ، فى حين كانت مراسيم الولاة والأباطرة لمحاولة التحكم فى هذه المعدلات المرتفعة من الضرائب والإيجارات هى مجرد مهدئات أو مسكنات مؤقتة أمام وضع مُلحٍّ تكون فيه شكاوى المزارعين وتظلماتهم قد بلغت ذروتها ، ثم ما يلبث الوضع – بعد تقديم هذه المسكنات – أن يعود إلى سابق حاله من تعسف وعنت وإرهاق للمزارعين البسطاء .

الحواشى

1 - BGU 640, 1 st century A.D., II. 11-14; SB 8976, 106 A.D. II. 16-17; PIand., 104 A.D., II. 19-20; PTebt. 374, A.D. 131. II, 19-21 (all from Fayum); PFlor. 368, Hermopolis Magna, A.D. 96, II. 12-15. See J. HERMANN, Studien Zur Bodenpacht in Recht der Greco-agyptieschen Papyri; Munchen 1958, p. 161. εαν δε η αβροχος γη η καθ υδατος γενηται, παραδεχθησεται μοι τα εκφορια.

2 - PRyl. II 209, Fayum, early third century A.D., II. 7-8, 10-11

حيث نجد معدل الإيجار بالنسبة لتصنيفى الأرض الـ αβροχος والـ ομολογος هو حوالى ٢/١ ٤ أردب عن الأرورة .

3 - E.g. PBour. 42, Hiera Nesus (in the Fayum), A.D. 167, II. 15-16

حيث نجد متوسط الإيجار عن الأرورة من الأرض الـ εν ομολογω هو ٤,٨٦٤ أردب من القمح عن الأرورة بينما متوسط إيجار الأرض الـ αβροχος هو ٥,٤٠ أردب قمح عن الأرورة ، وفى الأسطر ٥١ - ٥٢ من نفس الوثيقة نجد أن متوسط إيجار الأرورة من الأرض الـ εν ομολογω هو ٤ أرادب ومن الأرض الـ αβροχος ٥,٠٦ أردب .

للمزيد من الأمثلة عن هذه النقطة أنظر قوائم بردية :

P. Bour. 42, PP. 143 - 145.

٤ – من الواضح أن هذه الإصطلاحات مترادفة فى معناها :

PBour. 42 (introduction); A.C. JOHNSON, Roman Egypt, p. 38; W.L. WESERMANN, "Uninundated land in Ptolemaic and Roman Egypt", CPh 15 (1920), pp. 87, 16 (1921), p. 169.

5 - Quoted by Wilcken in Archiv Pap. 4 (1908), p. 177 and Westermann "op. cit" CPh 15 (1920), p. 124.

6 - U. WILCKEN, loc. cit.

7 - WESTERMANN, op. cit., p. 125.

8 - U. WILCKEN, Grundzuge, p. 207; Chrestomatie, 236-237, introduction. Cf. also PRyl. II 209, introd., p. 287.

9 - S.LE ROY WAILACE, Taxation in Egypt, p. 9.

١٠ – أنظر : محمد عبد الغنى « أزمة الإقليم المنديسى فى عصر ماركوس أوريليوس »، حاشية رقم ٧٣ (من أبحاث هذا الكتاب) .

11 - WESTERMANN, op. cit., CPh 16 (1921), P. 117

The Social and Economic History of the Koman Empire, chapter 9, note 52, p. 610.

12 - PGiss, 4, 5, 6 cols. I, II, III, Heptakomia, A.D. 118 - 119, PRyl/ 96 (also from Heptakomia, A.D. 118-119).

13 - See later in this paper.

14 - A.C. JOHNSON, Roman Egypt, p. 109 .

15 - WESTERMANN, "Hadrian's Decree on renting the State Domain in Egypt," J.E.A., 11 (1925), pp. 165 ff., and pp. 175-176.

16 - JOHNSON, op. cit., p. 11.

17 - POxy. 918, Fayum, 2 nd century A.D.

18 - Ibid., col. XI, 1.2.

19 - Ibid., ll. 2-3 where the statement of the case is as follows :

[δια το καϑ υδ]ατο(ς) γεγο(νεναι), ων τα [ε]κφο (ρια) διεσταλ(η) μ[εμισ]ϑ(ωμεναι) γ (ετει) υπο | πρεσ (βυτερων) τησ κω (μησ) (αρουραι) ιη δ; ων τα

εκφο(ρια) τω δ (ετει) ηλασσ [ωυ(η)] δια τσ καθ υδατος. See also ll. 12-13, and introd. p. 275.

20 - OGIS 669, 12, 55 ff. της δ αυτης κακοτεχιας εστιν και η {ι} λεγομεν<η> κατα συνοψιν απαιτησις, ου προς την ουσαν αναβασιν Νε[ιλου, | αλλα] προς συνκρισν αρχαι(ο)τερων τινων αναβασεω[ν] καιτοι της αληθειας αυτης ουδεν δοκει δικαιοτερον. θαρ[ρουντας | ουν ο]ικειν και προθυμως γεωργειν τους ανθρωπους, [ειδοτα] ς οτι προς | το αληθες της ουσης αναβασεως και της βεβρεγμ[ενης | γης, αλλ ο]υ προς συκοφαντιαν των κατα συνοψιν παραγραφο[με]νων η απαιτησις εσται.

21 - Translation by A.C. JOHNSON, Roman Egypt, pp. 704-709.

22 - PGiss. 4, 7-10, Apollonopolite, A.D. 118-11 . στησαντος τη[ν] βασιλ (ικην) | γην και δημοσιαν και ουσιακην γην | κα [τ] αξιαν εκαστης και ουκ εκ του παλαιου π[ρο]σταγματος γεωργεισθαι.

23 - PSI 1144, Fayum. A.D. 100; PTebt. 373. Fayum,

A.D. 110. ·

٢٤ – تصادف أن كل الوثائق المتاحة لدينا حول هذه النقطة كانت تظلمات موجهة من المزارعين فى الأقليم الأبوللونوبوليتى هيبتاكوميا (السبع قرى) فى شمال سوهاج الحالية (من مزارعى الأرض الملكية خصوصاً) إلى أبو للونيوس حاكم الإقليم .

PGiss. 4, 5, 6 cols. I, II, III, PBrem. 34 (U. WILCKEN, Archiv Pap. 5 (1913), PP. 245 - 246) : PRyl. 96 (A. D. 118-119) : επει ουν τουσουτο τελεσμα ου βαστα–ζουσι, αυτος δε βαρουμαι τω εκφοριω (τοις εκ–φοριοις).



الباب الثالث
من جوانب الحياة الاقتصادية



المبحث السادس

« العربون »
في مصر في العصرين البطلمي والروماني على ضوء الوثائق البردية

بحث منشور باللغة العربية فى المجلد التاسع من « مجلة مركز الدراسات البردية » بجامعة عين شمس عام ١٩٩٣ الصفحات من ١١٧ إلى ١٢٦ .

أصل وتعريف العربون :

تطلق كلمة « العربون » - كما نعلم - على مقدم الثمن الذى يدفع نظير شراء سلعة أو القيام بخدمة ما على أن يسدد باقى المبلغ فيما بعد إما كاملا أو على أقساط . ودفع مبلغ العربون يعتبر دليلا على جدية المشترى أو طالب الخدمة مما يجعل البائع يحجز السلعة للمشترى أو حتى يسلمها له أو تجعل صاحب الخدمة يشرع فى القيام بها بناء على ما تلقى من عربون . ومما جذب انتباهى لهذا الموضوع أن كلمة « عربون » التى نستعملها لهذا الغرض موجودة وبنفس معناها واستخدامها فى عدد من الوثائق البردية البطلمية والرومانية αρραβων ، كما أن هذه الكلمة مستخدمة فى اللاتينية بنفس هذا المعنى arrhabo (أو بشكل مختصر arrha) ويبدو أن اللاتينية قد أخذت هذه الكلمة من اليونانية . وتذكر المعاجم اللغوية اليونانية واللاتينية [1] أن هذه الكلمة سامية الأصل وربما كانت فينيقية ، كما أنها مستخدمة فى العبرية وتنطق « عيرابون » . ومما لفت نظرى أيضا أن هذا الموضوع لم يحظ - على قدر علمى المتواضع - بدراسة مستلقة أو بحث يلقى الضوء عليه ، ولذلك أتقدم بهذه الدراسة راجيا أن تجلى صورة هذا الموضوع قدر الامكان.

حالات دفع العربون :

وبعد قراءة الوثائق التى تتناول هذا الموضوع وتحليلها وجدت أن معلوماتها مفيدة فى إلقاء بعض الضوء على عدد من جوانب هذا الموضوع سأتناولها فى صورة إجابة على التساؤلات التالية :

هل كان العربون يدفع كمقدم ثمن فى حالات البيع والشراء

فقط ، أم كان يدفع أيضا فى مقابل بعض الخدمات الأخرى ؟ وهل كان العربون يدفع نقداً فقط أم نقداً أو عيناً ؟ وماهى نسبة هذا العربون بالنسبة للثمن الإجمالى ؟ وماهى الشروط الجزائية التى كانت توقع على الطرف الذى لايوفى بالتزامه ؟ وهل كان العربون يعطى لصاحبه ميزة على غيره من المشترين ؟

ونبدأ بالإجابة عن هذه التساؤلات بالترتيب من خلال ماتورده الوثائق البردية :

هل كان العربون يدفع كمقدم ثمن فى حالات البيع والشراء فقط . أم كان يدفع أيضا فى حالة الاستعانة ببعض الخدمات الأخرى ؟

إن معظم مالدينا من وثائق حول العربون تتناوله كمقدم ثمن لشراء بعض الممتلكات العقارية أو السلع الأخرى . فمن هذه الوثائق التى يدفع المشترى فيها عربوناً كمقدم لثمن الشراء نجد شراء منازل أو أجزاء من منازل [٢] وكذلك شراء الأراضى الزراعية [٣] أو مساحات من الحشائش والأعلاف لتربية الماشية [٤] . وفى إحدى الوثائق يدفع أحد تجار الصوف فى الفيوم مبلغاً من المال كعربون لشراء ١١٨ جرة من الصوف من أحد اليهود على أن يقوم بدفع بقية السلع عندما يقوم هو (المشترى) بجر الصوف . ولكن المشترى يذكر أن اليهودى قام بجز الصوف واستحوذ عليه لنفسه ، ولذلك يشكو هذا المشترى إلى الملك بطلميوس الرابع فيلوبانور هذا الظلم الواقع عليه من اليهودى [٥] . وفى وثيقة أخرى من عهد فيلوباتور أيضاً يشكو ثلاثة من تجار التجزئة بقرية كيركيسوخا بالفيوم للملك

من أنهم قد إتفقوا مع أحد تجار الجملة ممن يبيعون النبيذ على أن يشتروا منه مائة وست وعشرين قنينة من النبيذ من حجمين مختلفين ودفعوا له عربونا على دفعتين وتسلموا هذه الكمية لعرضها وبيعها على دفعات . وعند الإحصاء النهائى للكمية التى استلموها وجدوا أنها تقل بأربعة عشر قنينة عن العدد المتفق عليه (٦) . وفى وثيقة أخرى هى عبارة عن خطاب شخصى من سارابيون إلى إبنه هيرمياس يذكر الأب لإبنه ضمن ما يذكر أن يشترى عشرة آلاف قالب من الطوب (القرميد) إذا كان طوباً جيداً وأن يدفع فى هذه الحالة عربوناً (٧) . وفى كشف حساب لإحدى الضياع نجد عربوناً يدفع ربما عن ماكينة أو ماكينات حصاد ؟ لأن الكلمة مكتوبة مختصرة بما لايعطى ترجمة دقيقة لها (٨) .

فى الأمثلة السابقة وجدنا أن العربون كان يدفع كمقدم ثمن لأملاك عقارية أو سلع مختلفة من حشائش وصوف ونبيذ وطوب آجر للبناء وماكينات حصاد ، ومع ذلك فهناك وثائق أخرى نجد العربون يدفع فيها **كمقدم أجر نظير خدمة** يؤديها فرد أو أكثر .

ففى إحدى الشكاوى المقدمة للملك بطلميوس الثالث يوارجيتيس الأول يشكو أحد الفورينائيين من أرسينوى من أن إحدى سيدات القرية تعمل بحياكة الملابس قد تسلمت من زوجته الصوف اللازم لحياكة ثوبين وكذلك أجرة الحياكة ولكنها قامت بحياكة ثوب واحد ولم تنجز الآخر عن سوء نية وقصد . ولكن بالتحقيق فى الأمر مع السيدة المدعى عليها أنكرت استلامها لأجر الحياكة ، ويبدو أنها تذكر أنها تسلمت أجرة الثوب الأول ومقداره ١٢ دراخمة ، أما

عن الثوب الثانى موضع الخلاف فتقرل أنها لم تتعاقد على حياكته ويبدو أنها تذكر أنها تسلمت عربوناً من مجموع أجره (تهشم أجزاء من السطور لاتعطى المعنى بدقة ووضوح وإن كان المعنى فى مجمله مفهوما كما أن كلمة العربون مقرؤة بشكل واضح تماماً) [٩] .

وفى خطاب شخصى من القرن الثانى الميلادى من أخ لأخيه – ويبدو أن الأخ الذى أرسل الخطاب كان فى الأسكندرية ويريد أن يطمئن على بعض أمور تخصه هو وأخاه فى قريتهم بالفيوم (كونه فى الأسكندرية يتضح من ذكره للإله سارابيس ومن كلمة αναπλευσω) – ومن بين مايوصى أخاه بعمله ما يلى «لذا أرجو أن تتفضل بالكتابة لى بخصوص المنزل وما فعلت بشأنه وقد سلمت العربون الخاص بسارابيون المحامى παρακλητοςإليه ، واكتب لى بشأن قائمة الأملاك » [١٠] . ويبدو من العبارة السابقة أنه كان هناك نزاع على منزل يخص هذين الأخوين وقام الأخ الذى أرسل الخطاب بتوكيل محام للدفاع عن موقفهما أمام المحكمة ودفع له عربوناً .

وفى وثيقة ثالثة يطلب رئيس مجلس قرية باكخياس بالفيوم من شخص يشرف على مدرسة تدريب / راقصتين لبضعة أيام (عدد الأيام مهشم فى البردية) على أن يكون أجرهما ٣٦ دراخمة عن كل يوم بالإضافة الى بعض المؤن من القمح وأرغفة من الخبز ودواب لنقلهما ذهاباً وإياباً ، وقد تسلم المرسل اليه عربوناً نقدياً (لايتضح مقداره لتهشم الرقم) [١١] .

وفى وثيقة أخرى يوصى شخص شخصاً آخر – يخاطبه بلقب

سيدى وحامىّ قائد المعسكر πραιποσιτω καστ[ρ]ων– بأن يضم إلى رعايته وفى كنفه إبن أخيه (إبن أخى المرسل) ولكى يدعم طلبه أو رجائه هذا من سيده أرسل له هديه من الأطعمة من السمان والسمك المملح والحلوى والنبيذ . وبعد ذكر هذه الهدية من الأطعمة يذكر مايفيد أنه قدم عربوناً αρραβωνα δεδωκα [١٢] .

ويبدو أن استخدام كلمة العربون هنا ليست بالمعنى المتعارف عليه من أنه مقدم ثمن أو مقدم أجر وإنما توحى هنا بالأحرى بكونها رمزاً للمودة والارتباط بسيده / تشجيعاً له على أداء الخدمة التى طلبها منها وهى رعاية إبن أخيه ، وإن كانت تتضمن – بشكل ما – إرتباطاً بفكرة العربون الأصلية من أن هذه الهدية ربما كانت مقدمة لهدية أكبر بعد إتمام هذه الخدمة. وفى وثيقة أخيرة من القرن السادس الميلادى يتعهد مشرف على إسطبل يدعى جيورجيوس بن بقطر وزوجته يوفيميا برد قرض عليهما مقداره أربع قطع من العملة των τεσσαρων νομισμ (ατων) عندما يتسلمان عربون (مقدم) أجرهما ηνικα δεχομεθα αραβωνας των. ημων μισθων [١٣] .

ويعلق ناشر البردية على هذه العبارة الأخيرة بقوله أنها تلقى ضوءاً جانبياً طريفاً على نظام التشغيل الحكومى إذا ما كان هناك عربون من الأجر يدفع مقدماً للموظفين للإحتفاظ بخدماتهم . وأنه إذا كان الحال كذلك فإنه يجعلنا نستنتج أنه كان من الصعب حينئذ توفير بعض الخدمات أو العمالة أو أن الشخص المذكور هنا – مشرف الأسطبل – كان يتمتع بكفاءة غير عادية [١٤] .

ونأتى الآن للإجابة عن السؤال الثانى المتعلق بما إذا كان العربون يدفع نقداً فقط أو يمكن أن يدفع نقداً أو عيناً .

فى كل الأمثلة السابقة التى ذكرناها تقريبا كان العربون يدفع نقداً باستثناء حالة واحدة هى تلك التى يوصى فيها أحد الأفراد سيده بالاهتمام بإبن أخيه ويقدم له هدية من أطعمة مختلفة يصفها بأنها «عربون »والتى ذكرنا أنها لاتعنى العربون بمعناه الرسمى أو القانونى وأنما هى هدية ترمز للمودة وتحث على أداء خدمة لصاحبها . معنى ذلك أن العربون بمعناه المتعارف عليه كان يدفع نقداً كما تشير كافة القرائن البردية المتاحة .

مقدار ونسبة العربون :

وكان مقدار هذا العربون يتفاوت حسب قيمة السلعة أو الخدمة أو حسب الاتفاق بين البائع والمشترى أو بين مؤدى الخدمة والمستفيد منها : فنجد عربونا مقداره ٤ دراخمات لشراء حشائش أو أعلاف أرورتين من الأرض (P.Lond, 12,29, A.D. 145) وثمان دراخمات (P. Strassb. 300, 2 ndC.) وأربعة عشر دراخمة لشراء جزء صغير من منزل (١/٤٢) (P. Lond. II - 334, A.D. 166) وعشرين دراخمة لشراء ثلاث أرورات من الحشائش للماشية (P. Mil. Vogl. II. 52, A.D. 138, 1. 51) وأربع وأربعين دراخمة لشراء ثلاثة ٣ أرورات (p. Mil, Vogl. IV. 212, A.D. 109, col VI (R) 1 - 5) وثمان وأربعين دراخمة لشراء ٤ أرورات (Ibid., Col. VI (R.)1, 15) وست وسبعين دراخمة لشراء ١١٨ جزة من الصوف (P. Enteux. 2, B.C. 218) ومائة دراخمة لشراء سلعة غير

واضحة فى البردية (P Nil. vogl.. Col. XI. (R). L 3) ومائة وتسعين دراخمة لشراء ١٢٦ قنينة من النبيذ (P. Enteux. 34, B.C. 218) وخمسمائة دراخمة لشراء فناء منزل وبعض قطع من الأرض تبلغ حوالى ثلاث أرورات (B.G.U.II. 446, The reign of Marcus Aurelius) وألف وأربعمائة دراخمة لشراء الممتلكات المورثة لجندى رومانى على يد كاهنة مصرية من الفيوم وهى ممتلكات عقارية من الأراضى (BGU. I. 240, A.D. 167/68).

ولاستكمال الصورة ومعرفة مدى قيمة العربون فى هذه الحالات لابد من معرفة **نسبة العربون** الى القيمة الكلية للسلعة لمعرفة ما اذا كانت هناك نسبة محددة من المبلغ الإجمالى تدفع كعربون أم أن الأمر كان متروكاً لاتفاق طرفى عملية البيع وهما البائع والمشترى.

فى الحقيقة فإن المبلغ الإجمالى للأشياء المباعة من عقارات أو سلع لانجده فى كافة الوثائق المذكورة وإنما فى بعض منها فقط. وسنحاول التعرف عليها لمعرفة نسب العربون الى الثمن الكلى فيها. ومن تلك الوثائق التى يذكر فيها قيمة العربون والثمن الاجمالى ندرك بوضوح أنه لم تكن هناك نسبة محددة لقيمة العربون ويبدو أن الأمر كان يترك لإتفاق الأطراف المتعاقدة فى كثير من الأحيان. فمن العصر البطلمى فى القرن الثالث ق.م. وفى الشكاوى والإلتماسات المقدمة للملوك البطالمة نجد مثالين على نسبة العربون للثمن الكلى : ففى الشكوى المقدمة من تاجر الصوف ضد اليهودى الذى لم يسلمه صوف ١١٨ جرة نجد أن قيمة العربون هى ٧٦

دراخمة والثمن الإجمالى للصوف هو ٥٧٥ دراخمة تقريباً (ثمن الجزة الواحدة ٤ دراخمات و٥ أوبول و٢ خالكيس) أى أن نسبة العربون للثمن الكلى تبلغ حوالى ١٣٪ تقريباً [١٥] . وفى شكوى تجار التجزئة الذين يبيعون النبيذ ضد تاجر الجملة الذى غالطهم فى عدد ١٤ قنينة نجد أن مبلغ العربون هو ١٩٠ دراخمة والمبلغ الإجمالى للقنينات المائة وستة وعشرين هو ١٦٣٨ دراخمة (على أساس أن سعر القنينة ذات الـ ٦ χoυες هو ١٤ دراخمة وعددها ٧٢ قنينة فيكون ثمنها ١٠٠٨ دراخمة ، وسعر القنية ذات الـ ٥ χoυες هو $11\frac{2}{3}$ دراخمة وعددها ٥٤ قنينة فيكون ثمنها ٦٣٠ دراخمة) فتكون نسبة العربون للثمن الكلى حوالى ١١٫٥٪ [١٦] . هل نستنتج من هاتين الوثيقتين أن نسبة العربون للثمن الكلى فى القرن الثالث ق.م على الأقل كانت لاتقل عن ١٠٪ أم أن الأمر لايعدو أن يكون مصادفة ؟! . ومما يؤسف له أنه ليس بين أيدينا برديات بطلمية أخرى فى الموضوع تكمل الصورة فى بقية ذلك العصر أو تجلى بعض غموضها فى هذه النقطة .

أما عن وثائق العصر الرومانى فتتفاوت فيها نسبة العربون تفاوتا بينا لايجمع بينه خيط ولو دقيق : ففى إحدى برديات المتحف البريطانى من أواخر القرن الأول الميلادى وهى عبارة عن إيصال إستلام لبقية ثمن $2\frac{1}{2}$ أرورة من الأرض ويبلغ ٢٠٠ دراخمة كان البائع قد استلم من قبل ٤٠ دراخمة كعربون وهاهو فى هذا الإيصال يقر باستلامه بقية المبلغ وهو مائة وستين دراخمة أى أن نسبة العربون الإجمالى الثمن كانت ٢٠٪ . وفى وثيقة أخرى أن

العربون المدفوع لشراء محصول أربع أرورات من الأرض هو ٤٨ دراخمة وثمنها الإجمالى حوالى ٢٤٠ دراخمة (بواقع حوالى ٦٠ دراخمة للأرورة) أى بنسبة ٢٠ ٪ أيضاً (وهذه الوثيقة ترجع لعام ١٠٩ ميلادية) [١٨] . وفى وثيقة أخرى من وثائق المتحف البريطانى نجد إثنين من المزارعين يتعهدان بدفع ثمن محصول أرورتين من الحشائش والأعلاف ومقداره ١٢٠ دراخمة عن الأرورتين بعد موسم الحصاد لأحد تجار الزيت ويدعى آريوس . وفى ختام الوثيقة يذكر آريوس هذا أنه تسلم ٤ دراخمات كعربون من المائة وعشرين دراخمة المذكورة ويتبقى ١١٦ دراخمة ، أى نسبة العربون هنا تبلغ حوالى ٣ ٪ [١٩] . فقط (وهى نسبة ضئيلة جداً) . وفى وثيقة أخرى من وثائق المتحف البريطانى من عام ١٦٦م . هى عبارة عن إيصال إستلام لعربون كمقدم ثمن لجزء صغير جدا من منزل وتبلغ مساحة هذا الجزء المباع ١/٤٢ من مساحة المنزل يبلغ مقدار العربون ١٤ دراخمة من إجمالى الثمن الذى يبلغ ٢١ دراخمة أى أن العربون كان بنسبة ٢/٣ ٦٦ ٪ من إجمالى ثمن البيع [٢٠] ، وفى وثيقة أخرى من عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس أيضاً نجد سيدة تقر فى إيصال إستلام لأحد كهنة الإلة سوكنوبايوس بأنها تسلمت منه عربوناً مقدارة خمسمائة دراخمة نظير شراءه منها بعض أملاكها العقارية التى يبلغ ثمنها ثمانمائه دراخمة أى أن نسبة العربون تبلغ هنا حوالى ١/٢ ٦٢ ٪ [٢١] .

من الأمثلة السابقة من العصر الرومانى لانجد قاعدة محددة أو نسبة محددة للعربون وإنما يتضح أن الأمر كان متروكاً لإتفاق

الأطراف المتعاقدة .

الشروط الجزائية للعربون :

ننتقل الآن للإجابة عن سؤال آخر فى هذا الإطار وهو : ماهى الشروط الجزائية التى كانت توقع على الطرف الذى لايوفى بالتزامه بعد دفع العربون ؟ وبالتالى هل كان العربون يعطى لصاحبه حقاً أو ميزة لدى البائع ؟

نستطيع من خلال أقدم وثيقة وصلتنا عن موضوع العربون – وهى على حد علمى الوثيقة P.RYL. IV. 555. من عام ٢٥٧ ق.م. – أن نلاحظ أن العربون كان يعطى لصاحبه أولوية فى الشراء. ففى هذه الوثيقة – التى هى عبارة عن خطاب من أمينتاس أحد كبار رجال حاشية أبو للونيوس وزير مالية بطلميوس الثانى فيلاد لفوس إلى أبوللونيوس نفسه – يذكر أمينتاس أنه إشترى – ربما لحساب أبو للونيوس منزلاً فى كانوب يبلغ ثمنه ٢ تالنت وخمسمائة دراخمة مما يدل على أنه كان منزلاً فخماً للغاية حيث لانجد نظيراً لهذا الثمن فى الوثائق البطلمية (II. 4 - 6, note). ثم يذكر لأبوللونيوس إسم شخص يبدو أنه كان يزمع هو وجماعة معه تعطيل صفقة بيع هذا المنزل ، ولذلك يقول أمينتاس لأبوللونيوس «وإذا ماضايقك جماعة أنتيوخوس اللحوح فلتضع فى اعتبارك أننا قد سبقناهم (يقصد فى شراء المنزل) ودفعنا عربوناً »[٢٢] . ويبدو أن أمينتاس بهذه العبارة يطمئن سيده أبوللونيوس بأنهم قد ضمنوا الفوز بهذا المنزل الفخم فى هذه المنافسة وصار لهم حق فيه بعد أن سبقوا الطرف المنافس ودفعوا عربون الشراء .

ومما يدعم هذا الحق الذى يعطيه دفع العربون للمشترى أننا نجد فى ذلك الإلتماس الذى تقدم به أحد تجار الصوف للملك البطلمى يشكو فيه من اليهودى الذى لم يسلمه كمية الصوف المتفق عليها رغم تسلمه العربون أن هذا التاجر يقول للملك فى نهاية إلتماسه « فإذا ما إتضح أنه (أستولى على) الصوف رغم أنه تسلم العربون فعليك أن ترغمه على أن يرد الى الصوف [٢٣] . وفى وثيقة من أواخر القرن الأول الميلادى فى السنة الأولى من حكم الإمبراطور نيرفا عام ٩٧ نجد أحد الأشخاص من قرية كرانيس بالفيوم يقر لسيدة من القرية بأنه تسلم منها فى ذلك العام مبلغ مائة وستين دراخمة إستكمالا لثمن قطعة أرض مساحتها ٢١/٢٠ أرورة الذى يبلغ مائتى دراخمة كانت هذه السيدة قد دفعت منها عربونا مقداره أربعين دراخمة فى العام الثامن من حكم الإمبراطور السابق دوميتيان أى سنة ٨٨ وسجل هذا العربون فى مكتب التسجيل فى العام التاسع ٩٠/٨٩ بعقد قانونى κ (ατα) κυρειαν ομολον. أى أن الفترة مابين دفع العربون وسداد بقية ثمن الشراء تصل الى حوالى سبع سنوات ظل خلالها عقد العربون المسجل سارى المفعول ην και μενειν κυ(ρ)ιαν [٢٤] . من هنا قد نرجح أن العربون المدفوع ربما ضمن لهذه السيدة الإنتفاع بالأرض خلال هذه المدة الفاصلة بين دفع العربون وسداد بقية المبلغ ، أو ضمن لهذه السيدة على الأقل عدم تصرف مالك الأرض فى هذه المساحة إلى حين سداد بقية ثمن الشراء طيلة سبع سنوات .

التشدد فى شروط العربون :

ومن اللافت للنظر أننا نجد فى بعض الوثائق المتصلة بالعربون فى النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى بالتحديد كلمة « مرتبطة بالعـــربون وهى أنه » لايرد αρραβων αναποριφος [٢٥] ، ولاندرى على وجه التحديد سبب إرتباط هذا الشرط بالعربون فى وثائق تلك الفترة دون سواها من الوثائق التى لدينا سواء قبل التاريخ أو بعده . ربما كان ذلك لإضفاء مزيد من الجدية على التعاقد أو ربما كانت نتيجة لصدور مرسوم أو قرار فى هذا الشأن لم يصل إلينا، وإن كان من المعروف والمعمول به قانوناً الآن أن العربون لايرد للمشترى فى حالة تراجعه عن الشراء بغير مبرر مقبول ويخصم من ثمن السلعة فى حالة إتمام الشراء .

ومما يجدر ذكره أن هذه العقود ذاتها التى ورد بها أن « العربون لايرد » ورد بها أيضا شروط جزائية فى حالة عدم الالتزام بنصوص العقد الذى دفع بمقتضاه العربون ، وهذا يرجح أن عقود دفع العربون فى تلك الفترة من القرن الثانى قد التزمت قدراً أكبر من الحذر والاحتياط . ومن أكمل الأمثلة على هذه الشروط الجزائية ماورد فى إحدى وثائق المتحف البريطانى الخاصة بشراء جزء صغير من منزل (١/٤٢ من المنزل) تبيعه سيدتان من قرية سوكنوبايونيسون بالفيوم لسيدة ثالثة فى السنة السابعة من حكم ماركوس أوريليوس (١٦٦) والشرط الجزائى فيه كما يلى « وتقر البائعتان لتاويس (المشترية) أنه فى حالة عدم قيامهما بالتسجيل لها حيثما تشاء – بعد إستلامهما لبقية الثمن وتبلغ سبع دراخمات – يردان إليها

العربون مضاعفاً (ومن المدهش أن هذه قاعدة قانونية تطبق هنا حالياً) مع غرامة مقدارها النصف (نصف قيمة العربون) والأرباح عنه ويكون لتاويس حق التنفيذ من المقرتين ومن كافة ممتلكاتهما كما لو كـان ذلك الحق صـادراً بحكم مـحكمـة » . وفى بعض الوثائق الأخرى من نفس تلك الفترة نجد شروطاً جزائية مماثلة ولكنها غير مكتملة لوجود فراغات lacunae فى تلك الوثائق ، كـمـا نجـد ضـمانات من البائع للمشترى بسلامة عملية البيع [٢٧]. ويبـدو أنه كانت هناك قوانين محددة تحكم عملية دفع العربون والتزامات الطرفين حيث نجد بعض الشروط الجزائية فى إحدى هذه الوثائق ويعقبها عبارة طبقا لقانون العربون τωι των) αραβωνων ν[ο] .μω. (BGU.446, 1.17)

والملاحظة الأخيرة فى هذا الخصوص أن الفترة المؤرخة بها تلك الوثائق التى كان معدل العربون فيها مرتفعاً بالنسبة للثمن الإجمالى (أكثر من ٦٠ ٪) وهى نفسها الوثائق التى تحمل شروطاً جزائية مفصلة وينص فيها على أن « العربون لايرد » هى فترة حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١ – ١٨٠) . وهذه الظواهر التى تدل على الحرص الشديد وعدم الثقة فى إبرام عقود البيع تتفق مع تلك الفترة التى تعتبر بداية عصر الإضمحلال بالنسبة للإمبراطورية الرومانية وبدأت الأحوال الإقتصادية فيها تتدهور حتى أن المؤرخ جيبون يبدأ حديثه عن إضمحلال الإمبراطور الرومانية فى مؤلفه الشهير من عصر ذلك الإمبراطور .

الحواشي

1 - H.G. Liddell and R. Scott, Greek - English Lexicon, Oxford, 1973, art. αρραβων ; Ch.T. Lewis and Ch. Short, Latin Dictionary, Oxford, 1969, art. arrha.

2 - P.Ryl. IV. 555, Alexandria, B.C. 257; BGU. II. 446, Fayoum, 168 A.D.; P. Lond. II. 334, Fayoum, A.D. 166.

3 - P. Lond. II. 143, Karanis (Fayoum), A.D. 97, I. 13 ($2^{1}/_{20}$ ar.); P.Mil. Vogl. IV. 212, Tebtunis (Fayoum), A.D. 109, col. VI (Recto) 1.5 (3 ar.), 1. 15 (4 ar.) ; BGU. I. 240 Soknopaiou Nesos (Fayoum), A.D. 167/68; BGU. II. 446, Soknopaiou Nesos (Fayoum), A.D. 168.

4 - Les Archives de Sarapion et des ses fils, 79 (b), Hermopolis Magna (90 - 133 A.D.), col. II, I. 9; P.Mil. Vogl. II. 52, Tebtunis, A.D. 138, col. III, 1. 57 (εις αρραβ(ωνα) χλ(ωρων) βοικ(ων) (αρουρων) γ επι λογου (δραχη.) κ); P.Mil. Vogl. III. 154, Tebtunis, 2 nd cent. A.D., 11. 2-3; BGU. III. 947, Herakleopolis Magna, date unknown, 11. 5-7 (6 ar.)

5 - P. Enteuxeis 2, Fayoum (Crocodcilon Polis), B.C. 218. cf. also P. Enteuxeis 3 (Ptolemais Arabon, Fayoum) 222 B.C.

6 - P. Enteuxeis 34, Fayoum (Kerkesoucha), B.C. 218.

7 - Les Archives de Sarapion, 103 (a), Hermopolis Magna, (90 - 133 A.D.

8 - P. Mil. Vogl. II. 52, col. IX, 1. 150 : αρραβ(ωνος) τριβ.( ) .

9 - P. Enteuxeis 4, Arsinoe (Fayoum), B.C. 242.

10 - BGU. II. 601, Fayoum, 2 nd century A.D., 11. 9 - 13 :

Ευ ουν ποιησης γραψον μοι περι της οικιας, οτι επραξας, και τον αραβωνα του Σαραπιω-νος Παρακλος (read Παρακλητος 1. 12 note) δε δωκα αυτω, και γραψον μοι περι της απα-γραφης.

11 - P.Grenfell II. 67, Fayoum, A.D. 237, 11. 16 - 19 :

εντευθε[ν] δε εσχες υπερ αραβωνος [του] μη ελλογουμεν [ο]υ σ[ο]ι (δραχμας) [.] β.

12 - P. Lond. II. 239, A.D. 346, 11. 7 - 14 .

13 - P. Princeton III. 145, 6 th century A.D., 11. 5 - 6, 14.

14 - Ibid., 1.6, note.

15 - P.Enteux. 2, B.C. 218 , 11. 3-4, 1. 4, note.

16 - P. Enteux. 34, B.C. 218, 11. 3-4, 7-8, 1.4, note.

17 - P. Lond. II. 143, A.D. 97, 11. 9 - 15.

18 - P. Mil. Vogl. IV. 212, col. VI . (R.), 1. 15.

19 - P. Lond, III. 1229, A.D. 145, 11. 15 - 18.

20 - P. Lond. II. 334., 11. 13 - 16.

21 - B.G.U. II. 446, 11. 5 - 6, 21 - 22.

22 - P. Ryl. IV. 555, B.C. 257, 11. 7 - 11 :

εαν ουν οι περι Αντιοχον τον ραχαν ενοχλω–σιν σε π[υθο]υ διοτι και τη[ν α] ρχην ημεῖs π (ρο) τερον προσεληλυθαμεν και αρραβωνα δεδωκα –μεν.

23 - P.Enteux. 2, 11. 8 - 9 : εαν φαι(νηται) τα ερια και ειληφωs αορα βωνα, επαναγκαση (ι αυ) τον αποδουναι μοι τα ερια.

24 - P. Lond. II. 143, A.D. 97, 11. 12 - 18.

25 - P. Lond. II. 334, A.D. 166, 11. 14, 31; BGU XIII

2343, A.D. 168, 1.1. 13 - 14; BGU II. 446 (reign of Marcus Aurelius), 11. 5, 21 - 22; P. Flor. I. 24, 2nd cent. A.D., 11, 24 - 25.

26 - P. Lond. II. 334, 11. 21 - 26 :

αι β ομολογουσαι τη Ταουητι οποτε[αν] αιρηται αυτων λαμβανοντων παρ αυτης τας λοι] πα [ς] της τειμης [δρα]χμας επτα εαν δε μηι καταγραψωσι εκτισιν· αυ]τας αρ- ραβ(ων)α διπλουν μεθ' ημιολιας και τοκων γινομενης [της] πραξεως Τη ταουτιεκ τε των ομολογουσων και εκ των υπαοχον]των αυ- ταις π (αντω)ν καθαπερ εκ δικης.

27 - عن الشروط الجزائية والضمانات فى تلك الوثائق أنظر :

BGU II. 240, A.D. 168, 11. 20 - 30; BGU 446, 11. 14 - 18.

المبحث السابع

تقارير حسابات الدخل الخماسية الأيام في العصر الروماني (*)

(*) نشر هذاا البحث باللغة الانجليزية فى العدد الثانى والثمانين عام ١٩٩٠ من مجلة البردى والنقوش بألمانيا تحت عنوان :

M. Abd-et- Ghany, " Notes on the Penthemeral Reports of Revenue Accounts in Roman Egypt", Zeitschrift fur Papyrologie und Epigraphik, Band 82, 1990, ss. 107-113.

في الوثائق البردية من الفترة الرومانية في مصر نجد مجموعة من التقارير عن حسابات دخل تجبى من مصادر متعددة. هذه التقارير مقدمة من مشرفى الدخل [١] أو الـــ επιτηρηται الى كبار الموظفين المعنيين. كما أن هذه التقارير تعبر عن مقدار الدخـــل عن مدد زمنية مختلفة فمنها تقارير دخل عن خمسة أيام [٢] وعن شهر [٣] أو عام [٤] .

ولما كان عدد كبير من تقارير الدخل ذات الأيام الخمسة يؤرخ بأواخر حكم الإمبراطور هادريان كما تغطى فترة حكم الإمبراطور أنطونينوس بيوس (١٣٨- ١٦١م)وما بعدها، ولما كان كثير من هذه الوثائق قد أتى من الإقليم الأرسينويتى (الفيوم) اعتقد بعض العلماء أن مثل هذه التقارير الخماسية الأيام قد أدخلت « كجزء من إعادة تنظيم الجهاز الادارى فى الإقليم الأرسينويتى قرب نهاية حكم الإمبراطور هادريان » [٥] . لكن هذا الافتراض من جانب نافتالى لويس ثبت عدم صحته بعد نشر المزيد من الوثائق البردية اللاحقة والتى تتضمن تقارير دخل من هذا النوع مؤرخة بتواريخ أسبق من نهاية حكم هادريان (أقدم تقرير متاح عن حسابات دخل من هذا النوع يعود تاريخه إلى عام ١١٩، أى إلى فترة مبكرة من حكم هادريان) ومن أماكن خارج الفيوم من أقاليم ليكوبوليس وأوكسيرينخوس وثينيس ومن الإقليم الطيبى [٦] .

والآن لنحاول القاء نظرة فاحصة على محتويات مثل هذه التقارير ونسعى للتوصل إلى إجابات عما قد تثيره من اسئلة واستفسارات. أول هذه الأسئلة التى تفرض نفسها هو : هل كانت

هناك صلة ما بين هذه التقارير الخماسية الأيام وبين «شهادات الأيام الخمسة» الخاصة بالأعباء الإلزامية المفروضة على القرويين بالعمل فى صيانة الجسور والقنوات خمسة أيام كل عام [٧] υπερ Χωμα-χικων εργων. هذا التساؤل طرحه وأجاب عليه بالنفى كل من س. إيتريم ول . أموندسن [٨] ولم يعترض على رأيهما هذا أحد كما لم يعدله أحد من ناشرى البردى ممن نشروا تقارير دخل خماسية مماثلة. لكن رغم ذلك فإن المرء لايعدم أن يجد رابطة أو صلة ما - مباشرة أو غير مباشرة - بين « تقارير الدخل الخماسية الأيام » و « شهادات الأعباء الإلزامية الخماسية الأيام ». أول هذه الصلات أو أوجه الشبه بينهما هو أن الإشراف على الضرائب وجبايتها وتقديم تقارير عنها كل خمسة أيام من قبل الجباة أو المشرفين كان من بين الأعباء الإلزامية [٩]، والأمر نفسه ينطبق على العمل فى الجسور والقنوات خمسة أيام فى العام والذى كانت تصدر من جهات الإدارة شهادات إثبات لمن قاموا به . صحيح أن العبء الإلزامى فى الحالة الأولى كان يدخل ضمن « الأعباء الإلزامية الأكثر احتراما » فى حين كان فى الحالة الأخيرة يصنف ضمن « الأعباء الوضيعة » [١٠] " munera sordida " لكن تظل الحقيقة القائمة هى أن كليهما كانا - فى نهاية الأمر - من بين الأعباء .

ولما كانت الأعباء الإلزامية « الأكثر احتراما » تؤدى من جانب الفئات المميزة فى مصر فى ذلك الحين وهى تحديدا الرومان والسكندريين والإغريق والمتأغرقين فليس من الغريب أن نجد المشرفين والجباة لجوانب الدخل επιτηρηται يحملون أسماء « يونانية أو

رومانية» [١١] - حسبما نستطيع أن نستشف ذلك من القرائن الواردة فى تلك التقارير فى الحاشيتين رقم ٢ و ٣ - سواء كانوا ينتمون إلى جماعة الـ « ٦٤٧٥ إغريقى فى الإقليم الأرسينويتى » [١٢] أو غيرهم من الإغريق فى الفيوم [١٣] أو خارج الفيوم [١٤] .

ومن النقـاط الأخـرى التى ترجح وجـود صلة بين « تقـارير الدخل الخماسية » و « شهادات أداء الأعباء الخماسية » مايلى :

رغم أنه قد ثبت من خلال الوثائق البردية العثور على العديد من شهادات أداء الأعباء الخماسية من القرن الأول الميلادى (يؤرخ أقدم ما لدينا من هذه الشهادات بعام ٤٥م. (بردية بون رقم ٣١ من تبتونس » [١٥] فإن سيبستيان يقرر أن « أول تنظيم دقيق لمسألة أداء الأعباء الخماسية ربما تم من جانب الحكومة الرومانية حوالى عام ١١٥ ، وأننا بصدد التعامل مع إجراء استحدثه تراجان. وكنتيجة لذلك فلابد أن الدولة قد بدأت تمارس رقابة وتحكما أكثر صرامة على هذا النوع من الأعباء تحديدا ، وهو ما يتضح بصفة خاصة من الصياغة المستخدمة فى شهادات الأعباء الصادرة من تلك الفترة » [١٦] . ولما كان أقدم ما لدينا من تقارير الدخل الخماسية الأيام يعود إلى سنة ١١٩ (P.Oxy. 2472) فليس من المستبعد أن يكون حالها هو نفس حال شهادات أداء الأعباء الخماسية الأيام. وإذا ما صح استنتاجى هذا فلابد أن الإدارة فى ذلك الوقت (أواخر أيام تراجان وبداية حكم هادريان) كانت قد بدأت تفرض رقابة «صارمة» على هذين النوعين من الأعباء التى يستغرق أداؤها خمسة أيام لكى تضمن السيطرة التامة والتنفيذ الدقيق لكل منهما . ومما قد يؤيد فكرة

أن تقارير الدخل الخماسية الأيام كانت إجراء مستحدثا فى تلك الفترة فى بدايات حكم هادريان أن أقدم تقرير متاح لدينا من هذه التقارير هو التقرير الوحيد الذى يتضمن قسما بالإمبراطور أقسمه المشرفون على الدخل أن حسابا تهم قد قدمت للإدارة على أساس سليم وصادق (١٧). هذه الحالة الفريدة تؤيد – فى تقديرى – فكرة الرقابة الأكثر صرامة فى ذلك الحين (١٨).

ومن النقاط الأخرى الجديرة بالمعالجة فى هذا الموضوع نقطة العلاقة بين تقارير الدخل الخماسية الأيام وتقارير الدخل الشهرية والسنوية التى كان يقدمها المشرفون على الدخل . لما كانت هذه الأنواع الثلاثة من تقارير الدخل متزامنة وترجع إلى نفس الفترة فيمكن أن نقترح باطمئنان أن نفس المشرفين قد اعتادوا أن يقدموا للإدارة الأنواع الثلاثة من التقارير ،كل تقرير حين يحل موعده . وهذا يعنى أن المشرفين والجباة لأنواع الدخل لم يكونوا فقط يقدمون للإدارة تقارير الدخل الخماسية عندما يحين موعدها (كل خمسة أيام) بل يحتفظون كذلك بنسخ منها لكى يقوموا – فى نهاية كل شهر – بحساب وجمع المبالغ المدونة فيها على مدى الشهر (ستة تقارير شهريا) لتقديم تقرير حساب الدخل الشهرى (١٩). كما كان يحتفظ بنسخ من التقارير الشهرية – بدورها – لعمل تقرير الحساب السنوى (٢٠) منها فى نهاية العام. وهكذا فإن تقارير الدخل الخماسية الأيام كانت تمثل أقصر أنواع تقارير الدخل والوحدة الأساسية بين الأنواع الثلاثة من هذه التقارير .

وقبل النظر إلى الأنشطة الاقتصادية التى تغطيها تقارير الدخل

الخماسية الأيام– وبالتالى بقية أنواع تقارير الدخل – نتناول أولاً **اللقب الرسمى والمهام التى كانت توكل إلى المشرفين** على الدخل كما نراها فى ثلاثة تقارير دخل خماسية الأيام من قريتين بالفيوم هما ثيادلفيا وبوليديوكيا، وهى تقارير مؤرخة بالعام الثانى عشر من حكم الإمبراطور أنطونينوس بيوس أى سنة ١٤٨ . إن اللقب الذى يحمله هؤلاء المشرفون فى هذه الوثائق هو :

« من ...... و ..... و .... المشرفين على المراعى والمستنقع فى قريتى ثيادلفيا وبوليديوكيا والعقود الكهنوتية المتصلة بإيجارات الضياع ومصادر الدخل المائى وما يندرج تحتها وكذلك مصايد الأسماك »[21].

παρα — και — και — κτλ. και μετοχ(ων) επ–ιτη(ρητων) νομ[ων και | δρ]υμου Θεαδελφιας και Πολυ[δευκιας και | ιε]ρα[τ]ικων εν ωνων ουσ–ια[κ() μισθ()] | λογιζομενων και της αλλης υδ[ατικης] | προσοδου η{ς} και υποπειπτει και θηρα[ς] | ιχθυας.

إن ناشرى هذه الوثائق يفترضون أن هذا اللقب المقتبس أعلاه والذى يحمله المشرفون هو اللقب الكامل والتفصيلى والأصلى لهؤلاء المشرفين [22]، لكنهم كتبوه فى تقارير مماثلة من نفس القريتين المذكورتين مختصرا وعلى نحو أبسط صيغته « المشرفون على المراعى والمستنقعات επιτηρ ηται νομων και δρυμων » [23] ، ومن قرى أخرى بالفيوم نجد هذا اللقب مبسطا أكثر إذ يطلق على هؤلاء

المشرفين « مشرفوا المراعى επιτηρὴται νομων »[24] .

ولكن يبدو أن الأمر لا علاقة له بمسألة اختصار للقب تفصيلى وإنما اللقب الأكثر تفصيلا المذكور أعلاه ربما تضمن واجبات ومهام جديدة وأضيفت الى تلك التى سبق أن اسندت الى المشرفين فى قريتى ثيادلفيا وبوليديوكيا بالفيوم . هذه المهام الجديدة تتمثل فى « الإشراف على العقود (البيوع) الكهنوتية المحسوبة ضمن إيجارات الضياع » والإشراف على «مجمل دخل المجارى المائية και αλλης υδατικὴς προσοδου » . هذه الواجبات والمهام الإضافية يبدو أنها قد تقررت مع نهاية شهر توت من العام الثانى عشر من حكم أنطونينوس بيوس (الموافق لتاريخ نهاية شهر سبتمبر عام ١٤٨) . هذا الافتراض يستند الى أن أول وثيقة (تقرير) نجد بها هذا اللقب بالتفصيل (P.Leit.14) تؤرخ بنهاية شهر توت (بداية السنة الزراعية) من السنة المذكورة. ثم يتكرر نفس هذا اللقب المفصل مرتين فى تقرير دخل خماسى الأيام لدينا منه نسختان فى وثيقتين منفصلتين الأولى موجهة الى الاستراتيجوس (حاكم الإقليم) (P.Oslo III.91) والثانية إلى الكاتب الملكى(P.S.I.160) ، وهذا التقرير عن مدة خمسة أيام من ٢٦ إلى ٣٠ فامينوث من نفس العام الثانى عشر من حكم أنطونينوس بيوس (أى من ٢٢ إلى ٢٦ مارس من عام ١٤٩) . وما يؤيدى صحة افتراضى بشأن إسناد مهام اضافية الى هؤلاء المشرفين على الدخل مع بداية السنة الزراعية المذكورة (نهاية شهر توت من العام الثانى عشر من حكم انطونينوس بيوس) هو أن نفس هؤلاء المشرفين الذين ذكروا فى الوثائق الثلاثة

من هذا التاريخ بلقبهم الوظيفى التفصيلى قد سبق لهم أن قدموا - قبل فترة وجيزة فى الحادى عشر من توت من العام الثانى عشر أى ٨ سبتمبر سنة ١٤٨ - تقريرا مماثلا الى الاستراتيجوس وكان لقبهم الوظيفى - كما أوردوه فى التقرير - هو اللقب المختصر « المشرفون على المراعى والمستنقعات فى ثيادلفيا وبوليديوكيا » (P. Wisc. I. 37). ويتضح من بقية التقارير الأخرى الخماسية الأيام أن اللقب المختصر (ذا المهام والتكاليف المحدودة) كان هو اللقب المعتاد إطلاقه على مشرفى الدخل من القريتين حتى إقرار اللقب الوظيفى التفصيلى الجديد - بمهامه الإضافية - فى آخر شهر سبتمبر سنة ١٤٨م .

وهكذا فقد كان الإشراف على المراعى νομαι وجباية الضرائب الخاصة بها أحد المهام الرئيسية للمشرفين على الدخل فى الفيوم ، اذ كان ذلك التكليف يأتى على رأس مهام المشرفين كما يتضح من كافة التقارير الوارد ذكرها أعلاه. ولكن من الجدير بالذكر أن معظم التقارير من هذا النوع (باستثناء تلك التى يقتصر دور مشرفى الدخل فيها بوضوح على المراعى) كانت تتعامل على وجه الخصوص مع الضرائب على مصايد الأسماك أكثر من ضرائب المراعى: λογος Των περιγεγονοτων απο θηρας ιχθυας των απο ... εως ...[٢٥]

ومنذ أيام هيرودوت فإن دخل مصايد الأسماك من بحيرة مويريس (قارون) كان تالنت من الفضة يوميا ، ولكنه كان يهبط أثناء الفيضان الى ٢٠ مينا [٢٦]. نفس هذا المقدار من الدخل من

بحيرة مويريس ورد ذكره عند ديودور الصقلى الذى أشار إلى أن الملك بطلميوس الثانى فيلادلفوس كان يقدم إلى مليكته وزوجته أرباح مصايد الأسماك من البحيرة ومقدارها تالنت من الفضة يومياً [٢٧] . من هذه القرائن يتضح أن مصايد الأسماك بالفيوم كانت مصدرا هاما من مصادر الدخل وكانت تستحق الاهتمام الذى أولته إياها الإدارة الرومانية. وبالإضافة إلى مصايد الأسماك فإن الأحراش والمستنقعات كانت مجالا لأنشطة أخرى مثل صيد الضوارى والقنص θηρευειν και αγριευειν. ومن أجل ممارسة هذا النشاط أو العمل كان ينبغى تقديم طلب الى المشرفين على هذا النوع من الدخل الحكومى ممن يظهرون فى تقارى الدخل الخماسية الأيام [٢٨] (يظهر أحد المشرفين بالأسم مسئولا عن هذا النشاط واسمه فيليبوس بن أفروديسيوس فى (P. Oslo III. 91 ، السطر الرابع). ومن الأنشطة الأخرى التى كانت تمارس فى المستنقعات قطع سيقان نبات البردى [٢٩] .

وبالإضافة إلى الضرائب على المراعى والمصايد السمكية والأحراش كانت هناك أنشطة اقتصادية أخرى بالفيوم تخضع لرقابة وإشراف مشرفى وجباة الدخل الذين كانوا يقدمون عنها تقارير دخل مماثلة خماسية الأيام . من بين هذه الأنشطة الضرائب على الجمارك [٣٠] ، والضرائب على نوتية المراكب والمعديات التى كانت تجلب البضائع الى الفيوم [٣١] أو تحمل السلع من الفيوم [٣٢] إلى خارجها، وكذلك ضريبة الزيت ελαικον [٣٣] ، والضريبة على من يجزون الصوف من الأغنام επιτηρηται ωνης εριοκαρτων

και γναφαλλολογων [٣٤]

أما عن الأنشطة التى كان يتولى هؤلاء المشرفون الرقابة عليها وجباية الضرائب عنها فى الأقاليم (النومات) الأخرى غير الفيوم والممثلة فى تقارير دخل خماسية الأيام فقد كان من بينها الضرائب على العقود والبيوع لبضائع عديدة كالخشب [٣٥] ξυλοπακωνوبيع ونقل الملكية للاملاك العقارية -والبيع فى المزادات Κομακτορια [٣٦] وضرائب السوق- επιτηρηται τε λους αγορανομιας [٣٧] التى كانت تحددها تعريفة [٣٨] γνωμων، ومبيعات وعقود المعابد [٣٩] . كما كان من بين مهام المشرفين على الدخل الإشراف على بعض الاحتكارات مثل احتكار حجر الشبه [٤٠]، كما تثبت تقارير الدخل الخماسية الأيام فرض ضريبة على أعمال الوساطة التجارية أو السمسرة [٤١] ερμη- νεια(الكلمة اليونانية المعبرة عن السمسرة هنا مأخوذة من اسم الإله هيرميس الذى كان رسول الآلهة أو الوسيط بينها، ومن هنا فإن من يقوم بالوساطة بين أكثر من طرف كأن يكون سمسارا أو مترجما كان يسمى فى اليونانية ερμηνευς) .

أما عن المبالغ التى يتم تحصيلها من عوائد الدخل المذكورة كما ترد فى تقارير الدخل الخماسية الأيام فمن الغريب والعجيب أن نلاحظ أن تقارير قليلة فقط هى التى كانت ذات نتيجة إيجابية من حيث المبالغ المحصلة [٤٢] ، وحتى فى هذه الحالات الإيجابية فقد كانت المبالغ المذكورة فى هذه التقارير تتفاوت بشدة وكانت أقل من المتوقع [٤٣] . وفى كثير من تقارير الدخل الخماسية الأيام نجد نتيجة

التحصيل سلبية تماما ويذكر المشرفون عبارة « نعلن (نبلغ) أنه لم يتم تحصيل شيء » بعبارات وصيغ يونانية عديدة مثل :

δηλουμεν μηδεν περιγεγονεναι [٤٤]

προσφωνουμεν ουδεν περιγεγονεναι [٤٥]

δηλουμεν μηδεν εισπεπραχθαι [٤٦]

μηδεν | ουδεν περιγεγονεν [٤٧]

والسؤال الذى يفرض نفسه فى هذا السياق هو : لماذا تضمنت هذه التقارير هذه النتائج السلبية تماما بالنسبة للمبالغ المحصلة؟ فى بعض الأحيان نجد الإجابة عن مثل هذا التساؤل فى تقارير المشرفين نفسها : ففى أحد هذه التقارير الخماسية السلبية بخصوص ضريبة المراعى – على سبيل المثال – نجد السبب فى عدم تحصيل الضريبة هو «عدم وجود حيوانات فى القرية » [٤٨]، وهو سبب عجيب – فى تقديرى – لأن القرية المصرية لم تكن بحال من الأحوال خالية تماما من الحيوانات. ولكن هذا السبب ورد بعبارة أخرى فى تقرير أخر، وهذه العبارة الأخيرة ربما توضح المعنى المقصود فى العبارة الأولى: اذ تذكر العبارة الأخيرة السبب فى عدم التحصيل فى أنه « لأن أحدا لم يقم بالرعى » [٤٩]، وهو مبرر أكثر قبولا من الأول بالتأكيد . وفى تقرير آخر قدمه المشرفون على المبيعات فى مزاد عمومى يذكرون سبب عدم تحصيل أية مبالغ على أنه « بسبب عدم بيع أى شيء من المزاد » [٥٠] .

وفى تقرير آخـر من تقارير الدخـل لمدة أطول من خمسة أيام

(ربما كان تقريرا شهريا وان كان ذلك لم يرد صراحة) كان تقرير المشرفين سلبيا بخصوص محصلة حساب الدخل عن اثنتين من مصايد الأسماك العمومية فى قرية هيفا يستياس التابعة للتقسيم الهيراكليدى بالفيوم. وفى تبريرهم لهذه النتيجة السلبية عن المبلغ المحصل يذكرون السبب بصورة ضمنية فى سياق تقريرهم عندما يشيرون إلى أن القرويين قد اعتادوا على الاستفادة من هذه المصايد السمكية (ربما بغير تصريح قانونى - كما يبدو - وبدون دفع الضرائب المستحقة عن عمليات الصيد). وفى نهاية تقرير هؤلاء المشرفين الى الاستراتيجوس عن هذا الوضع يسألون الاستراتيجوس أن يصدر أوامره بضرورة تحصيل تلك الضريبة عن مصايد الأسماك بالقوة [٥١] . "

وهناك تقارير دخل خماسية الأيام ونتيجة التحصيل بها سلبية دون إبداء أية أسباب أو مبررات [٥٢]. والأكثر غرابة أن نجد تقارير دخل شهرية سلبية كذلك بغير أى تبرير [٥٣]. ولايمكن الجزم بما اذا كان السبب فى هذه الحالات السلبية فى تحصيل الدخل هو طبيعة هذه الضرائب المعنية التى لم تكن موسمية أو منتظمة وانما تحكمها الظروف ، أو إن كان السبب يمكن أن يعزى الى إهمال ولا مبالاة أو ربما اختلاس من جانب المشرفين على الدخل . ومع ذلك فيمكن على الأقل أن نفترض أن الرقابة على مشرفى الدخل قد تراخت ولم تعد صارمة مثلما كان الحال فى السنوات المبكرة من حكم هادريان حين كان على المشرفين على الدخل أن يقسموا يمينا بالإمبراطور أن حساباتهم دقيقة وصحيحة إن حدث عجز أو

نقص جزئى (وليس كاملا) فى هذه الحسابات [٥٤] .

ونختتم هذا المبحث بنقطة طريفة نلاحظها فى هذه التقارير الخماسية الأيام وهى أن المشرفين على الدخل - كانوا فى ثنايا وتفاصيل هذه التقارير - يشيرون الى الأيام التى لم يتم فيها تحصيل أية مبالغ مستخدمين اسم الإله هيرميس [٥٥] ، أى أن اليوم الذى يذكر أمامه أسم هيرميس - من أيام التقرير الخمسة - يكون يوما احتجب فيه أى دخل أو أرباح . ولعل إحدى هذه التقارير يذكر فيها عبارة κερδων Ερμης التى تعنى « احتجاب الأرباح » أو « لا أرباح » فى ذلك اليوم . وربما كان استخدام اسم هيرميس هنا للدلالة على النفى أو الاحتجاب مرده أنه كان من بينه صفات هيرميس المميزة حيلة البارعة وقدرته على السرية والتنكر والاحتجاب . وبالتالى فإن استخدام اسمه فى هذا السياق دليل على نفى وإنكار أى أرباح أو دخل ..

الحواشى

١ – هناك اتفاق فى الرأى بين العلماء من واقع الوثائق البردية على أن الـ επιτηρηται لم يكونوا فقط مشرفين على جباة الضرائب بل كانوا هم أنفسهم يقومون بالتحصيل الفعلى للضرائب ، انظر :

S.L. Wallace, Taxation in Egypt from Augustus to Diocletian (1938), p. 288; N. Lewis, The Compulsory public Services of Roman Egypt (Papyrologica Florentina 11, 1982), pp. 29-31; A.H.S. El Mosallamy, Public Notices Concerning Epiteresis of the One Zyteras, roceedings of the XVI Int. Cong. of Papyrology, Chico, 1981 (= ASP. 23), pp. 215-229, p. 217; J.R. Rea, "P. Lond. inv. 1562 verso : Markettaxes in Oxyrhÿnchos", ZPE 46, 1982, pp. 191 - 209, p. 192.

٢ – القائمة التالية هى قائمة بتقارير الدخل الخماسية الأيام والوثائق ذات العلاقة بها، مرتبة ترتيبا تاريخيا من الأقدم للأحدث .

- P. Oxy. XXVII 4272, Lycopolite nome, 119 A.D.
- P. Merton III 102, Theban district, 129/130 A.D.
- El Mosallamy, op. cit. = P.Eg.Mus. inv 43 = SB XVI 12504, Arsinoe (Fay.), 135/6 A.D.
- P. Oslo III 89, 90, Theadelphia (Fayyum), 138 A.D.
- PSI VII 735, Theadelphia (Fayyum), 138 A.D.
- P. Strasb. inv. 1108 (APF 4, 1907, pp. 142-144), Soknopaiou Nesos (Fayyum), 139 A.D.
- P. Fouad I 17, Tebtunis (Fayyum), 140/41 A.D.

- P. IFAO I 3, Thinite nome, 143 A.D. (4 reports : P. Soc. Pap. 82 I + II + III + P.I.F.A.O. 31).
- P. Koln II 84, Thinite nome, 143 A.D. (three reports, two of which are fragmentary).
- P. Berl. Moller 5, Psei (Fayyum), 145 A.D.
- P. Wisc. I 37, Theadeiphia (Fayyum), 148 A.D.
- P. Leitourgia, 14, Theadelphia (Fayyum), 148 A.D.
- P.Oslo III 91, Theadelphia (Fayyum), 149 A.D.
- PSI III 160 Theadelphia (Fayyum), 149 A.D.
- SB XIV 11984, Polemonos meris (Fayyum), 152/63 A.D.
- BGU II 478, 479, 480, Philoteris (Fayyum), 153 A.D.
- P. Koln II 83, Provenance unknown, 167 A.D.
- P. Freiburg IV 60, Herakleidou meris (Fayyum), 181 A.D.
- P. Coll. Youtie I 31, Herakleidou meris (Fayyum), 199 A.D.
- BGU III 812, Provenance unknown, 2/3 cent. A.D., 11. 10. (Col. I), 1.7. (Col. II).
- P.Oxy. XVII 2116, Oxyrhynchite nome, 229 A.D.

٣- القائمة التالية هى قائمة بتقارير الدخل الشهرية مرتبة ترتيبا تاريخيا.

P. Merton I 15, Bacchias (Fayyum), 114 A.D.

- SB XIV 11970, Hermopolite nome (?), 119 A.D.

- P. Hamb. I 6 (probably a monthly report), Hephaistias (Fayyum), 129 A.D.

- P. Oslo III 92, Naucratis, 130 A.D.

- P. Merton II 70, provenance unknown, 159 A.D.

- P. Mich. IX 544, Karanis (Fayyum), 176 A.D.

- P. Koln V 228, Oxyrhnchos, 176 A.D.

- BGU IV 1062 (= W.Chrest. I 276), Oxyrhynchos, 236/7 A.D., l. 16.

٤- (تقرير من السنة العشرين من حكم هادريان ، فى الأسطر ٣١-٤٥ تم تدوين وحساب الحسابات الإجمالية لأشهر ذلك العام بحيث يكون ناتج الحساب الإجمالى للعام بأكمله ، وفى العمود الثانى فى الأسطر ٤٦-٥٧ نجد الحسابات الإجمالية للسنوات الستة الأخيرة من حكم هادريان (الأعوام ١٧-٢٢ من حكمه) والسنوات الست الأولى من حكم الإمبراطور اللاحق أنطونينوس بيوس).

For the annual reports see, e.g., J. Rea, op. cit, (in note 1) = SB XVI 12695, Oxyrhynchos, after 29 August 143 A.D., Col. I, 1.4.

5 - N. Lewis, P.Fouad I 17, intr.; J. Schwartz, P.IFAO I 3, intr.

6 - See note 2.

٧- عن هذه الشهادات وهذا العبء انظر :

P.J. Sijpesteihn, Penthemeros - certificates in Graeco - Riman Egypt (Pap. Lugd - Bat. XII, 1964).

8 - P. Oslo III 89, commentary.

٩- عن وظيفة وعمل الـ επιτηρηται كعبء انظر :

U. Wilcken, Archiv IV (1907) P. 560; F. Oertel, Die Liturgie, PP. 237 ff.; N.Lewis, P.Leit. 14, introduction.

ويؤيد هذه القرائن المعلومات الواردة فى SB XVI. 12504 والتى نشرها لأول مرة عبد الله المسلمى (الحاشيتين ١، ٢ أعلاه) ففى هذه الوثيقة (فى العمود الثانى) نجد أحد « مشرفى الدخل » هؤلاء وقد أعفى من القيام بهذا العبء من جانب الابيستراتيجوس بسبب اعتلال صحته وإعاقته نظرا لشيخوخته .

أما عن مدة التكليف بالعبء فقد كانت لمدة عام (P.Hamb.I.6 intr., p. 22) واذا نظرنا فى التقارير الواردة فى الحواشى اعلاه نجد أنها كانت موجه الى الاستراتيجوس ، كما كانت نسخ منها توجه الى الكاتب الملكى . ونسخ أخرى الى « المشرف على السجلات العامة » .

(p. Oslo III. 89, 30 - 31; 90, 19-21; BGU 478; SB. 11984)

ويفترض ناشرو برديات أوسلو ٩١ وويسكونسون ٣٧ أن كاتب القرية كان يتلقى نسخة من تقارير الدخل الخماسية الأيام، ولكن يبقى هذا افتراض بغير دليل وثائقى .

١٠- اقتبست صياغة هذه العبارات من :

A.C. Johnson Eoman Egypt from Augustus to Diocletian, 1936, pp. 609 - 10.

١١- عن الأسماء اليونانية للمشرفين على الدخل انظر على سبيل المثال :

Ptolemaios son of Eudaemon, Didmos son of Didymos grandson of Herakleides, Sabinos son of Souchion, Sarapion son of Petermouthis, Ptolemaios son of Dioscoros (p. Oslo III 89, 90; PSI VII 735); Sarapamon son of Heraklas, Bootas son of Pameinos (P. Fouad 17); Philadelphos son of Sarapeion, Taro - as son Soter (p. IFAO I 3); Menikios son of Sarapeion (P. Berl. Moller 5); Ptolemaios so of Diodoros, Dioskoros and Philippos sons of Aphrodisios, Philippos son of Herakleides, Leontas son of Leontis (p.Wisc. I 37; P. Leit. 14; P. Oslo III 91).

وعن الأسماء الرومانية انظر مثلا :

Gaius Longus son of Dioscorus, Gaius Longus Priscus, Gaius Longus Celer (P. Oslo III 89, 90; PSI VII 735). C.f.P. Koln II 83, 1-10, note on the persons with "tria nomina" .

13 - P.Wisc. I 37, 6 note.

١٤- انظر اسماء المشرفين على الدخل فى تقارير الدخل من الأقاليم الاخرى (خارج الفيوم) فى الوثائق المتصلة بالموضوع المذكورة فى الحاشيتين ٢ و٣ أعلاه، وهناك مثال عليها ورد فى الحاشية رقم (١١) فى الوثيقة

P.IFAOI 3 من الاقليم الثينيتى .

١٥- من الجدير بالملاحظة أن غالبية هذه الشهادات تنتمى للقرن الثانى الميلادى .

PJ. Sijpesteijn, Penthemeros - certificates, p. 4 and the list of these certificates on pp. 24-38.

16 - Ibidem, p. 1 and note 6 of the same page.

١٧- كما يقسم المشرفون كذلك قسما بالإمبراطور فى تقرير دخل شهرى مؤرخ بعام ١١٩ أى من نفس العام (SB 11970) . وهذا التقرير هو أيضا الوحيد ضمن تقارير الدخل الشهرية التى جاء بها قسم بالإمبراطور.

P.Oxy. XXVII 2472, 17-19.

١٨- إن تفسير الغرض من تقديم تقارير الدخل الخماسية الأيام على أنه فرض رقابة أشد على الدخل يحظى بقبول اكثر من الافتراض بأن تحصيل الضرائب كان يتركز فى مواسم بعينها (وهو افتراض نافتالى لويس فى مقدمة P. Leit. 14) . إن هذا الافتراض الأخير يفتقر الى الدليل الوثائقى بل ويتناقض مع النتائج السلبية لتحصيل عوائد الدخل كما يتجلى فى كثير من هذه التقارير كما سنرى فى بقية البحث .

١٩- اعتقد أن بردية BGU III 812 هى فى الأصل مسودة لعدد من تقارير الدخل الخماسية الأيام التى اعتزم المشرفون على الدخل تدوين بياناتها وجمعها لإعداد التقرير الشهرى فى نهاية الشهر . ويبدو من الوثيقة ذاتها أن حصيلة دخل تقريرين متتاليين من التقارير الخماسية قد جمعا معا وكانت حصيلة جمعهما عن دخل عشرة أيام δεκημερος (العمود الأول، الاسطر ٤-١١) وقد حدث خطا كتابى من جانب الكاتب فى الأصل حين كتب γι(νεται) της πενθημερου أى « فتكون حصيلة خمسة أيام » ولكن الكاتب استدرك هذا وكتب : γι(νεται) της δεκημερου أى « فتكون حصيلة عشرة أيام » ، ثم يرد بعد ذلك

بيانات تقرير دخل عن خمسة أيام (العمود الثانى ، الاسطر ١-٧) . كل هذا يثبت بما لايدع مجالا للشك أن الوثيقة بأكملها تمثل سلسلة متصلة من تقارير دخل خماسية الأيام . وهذا منطقى كذلك ويدل على عملية جمع حصيلة هذه التقارير لأنه ليس فى الوثائق ما يثبت وجود تقارير دخل مستقلة عن عشرة أيام .

20 - See note 4 above.

٢١- القراءة والترجمة لنفتالى لويس :

P. Leit, 14, 6-11 and note on lines 8-9. Cf also P. Oslo III 91, col. I, 6-11; col. II, 27-32; PSI 160, 4-8.

٢٢ - أنظر مقدمات وتعليقات برديات الحاشية السابقة .

23 - P. Oslo III 89, 90; PSI VII 735; P. Wisc. I 37.

24 - P. Strasb. Graec. inv. 1108, col. I, 7-8; II, 9-10; P.Fouad 17,9-14; BGU II 478,4-7; 480, 3-5.

٢٥- (الوثيقة الأخيرة هى التقرير الوحيد الذى تقتصر فيه مهمة المشرفين على الدخل فى تحصيل الضرائب عن مصايد الاسماك ، كما يتضح من اللقب الوظيفى لهؤلاء المشرفين فى الأسطر ٤-٦).

P.Oslo III 89, 18-20; 90, 10-13; 91, 11-14. 32-35; PSI 160, 9-12; 735, 10-14; P.Wisc. I 37, 8-12; SB XIV 11984.

26 - Herodotus II 149: και επεαν μεν εκρη εξω, η δε τοτε τους εξ μηνας εξ ες το βασιλ–ηιον καταβαλλει επ ημερην εκαστην τα–

λαντον αργύριου εκ των ιχθυων, επεαν δε εσιη το υδωρ εν αυτην, εικοσι μνεας.

27 - Diodorus I 52. 5 : την δ εκ της λιμνης απο των ιχθυων γινομενην προσοδον εδωκε τη γυναικι προς μυρα και τον αλλον καλλωπισμον, φερουσης της θηρας αργυριου ταλαντον εκαστης ημερας.

28 - P. Rylands II 98(a), Fayyum, 154/5 A.D.

29 - P. Mil. I 6, Theadelphia, 26 A.D., 11. 5-9 : επιχωρηθεντος μοι βιβλον φερειν απο σθνοριας Θεοξενιδ(ος) μεχρι οριων Φιλωτεριδος και φλουν εκ του δρουμου και βιβλον και πλεκειν ψιαθους.

30 - P. Berl. Moller 5.

31 - P. Coll. Youtie 1 31.

انظر فى مقدمة البردية المناقشة التفصيلية προθμειον (صوابها πορθμειον) والتفسير المقنع لبردية BGU 812 والفروق بين محتوياتها ومحتويات وثيقة P. Coll. Youtie I 31 .

32 - BGU III 812. Cf. note 19 abone.

33 - P. Mich. IX. 544.

رغم ان هذا التقرير هو تقرير دخل شهرى وليس عن خمسة أيام فإننى أذكره فى هذا السياق على اعتبار أن العلاقة بين التقارير الخماسية الأيام والتقارير الشهرية – كما سبق أن أوضحت – هى علاقة الجزء بالكل . وعليه فلابد أنه كانت هناك تقارير دخل

خماسية الأيام عن هذه الضريبة، لكن لم يتبق لنا أي منها حتى الآن .

34 - P. Freiburg IV 60, introd.

35 - P.IFAOI 3 (I) 3-4; BGU III 812 I 2.

36 - P. IFAOI 3 (II) 4-5 note; P.Koln II 83, 10-15 with the detailed introduction about the επ-ιτηρηται εγκυκλιου και κομακτοριας των εκ φισκου κυρουμενων; P. Oxy, XII 1523. Cf. S.L. Wallace, Taxation in Egypt, Princeton 1938, pp. 227-231.

37 - P. Koln II 84, 19-21 note; P.Koln V 228; Wallace, op.cit., pp. 202, 305, 442, 447.

38 - SBXVI 12695 I 7-30; BGU IV 1062, 14.

39 - P.IFAO I 3 (IV) 5-7 και των αλλ(ων) επ-ιτηρτ(ων) ωνης εν (εξαδραχνω) ιερων with note on 1. 7. Cf. Wallace, op. cit., pp. 64 and 453; J.Rea, op. cit., introd., pp. 192-193.

40 - P. Oxy. XVII 2116.

41 - P.Oxy. XXVII 2472, 3 note.

42 - P. Oslo III 89, 27 a total of 141 drachmae; 90, 17 a total of 215 dr.; 91, 19. 19 (a copy of it in PSI III 160, 16) a total of 160 dr. and 14 ob.; PSI VII 735, 16 a total of 81 dr.; P. Merton III 102, 7-8 a total of 384 dr.; SB XIV 11984 a positive result, it seems, although the amouunt is not clear due to the lacunae.

43 - P. Oslo III 89, commentary on p. 90.

44 - P. Fouad 17, 14-16; P. IFAO I 3 (II) 6-9; ibid. (III) 9 - 13); P. Berl. Moller 5, 3-8 with comm.; P. Leit. 14, 11-12; P.Freib. IV 60, 6-7. 21-22. - Prof. J. Gascou (Strasbourg), in a letter to Prof. D. Hagedorn of March 6 th 1990,reports that in col. I 10 of P. Strasb. inv. 1108, published by U. Wilcken in APF 4 (1907) p. 142f., π[ε]ριγεγονεαι should be read instead of επιγεγονεναι. Accordingly [περι]|γεγονεναι must be restored in col. 12-13 of te same papyrus, and π[εριγε]|γονεναι instead of ε[πιγε]|ο̣νεναι must be the correct reading in BGU II 478, 7-8, too.

45 - P. IFAO I 3 (I) 5-7; P. Koln II 84 (III) 22-24.

46 - P. Koln II 83, 15 - 21.

47 - P. Oxy. XXXVII 2472,7-8. 15; P.IFAO I 3 (IV) 11.

48 - δια το μη ειναι θερματα (r. θρεμματα) εν κωμη, BGU II 478, 14-16; 479, 6-8.

أتوقع أن نفس السبب قد ذكر كذلك فى وثيقة BGU II 480 ولكن الوثيقة مكسورة بعد عبارة أنه لم يكن هناك دخل .

49 - δια το μηδενα κα[τ]ανενεμησθατ, P.Strasb. Graec. inv. 1108 I 12-13.

50 - δια τ[ο] εξ απαρτειας μηδεν πεπρασθαι,

P. IFAO I 3 (II) 9-11.

51 - P. Hamburg I6, 12-17: οι δε απο της κωμης χρωνται τοις αυ[τ]οις υποδοχιοις υφ ων κ[αι] ο αποτακτος αυτων φορος διαγρα– φεται πιαξωμε|νος υπο σου.

52 - P.Fouad 17; P. IFAO I 3 (I,IV); P.Berl. Moller 5; P. Leit. 14; P. Koln II 83.

53 - P.Oslo III 92; P. Mich. IX 544.

54 - See note 17 above.

55 - P.Leit, 14, 15-16 and note; P. Coll. Youtie I 31, 12. 14. 18 and note; BGU III col. I 4.7.9 and col. II. 3. 6.

الباب الرابع
أضواء علي بعض الأقاليم المصرية

المبحث الثامـن

إقليم هيليوبوليس
بين كتابات المؤرخين والوثائق البردية

بحث منشور (باللغة الانجليزية) فى العدد العاشر ١٩٩٤ من مجلة مركز الدراسات البردية بجامعة عين شمس فى الصفحات : PP. 101 - 121



مقدمة

هيليوبوليس فى العصر الفرعونى

هيليوبوليس هى التمسية الاغريقية لمدينة « أون » المصرية الفرعونية ، أو - إن شئنا المزيد من الدقة - لـ « أون - محيت » (أى أون الشمالية) للتمييز بينها وبين (أون الجنوبية) التى أطلق الاغريق عليها اسم هيرمنتيس (أرمنت) . وهى تقع على مسافة سبعة أميال تقريبا الى الشمال الشرقى من وسط القاهرة ، وكانت مركز عبادة إله الشمس فى مصر ، ومقر جامعة الكهنة الذين اشتهروا بأنهم أكثر رجال الجامعات الدينية فى مصر ثقافة . وقد ابتدع كهنة هيليوبوليس ما يعرف بالتاسوع الأكبر لهيليوبوليس من تسعة آلهة حيث يذكرون أن إله الشمس « رع - خبرى - آتوم » خرج من الماء الأولى اللانهائى « النون » ، ثم أنجب بعد ذلك إلهين آخرين هما « شو » وزوجه « تفنوت » اللذين يحملان السماوات ، وقد أنجبا بدورهما « جب » إله الارض و « توت » الهة السماء الذين أنجبا « أوزوريس » و « ست » و« إيزيس » « ونفتيس » . وكان رمز اله الشمس « رع - آتوم » الذى كان برأس آدمى عجل أون المقدس « منيفس » ، كما كان اله الشمس يعبد فى أون فى صورة أخرى هى « رع - حور - آختى » برأس على هيئة الصقر .

وكانت أون تتمتع بمكانة مرموقة لدى المصريين تبعا لهذا الوضع الدينى والثقافى المتميز الذى كانت تتبوأه ، وظل هذا الاجلال لها حتى بعد ظهور طيبة وبلوغ الهها المحلى « آمون » القمة على عهد الأسرة الثامنة عشرة ، حيث كان على « آمون » أن

يستجيب لرغبات اله الشمس فى « أون » وأن يقرن إسمه بالإله «رع » (إله الشمس) تحت اسم « آمون رع » قبل أن يفرض إسمه على كل المجتمع المصرى . وكانت موارد معبد إله الشمس فى أون تزيد عن موارد أى معبد آخر فى مصر ، باستثناء موارد معبد آمون بطيبة . وقد أحتفظت مدينة « أون » ومعبد اله الشمس بقدرهما العالى وشهرتهما طوال الحكم المصرى حتى آخر أيامه بدليل ذلك الاحترام الذى أظهره بعنخى ٢ الملك الاثيوبى الفاتح (من الأسرة الثالثة والعشرين الممتدة ما بين ٧٥٤ الى ٧١٨ ق.م.) لإله الشمس فى أون حتى بعد تغلبه (بعنخى) على كل مقاومة من جانب الحكام المحليين (*) .

والآن ننتقل الى هيليوبوليس كما يصورها المؤرخون الإغريق والرومان ، وكما تظهر فى الوثائق البردية من الفترتين البطلمية والرومانية . .

وأبدأ البحث بتحديد موقع هيليوبوليس القديمة كما ذكر فى كتابات المؤرخين والجغرافيين الاغريق والرمان حسب ترتيبهم التاريخى . وأبدأ بالمؤرخ هيرودوت الذى زار مصر فى القرن الخامس ق.م والذى يحدد موقع هيليوبوليس بأنه يقع عند رأس الدلتا المصرية أى نهاية حدود الدلتا من الجنوب . فبعد أن ذكر هيرودوت طول

(*) جيمس بيكى : الآثار المصرية فى وادى النيل ، ترجمة لبيب جبشى وشفيق فريد (الجزء الأول) مراجعة د. محمد جمال الدين مختار ، القاهرة سنة ١٩٨٨ ، صفحة ١٥٠ – ١٥٦
أنظر أيضاً :

Hermann Kees, Ancient Egypt, A Cultural Topography. translated from German to English by Jan. I.D. Morrow, London, 1961, pp. 168 - 182.

الساحل المصرى المطل على البحر المتوسط وحدده بـ ٣٦٠٠ فرسخ أى حوالى ٦٦٦ كم اذا علمنا أن الكيلو متر يساوى ٥,٤ فرسخ تقريبا [١] ، نجده يقول « ومن هنا (من عند شاطىء البحر) والى داخل البلاد حتى هيليوبوليس فان أرض مصر متسعة (أى عريضة المساحة) ومستوية وتغطيها المياه والمستنقعات » [٢] وواضح هنا أنه يقصد أرض الدلتا) ، ويقدر المسافة من عند ساحل البحر (لا ندرى من أى نقطة على الشاطىء) حتى هيليوبوليس بألف وخمسمائة فرسخ » [٣] أى حوالى ٢٧٧ كم . ويعتبر هيرودوت أن مصر العليا تبدأ من بعد هيليوبوليس نحو الجنوب حيث يقول أنه « من بعد هيليوبوليس والى أعلى (أى الى الجنوب) فان أرض مصر تضيق» [٤] وهو هنا يقصد وادى النيل . من هذا الوصف الجغرافى لهيرودوت نرى أن هيليوبوليس كانت تقع قرب رأس الدلتا ويتفرع عندها النيل بفروعه العديدة حينذاك فيكوّن الدلتا .

وقبيل حوالى منتصف القرن الأول ق.م يتحدث ديودور الصقلى فى كتابه الأول عن مصر القديمة وآلهتها وملوكها ونظمها القانونية وعادات وأهلها . ويتحدث عن أحد ملوك مصر العظام ويدعى سيسوسيس الذى يقول عنه ديودور أنه أخضع بلاد العرب التى لم يستعبدها أحد من قبله وكذلك الجزء الأكبر من ليبيا وهو بعد شاب لم يعتل العرش ، ويقول أنه حين اعتلى العرش كان عادلا وعطوفا وقسم مصر الى ستة وثلاثين جزءاً أطلق عليها المصريون أسم نومات وكون جيشا مهيبا قويا أخضع به الأثيوبيين وشواطىء البحر الأحمر من خلال أسطول حربى من ٤٠٠ سفينة أخضع به كافة

الشواطئ حتى الهند بينما أخضع هو بجيوشه البرية كل آسيا (٥) . أما عن ذكر هيليوبوليس فى هذا السياق فيأت فى الحديث عن أن هذا الملك المصرى قد حصن المنطقة الواقعة الى الشرق من الدلتا بأن «حصن الجانب المواجه للشرق من مصر بسور لمواجهة الاغارات والغزوات من سوريا وبلاد العرب وذلك عبر الصحراء من بيلوزيوم وحتى هيليوبوليس ويبلغ طول هذا السور ألف وخمسمائه فرسخ » (٦) .

وهذه المسافة بين بيلوزيوم وهيليوبوليس وهى الألف وخمسمائة فرسخ هى نفس المسافة التى ذكرها هيرودوت بين شاطىء البحر وهيليوبوليس مما يرجح أن هيرودوت كان يقصد شاطىء البحر عند بيلوزيوم .

كما أن ذلك السور الذى بناه ذلك الملك المصرى فى الصحراء الواقعة الى الشرق من الدلتا يعنى أن بيلوزيوم كانت تشكل بداية قاعدة مثلث الدلتا من الشرق وأن هيليوبوليس كانت تقع قرب رأس مثلث الدلتا فى الجنوب الشرقى ، وأن الغرض من هذا السور كان حماية الدلتا المصرية من الغزوات التى تأتى من الشرق .

وفى القرن الأول الميلادى يقول بلينى الأكبر عن هيليوبوليس أنها كانت متاخمة للحدود العربية (أى المقاطعة الشرقية من مصر وهى الصحراء الشرقية شرق النيل وشرق الدلتا وكان يطلق على هذه المنطقة بشكل عام أسم Αραβια كما كان هذا الاسم يطلق على احدى نومات شرق الدلتا وهو الاقليم العربى الذى كانت عاصمته فاقوسة (وهى صفط الحنة بمركز فاقوس بمحافظة الشرقية حاليا)

والمقصود بالحدود العربية فى عبارة بلينى هنا هى الصحراء العربية شرق النيل عموما ، ويروى أن هيليوبوليس كانت مدينة تتمتع بشهره ذائعة [٧] (ومن الملاحظ أن بلينى الذى يكتب باللاتينية قد استعمل فى كتابته الترجمة اللاتينية لأسم هيليوبوليس أى مدينة الشمس وسماها باللاتينية solis oppidum) .

وفى القرن الثانى الميلادى يحدد الفلكى والجغرافى السكندرى الشهير كلاوديوس بطلميوس موقع هذا الاقليم أو النوموس بأن اقليم هيليوبوليس وعاصمته أون (الأسم الفرعونى القديم) أو هيليوبوليس (الأسم المعروف أيام البطالمة والرومان) يقع على خط طول ٦٢,٥ وخط عرض ١/٦ ٣٠ [٨] ، ولكن بطلميوس يذكر مرة أخرى مدينة ثانية باسم هيليوبوليس تقع على خط الطول السابق ولكن الى الجنوب من « أون » على خط عرض ١/٦° ٢٩ [٩] ، وهى نقطة مثيرة للتساؤل والبحث عما اذا كانت هناك مدينتان باسم هيليوبوليس فى اقليم أو نوموس « مدينة الشمس » أم أن فى الأمر – كما يعترض البعض – خطأ أو لبس وأن « أون » و « هيليوبوليس » هما اسمان لمدينة واحدة تقع مكان المطرية [١٠] حاليا وكانت عاصمة النوموس الهيليوبوليتى .

والآن وبعد أن حددنا تقريبا موقع اقليم هيليوبوليس بانه يقع قرب رأس الدلتا المصرية ويتاخم حدود الاقليم العربى فى صحراء مصر الشرقية أى أنه يقع على الضفة الشرقية للنيل نجد أن سترابون يحدد تلك المنطقة التى ذكرناها ويسميها « الدلتا » ، اذ يقول فى هذا السياق « ان النيل يجرى من الحدود الإثيوبية فى خط مستقيم

نحو الشمال حتى المنطقة المسماه بالدلتا ثم ينقسم عند الرأس (رأس الدلتا) – كما يذكر أفلاطون – ويجعل هذا المكان كما لو كان رأس مثلث » [11] . ويقول فى موضع آخر من هذه الفقرة ان هناك جزيرة تشكلت عن طريق البحر وفرعى النهر وأطلق عليها أسم الدلتا لتشابهها مع شكل الدلتا « وأن المنطقة الواقعة عند رأس (مثلث الدلتا) تحمل نفس الأسم (أى الدلتا) لأنها تقع عند بداية ذلك الشكل ، وتسمى القرية الواقعة هناك الدلتا » [12] . وقد فسر البعض تحديد موقع هذه الدلتا الصغرى المذكورة عند سترابون بأنها مرادفة لاقليم هيليوبوليس [13] ، فى حين حددها البعض الآخر بأنها منطقة « الوراق » الحالية تقريبا [14] .

من المعلومات السابقة والتى أوردناها عند هؤلاء المؤرخين المذكورين أعلاه يمكن أن نعطى تصورا تقريبا لموقع هيليوبوليس والدلتا الصغرى على النحو التالى : يتضح مما أورده ديودور الصقلى من قيام الملك المصرى سيسوسيس ببناء سور ضخم لحماية حدود مصر الشرقية من هجمات السوريين والعرب ويمتد من بلوزيوم حتى هيليوبوليس الى الشرق من الدلتا أن هذا السور كان يمتد بمحاذاة الفرع البيلوزى للنيل ، ومن ثم يمكن أن نستنتج أن هيليوبوليس كانت تقع على الجانب الشرقى من الفرع البيلوزى بعد بداية تفرع النيل الى فرعية الأساسيين وبقية الفروع الأخرى ، ويدعم ذلك قول بلينى أن « مدينة الشمس » كانت متاخمة للاقليم العربى . أما الدلتا الصغرى المذكورة عند سترابون فكانت تقع بين فرعى النيل الأساسيين عند بداية تفرعهما أى أنها كانت محصورة ما بين الضفة

الغربية للفرع البيلوزى والضفة الشرقية للفرع الكانوبى ، أى أنها كانت على الضفة الأخرى المواجهة لهيليوبوليس من الفرع البيلوزى. ومن هنا يمكن القول بأن الدلتا الصغرى ربما كانت جزءا من اقليم هيليوبوليس . لاسيما وأن سترابون قد وصفها بأنها قرية Κωμη ، وأنها كانت تقع على الضفة الغربية من بداية الفرع البيلوزى فى حين كانت العاصمة هيليوبوليس أو أون تقع فى مواجهتها تقريبا على الضفة الشرقية من ذلك الفرع . وقد ذكرت منطقة أو قرية الدلتا هذه فى بعض وثائق بردى زينون فى حوالى منتصف القرن الثالث ق.م [١٥] .

والآن وبعد أن تحدثنا عن الموقع الجغرافى لاقليم هيليوبوليس نعود على بدء مع هؤلاء المؤرخين والجغرافيين لنسمع ما ذكروه عن مكانة هيليوبوليس العلمية والثقافية فى مصر القديمة . فها هو هيرودوت يذكر أنه يقال عن أهل هيليوبوليس أنهم «أعلم المصريين » [١٦] . وقد قال هذه العبارة فى سياق تقصيه عن أقدم وأعرق أمم الارض فسمع من كهنة بتاح فى منف رواية مفادها أن الفريجيين أقدم من المصريين [١٧] ، فأراد أن يستوثق من مدى صحة هذه الرواية وتوجه بالزيارة الى طيبة وهيليوبوليس ليرى إن كان أهلهما سيروون له نفس هذه الرواية ثم ذكر العبارة المذكورة أعلاه فيما يتعلق بأهل هيليوبوليس ليدلل على مدى علمهم وبالتالى أهمية التوجه اليهم بالسؤال . وهكذا نرى كهنة منف وطيبه وهيليوبوليس كمفاتيح للمعرفة للاجانب وغيرهم عن أحوال مصر .

ويؤكد هذه المعلومة ديودور الصقلى حين يتحدث عن نظام

العدالة والقضاء فى مصر القديمة فيقول بأن المصريين « كانوا يعينون أفضل الناس من أكثر المدن أهمية كقضاة على البلاد بأسرها وبذلك حققوا ما كانوا يصبون اليه ، فقد اعتادوا على أن يختاروا عشر قضاه من كل من هيليوبوليس وطيبة ومنف » [١٨] (أى كانوا ثلاثين قاضيا من المدن الثلاثة) .

ونراه هنا يذكر هيليوبوليس قبل كل من طيبة ومنف ربما عامدا لاظهار مدى ما تتمتع به من حكمة وليؤكد مقولة هيرودوت السابقة عن أهل هيليوبوليس .

ويتحدث سترابون عن الدور العلمى المتميز الذى لعبته هيليوبوليس فى تاريخ مصر القديمة فيقول بأنه « رأى فى هيليوبوليس البيوت الواسعة التى كان يعيش فيها الكهنة ، حيث يقال – وهذا كلام سترابون – أنه فى هذا المكان بالتحديد كانت هناك من قبل مستوطنة للكهنة الذين كانوا يشتغلون بدراسة الفلسفة والفلك ، ولكن هذه المؤسسة وما تمارسه (من علم) لم تعد قائمة الآن (أى فى وقت زيادة سترابون) » [١٩] . ومن الطبيعى أن يكون قول سترابون صحيحا الى حد ما حيث تقلص الدور الثقافى لهيليوبوليس فى عصره بعد أن صارت الاسكندرية قبل ثلاثة قرون تقريبا من زيادة سترابون هى مركز الاشعاع الثقافى فى مصر بعدما صارت عاصمة البلاد وخصوصا بعد اقامة مكتبة الاسكندرية ومجمعها العلمى (الموسيون) على يد ديمتريوس الفاليرى صديق بطليموس الأول سوتير. ولكن سترابون يتحدث عن الدور الثقافى لهيليوبوليس قبل مجيىء البطالمة والرومان فيذكر أنه « شاهد فى هيليوبوليس منازل

الكهنة والمدارس التى تلقى فيها أفلاطون ويودوكسوس تعليمهما حيث رافق يودوكسوس أفلاطون الى هذا المكان وأمضيا مع الكهنة ثلاثة عشر عاما كما يذكر البعض . فنظرا لأن هؤلاء الكهنة كانوا متفوقين فى علمهم بالاجرام السماوية ، وكانوا يحتفظون بأسرار علمهم ولا يفرطون فيها بسهولة فقد سعيا الى أن ينالا حظوة لديهم بقضاء الوقت معهم والتودد اليهم حتى يتعلما بعضا من مبادىء علومهم ، ولكن هؤلاء البرابرة (يقصد كهنة هيليوبوليس) أخفوا معظم مالديهم » [٢٠].

كما أن المؤرخ أريانوس يذكر أن الاسكندر الأكبر عندما وصل الى مصر زار أول مازار هيليوبوليس ثم بعد ذلك منف حيث قدم الاضحيات للعجل أبيس وللآلهة الأخرى وأقام المسابقات الرياضية والموسيقية [٢١] . ورغم أن هيليوبوليس تعتبر من الناحية الجغرافية أول مكان هام فى مصر عند دخوله اليها من الشرق من عند بلوزيوم وأعنى بذلك أنها كانت فى طريقه ، الا أنه ليس من المستبعد أن يكون الاسكندر قد قصد أن يزورها أولا خاصة وأنه كان شخصية مثقفة مستنيرة ومن تلاميذ أرسطو وبالتالى فهو يعرف مكانة وقيمة المكان .

ونظرا لهذا الماضى المشرف العظيم لهيليوبوليس نجد بلينى الاكبر يصفها عند حديثه عنها بأنها مدينة تتمتع بصيت عظيم Claritatis magnae [٢٢] ولابد أنه كان يقصد صيتها الثقافى والعلمى العظيم .

والآن ننتقل الى الوثائق البردية القليلة التى تتناول هيليوبوليس

ونحاول التعرف على الصورة التى ترسمها عن ذلك الاقليم وأبرز ملامحها . ونتناول هذه الوثائق حسب ترتيبها التاريخى خلال العصرين البطلمى والرومانى . وأول هذه الوثائق وثيقة طريفة من عهد بطلميوس الثانى فيلادلفوس تتعلق بالضريبة المفروضة على الكروم φopos Tηs αμπελου والتى كان مقدارها – حسب تعليمات الملك ، كما تذكر الوثيقة – ٢٦ دراخمة و ٣ ٣/٤ أبول عن الارورة الواحدة [٢٣] . ويقول كاتب الوثيقة – الذى يبدو أنه كان من كبار رجال الادارة فى منطقة هيليوبوليس ومنف – أن أهل هيليوبوليس الذين يمتلكون كروما فقيرة متواضعة حول مدينة هيليوبوليس وغيرهم جميعا ممن يقطنون ذلك النوموس قد ألتزموا بدفع هذه الضريبة باستثناء قلة من القادرين الأغنياء [٢٤] .

وقد ألحق هؤلاء الذين أمتنعوا عن الدفع أضرارا بالدخل الملكى – كما يقول هذا الموظف فى تقريره – رغم أن كرومهم تدر أرباحا كبيرة جدا وتقع فى المنطقة القريبة من منف بالقرب من نهر النيل [٢٥] . ويقول هذا الموظف أن هؤلاء المتضرررين يتآمرون بايعاز من النومارخ أخو أبيس الذى يريد بكافة السبل أن يجعل جباية هذه الضريبة بأقل قدر ممكن . ويستمر هذا التقرير فى ذكر أن أبوللونيوس – ربما كان وزير مالية فيلادلفوس الشهير – زار هذه المنطقة مرارا ورغم ذلك فأن أحدا لم يشك اليه فى هذا الصدد كما أنه لم يتسلم أى شكوى كتابية [٢٦] .

من هذه الوثيقة نرى أن كروم العنب كانت كثيرة ومنتشرة فى أقليم هيليوبوليس ، وكان كثير من سكان الاقليم من المزارعين

البسطاء الذين يدفعون الضرائب عن كرومهم دون مناقشة رغم تواضع هذه الكروم ، فى حين كانت هناك قلة من كبار ملاك الكروم ذات الموقع الممتاز القريب من النهر وهؤلاء كانوا يتذمرون من الضرائب بحكم نفوذهم ولأن الضرائب عليهم ستكون كبيرة بسبب المساحات الكبيرة التى يزروعونها كما هو واضح . ويبدو أن النومارخ المذكور فى الوثيقة كان يمتلك مساحة كبيرة من الكروم فحّرض بقية كبار الملاك على الاحتجاج على مقدار الضريبة .

وفى وثيقة أخرى من نفس الفترة تقريبا من بردى زينون نجد الديويكيتيس أبو للونيوس يكتب الى وكيل أعماله زينون أنه سيرسل اليه حوالى مائة جرة مليئة بالنبيذ من هيليوبوليس لكى يتولى زينون بيعها بصورة مربحة ويشترى بثمنها سجاجيد (٢٧) ، ويذكر فى نهاية خطابه أن لديه مزيدا من النبيذ فى النوموس الهيليوبوليتى (٢٨) . ومن هذه الوثيقة يبدو أن أبوللونيوس كان يمتلك كروما واسعة فى أقليم هيليوبوليس بالأضافة الى كرومه فى ثلاث نومات أخرى هى الأقليم الأرسينويتى والأفروديتوبوليتى (قرب أطفيح حاليا) وأقليم منف ، حيث كان من كبار منتجى الكروم (٢٩) .

وفى وثيقة ثالثة وهى أيضا من بردى زينون نرى قائمة بالمؤن والاغذية المطلوبة لسفر زينون أو أحد زملائه ومعه بعض مرافقيه من مصر الى سوريا عبربيلوزيوم . وتتضمن هذه القائمة من المؤن حبوباً ونبيذاً مستورداً ومحاياً وعسلاً وزيت وزيتون وسمكاً مملحاً وفول وعدس (٣٠) . أما ما يفيد موضوعنا من هذه الوثيقة فهى أنها تذكر من بين المؤن المذكورة أعلاه نبيذا أجنبيا يسلم للشخص المسافر –

سواء كان زبنون أو غيره - عند بيلوزيوم (أى فى أقصى شرق الدلتا فى الطريق الى فلسطين وسوريا) ونبيذا محليا من الأقليم الهيليوبوليتى [٣١] مما يوحى بأنه كان من أنواع النبيذ الجيد . والنقطة الثانية التى نراها فى هذه الوثيقة - هو ان طريق التجارة من منف - على سبيل المثال - الى فلسطين وسوريا كان يمر بهيليوبوليس ثم بمحاذاة شرق الدلتا الى بيلوزيوم ثم الى فلسطين وسوريا .

من مجمل الوثائق الثلاثة نرى أن أقليم هيليوبوليس كانت تنتشر به زراعة الكروم وبالتالى أشتهر بانتاج النبيذ ، وكان محطة على طريق التجارة من مصر العليا ومنف الى الشرق فى سوريا وفلسطين .

والنقطة التالية التى ذكرها الوثائق هى علاقة سكان اقليم هيليوبوليس بالاقليم المجاورة . هناك وثيقتان هامتان فى هذا الخصوص من وثائق المتحف البريطانى ومن عصر فيلاد لفوس أيضا : احداهما شكوى لأبوللونيوس والأخرى شكوى لموظف آخر يدعى زويلوس ضد نومارخ يدعى داميس [٣٢] ، والشكوى موجهة فى الوثيقتين من مزارعين قدموا الى فيلاد لفيا بالفيوم من اقليم هيليوبوليس ، ولا يتضح ما اذا كانوا قد قدموا للاقامة الدائمة هناك أم لموسم واحد . وكان عدد هؤلاء المزارعين كبيرا حيث كان على رأسهم ثلاثة من شيوخ المزارعين πρεσβυτεροι وكانوا يشكلون على الارجح سكان قرية بأكملها . وقد استأجروا ألف أرورة من العشرة الآف أرورة التى كانت تضمها ضيعة أبوللونيوس فى فيلاد لفيا ، وربما كان هؤلاء قد تعاقدوا مع أبوللونيوس نفسه أو مع داميس النومارخ المشكو

فى حقه قبل مجيئهم لفيلادلفيا . وسرعان ما بدأت المشاكل والصعاب تعترضهم بمجرد وصولهم فيلادلفيا حيث منعهم أحد وكلاء أبوللونيوس من الأقامة فى المدينة πολιsوسرعان ما أختلفوا وتشاجروا مع النومارخ داميس حول العمل فى الأرض وبذر البذور فيها . ويقولون فى سياق شكواهم أن هذا الموظف الاخير قد منعهم من العمل فى الأرض وحرمهم من الألف أرورة المتعاقد عليها وقبض على شيوخهم وأرغمهم على التوقيع على تنازل عن العقد المبرم من قبل γραφη αποστασιου. وقد اقترحوا أن تدفع لهم أجورهم كعمال أجراء طالما أنهم كانوا يقومون بتطهير الارض وبذرها ولكن داميس رفض هذا الاقتراح وفضل ان تظل الارض كما هى بغير حرث ولا بذر .

هذا هو مضمون شكاوى هؤلاء المزارعين من اقليم هيليوبوليس الذين ذهبوا الى فيلادلفيا للعمل فى ضيعة أبوللونيوس ، ولكننا لاندرى على وجه التحديد سبب خلافاتهم مع داميس ومدى صحة هذا الاقوال التى ذكروها . ولكن بغض النظر عن ملابسات هذه الحالة فالثابت من هذه الوثائق أنه كان يتم تعاقد جماعى مع اعداد كبيرة من مزارعى هيليوبوليس للعمل فى النومات المجاورة مما يوضح وفرة المزارعين فى اقليم هيليوبوليس . وهذه الوثائق لاتدل فقط على وفرتهم بل أيضا على خبرتهم وفهمهم لعملهم حيث يذكرون فى شكواهم لأبوللونيوس ما يلى « ان هناك أخطاء كثيرة فى ادارة العشرة الآف أرورة بسبب عدم وجود الشخص الذى يفهم أعمال الزراعة ، ونرجو أن تستدعى البعض منا وتصغى الى ما سيقولونه لك»

ويكررون نفس هذا الاقتراح على الموظف الآخر زويلوس ويطلبون منه أن يمنحهم الفرصة للقاء بأبوللونيوس للافضاء ببعض الأمور اليه (٣٣) .

من هنا يمكن أن نستنتج أن النومارخ داميس لم يشعر بالارتياح لهؤلاء المزارعين لانهم ربما أنتقدو ادارة الضيعة وبلغه ذلك فأراد التخلص من هؤلاء المزارعين المشاغبين قبل أن يحدثوا وقيعة بينه وبين أبوللونيوس .

ويبدو أن كثيرا من أهل هيليوبوليس قد أستقروا فى الفيوم قرب فيلاد لفيا حتى أصبحت هناك قرية هناك تحمل نفس هذا الاسم «هيليوبوليس» اسم موطنهم الاصلى (٣٤) .

ومن النقاط المتصلة بإقليم هيليوبوليس فى العصر البطلمى — لكن هذه المرة من القرن الثانى ق.م. — وجود بعض اليهود من المستوطنين العسكريين فى الأقليم . ويتناول هذه النقطة بالشرح والتعليق Paul M. Meyer فى مقدمته المستفيضة لإحدى وثائق بردى هامبورج — من عصر الإمبراطور نيرون — جاء بها ذكر ثلاثة من اليهود من إقليم هيليوبوليس كانوا مدينين لأحد الفرسان الرومان بمبلغ ستمائة دراخمة من الفضة كوديعة ترد فى غضون شهرين . وفى المقدمة المستفيضة على الموضوع يعود «ماير» إلى أصل الاستيطان اليهودى فى هيليوبوليس ويؤرخه بالفترة التى وطن فيها بطلميوس السادس فيلوميتور بعضاً من المستوطنين العسكريين من اليهود فى ذلك الإقليم . ويربط بين استيطان اليهود فى إقليم هيليوبوليس وبين الفترة الزمنية التى أقيم فيها معبد أونياس فى

ليونتوبوليس (تل اليهودية فى جنوب الدلتا) بين عامى ١٧٠ و ١٦٠ ق.م. ويقول [٣٥] أنه فى ذلك الحين أيضاً وجدت مستوطنة يهودية فى هيليوبوليس فى ذلك الحين فى أوائل القرن الثانى ق.م. قام الحكام السليوقيون فى سوريا بطرد الأسرة التى كانت تتولى أمر الكهنوت اليهودى فى بيت المقدس (أورشليم) وأتوا بأسرة أخرى أكثر خضوعاً لمشيئتهم . وكان ممثل الأسرة الشرعية من أحبار اليهود الذين طُردوا من أورشليم يدعى هونيا – أونياس باليونانية – ففر إلى مصر هو وأتباعه حيث استقبلهم بطلميوس السادس فيلوميتور بحفاوة وأقطع أونياس ورفاقه منطقة أصبح يطلق عليها منذ ذلك الحين « أرض أونياس » وسمح لهم بإقامة معبد يهودى فى تلك المنطقة على غرار معبد أورشليم هو معبد أونياس فى ليونتوبوليس السالف الذكر [٣٦] .

ويذكر « ماير » أن اثنين من أبناء أونياس هذا هما خيلكياس وأنانياس (حنانيا) معروفان لدينا كقادة لكليوباترا الثالثة فى صراعها ضد ولدها بطلميوس العاشر (سوتير الثانى) . كما يذكر أن ابن خيلكياس المذكور أعلاه قد تولى – على الأرجح – منصب ستراتيجوس اقليم هيليوبوليس تحت حكم كليوباترا الثالثة وبطلميوس الحادى عشر (الإسكندر الأول) بعد إبعاد بطلميوس العاشر – كما يتضح من قرار شرفى للمستوطنة اليهودية التابعة لمنطقة المعبد ، ولكن الوثيقة الخاصة بهذا القرار مبتورة ومشوهة . كما أن يهود مستوطنة أونياس لعبوا دوراً فى معارك قيصر ضد الاسكندريين عام ٤٨ ق.م. وبعد ذلك بما يزيد على قرن حين دمر تيتوس ابن فسبسيان أورشليم

حوالى عام ٧٠ م. هرب بعض اليهود من هناك إلى مصر وحاولوا - دون جدوى - إثارة يهود مصر . وعلى ذلك تم إغلاق معبد أونياس سنة ٧٣ خشية أن يكون بؤرة إضطرابات فى مصر كما كان مثيله فى بيت المقدس . وبعدها لا نسمع شيئاً عن يهود إقليم هيليوبوليس [٣٧] .

أما عن الوثيقة التى أورد « ماير » فى مقدمتها هذا التعليق المستفيض فإنها - كما أو[illegible] - كانت عبارة عن عقد دين أو وديعة أطرافها ثلاثة من اليهود - أب وولداه - من إقليم هيليوبوليس من قرية تسمى « قرية السوريين [٣٨] Συρων Κωμη » قرب هيليوبوليس كطرف مدين ، وأحد الفرسان الرومان كطرف دائن . أما مبلغ الدين أو الوديعة التى أقر اليهود الثلاثة باستلامها فهو مبلغ ستمائة دراخمة ترد بلا فوائد فى غضون شهرين ، وإذا لم يتم المبلغ خلال المدة المقررة يلتزم المدينون برده بفائدة عن مدة التأخير وغرامة مقدارها ١٢٠ دراخمة نظير التأخير ، ويكون للدائن (الفارس الرومانى) حق الحجز على شخص اليهودى وولديه أو من يختاره منهم وكذلك حق الحجز على أملاكهم . ويبدو من الوثيقة أن الفارس الرومانى الدائن فى هذه الوثيقة كان من بين قوة معسكر « بابيلون » التى كانت تابعة آنذاك إدارياً لإقليم هيليوبوليس كما ورد بالوثيقة [٣٩] .

يبقى القول بأن هذه الوثيقة المؤرخة بالعام السادس من حكم نيرون عام ٥٩ م . تسد فجوة - إلى حد ما - فى معلوماتنا عن يهود إقليم هيليوبوليس الذين لم تورد الوثائق شيئاً عنهم بين عامى

٤٨ - ٤٧ ق.م. حين لعبوا دوراً فى معارك قيصر ضد الاسكندريين وعام ٧٣ م . حين أغلق معبد أونياس فى ليونتوبوليس بعد تدمير معبد أورشليم .

الحواشى

أنظر الحسابات المعادلة بالفراسخ والكيلومترات فى كتاب :

(1) in J. Ball, Egypt The Classical Geographers, Cairo, 1942, P. 14.

(2) Herodotus, II. 7 :

ενθευτεν μεν και μεχρι Ηλιου πολιος ες την μεσο– γαιαν εστι ευρεα Αιγυπτος, εουσα πασα υπ– τιη τε και ενυδρος και ιλυς.

(3) Ibid. :

ειναι πεντακοσιων και χιλιων, η δε ες Ηλιου πολιν απο θαλασσης πληροι ες τον αριθμον τουτον.

(4) Ibid. II. 8 :

Απο δε Ηλιου πολιος ανω ιοντι στεινη εστι Αιγυπτος.

(5) Diodorus Siculus, I. 53 - 55.

(6) Ibid., I. 57 :

ετειχισε δε και την προς ανατολας νευουσαν πλευραν της Αιγυπτου προς τας απο της Συ– ριας και της Αραβιας εμβολας απο Πηλου–

σιου μεχρι Ηλιουπολεως, δια της ερημου, το μηκος επι σταδιους χιλιους και πενακοσιους.

(7) Pliny, Natural History, V. 11. 61 :

unum praeterea intus et Arabiae conterminum claritatis magnae, Solis oppidum.

(8) Ptolemy, Geography, IV. 5. 53.

Ηλιοπολιτης νομος .

Και μητροπολις (Ηλιου η) Ονιου ξβ L λ5

(9) Ibid, IV. 5. 54 :

Ηλιου πολις ξ β L Κθ Lγ

(10) J. Ball, op. cit., pp. 110 - 111.

(11) Strabo XVII. 1. 4. :

Απο γαρ των Αιθιοπικων τερμονων ρει επ,ευθειας ο Νειλος προς αρκτους, εως του καλουμενου χωριου Δελτα. ειτ, επι κορυφην σχιζομενος ο Νειλος,ως φησιν ο Πλατων, ως αν τριγωνου κορυφην αποτελει τον τοπον τουτον.

(12) Ibid. :

το δ,επι τη κορυφη χωριον ομωνυμως κεκλη–

ται δ'ια το αρχην ειναι του λεχθεντος σχηματος, και η κωμη δε η επ' αυτω καλειται Δελτα.

(13) H. Gauthier, Les Nomes d'Egypte depuis Herodote jusqu' a la Conquete Arabe, Le Caire, 1935, PP. 44 - 45.

(14) J. Ball, op. cit., p. 63 .

(15) P. Zenon 59090, l. 7; 59470, l. 8; 59705, l. 23.

(16) Herodotus, II. 3 :

οι γαρ Ηλιοπολιται λεγονται Αιγυπτιων ειναι λο– γιωτατοι.

(17) Ibid. II. 2.

(18) Diodorus Siculus I. 75. 3 :

διοπερ εκ των επιφανεστατων πολεων τους αριστους ανδρας αποδεικνυντες δικαστας κοινους ουκ απετυγχανον της προαιρεσεως. εξ Ηλιου γαρ πολεως και Θηβων και Μεμ– φεως δεκα δικαστας εξ εκαστης προεκρινον.

(19) Strabo XVII. 1. 29 :

εν δε τη Ηλιου πολει και οικους ειδομεν μεγ–

αλους, εν οις διετριβον οι ιερεις. μαλιστα γαρ δη ταυτην κατοικιαν ιερεων γεγονεναι φασι το παλαιον, φιλοσοφων ανδρων και αστρο– νομικων. εκλελοιπε δε και τουτο νυνι το συστημα και η ασκησις.

(20) Ibid. :

εκει δ,ουν εδεικνυντο οι τε των ιερεων οικοι και Πλατωνος και Ευδοξου διατριβαι. συνα– νεβη γαρ δη τω Πλατωνι ο Ευδοξos δευρο και συνδιετριψαν τοις ιερευσιν ενταυθα εκεινοι τρισκαιδεκα ετη, ως ειρηται τισι. περιττους γαρ οντας κατα την επιστημην των ουρα– νιων, μυστικους δε και δυσμεταδοτους, τω χρονω και ταις θεραπειαις εξελιπαρησαν, ωστε τινα των θεωρηματων ιστορησαι. τα πολλα δε απεκρυψαντο οι βαρβαροι.

(21) Arrian, III. 1. 4 :

(22) See note 7 above.

unum praeterea intus et Arabiae conterminum claritatis magnae, Solis oppidum.

(23) P. Hibeh II 205, 260 - 250 B.C., l. 10 :

[εισπ]ρασσειν της (αρουρας) (δραχμας) κσ (ημιωβελιον) (τεταρτον); l. 12 παρ]ουση[ι] εντοληι; l. 14 : πρασσειν τον φορον της [α] μπ– [ελου

(24) Ibid., ll. 16 - 22 :

και οι μεν εξ Ηλιου πολεως |.... etc | εκτημενοί εν τοις |το[πο]ις τοις περι Ηλιου πολιν καταδεεστερου[ς] |[αμ] πελωνας και οι λοιποι παντες οι εν τωι |[νομ] ωι καταβεβληκασι πλην ολιγων τ[ώ]ν |[...] ισχυοντων.

(25) Ibid., ll. 22 - 26 :

ουτοι δε μ[ον]οι προς τας προσ[ο]δο[υς] | [παρ] αβαινουσιν λυσιτελε[σ]τατους αμπελωνα[ς] |εχοντες και δια την γην αυτην .. [...] αν |[[..] τωι καιροτα]τον τοπον [εχειν] προς τωι |[[πο]ταμωι και προς τηι Μεμφει].

(26) Ibid. ll. 26 - 29 :

επισυνισταν – |[ται] δε δια Αχοαπιος του νομαρχου. βουλεται γαρ [ου]τος |κατα παντα τροπον την πραξιν |[ω]ς ελαχισχιστην ποιειν.

(27) P. Cairo Zenon II, 59170, 254 B.C., ll. 2 - 4 :

[Η]λιοπολιτου νομου εις πρασιν οινου κερ (αμια) ρ φ.ρ[οντισον ουν] | [οπω]ς πραθηι του καλως εχοντος, την δ [ε τιμην αυτου δος] [εις] τους αμφιταπους.

(28) Ibid., l.6 :

[υπ]αρχει γαρ ημιν και πλειω οινος εν τωι Ηλιοπολ[ιτηι].

(29) See : M. Rostovtzeff, A Large Estate in Egypt in The Third Century B.C. Madison, 1922, P. 103; Cl. Preaux, Les Grecs en Egypte d'apres les Archives de Zenon, Bruxelles, 1947, P. 60.

(30) P. Michigan Zenon 2, about 259 B.C.

(31) Ibid., ll. 5 - 8 :

[οινου ξενικου α δεησει εκ Πη – | λουσιου αγορασ θεντα δουναι κερ(αμια),] | επιχωρι– ον του εκ του Ηλιοπολιτου | προσενεγκιν εν– ταυθα κερ (αμια) ι

(32) P. Lond. Inv. 2090 and 2094. See Rostovtzeff, Large Estate, PP. 73 - 75.

(33) P. Lond. Inv. 2090, l. 7 ff. : και ουκ ολιγα δε

αμαρτηματα εστιν οτι ταις μυριαις αρουραις δια το μη υπαρχειν συνετον | περι γεωργιαν. δεομεθα ουν σου ει σοι δοκει εισκαλεσθαι τινας ημων και εισακουσαι περι ων βουλο–μεθα σοι αναγγειλαι. P. Lond. Inv. 2094, ll. 5 - 6 :

και ει σοι δοκει εισαγον ημας προς Απολλωνιον. εστιν | γαρ τινα α βουλομεθα αναγγειλαι ωφελιμα αυτωι.

(34) Dorothy Crawford, J. Quaegebeur, W. Clarysse, Studies on Ptolemaic Memphis (Studia Hellenistica 24, 1980), P. 108.

(35) P. Hambourg 2, A.D. 59,

Introduction, p. 6. = (CPI. II. 417).

(36) H.I. Bell, Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt, Liverpool, 1954, pp. 35 - 36.

(37) P. Hambourg 2, loc. cit.

(٣٨) نجد فى الوثائق البردية قرى كثيرة بهذا الأسم « قرية السوريين » فى أقاليم عديدة فى مصر مثل ريف الإسكندرية (BGU. 1123; 1132)، وفى النوموس الأرسينويتى (الفيوم) فى التقسيم الهيراكليدى (P. Tebt. II, p. 402) وفى أوكسيرينخوس (البهنسا) :

(P. Oxy. II. 270; VII. 1052, ll. 5, 17, 27).

(39) P. Hambourg 2, ll. 3-4 :

επ'αγορανομου Ειρηναιου παρ[εμ]βολης της προς βαβυ–|λωνι του Ηλιοπολιτου νομου.

المبحث التاسع

الواحات المصرية في ضوء الوثائق البردية

أ- في العصر الروماني

(١)

بحث منشور (باللغة الانجليزية) ضمن أعمال الملتقى المصرى الايطالى الأول بالقاهرة فى الفترة من ٦ - ٩ فبراير سنة ١٩٨٩ :

Mohammed Abd-el- Ghany, " The Oases in Raman Egypt in the light of Papyri", Acta of the lst Italo- Egiziano Colloquio (Roma e l' Egitto nell, Antichita Classica, Cairo, 6-9 Febbraio 1989), pp. 3-12.



مقدمة :

قبل أن نعالج هذا الموضوع من زاوية الأدلة الوثائقية البردية من المناسب أن نعرض موجزا مختصرا للمواضع التى ورد بها ذكر الواحات عند الكتاب الكلاسيكيين . ولنبدأ بأقدم كاتب متاح لدينا من بين هؤلاء وهو هيرودوت الذى يروى قصة غزو الملك الفارسى قمبيز لمصر عام ٥٢٥ ق .م. ويذكر ضمن هذه الرواية أن :

« (الملك) أرسل حملة مؤلفة من خمسين ألفا عند وصوله إلى طيبة وأصدر أوامره للحملة باستعباد الآمونيين (أى أتباع الإله آمون صاحب المعبد الكبير فى سيوة، ويقصد بهم أهل واحة سيوة) وإحراق معبد الوحى الخاص بزيوس (يقصد آمون) » [١] وكيف أن هذه الحملة « لم تصل إلى الآمونيين ولاهى عادت إلى مصر لإنه – حسب رواية الآمونيين التى عرضها هيرودوت – عندما كانت هذه القوات فى طريقها من الواحة (أغلب الظن أنها واحة الخارجة إلى الغرب من طيبة) [٢] إلى أرض الآمونيين (واحة سيوة) وقطعت حوالى نصف المسافة هبت ريح عاتية من ناحية الجنوب على القوات وهى تتناول طعامها وكانت الريح محملة بأكوام من الرمال التى دفنت القوات حتى اختفت بهذه الطريقة » [٣] .

وكان معبد وحى الإله آمون فى سيوة يحظى بسمعة واسعة الانتشار فى أرجاء العالم القديم – وخصوصاً فى البلدان الواقعة حول شواطىء البحر المتوسط – كمعبد وحى موثوق به ويمكن استشاريه ومعرفة النبوءات منه وذلك منذ أيام الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية، أى خلال القرنين السابع والسادس ق.م. وقد كان يزوره

ويطلب مشورته ويبدى الإعجاب به كثير من مشاهير الشخصيات الإغريقية وغيرهم من الشخصيات من بلدان البحر المتوسط . ومن أمثلة هذه الشخصيات الشهيرة كرويسوس ملك ليديا الذى أرسل عام ٥٥٠ ق.م. يطلب مشورة ونبؤه سبعة من معابد الوحى الشهيرة حول نتيجة المواجهة الحتمية المرتقبة آنذاك بينه وبين الإمبراطورية الفارسية الفتية ، وكان معبد وحى آمون فى سيوة أحد هذه المعابد التى استشارها . كما أن كيمون بن ميلتيادیس - القائد الأثينى الشهير الذى ذاع صيته بعد نهاية الحروب الفارسية اليونانية وظل حتى وفاته المنافس الرئيسى لبيريكليس - أرسل بعضاً من رجاله لطلب المشورة والنبؤة من وحى آمون فى سيوة حول نتيجة حصاره لجزيرة قبرص بأسطوله عام ٤٥٠ ق.م. وكان رد الوحى مقتضباً ولم يزد عن أن كيمون معه (مع الوحى) بالفعل ، وهو ما يعنى أن كيمون كان قد لقى حتفه آنذاك ، واكتشف الرجال فيما بعد أن كيمون قد توفى حقيقة فى نفس ذلك اليوم الذى استشاروا فيه الوحى . كما أن الشاعر الغنائى الإغريقى الشهير بندار الطيبى (حوالى ٥١٨ - ٤٣٨ ق.م.) الذى كان من كبار المعجبين بمعبد وحى آمون فى سيوة نظم قصيدة مديح فى آمون نقشت على لوحة ذات ثلاثة أوجه. ومن الشخصيات الشهيرة ذات لعلاقة بوحى آمون يوبوتاس - وهو عداء شهير من قورينة شرطة الذى تنبأ له وحى آمون بأنه سيفوز بالجائزة الأولى فى العدو وتحققت نبؤته فى الأوليمبياد الثالث والتسعين (عام ٤٠٨ ق.م.) . ومن هذه الشخصيات كذلك ليساندر - القائد الاسبرطى الشهير الذى أحرز نصراً كبيراً على

الأسطول الأثينى عام ٤٠٥ ق.م. فى نهاية الحروب البيلوبونيزية - الذى أراد أن يتوج ملكاً على اسبرطة لكن القوانين كانت تحول بينه وبين ذلك فلجأ إلى رشوة بعض كهنة معابد الوحى الشهيرة لكى يحصل على رد منها يحقق له مأربه . وقد أفلح فى ذلك مع كهنة معبد وحى دودونا ، ولكنة أخفق فى مسعاه لرشوة كهنة آمون الذين عنفوه على مسلكه المشين المخزى . ولعل خير ختام لهذه الجزئية حول الصيت الذائع لوحى آمون فى سيوة هو الزيارة الشهيرة التى قام بها الاسكندر الأكبر المقدونى لوحى آمون عام ٣٣١ ق.م. وهى الزيارة التى خلدت اسم واحة سيوة عبر كل العصور وحظيت بشهرة كبيرة لاتحتاج معها لمزيد من الوصف والتفصيل [٤] .

وإذا ما عدنا إلى حملة قمبيز ضد الإله آمون فى سيوة فإننى أتفق مع رأى المرحوم أحمد فخرى أن دافع الحملة ربما كان الحقد والغل من جانب قمبيز ضد وحى آمون الذى ربما كان قد تنبأ بالنهاية المأساوية لقمبيز وحكمه فى مصر بعد فترة قصيرة ، وعليه أراد أن يعاقب كهنة الوحى ويظهرهم بمظهر العاجز الذى لا حول له ولا قوة [٥] .

ويصف سترابون - فى أوائل الحكم الرومانى الرومانى لمصر - الصحراء الليبية (أى الصحراء الغربية لمصر) بأنها « مثل جلد النمر المرقط لأن بها بقعاً مسكونةً تحيط بها أرض قاحلة لا ماء فيها » (ويقصد بالبقع المسكونة الواحات) ، وفى موضع آخر يصف الواحات بأنها « مثل جزر فى بحر » [٦] . وفى كلا الموضعين يذكر سترابون أن المصريين يطلقون على المناطق المسكونة التى تحيط بها

صحارى شاسعة أسم « واحات » [7] ، وهكذا نجد أن كلمة «واحة» كلمة مصرية قديمة أخذها الإغريق عن المصريين ثم أخذتها (استعارتها) اللغات الأوربية الحديثة عن اليونانية للتعبير عن المناطق الآهلة بالسكان التى تحيطها الصحارى من كل جانب . وفى تصنيف سترابون لواحات الصحراء الغربية يبين أن :

« تقع أولى الواحات الثلاث الآنفة الذكر من واحات ليبيا قبالة أبيدوس ، على مسافة سبعة أيام من أبيدوس عبر الصحراء ، وهى مستوطنة تفيض بالماء والنبيذ وبها ما يكفى حاجتها من السلع الأخرى . أما الواحة الثانية فتقع على مقربة من بحيرة مويريس (قارون) ، فى حين تقع الثالثة قرب معبد وحى آمون ، وهما كذلك من المستوطنات الجديرة بالذكر » [8] .

إن « الواحة » الأولى من الواحات التى ذكرها سترابون هى بلا ريب الواحة الكبرى الواقعة إلى الغرب من الإقليم الطيبى والتى كانت تتكون من واحتى الخارجة والداخلة واللتين كانتا تذكران مقترنتين تحت اسم « الواحة الكبرى » [9] كما سنرى فى الوثائق البردية . أما الثانية فهى الواحة البحرية (أى الشمالية) الواقعة إلى الغرب من إقليم أوكسيرينخوس (البهنسا بمحافظة المنيا) ، وأما الثالثة فهى واحة آمون (سيوة) الواقعة فى أقصى الحدود الغربية لمصر .

أما بطلميوس الجغرافى [10] السكندرى من القرن الثانى الميلادى فقد أطلق اسم « الواحة الكبرى » على واحتى الخارجة والداخلة و « الواحة الصغرى » على واحة البحرية ، وهى المسميات

الشائعة لتلك الواحات فى الوثائق البردية من العصر الرومانى والعصر الرومانى المتأخر كما سنرى على صفحات هذا البحث . ومن قبل بطلميوس الجغرافى نجد المؤرخ اليهودى جوسيفوس من القرن الأول الميلادى يشير إلى واحة الخارجة فى سياق هجومه على والى مصر أبيون الذى اتهمه جوسيفوس بمعاداة اليهود . إذ يذكر جوسيفوس أن أبيون قد ولد فى واحة من واحات مصر (دون أن يحددها) ، وإن كان قد قرر فى موضع آخر أنه (أبيون) قد ولد فى أعماق مصر (مما يوحى ضمناً بأنه قصد الواحة الكبرى أو الخارجة) مما جعله (جوسيفوس) يزعم بأن أبيون من أصل وضيع وليس سكندرياً (١١) . كما يبدو أن الكاتب اللاتينى الساخر جوفينال قد سجن فى واحة الخارجة لبعض الوقت كجزء من عقوبة حكم بها عليه من جراء هجومه وتطاوله على البلاط الإمبراطورى فى روما فى عهد الإمبراطور دوميتيان (٨٠ – ٩٦ م .) مما عرضه للنفى فى أسوان فى صعيد مصر (١٢) .

أما عن خضوع الواحات للسيادة المصرية المباشرة والصريحة منذ أقدم العصور فإنه أمر تؤكده وتدلل عليه الشواهد الأثرية بالنسبة لواحات البحرية والفرافرة والخارجة والداخلة التى عرفها قدماء المصريين منذ نهاية الدولة القديمة على الأقل وكانت تزورها أوريات الحراسة المصرية فى عهد الدولة الوسطى ، وأخضعت هذه الواحات للسيادة المباشرة للموظفين المصريين قبل نهاية الأسرة السادسة (١٣) . أما عن واحة سيوة التى تقع فى أقصى الغرب بعد هذه الواحات فإن بعض العلماء مثل ماسبيرو يفترض أنها ارتبطت بمصر حوالى القرن

السادس عشر ق.م. ، أو حوالى عام ١١٧٥ ق.م. عندما قام رمسيس الثالث باستيطان الواحات المصرية ، فى حين يرى آخرون – مثل أوريك باتيس فى كتابه « الليبيون الشرقيون » – أن سيوة قد خضعت بالقطع للنفوذ المصرى فى القرن السادس ق.م.(١٤) .

وهكذا فإن قول سترابون – فى أواخر القرن الأول ق.م. مع بداية الحكم الرومانى لمصر – بأن الواحات التى سبق أن أشار إليها كانت خاضعة للسيادة والإدارة المصرية (١٥) يصبح من قبيل تحصيل الحاصل ، وهى سيادة ظلت واستمرت منذ ذلك الوقت المبكر وحتى وقتنا هذا وعلى طول العصور والأزمان بإذن الله .

والآن لننتقل إلى البحث فى الوثائق البردية التى تلقى الضوء على أوضاع الواحات المصرية خلال العصر الرومانى ، إذ أننا لانجد – فى الأغلب– سوى إشارات محدودة إلى الواحات فى الوثائق البردية من العصر البطلمى فيما أعلم . أما عن الوثائق والقرائن البردية من الفترة الرومانية فإنها بحاجة إلى دراسة شاملة متعمقة من أجل توضيح وإجلاء صورة الواحات من خلالها .

الوضع الإدارى للواحات المصرية :

ولنبدأ بالوثائق التى تتناول موضوع إدارة الواحات فى العصر الرومانى . وفى هذا الإطار نبدأ بمشكلة تتعلق بإدارة الواحة الصغرى (البحرية) إذ افترض بعض العلماء أن الواحة الصغرى كانت متحدة إدارياً مع الأقليم الأوكسيرنخيتى (البهنسا بالمنيا) منذ بداية الحكم الرومانى حتى نهاية القرن الأول الميلادى حين أصبح كل منهما وحدة إدارية مستقلة(١٦) ، وبنى هذا الرأى على قراءة أو فهم غير

دقيق لبعض القرائن البردية . كما أن تفسيراً غير مدقق لوثيقة بردية من عام ١٧٨ م . أدت إلى افتراض أنها تشير إلى وجود وحدة إدارية – مرة أخرى – بين الواحة الصغرى وإقليم أوكسيرينخوس (١٧). ولما كان نقاش الناشرين حول فهم محتوى هذه الوثائق يبدو غير مقنع إلى حد ما لذا ينبغى عرض فحوى هذه الوثائق ومحاولة اقتراح تفسيرات بديلة .

إن أقدم وثيقة حول هذه النقطة هى عبارة عن التماس مقدم من سيدة من الواحة الصغرى إلى والى مصر تشكو إليه فيه أنها هى وولدها الأكبر قد استعبدا (أصبحا عبدين) بالقوة . فى هذا الالتماس تعّرف هذه السيدة نفسها قائلة « من ثايسيس ابنة حورس من سكان الواحة الصغرى » (١٨) . وفى هذا التعريف المقتضب من عام ٤٥ – ٤٧ م. لانجد إشارة إلى ارتباط بين الواحة الصغرى وإقليم أوكسيرينخوس ، وإن كان هذا لايكفى للتدليل على انفصالهما .

وفى وثيقة أخرى مؤرخة بعام ٧٠ (١٩) ميلادية نجد ايصال استلام أصدره مواطن سكندرى حاصل على المواطنة الرومانية إلى شخص من أوكسيرينخوس تفيد باستلام الطرف الأول للإيجار الكامل والتسوية النهائية عن أرض كان الطرف الثانى قد زرعها من قبل لكنه لم يعد يزرعها وتركها بعد ذلك . ولما كان المواطن الرومانى مجنداً حينذاك فى القوات الرومانية العاملة فكان من الضرورى أن تتم تصرفاته القانونية من خلال وكيل ينوب عنه ، وكان هذا الوكيل هو أحد عتقائه . وفى هذه الوثيقة نجد مرفقات تثبت الخطوات القانونية

المتصلة بتعيين هذا المعتق وكيلا عن الجندى الرومانى . أهم ما يعنينا فى تتبع هذه الخطوات فى تعيين هذا الشخص وكيلاً للجندى الرومانى هى أنه يظهر فى ثناياها التعريف الإدارى للواحة الصغرى فيما يتصل بعلاقتها بإقليم أوكسيرينخوس . إن الخطوة الأولى فى إجراءات تعيين هذا الوكيل هو التماس مقدم لوالى مصر من الجندى الرومانى يطلب فيه من الوالى أن يخطر « الموثق العام للإقليم الأوكسيرينخيتى والواحة » [٢٠] بأمر هذا التعيين عند إقراره (لاحظ الحديث عن موثق عام واحد للإقليمين) . وبعد إقرار هذا التعيين للوكيل من جانب محكمة الخريماتيستاى تضمن قرار المحكمة « ضرورة إرسال تعليمات مكتوبة (عن هذا التعيين) إلى الموثقين المسجلين (لاحظ صيغة الجمع) للإقليم الأكسيرينخيتى والواحة » [٢١] . وتنفيذاً لقرار المحكمة قام كبير القضاة (الأرخيديكاستيس) بإخطار « موثق ومسجل (نفس الشخص) الإقليم الأوكسترينخيتى » [٢٢] (لاحظ الحديث عن موظف واحد لإقليم أوكسيرينخوس وحده) . -

إن تفسيرى لهذه المعلومات المشوشة والمتناقضة فى ذات الوثيقة هو كالآتى : ربما ظن أو افترض هذا الجندى الرومانى (ذو الأصل السكندرى) أن اقليم أوكسيرينخوس والواحة الصغرى كان لهما مسجل عام واحد نظراً لقربهما المكانى وتشابك المصالح والعلاقات بينهما كما سنرى . لكن قرار المحكمة بحديثه عن اثنين من المسجلين كل منهما له منطقة اختصاصه ، ثم إخطار كبير القضاة لمسجل الإقليم الأوكسيرينخيتى بالأمر ، ربما كان الغرض منهما

تبديد ظن وتصويب معلومات الجندى الرومانى حول الموضوع وإخطاره - فى السياق العام للإجراءات - أن المنطقتين لم تكونا متحدتين إدارياً ، وإنما كانت كل منهما منطقة مستقلة إدارياً ولها موظفوها . إذا ماصح هذا التفسير وهذا الاستنتاج يصبح رأى ناشر الوثيقة بأن الواحة الصغرى كانت عام ٧١ ميلادية متحدة إدارياً مع إقليم أوكسيرينخوس [٢٣] قد جانبه الصواب . أما لماذا أخطر كبير القضاة مسجل الإقليم الأوكسيرينخيتى بأمر تعيين وكيل عن الجندى الرومانى ولم يخطر به مسجل الواجة الصغرى فربما تأكدت المحكمة أن الجندى الرومانى لم يكن له عقارات أو ديون فى الواحة [٢٤] وأن ذكره لها فى طلبه الأول كان على سبيل تصور خاطىء من الناحية الإدارية وبالتالى لاعلاقة حقيقية للواحة الصغرى بأمر التسوية بين الطرفين ، وبالتالى لم يتم إخطار مسجلها بالأمر .

وفى وثيقة أخرى من أواخر القرن الأول الميلادى أو أوائل القرن الثانى فإن الاستقلال الإدارى للواحة الصغرى يتضح بصورة واضحة وقاطعة إذ يذكر فيها بوضوح حاكم إقليم (استرايتجوس) الواحة الصغرى [٢٥] . كما أن هناك إشارة أخرى فى وثيقة من زمن حكم الإمبراطور بروبوس (٢٧٦ - ٢٨٢) عن « الإقليم الإدارى (استراتيجية) للواحة الصغرى» [٢٦] στρατηγια Μικρας Οα-σεως وفى خلال الفترة الواقعة بين التاريخين المذكورين (أوائل القرن الثانى الميلادى وحكم بروبوس فى أواخر القرن الثالث) هناك بعض الأدلة الوثائقية التى تدعم فكرة الاستقلال الإدارى للواحة الصغرى (البحرية) عن إقليم أوكسيرينخوس (البهنسا) . وتتمثل

هذه الأدلة الوثائقية فى وثائق يظهر فيها موظفون عديدون ينحصر نطاق اختصاصاتهم – فى تلك الوثائق المعنية – فى الواحة الصغرى وحدها . ولدينا أمثلة فى هذه الوثائق على مساح [٢٧] -επι σκεπτης ورئيس جمنازيوم [٢٨] γυμνασιαρχος وكبير كهنة [٢٩] αρχιερευς للواحة الصغرى . وهناك دليل من نوع آخر يفيد فى تأكيد نفس النقطة (الاستقلال الإدارى للواحة الصغرى كوحدة إدارية أو إقليم قائم بذاته) يتمثل فى قائمة بالأقاليم المصرية من النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى يرد فيه ذكر إقليم الواحة الصغرى كإقليم مستقل عن إقليم أوكسيرينخوس ويأتى بعده فى الترتيب مباشرة ولكن تحت اسم واحة السبع نومات [٣٠] (الأسم الذى كان يطلق على إقليم مصر الوسطى فى الوثائق البردية) ، أما الواحة الكبرى (الخارجة والداخلة) فقد عرفت فى هذه القائمة باسم « الواحة الكبرى للإقليم الطيبى » [٣١] .

ولمحاولة إجلاء الغموض تماماً عن هذه النقطة المتعلقة بالاستقلال الإدارى للواحة الصغرى عن إقليم أوكسيرينخوس نتناول وثيقة أخرى أثارت بعض الشك حول تبعية هذه الواحة إداريا لحاكم إقليم أوكسيرينخوس . وهذه الوثيقة المعنية هى إخطار موجه عام ١٧٨ إلى حاكم إقليم أوكسيرينخوس عن مطالبة باسترداد دين كان قد تقدم بها إلى كبير القضاة من قبل الدائن المدعو سيرينوس وهو أحد العتقاء من مدينة أوكسيرينخوس ضد المدين وهى سيدة تدعى سارابياس تعيش فى عاصمة الواحة الصغرى [٣٢] . وقد فهم البعض هذه القرينة على أنها دليل على الوحدة الإدارية بين إقليم

أوكسيرينخوس والواحة الصغرى (٣٣) لأن أحد سكان الواحة الصغرى كـان يقع تحت طائلة السلطان القـضـائى لحـاكم الإقليم الأوكسيرينخيتى . لكن الأمر لا ينبغى أن يفسر على هذا النحو لأن ما وقع لايتجاوز أن يكون نوعاً من إجراءات التقاضى ولا علاقة له بوحدة إدارية بين الإقليمين . وأوضح ذلك بأنه نظراً لأن الدائن كان من مدينة أوكسيرينخوس (٣٤) ولما كان عقد الدين قد تم تسجيله فى مكتب التسجيل الخاص بتلك المدينة (٣٥) فقد أصبح الأمر برمته – بطبيعة الحالة – من اختصاص السلطات القضائية فى إقليم أوكسيرينخوس وعلى رأسها حاكم الإقليم .

وهكذا فإن القرائن والأدلة المذكورة أعلاه تبرهن بوضوح على أن الواحة الصغرى (البحرية) كانت إقليماً إداريا قائماً بذاته ومستقلاً عن إقليم أوكسرينخوس (البهنسا) منذ بداية الحكم الرومانى فى مصر حتى حكم دقلديانوس عام ٢٨٤ على الرغم من جوارهما الجغرافى والعلاقات الوثيقة والمصالح المتبادلة بين الاقليمين.

أما عن الوضع الإدارى للواحات الأخرى وتحديداً الواحة الكبرى الواقعة قرب الإقليم الطيبى وواحة آمون (سيوة) قرب الحدود الليبية فى الفترة المذكورة أعلاه فإن مالدينا عنها من أدلة وثائقية بردية تعود فقط إلى القرن الثانى للميلاد وتثبت أن تلك الواحات كانت أقاليم إدارية مستقلة أو قائمة بذاتها ولاتتبع أيا من الأقاليم المجاورة لها . فهناك مثلاً خطاب شخصى من شخص يدعى ديونيسيوس إلى شخص آخر يدعى هيراكليديس يوصف بأنه « كاتب

حاكم إقليم الواحة الطيبية »[٣٦] ، هذا بالإضافة إلى ذكر « الواحة الكبرى للإقليم الطيبى »[٣٧] ضمن قائمة الأقاليم المصرية من أواخر القرن الثانى الميلادى . وهناك وثيقة أخرى تتضمن قائمة بأشخاص والوظائف التى سبق أن تقلدوها وقيمة أملاكهم . والفقرة الوحيدة الكاملة من فقرات هذه الوثيقة تخص شخصاً يقطن منطقة تدعى ايروائيس – ربما كانت بلدة خارج الفيوم[٣٨] – وكان قد عمل من قبل « موظفاً طرف حاكم إقليم (الواحة) الآمونية (سيوة) »[٣٩].

إننى أميل إلى الاعتقاد بأن هذه الواحات (الواحة الكبرى التى تضم واحتى الخارجة والداخلة ، وواحة آمون (سيوة) كانت تتمتع بنفس الوضع الإدارى للواحة الصغرى ، أى أنها كانت أقاليم إدارية قائمة بذاتها طيلة القرون الثلاثة الأولى من الحكم الرومانى رغم وجود علاقات وثيقة بين الواحة الكبرى والإقليم الطيبى المجاور كما سنلاحظ بعد قليل . ورغم ضعف وندرة الشواهد البردية عن هذا الموضوع من القرن الأول للميلاد فإن هناك شواهد نقشية تؤكد ذلك – خصوصاً بالنسبة للواحة الكبرى – ومن هذه الشواهد قرار الوالى جنايوس فيرجيليوس كابيتو من عام ٤٩ للميلاد والذى تضمن الواحة الكبرى كإقليم إدارى على رأسه حاكم إقليم هو بوسيدونيوس الذى وجه إليه الوالى نسخة من قراره »[٤٠] . وكذلك الحال فى قرار الوالى تيبريوس يوليوس الاسكندر فى معبد هيبيس الشهير بواحة الخارجة والذى نجد فيه يوليوس ديمتريوس حاكماً على الواحة الكبرى أو واحة الإقليم الطبى[٤١] .

التواصل والعلاقات المتبادلة بين الواحات ووادى النيل :

فى إطار الحديث عن هذا الموضوع سوف نصنف الشواهد الوثائقية إلى مجموعتين : المجموعة الأولى عن العلاقات والشئون الخاصة بين الناس فى هذه الأماكن هنا وهناك ، والمجموعة الثانية عن الأنشطة الاقتصادية والمالية المتبادلة . ولايقتصر الأمر فى هذا الحديث على علاقات سكان وادى النيل بأهل الواحات ، بل كذلك العلاقات المتبادلة بين أهل الواحات بعضهم ببعض .

بالنسبة للمجموعة الأولى من الوثائق فلدينا أمثلة عن أناس من الواحة الصغرى (البحرية) يمتلكون أو يؤجرون منازل وملكية أخرى فى أوكسيرينخوس والعكس . فعلى سبيل المثال نجد التماساً مقدماً إلى حاكم الإقليم الأوكسيرينخيتى من سيدة من أوكسيرينخوس ومعها وصيها وكذلك من رجل من الواحة الصغرى ، وكان كل من طرفى الالتماس يمتلك منزلاً ملاصقاً لمنزل الآخر فى أحد مناطق مدينة أوكسيرينخوس [٤٢] ، ويشتكى الطرفان إلى حاكم الإقليم من أن المنزل المجاور لمنزل كل منهما كان آيلاً للسقوط بسبب قدمه ويعبران عن مخاوفهما من الأضرار المتوقع حدوثها لهما ولمنازلهما فى حالة سقوط المنزل المجاور .

وفى التماس آخر مقدم إلى الكاتب الملكى القائم بعمل حاكم إقليم الإقليم الأوكسيرينخيتى يشكو أبن قاصر من خداع واحتيال من جانب أمه ماترينا بصفتها وصية عليه . وقد كان هذا الأبن القاصر وأمه من أوكسيرينخوس ولكن كانت هناك بعض أملاك تخص الأبن القاصر فى الواحة الصغرى . ومن بين سبل الاحتيال

من جانب الأم ضده أن جعلته يذهب إلى الواحة ويرهن كل أملاكه فيها [٤٣] .

كما أن هناك إقراراً من إقرارات الاحصاء السكانى مقدم من أحد سكان أوكسيرينخوس من بداية القرن الثالث الميلادى . ومن بين الأفراد الذين ذكروا فى هذا الإقرار ممن يقيمون بمنزل هذا الشخص إحدى الإماء من الواحات [٤٤] مملوكة لإحدى بنات هذا الرجل مقدم الإقرار . وفى هذا السياق كذلك نجد خطاباً شخصياً به معلومات عن « إثنين من صغار العبيد جلبا إلى سيدهما من الواحات، أحدهما يبلغ الرابعة من عمره والآخر فى سن الثالثة » [٤٥] من هنا ربما جاز للمرء أن يخمن أنه كانت هناك سوق لتجارة الرقيق فى الواحات .

وفى عقد إيجار مؤرخ بعام ٢٨٠ استأجر الكاهن الأكبر السابق للواحة الصغرى منزلاً فى أوكسيرينخوس له فناء وصهريج ماء ومزود بكافة مستلزمات العرافة وذلك لمدة ستة أعوام [٤٦] .

أما فيما يتعلق بالمجموعة الثانية من الوثائق المتصلة بالأنشطة الاقتصادية والصفقات المتبادلة بين أهل الواحات ووادى النيل والعكس فإن هناك بعض الشواهد والقرائن على تلك العلاقات التجارية وما يترتب عليها من معاملات مالية من ديون وودائع ورهون وخلافه . فهناك مثلا وثيقة قبل العصر الرومانى إذ أنها من وثائق زينون من العصر البطلمى المبكر تثبت وجود هذه العلاقات التجارية منذ فترة مبكرة ، ورغم أن هذه الوثيقة مهشمة إلا أن الجزء المتبقى به إشارة إلى علاقات التجارية بين واحة آمون (سيوة)

وأوكسيرينخوس [47] . كما أن بها إشارات إلى « ثمانين بعيراً محملة بالسلع » وإلى إيصالات استلام ونفقات مالية أنفقت فى سنوات معينة وضرائب ودواب حمل ومؤن [48] . أما إذا عدنا للحديث عن العصر الرومانى فإن لدينا – مثلا – إيصال جمارك من القرن الأول الميلادى مـن منفذ الواحـة الصغرى الجمـركى عـن مستحقـات تم تحـصـيلهـا عن سلع ربما نقلت من الواحـة الصـغـرى إلى أوكسيرينخوس [49] . وكانت هذه المستحقات الجمركية بنسبة ١ ٪ على حمولة حمار من الشعير وحمولة حمار آخر من الثوم [50] .
وهناك إيصال آخر باستلام ضريبة جمركية من منفذ ضرائب سوكنوبايو نيسوس بالفيوم عن بعيرين محملين بعشرين أردباً من القمح من الإقليم الأرسينويتى (الفيوم) إلى الواحة (الصغرى) ، وتبلغ قيمة التعريفة (الضريبة) الجمركية هنا ٣ ٪ [51] ، وهـذه الوثيقة مؤرخة بعام ١٤٥ م. وفى وثيقة أخرى من القرن الثانى الميلادى هناك إشارة إلى « حراس الطريق الصحراوى للواحة » ، وهو الطريق الذى يربط بين الواحة الكبرى والإقليم الطيبى [52] . من هذه الوثائق يمكن أن نستنتج بسهولة أن العلاقات التجارية بين الواحات ووادى النيل كان لها طرق تجارة منظمة تنظمها وتتحكم فيها منافذ جمركية ويحميها حراس الطرق الصحراوية لتأمين تجـارة القوافل والأفراد عبر الصحارى [53] . ومما يؤكد ذلك أيضاً الشواهد الأثرية التى تؤكد أن كافة الصحارى المصرية قد شهدت فترة جديدة من الإزدهار وحظيت بأقصى اهتمام مع بداية الحكم الرومانى إذ تم حفر آبار جديدة وإقامة مستوطنات جديدة وأن واحة الخارجة لقيت أعظم

اهتمام لأنها كانت على طريق تجارة القوافل المعـــروف الآن بـ « درب الأربعـين » (٥٤) .

نعود ثانية إلى الشواهد البردية الوثائقية على هذه الأنشطة التجارية بين الواحات والوادى . فمن القرن الثانى الميلادى كذلك نجد فى أحد الخطابات المرسلة لشخص يدعى إبيماخوس من أحد مساعديه فى أوكسيرينخوس أمراً يتعلق بتذرية (غربلة) مقدار من الشعير يقوم به هذا المساعد فى ظل ظروف جوية صعبة بسبب المطر والرياح فى شهر يناير . ومن الواضح أن هذا الشعير كان آتياً من الواحة كما يشير إليه كاتب الخطاب مرتين بقوله « شعير ذلك الرجل الواحاتى » (٥٥) . وفى كشف حساب خاص برجل من أوكسيرينخوس نجده يسجل نفقاته خلال شهر كيهك : وفى هذا الكشف يتكرر مرات عديدة استلام رجل من الواحات منه أوبولين فى كل مرة ، ربما فى نظير خدمة أو عمل يؤديه له (٥٦) . كما أن هناك التماس مرسل من سيدة من عاصمة الإقليم الأبوللونوليتى (إدفو حاليا) إلى حاكم ذلك الإقليم عن سرقة وهجوم تعرض له منزلها الريفى أثناء غياب زوجها . ورغم أن البردية مهشمة وبها فجوات فمن الواضح مما تبقى منها أن هذا الزوج الغائب كان مسافراً إلى الواحة بغرض التجارة هناك (٥٧) ، وترك زوجته وأطفاله السبعة . أما الواحة المذكورة التى توجه إليها فربما كانت – على الأرجح – الواحة الكبرى (الخارجة) أقرب الواحات إلى إدفو (٥٨) .

ويبدو أنه مع نهاية القرن الثانى وأوائل القرن الثالث للميلاد فصاعداً ازداوت التجارة مع الواحات واتسع نطاقها أكثر وأكثر .

ففى خطاب يحتوى شئون تتعلق بصفقات وأعمال مرسل من شخص يدعى هاربالوس من الاسكندرية إلى أخيه هيراس فى أوكسيرينخوس يشير الأول إلى تجارة جلود مع الواحة الصغرى (البحرية) وأن ثمن الصفقة قد دفع [٥٩] . كما يشير الى معاملات مالية مع شخص من الواحة الكبرى يبدو أنه اقترض من هاربالوس مبلغ ١٠٠٠ دراخمة عن طريق أعوان ورفاق هاربالوس فى الواحة الكبرى ثم رد المبلغ اليه (هاربالوس) فى أوكسيرينخوس [٦٠] . ومن حوالى نفس زمن الوثيقة السابقة(اواخر القرن الثانى واوائل الثالث فى الميلادى).نجد فى وثيقة اخرى اقرارا من رجل من الواحة الصغرى يفيد استرداده مبلغا من المال كان قد اعطاه على سبيل الوديعة قبل عامين او ثلاثة لرجل من واحة امون النائية (سيوة) عندما كان الاول هناك بغرض التجارة على الارجح . وقد تم رد مبلغ الوديعة من خلال وساطة شخص من اوكسيرينخوس ، وربما تم ذلك فى أوكسيرينخوس [٦١] .

أهم منتجات الواحات واقتصادها المحلى :

سبق أن رأينا أعلاه (الحواشى أرقام٥٠و٥٥)أن الشعير والثوم كان يأتى إلى أوكسيرينخوس من الواحة الصغرى خلال القرن الأول والثانى إلى شونة غلال فى إحدى الواحات [٦٢] يبدو أنه كان يخزن فيها الشعير المنتج محلياً . كما يبدوأن زراعة الثوم كانت من الزراعات التى تجود فى الوحات منذ فترة مبكرة كما نرى فى وثائق بردى زينون من النصف الأول من القرن الثالث ق.م. ففى إحدى هذه الوثائق يرسل أحد وكلاء زينون ويدعى يومبيلس خطاباً إلى

زينون عن زراعة الثوم عن عام ٢٦٠/٢٦١ ق.م.(العام الخامس و العشرين من حكم بطلميوس الثانى فيلادلفوس) . (٦٣) . وفى هذا الخطاب يذكر مرسله تعليمات صادرة من زينون إليه بشأن أفضل أنواع التربة الملائمة لزراعة الثوم وهى التربة الصخرية (٦٤) ، وعليه فإن ثوم ذلك العام كان سيزرع فى اثنين من الأماكن الخصرية فى تالى وفى الواحات .ولكنه يستطرد فيقول أن الإهمال من جانب بعض القائمين على الزراعة أدى إلى عدم زراعة نصف المقدار المقرر من الثوم فى التربة الحجرية الواحاتية فى الوقت الملائم لزراعته (٦٥) .

ومن الواضح أن بعض قطع الأرض الزراعية بالواحات كانت على درجة عالية من الخصوبة وكانت تصلح لزراعة الحبوب بل وكان التنافس شديداً بين الزراعين على استئجارها نظراً لإنتاجيتها العالية . ففى وثيقة بردية من الواحة الصغرى من أوائل القرن الثالث الميلادى عام ٢٢٢ قام شخص يدعى هيرون باستئجار قطعة من أرض الحبوب من الباطن من أرض الضياع التابعة لملكية سيدة تدعى كلوديالإيزيدورا فى الواحة (٦٦) .وبعد أن قام هذا المستأجر بحرث الأرض وقدم البذور والنفقات الأخرى للمزارعين المحليين قام شخصان آخران بعرض عطاء أعلى مما قدمة المزارع الأول بزيادة قدرها ٢٠٠ دراخمة سنوياً (٦٧) .ووافق المستأجر الأول على ذلك بشرط أن يردا إلية النفقات التى أنفقها على الأرض .ولكن لم يفلح المزارعان فى رد تلك النفقات إليه وعندها تقدم هذا المزارع مرة ثانية بعطاء أعلى وعرض دفع ١٥٥٢ دراخة إضافية سنوياً (٦٨) . .وبطبيعةالحال وافق مندوب (وكيل) مالكة الأرض على العرض الأخير .

ومن منتجات الواحات التى كانت تنقل وتصدر إلى الأقاليم الأخرى بعض العناصر المعدنية مثل حجر الشبة ذى الاستخدامات الطبية وكذلك بعض مواد الصباغةو التلوين . ففى وثيقة من منتصف القرن الثانى الميلادى نجد أحد المشرفين على احتكار الشبةفى الإقليم الأرسينويتى (الفيوم) وقد أصدر إيصال استلام إلى أحد الجمالين بأن الأخير قد أدى الضريبة فى سكنوبايونيسوس (موقع المنفذ الجمركى على حدود الفيوم مع الصحراء الغربية) «على ثلاثين تالنت خفيف من الشبة التى نقلها من الواحة الصغرى إلى الإقليم الأرسينويتى وهى كمية تعادل وزن ١٢ تالنت من المعدن ، وكان إجمالى الضريبة عن الكمية ١٣٥ دراخمة فضية » (٦٩) .وفى هذا السياق هناك كذلك سجل لبائع عقاقير (صيدلى) من أوكسير ينخوس من منتصف القرن الثالث الميلادى مدون به كميات العقاقير الموجودة لديه وذلك لتقديمها للمشرفين على احتكار صناعة الشبة . وفى هذا السجل دون بائع العقاقير أن لدية شبة من «بسوبثيس» عاصمة الواحة الصغرى وأصباغ مثل أكسيد الحديديك (المغرة) وأشياء أخرى من كافة الواحات (٧٠) ،وقد دون المخزون لديه من كميات كل صنف بدقة .

ومن منتجات الواحات الهامة كذلك الزيت المستخرج من النباتات الزيتية مثل السمسم وحب الملوك والقرطم والزيتون . ففى بردية قوانين الدخل الشهيرة من عصر بطلميوس الثانى فيلادلفوس هناك إشارات عديدة إلى زيوت من الإقليم الليبى (الصحراء الغربية المصرية بما فيها الواحات) تتضمن احتكاره واسعاره المحددة من قبل

الحكومة البطلمية [٧١] . ويبدو أن زيت الواحات كان يحظى بسمعة متميزة : إذ نجد فى عقد مرضعة من أكسيرينخوس من نهاية القرن الأول الميلادى شرطاً على أن يكون الدفع العينى للمرضعة فى مقابل إرضاعهاللطفل الوليد «قارورتين من الزيت الواحاتى [٧٢] » وأن يكون المبلغ النقدى الذى تتقاضاه هوسبع دراخمات فضية شهرياً . ويبدو أن أسعار زيوت الواحات كانت معروفة فى أماكن كثيرة من مصر فى العصر الرومانى وإن كان البعض يتلاعب أو يغالى أحياناً فى أسعار بيعها . ففى خطاب من شخص يدعى أبو للونيوس إلى أخية أرتيماس من القرن الثالث الميلادى ولا يعرف مصدره .يعبر أبو للونيوس عن دهشته من أن أخاه قد أنفق مبلغاً كبيراًجداً من المال على زيت الزيتون رغم أن زيت الزيتون فى مكان إقامة ذلك الأخ – لا يحدد المكان – يباع بسعر ٢٢٠ دراخمة لزيت واحة آمون و ٢٠٠ دراخمة لزيت الواحة (الصغرى) [٧٣].

حرف وأنشطة أخرى متنوعة

ومن الحرف الأخرى التى يبدو أن أهل الواحات أجادوها .إضافةإلى الزراعة والتجارة والتعدين كما رأينا ـ صناعة النسيج . ومما يدل على ذلك فى الوثائق ـ على سبيل المثال ـ عقد تعلم لحرفة النسيج عهدت فية سيدة من أوكسير ينخوس تدعى بلاتونيس بإحدى إماءها إلى نساج من «أفروديسيوم»بالواحة الصغرى لكى يعلمها حرفة النسيج لمدة أربعة أعوام [٧٤] . وهذايوحى بأن هذاالنساج من الواحة الصغرى كان على درجة عالية من المهارة والسمعة المتميزة فى حرفته حتى أن هذه السيدة من أهل أوكسيرينخوس عهدت إليه ـ

وهو فى الواحة بعيداً عن أوكسيرينخوس ـ وليس إلى نساج من أوكسير ينخوس بأمتها ليعلمها حرفة النسيج .

وهناك وثائق أخرى تلقى الضوء على جوانب متفرقة من حياة أهل الواحات : ففى سجل عن ضريبة الرأس من أواخر القرن الأول ق.م. أو أوائل القرن الأول الميلادي يرد ذكر موظفين من أقاليم تنتيرا وكينوبوليس و أوكسيرينخوس بالإضافةإلى كتبة قرى من الواحة (الصغرى)وقد أعفوا جميعا من ضريبة الرأس بحكم مهامهم الرسمية [٧٥] .كما أن هناك وثيقة مؤرخة بعام٧١م . لكن يتبقى منها للأسف بعض الشذرات ، ولكن يمكن أن قرأ فيما تبقى منها بضع كلمات وعبارات يمكن أن تكون مفتاحا لموضوع الوثيقة . فهناك إشارات إلى«حفارى قبور » و «موت»و«حفر» بالإضافة إلى مبالغ من المال ، ثم تأتى عبارة «عن أهل الواحات مع زوجاتهم و أطفالهم » ، وهو ما قد يوحى بأن هذه الوثيقة تتعلق برسوم أو مصاريف ضئيلة تجبى وتحصل عن عمليات الدفن عن الموتى من أهل الواحات [٧٦] .

وهناك وثيقة أخرى طريفة للغاية من القرن الأول الميلادى تتعلق بالسياحة فى واحة سيوة فى العصور القديمة . هذه الوثيقة عبارة عن خطاب يصف فيه شخص يدعى نيارخوس لشخص آخريدعى هيليودوروس رحلة قام بها الأول فى النيل جنوبا حتى أسوان وإلى منبع النيل الأسطورى فيما وراء أسوان [٧٧] ثم يصف رحلة قام بها إلى معبد وحى الإله آمون فى سيوة والذى يوحى بنبؤاته إلى كافة البشر –حسب وصف كاتب الرساله ـ وكيف أنة استشار وحى الإله وعرف منه نبؤات ذات فأل حسن ويذكر فى رسالتة عادة

مماثلةلما يقوم به السياح فى الوقت الحاضر وهى نقش أسماء أصدقائه على المعبد تخليداالذكراهم (٧٨).

وأخيراً فاءن هناك ملاحظة يجب الانتباه إليها بشأن الواحات وهى أنه كانت لها ظروفها الجغرافية و الاقتصادية الخاصة والتى كانت مختلفة عن ظروف بقية أقاليم وادى النيل : ولذلك فإنه عند مخاطبة ومراسلة موظفى الأقاليم وحكامها فى وادى النيل حول بعض المسائل الاقتصادية كانت الواحات غالباً ما تستثنى من التعليمات .ففى تعميم مرسل من الوالى ايميليوس ساتورنيلوس إلى حكام الأقاليم السبعة (فى مصر الوسطى) والإقليم الأرسينويتى (الفيوم) باستثناء الواحة(مقصود هنا الواحة الصغرى أو البحرية) يصدر الوالى تعليماته إلى حكام الأقاليم لكى يجبروا الحمارين فى أقاليمهم أن يقوم كل منهم بتقديم ثلاثة حمير من طرفه ويقوم الموظفون بتمييزها بعلامات وذلك لكى تستخدم لنقل القمح إلى المخازن (٧٩) . وقد كانت الواحة مستثناة من هذا التعميم ربما لأن كميات القمح المنتجة من الواحة كانت ضئيلةولا تستدعى هذه الخدمة الإلزامية على سكان الواحة من الحمارين ، إذ سبق أن لاحظنا أن القمح كان ضمن واردات الواحة من الفيوم . وفى وثيقة أخرى عبارة عن مذكرة قصيرة حول بعض أمور رسمية مثل رى التربة وإرسال حبوب نقية غير مغشوشة و الأضحيات المقدمة إلى النيل المقدس كان المعنى بهذه الأمور هم سكان الإقليم الطيبى و استثنى من هذه التعليمات سكان الواحة (الكبرى) (٨٠). ومن الطبيعى هنا استثناء الواحة لأن الأمور المذكورة فى الوثيقة يبدو أنها تنطبق على مناطق الإقليم الطبى التى كانت تروى من ماء النيل الذى لا يصل إلى الواحات .

الحواشي

(1) Herodotus, III. 25.3: επετε δε στρατευομενος εγ-ενετο εν Θηβησι, απεκρινε του στρατου ως πεντε μυριαδας, και τουτοισι μεν ενετελλετο, Αμμωνιους εξανδραποδισαμενους το χρηστηριον το του Διος εμπρησαι.

(2) H.J. LLEWELLYN BEADNELL, An Egyptian Oasis, An account of the Oasis of Kharga, London, 1909, p. 91; AHMED FAKHRY, The Oases of Egypt, (vol. I. Siwa), p. 81.

(3) Herodotus, III. 26. 2-3 : ουτε γαρ ες τους, Αμμωνιους απικοντο ουτε οπισω ενοστησαν. λεγεται δε κατα ταδε υπ αυτων Αμμωνιων. επειδη εκ της, Οασιος ταυτης ιεναι δια της ψαμμου επι σφεας' γενεσθαι τε αυτους μεταξυ κου μαλιστα αυτων τε και της Οασιος, αριστον αιρεομενοισι αυτοισι επιπνευσαι νοτον μεγαν τε και εξαισιον, φορεοντα δε θινας της ψαμμου καταχωσαι σφεας, και τροπω τοιουτω αφανισθηναι.

(4) For a comprehensive history of the Siwa Oasis to the rise of Islam, see : AHMED FAKHRY, op.

cit., chap. III, pp. 70-92; C. DALRYMPHE BELGRAVE, Siwa, The Oasis of Jupiter Ammon, London, pp. 74-89.

(5) AHMED FAKHRY, op. cit, p. 81.

(6) Strabo, 2.5. 33 : εστι δ, ωσπερ οι τε αλλοι δηλουσι και δη και Γναιος Πεισων ηγεμων γενομενος της χωρας διηγειτο ημιν, εοικυια παρδαλη. καταστικτος γαρ εστιν οικησεσι περιεχομεναις ανυδρω και ερημω γη; 17. 1.5: ως αν νησους πελαγιας.

(7) Strabo, 2.5. 33 : καλουσι τε τας τοιαυτας οικη–σεις Αυασεις οι Αιγυπτιοι; 17. 1.5 : Αυασεις δ οι Αιγυπτιοι καλουσι τας οικουμενας χωρας περιεχομενας κυκλω μεγαλαις ερημιαις....

(8) Strabo, 17. 1. 42 : κατα δε την Αβυδον εστιν η πρωτη αυασις εκ των λεχθεισων τριων εν τη Λιβυη, διεχουσα οδον ημερων επτα ενθενδε δι ερημιας, ευυδρος τε κατοικια και ευοινος και τοις αλλοις ικανη. δευτερα δ η κατα την Μοιριδος λιμνην. τριτη δε η κατα τα μαντει–ον το εν Αμμωνι. και αυται δε κατοικιαι εσιν αξιολογοι.

(9) H.J.L. BEADNELL, op. cit, p. 91: J. LESQUIER, L'armee romaine d'Egypte, Le Caire, 1918, pp. 414 - 15.

(10) Cf. J. LESQUIER, Ibid., pp. 413 - 14; Ptolemy, Geographia IV. 5. 37.

(11) Josephus, Against Apion, II, 29 : και γεγενημε–νος εν Οασει της Αιγυπτου, παντων Αιγυπτιων πρωτος ων, ως αν ειποι τις. Cf. the note of the editor and translator of the Loeb who states that Josephus meant the Great Oasis in Upper Egypt west of Thebes; cf. also II. 41 : γενη–θεις γαρ, ως προειπον, εν τω βαθυτατω της Αιγυπιου πως αν Αλεξαναδρευς ειη.

(12) H.J.L. BEADNELL, op. cit., p. 94.

(13) AHMED FAKHRY, op. cit., pp. 73-77.

(14) C.D. BELGRAVE, op. cit., pp. 75-76. The view of O. Bates was adopted by the author.

(15) Strabo, 17.1.5 : πολυ δε τουτ εστι κατα την Λι–βυην, τρεις δ εισιν αι προσχώροι τη Αιγυπτω και υπ αυτη τεταγμεναι.

(16) See further notes 19 and 25.

(17) See notes 32 and 33.

(18) P. Ox. 3033, A.D. 45-47, 11. 2–3 : παρα Θαη–σιος της Ωρου των απο τη[ς Μικρας Οασεως.

(19) P. Ox. 2349, Oxyrhnchus, A.D. 70.

(20) Ibid., 1. 44 : και γραψε (read: γραψαι) δε[ομαι τω του, Οξυρυγχιτου κ]αι Οασεως [αγορανομ]ω...

(21) Ibid., 1. 24 : και υπο[γ]ραφηναι τω [τε] του Οξυρυγχειτου και Οασεως αγορανομους ουσι δω και μνημοσι... κτλ (read: τοις, αγορανο–μοις).

(22) Ibid., 11. r6-17 : Αθηνοδωρος ο ιερευς και αρ–χιδι[[κ]]–καστης τω του Οξυρυγχειτου αγορ–ανομω οντι [[ι]] δε και μνημονι χαιρειν.

(23) Ibid., 1. 24, note.

(24) Ibid., 11, 35-36 : [...........οικ] οπεδα καθ[α.........] απαιτησοντα ουδε οφελοντ[α.....] τω αυτω Οξυρυγχε[ιτ]η νομω και Αυα[σει......].

(25) P.Ox. 1118, late first or early second century A.D., Oxyrhynchus, 11. 1–2 : [...]ως αξιωι συν–ταξαι γραψα[ι] τω της Μικρας [,Οασ]εως

στρατηγωι... κτλ.

(26) P.Ox. 1498, 1.6 : Δι]οσκορου νυνι διατε-χο(μενος) στρα(τηγιαν) Οασεως. Cf. P. Ox. 1439, Introduction.

(27) P.Ox. 2793, second/third century A.D., 11. 6–7 : γενομενω επισκεπτη Οασε | [...ς Ζ Χαιρειν.

(28) P. Ox. 1726, early third century A.D., 11. 2–3 : παρχω(ρησεως) Ηρακλειδ[ο]υ γυμ(νασιαρχου) Οασεωσ (δραχμαι) ξδη Cf. P.Ox 2793 to find that Oxyrhynchus had its own gymnasiarch, independent of that of the Oasis.

(29) P. Ox. 1694, A.D. 280, 11. 5–8: Χαιρημονι Ηρακλαμμωνος του και Αγαθου Δαιμονος αρχιερατευσαντος της Μεικρας ,Οασεως.

(30) P. Ox. 3362, 11. 16–17: Οξυρυγ]χειτου. ,Οασεως Επτ]α Νομων. Cf. also note 27.

(31) Ibid., 1, 8: Οασεως] μεγαλης Θηβαιδος.

(32) P. Ox. 485, Oxyrhynchus, 178 A.D., 11. 14–16 : Σαραπια–δι Ποδωνος του Ωρου μητρος Θαη-σιος απο Ψωβθεως της μητροπολεως της μικ-ρα[ς] Οασεως.

(33) P. Ox. 1439, A.D. 75, Introd.; LESQUIER, op.cit. p. 414.

(34) P. Ox. 485, 11. 2–3 : παρα Σερηνου απελευθε–ρου Απολλωνιανου Σαφαπιω–νος απ, ,Οξυρυγχων πολεως

(35) Ibid., 11. 12–14 εδανεισα κατα δημοσιον χρηματισμον γεγραμ<μ>ενον δια του εν τη αυτη, Οξυρυγχων πολει μνημο–νειου.

(36) P. Ox. 602, second century A.D. : γρμματευς στατηγου Οασεως Θηβαιδος.

(37) See note 31.

(38) P. Fayum Towns 23 (a), second century A.D., Introduction.

(39) Ibid., 11. 3–4 : και ισαγωγευς στρα– | τηγου Αμμωνιακης.

(40) OGIS 665, II, 11. 9–10 : Γν[αιος] Ουεργιλιος Κ]απιτων | Ποσειδωνιωι, στρατηγωι Οασε[ως | Θηβαιδος.

(41) OGIS 669, I, 1.1 : Ιουλιος Δημητριος στρατηγος Οασεως Θηβαιδος. cf. also LESQUIER, op. cit., p. 415.

(42) P. Fouad I, 30, Oxyrhynchus, 121 A.D., II. 1-9 : Δημητριω στρ(ατηγω) [Ο]ξ[υρυγ]χ (ιτου) | παρα Τασιονυτος της και Διονυσιας | Διονυ– σιου απ, ,Οξυρυγχων πολεως κα[ι |,Αμμωνιου πασειτ[ο]ς απο της μικρ[α]ς | ,Οασεως,....... | I. 7 ,Υπαρχει εκα– | τερω ημων επ αμφοδου Μητρωον οικια συναφης τη εκ[ατ] ε[ρο]υ.

(43) P. Ox. 898, Oxyrhynchus, A.D. 123, II. 8-9 : πλανησασα με εποιησεν εις Οασιν καταβη– ναι, and I. 13 : και υποθεσθαι οσα εχω εν τη Οασε[ι.

(44) P. Ox. 1548, Oxyrhnchus, 202-3 A.D., II. 19-22 : Αφροδειτη επικεκλημ(ενη) , Ισιδωρα αγο(ραστη) δουλ(η)της θυγα(τρος) μου Ταψ– οιτος της και Ευδαιμονιδο(ς) γενει Οα– σειτ(ις).....

(45) P. Giessen 27, II 11-13 : Πα[ι] ρια δυο α[π]ο Αυασεως, ηνεχθη τω δεσποι[τη] | ων το] μ[ε]ν εστιν τεταραετες το δε τριετη.

(46) P. Ox. 1694, Oxyrhynchus, A.D. 280, II. 1-16 : Εμισθωσεν (so and so... etc) | 1. 5 Αυρηλια (read

Αυρηλιω) Χαιρημονι | Ηρακλαμμωνος του και Αγαθου | Δαιμονος αρχιερατευσαντος της | Μεικρας Οασεως επι χρονον ετη | εξ .... κτλ. την | υπαρχουσαν αυτω επ αμφοδου Ιπ– πεων (ιππ.) Παρεμβολης (π corr.) οικιαν και αιθριον και αυλην εν η φρ[εα]ρ και τα ταυτης χρηστηρια παντα ενοικιου κατ ετος αργυριου δραχμων χειλιων.

(47) P. Zenon (vol. V) 59835, II. 2-3 : εις Αμμωνα τον [............] θη παρα[......]ων εις Οξορυγχα, and notes.

(48) Ibid. II. 4-5 : εστιν ετοι– | μος [.......] παρ [αλ]αβων καμηλους εντελεις π., II. 7–8 : το γινομενον χωρις α[ν]ηλωματος | [α]ργυρι[ου] τα(λαϖτα) β and ff. I. 13 : εις Οξο]ρυγχα φ[ορετ]ρον; I. 15 : δοθηι βαδιστι[κον: I. 15 : ο]ψωνιου.

(49) P.Ox. 1439, A.D 75, Introduction.

(50) Ibid., II. 1-3 : Παρε(σχηκε) Σαραπιων (εκατοστην) διαπυλιο(υ) Οασ(εως) κριθης ονον ενα και σκορδων ονον ενα.

(51) P. Grenfell II. 50 (b) Fayum, 145 A.D., II. 1-4 : τετελ(εσται) δι(α) πυλης [Σ]οκ(νοπαιου) ρ και ν | νομ(αρχιας) Αρσινο(ιτο) Αρπαχαθης εξαγ(ων) | εις αυασιν καμ(ηλοις) δυσι πυρου | αρταβας εικοσι.

(52) P. Achim 7, col. II, II. 36 : Ορεοφυλακες οδου Οασεως, and note.

(53) Cf. also P. Amh. 77, Socnopaeu Nesus, A.D. 139.

(54) AHMED FAKHRY, The Oases of Egypt (vol. II, Bahariyah and Frafra Oases), Cairo 1973, p.66; H.J.L. BEADNELL, op. cit, p. 94.

(55) P. Ox. 1482, Oxyrhynchus, 2nd century A.D. (between 120-160, Introduction), II. 3-4 : οτι λε–λικμηκαμεν | την κριθην του Αυασιτου; II. 19–20 : μειξαι [αυ] τα του Αυασι–του μετα των αλλων.

(56) P. Ox. 2423, 2nd to 3rd century A.D., II. 7, 12, 16, 20, 28 (R. II) Οασιτη (δυοβ.); cf. note on this item.

(57) P. Giessen 9, 2nd century A.D., II. 2-3 : του αν–δρος μου | [.........Π]ετεησιπωτο[ς] αποστ–

αντ[ο]ς εις Οασιν ενποριας χαριν.

(58) Ibid., I. 3 note.

(59) P. Ox. 2983, Oxyrhynchus, 2nd to 3rd century A.D., II. 16-19 : εγραφη μοι απο Οα[σ]εως υπο Λεωνιδου ως του φιλου μεταβαλοντος αυτω την τιμην των δερμα–των.

(60) Ibid., II. 26-30 : τας γαρ (δραχμας) Α, ας μετεβαλετο ο ,Ηρακλειδης τοις αυτου εν τη μεγαλη Οασι, ταυτας εσχεν εν τω Οξυρυγχειτη καμοι μετεβαλετο εν τω αυτω ,Οξυρυγχειτη οφειλομενας μοι υπ αυτου.

(61) P.Ox. 2975, 198 A.D., II. 1-12 : ομολογει ,Ηρακλειδης.... απο Αφροδισιου της Μεικρας Οασεως απεσχηκεναι παρα Αμμωνιανου... απο ειδους Κωμογραμματεων της Αμμωνιακης δια Ηρακλειδου... απ ,Οξυρυγχων πολεως, φιλου του Αμμωνιανου, ας παρεθετο αυτω ηνικα ην εν τη ,Αμμωνιακη τω τεταρτω ετει αργριου Σεβαστων νομισματος δραχμας τριακοσιας εξηκοντα.

(62) P.Ryl. II. 217, late 2nd cent. A.D., D, I. 33 : Οα–σεως θη[σαυρ.....

(63) P.S.I. 433, Fayum, 261/60 B.C.

(64) Ibid., I. I : Εγραψας μοι τα σκορδα τα επι της πετρας αρεστα σοι ειναι.

(65) Ibid., II. 4-7 : Παρελκων | ουν και ουκ αποδι–δους την γην κατα καιρον την φυτειαν οψι–μον εποιησεν. εγραψας δε | Θεοπομπωι τα ημιση σοι τλωικα αποστειλαι, τα δε ημιση ,Οασιτικα. ουκ εφυτευθη ουν|επι της πετρας ,Οασιτικα.

(66) P.Ox. 1630, 222 AD., II. 1-3 : [εμισθωσαμεν παρα? Πτολ]εμαιου του..., κτλ. | [απο σιτικων εδαφω?]ν τ[ων περι] την ,Οασιν υπαρχοντων της Κλαυδιας Ισιδωρας [(αρουρας).

(67) Ibid., II. 8-9 : προσηνεγκαν δι ης επεδωκαν αιρεσεως [αλλας ετησιας δρ]αχμας διακοσ–ιας.

(68) Ibid., I. 15 : υπαντησα[ν]των προσφερω κατα της [α]ιρεσεως αυτων αλλας ετησιας (δραχμας) ,Αφνβ.

(69) B.G.U. 697, Socnopaei Nesus, 145 A.D., II. 10-15 : τελος ων παρεκομισεν απο Οασεως | μεικρας δι(α) πυλης Νυνπου εις Αρσι(νοιτην) | στυπτη[ριας] ψιλων ταλαντων τριακον-| τα..., τα γεινομε[να] μεταλλικας ιβ,......., τας συναγομ(ενας) αργιυριου)ς ρλε.

(70) P. Ox. 2567, Oxyrhynchus, 253 A.D., II. 5-7 : παρα Αυρηλιου Νεοπτολεμου Διοσκορου απ, ,Οξυρυγχων πολεως φαρμακοπωλου; II. 14-15; στυπτηριας μεν Ψωβτιακης ολκης (ταλ.) β L, and note, I. 20 : ωχρας οασειτικας (ταλ.) γ.

(71) P. Revenue Laws, col. 40, II. 14-20, col. 61, II. 1-12.

(72) P.S.I. 203, Oxyrhynchus, 87 A.D., II. 5-6 : μισ-θον λαμβανουσ]α κατα μηνα αργυριου δραχμων επτα και ελαιου ,Οασετικου κοτυ-| [λων δυο.

(73) P. Ox. 2783, 3rd century A.D., II. 6-9 : θαυμαζω δε οτι εις μεν ελαιον το τοσουτο αργυριον εχωρησαι. εξ δις εβαλας ενθαδε γαρ το Αμμωνιακον (δραχμων) σκ, το δε Αυασιτικον (δραχμων) σ.

(74) P. Ox. 1647, late 2 nd century A.D., II. 5-14 : και[Λ]ουκιο[ς] Ισιω[–νος μητρος Τισασιος απ [ο του Αφροδεισιου της Μεικρα[ς ,Οασεως γερδιος, η μεν Πλ[α–τωνις η και Ωφελια εκδ[εδο–σθαι τω Λουκιω ην εχει αφηλικα δουλην Θερμουθιον πρ[ος μαθησιν της γερ–δι[ακης τεχνης ε[πι] χρονον ετη τεσσαρα.

(75) P. Ox. 1210, II. 9-10 : και των δια χρειας τοις δημοσιοις παρε–|χ[ε]σθαι συνηθως απολυο–μενων; I. 16 : [κω]μογρα[μματει]ς ,Οασεως.

(76) P.Ryl. II. 95, Oxyrhynchus, A.D. 71-2, 1. 7 : θα–νοντος δραχμα[ς] τεσσαρας; I. 8 : αναρυγης οβολους πεντε; I. 10 :].τ.[.].. των Οασειτων συν γυναιξι και τεκ[νοις αυτων; I. 14 : νεκ–ροταφος, and Introduction.

(77) P. London III. 854, Ist century A.D., II. 6-8 : και αραμενος αναπλο[υ]ν π]αρ[α–| γενομενος τε εις Σοηνας και οθεν τ[υγ]χα–|νει Νειλος ρεων. cf. also Herodotus II. 28; OGIS 168.9 (2nd cent, B.C.).

(78) P. London 854, II. 8-12 : και εις Λιβυην δπου|,Αμμων πασιν ανθρεποις χρησμωδει–|

[και] ευ(σ)τομα ιστορ[η]σα, και των φιλων |[ε]μ[ων τ]α ονοματα ενεχαραξα τοις ι[ε]–| ροις αειμνη(σ)τως.

(79) B.G.U. 15, Fayum, A.D. 197, II. 1-2 : Αιμιλ[ιος] Σατορνιλος στρ(ατηγοις) Επτα νομων | και, Αρσινοιτου χωρις Αυασεως χαιριν; II. 19–22 : κελευω ινα εκαστον | των ονηλατων αναν–καζιν την οφειλομενην | υπ αυτου τρεφεσται τριονιαν, υμας δε σφα– | γιδαν επιβα[λ] λιν εκαστω ονω; II. 4–6 : Εκαστος γαρ υφ ημων (read υμων), πυρον | επιστελλων εν τοις θησαυροις εχειν ου κα–|ταβλεπιν.

(80) P. Ox. 2409, late 2 nd cent. A.D. II. 1-2 : Και των ε[πι] Θ[η]βαιδος χωρις Οασεως περι αρδει[ας ε]δαφων; 1. 8 : π(ερι) του τον σειτο[ν] καθα–ρον και αδολ(ον) πεμιπειν; I. 10 : π(ερι) θυ–σιων του ιερωτατου Νιλου.

المبحث العاشر

الواحات المصرية في ضوء الوثائق البردية

ب – في العصر الروماني المتأخر

(٢)

بحث ألقى (باللغة الانجليزية) فى الملتقى المصرى الايطالى الرابع فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٩٨ فى مدينة الخارجة عاصمة محافظة الوادى الجديد وتحت النشر فى مجلد أعمال هذا المؤتمر.

تناولنا فى المبحث السابق موضوع « الواحات المصرية فى العصر الرومانى فى ضوء الوثائق البردية »[1] ، أما هذا المبحث فسيحاول فيه الباحث إجلاء الصورة واستكمالها بالنسبة للعصر الرومانى المتأخر (البيزنطى) فى الواحات ، وعلى هدى الوثائق البردية كذلك .

– أوليمبيودوروس وحديثه عن الواحه الكبرى :

ولكن قبل أن نعالج الموضوع من خلال الوثائق البردية فلنبدأ بالمصدر الأدبى الوحيد عن الواحات من تلك الفترة وهو الكاتب أوليمبيودوروس الذى عاش فى عصر الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ – ٤٥٠) والذى ولد فى صعيد مصر أو مصر العليا . فعندما يكتب عن الواحة الكبرى يلفت الانتباه إلى مناخها الصحى وعيون الماء العديدة بها والتى ينبلج منها فيض من المياه المتدفقة النقية على سطح الأرض ، ويستفيد ملاك الأرض من هذه المياه فى رى حقولهم بالتناوب فيما بينهم . ويذكر أوليمبيودوروس أن الشعير كان يزرع هناك مرتين فى العام أحياناً أما حبوب الدخن (millet) فغالباً ما كانت تزرع ثلاث مرات فى العام . ومما يذكر كذلك أن السماء فى منطقة الواحات كانت دوماً صافية ويعزو خصوبة التربة العالية هناك إلى أن المزارعين هناك كانوا يرون أرضهم مرة كل ثلاثة أيام فى الصيف وكل ستة أيام فى الشتاء . ويذكر هذا الكاتب كذلك أن المزاول (الساعات الشمسية) كانت تستعمل فى الواحة الكبرى [2] .

- النظام الإدارى فى مصر فى العصر الرومانى المتأخر :

نعود الآن إلى الوثائق البردية ونبدأ -كما فى البحث السابق - بموضوع النظام الإدارى للواحات فى العصر الرومانى المتأخر . ولكن لكى تتضح الصورة أكثر فلابد من الإلمام فى نبذة قصيرة بالتغيرات الإدارية فى مصر كلها فى تلك الفترة . إن مصر التى كانت من قبل ولاية واحدة أصبحت الآن ثلاث ولايات هى Aegyptus Jovia وتضم الاسكندرية والدلتا ويحكمها « والى مصر » ، Aegyptus Heraculia وتضم مصر الوسطى ، والإقليم الطيبى Thebaid فى مصر العليا وكان على رأس كل من الولايتين الأخيرتين حاكم لقبه praeses. ولكن كان لوالى مصر السلطة العليا على الحاكمين الآخرين ، ولكنه كان يتساوى معهما فى كونه - هو الآخر - مرؤوساً لحاكم الشرق الذى كانت مصر تتبع منطقة حكمه ونفوذه وفقاً للإصلاحات الإدارية التى أدخلها دقلديانوس . كما أن هناك إصلاحاً إدارياً آخر أدخله خلفاء دقلديانوس فى مصر حوالى عام ٣١٠ من الميلاد ، ويتمثل هذا الإصلاح أو التعديل فى أن التقسيم الإدارى القديم لمصر إلى أقاليم (نومات) يحكم كل منها - فى العصرين البطلمى والرومانى - حاكم إقليم (ستراتيجوس) لم يعد قائماً من الناحية الإدارية رغم استمرار بقاء هذه الأقاليم (النومات) كوحدات جغرافية . وفى التقسيم الجديد قسمت حدود كل إقليم (نوموس) إلى وحدات مرقمة يطلق على كل منها اسم pagos- وهو ما يعادل مسمى Τοπαρχια فى العصرين اليونانى والرومانى - بمعنى « مركز » أو « قسم » بلغة الإدارة فى مصر حالياً . وكان

كل « باجوس » (مركز) يتولى إدارته من الناحية المالية موظف يلقب praepositus ، وكان هؤلاء المديرون الماليون للمراكز مرؤوسيين لموظف أكبر يلقب بالـ exactor هو المدير المالى للإقليم (النوموس) » وهو الذى انتقلت إليه الصلاحيات المالية لمنصب الاستراتيجوس سابقاً . أما رؤساء مجالس البولى (المجالس البلدية) فى الأقاليم وكان اللقب الرسمى لكل منهم -προπολιτευμε νος فقد أضطلعوا ببقية مهام حكام الأقاليم (الاستراتيجوى) السابقين . وفى وقت لاحق حوالى عام ٣٣٦ للميلاد أضيف للسلك الإدارى فى الأقاليم المصرية موظف لقبه defensor تمثلت مهمته الرئيسية فى حماية المستضعفين "humiliores" أو الفقراء ضد جبروت وتعسف «الأقوياء potentiores» أو الأغنياء [٣] .

وهكذا فإن الإدارة المحلية للأقاليم المصرية -تحت حكم دقلديانوس - بقيت كما كانت من قبل ، أى نومات أو أقاليم يحكم كل منها حاكم إقليم (ستراتيجوس) رغم التقسيم النظرى لمصر إلى ثلاث ولايات . أما التغيير الإدارى الحقيقى - بموظفيه الجدد - فقد بدأ منذ عهد قسطنطين واستمر بعده .

- إدارة الواحات فى العصر الرومانى المتأخر :

أما عن الواحات تحت حكم دقلديانوس فليس لدينا سوى بعض القرائن البردية التى تثبت أن الوضع الإدارى للواحة الصغرى (البحرية) قد تغير بعض الشىء عما كان عليه فى العصر الرومانى قبل دقلديانوس . ففى وثائق الفترة الرومانية كانت الواحة الصغرى تتبع منطقة مصر الوسطى الإدارية التى كان يطلق عليها منطقة

(ابيستراتيجية) الأقاليم (النومات) السبعة ، وكانت تسمى أحياناً في بعض تلك الوثائق بـ « واحة السبع نومات (أقاليم) » [٤] . وبالمثل فإن لدينا من عهد دقلديانوس إحدى المراسلات الرسمية الموجهة إلى « ابيستراتيجوس الأقاليم السبعة والواحة الصغرى » [٥] . ومن المرجح أن ذلك كان فى فترة مبكرة نسبياً من حكم دقلديانوس - إذ أن الوثيقة مؤرخة بعام ٢٨٨ - ربما قبل أن يقوم دقلديانوس بإصلاحه الإدارى الذى جعل بمقتضاه ثلاث ولايات من الناحية النظرية بدلاً من ثلاث مناطق إدارية كبرى (ابيستراتيجيات) .

وفى المبحث السابق عن « الواحات فى العصر الرومانى فى ضوء الوثائق البردية » كنت قد توصلت إلى استنتاج - من خلال إعادة قراءة الوثائق البردية من تلك الفترة - مفاده أن الواحة الصغرى كانت اقليماً (نوموس) مستقلاً من الناحية الإدارية عن إقليم أوكسيرينخوس (البهنسة) منذ بداية الحكم الرومانى فى مصر حتى حكم دقلديانوس عام ٢٨٤ للميلاد رغم جوارهما الجغرافى وعلاقتهما الوثيقة . أما فى عهد دقلديانوس فيتضح من الوثائق البردية أن الإقليمين اتحدا واندمجا فى إقليم واحد ، ولنلق نظرة على هذه الشواهد الوثائقية . هناك مثلا التماس بشأن الوصاية على أطفال يتامى مقدم إلى « الإكسيجيتيس εξηγητης القائم بالعمل لإقليم أوكسيرينخوس والواحة الصغرى » [٦] . وفى وثيقة أخرى نجد شخصية ذات مقام رفيع من أهل أوكسيرينخوس تتمتع بلقب « صاحب السيادة κρατιστος ، أو باللاتينية Vir Egregius - وهى رتبة كان ينعم بها الأباطرة وتعفى حاملها من القيام بالأعباء البلدية -

هذه الشخصية العالية القدر عُنيت بطريق الخطأ للقيام بأحد الأعباء البلدية بشغل أحد مناصيب الأعباء وهو decemprimus فى القسم الغربى من أوكسيرينخوس.ومن ثم فقد اشتكى إلى حاكم إقليم أوكسيرينخوس من هذا الظلم الذى وقع عليه [٧] . ما يعنينا من هذه الشكوى هو أن صاحبها ذكر فيها أن تعيينه بصورة خاطئة للقيام بذلك العبء قد تم أثناء غيابه ، حين كان فى الواحة الصغرى من أجل تسريح بعض الجندين المتمركزين هناك تنفيذاً لأمر صادر من والى مصر آنذاك أولوس بوبليوس [٨] . وهكذا نرى أن والى مصر قد أسند مهمة تسريح جند من الواحة الصغرى إلى أحد أعيان أوكسيرينخوس ، وأن الأخير قد اشتكى إلى حاكم إقليم أوكسيرينخوس حين حل به ظلم تكليفه بعبء خاطىء أثناء غيابه فى الواحة الصغرى . معنى ذلك أن أوكسيرينخوس كانت مسئولة عن الوحدات العسكرية الموجودة بالواحة الصغرى وإن كان الأمر بشأنها يصدر من الوالى الذى كان القائد العسكرى الأعلى للولاية. وفى وثيقة أخرى نجد أحد أعضاء المجلس البلدى لمدينة أوكسيرينخوس مسئولاً عن « الإشراف على القمح والشعير المنقول (من أوكسيرينخوس) إلى الواحة الصغرى » [٩] . فى هذه الوثيقة يرسل هذا النائب إقراراً مشفوعاً بقسم إلى حاكم إقليم أوكسيرينخوس عن كميات القمح والشعير التى تلقاها من صوامع الغلال بالإقليم لينقلها إلى الواحة الصغرى وهى ٣٠٠ أردب من أنظف القمح و ١٥٠ أردب من أنظف الشعير [١٠] . ويبدو أن هذه المؤن كانت ترسل من أجل الجند المتمركزين فى الواحة الصغرى

الذين سبقت الإشارة إليهم فى الوثيقة السابقة لأن هذا النائب كان معيناً كمشرف على « نقل مؤنة الجند » كما يتضح من وثائق أخرى [١١] .

من الوثائق المذكورة أعلاه يتضح أن الواحة الصغرى كانت مندمجة ضمن الإقليم الأوكسيرينخيتى أثناء فترة حكم دقلديانوس ومن ثم فقد كانت تحت سلطة حاكم إقليم أوكسيرينخوس وكبار موظفيه سواء من الناحية القضائية أو العسكرية أو التموينية .

وبعد عصر دقلديانوس وإلغاء النظام الإدارى القديم من أقاليم (نومات) وحكام أقاليم (ستراتيجوى) واستحداث وظائف ومناصب جديدة لكى تضطلع بتسيير دفة العملية الإدارية فى شكلها الجديد فإن هذه الوظائف والمناصب الجديدة تبرز فى وثائق القرن الرابع للميلاد من الواحات . ففى خطاب شخصى نرى أحد الأشخاص وقد غادر المركز (باجوس) المنتمى إليه والذى كان يشغل فيه وظيفة المسئول المالى praepositus وتوجه إلى الواحة (لايذكر أية واحة تحديداً) فى الحال ، وأنه كان فى الواحة [١٢] وقت كتابة الخطاب (الذى كتبه شخص آخر غير هذا الموظف المنوه عنه والذى يُذكر فى الخطاب بضمير الغائب وإن كان الخطاب موجه إلى أخيه) . ورغم أن دافع الفرار الفورى – كما يبدو – إلى الواحة من جانب هذا الموظف لم يفصح عنه صراحة فى هذا الخطاب الذى يأتى فيه ذكر أمور أخرى شخصية وعملية فإن المرء قد يخمن أن هذا الموظف قد فر إلى الواحة لأنه كان مسيحياً وأراد أن يفر بدينه ليتجنب الإضطهاد الذى كان يعانيه أتباع العقيدة المسيحية حتى

صدور مرسوم ميلان عام ٣١٣ الذى اعترف فيه قسطنطين بالمسيحية كإحدى الديانات الرسمية للإمبراطورية الرومانية (أو ربما تحت حكم الإمبراطور « جوليان المرتد » (٣٦٠ - ٣٦٣) الذى ارتد عن المسيحية ومارس بعض الاضطهاد ضد معتنقيها لاسيما أصحاب المناصب منهم فيما أتصور) . هذا الاجتهاد من أن ذلك الموظف الفار إلى الواحة ربما كان مسيحياً فاراً بدينه تؤيده بعض العبارات ذات المغزى المسيحى فى مقدمة الخطاب الذى يقول كاتبه إلى المرسل إليه « إننى أصلى للرب الأعظم من أجل صحتك »[١٣] وهو ما يوحى أن أطراف الرسالة كانوا من أسرة مسيحية . ولسوف نشير إلى هذه النقطة عن المسيحية المبكرة فى الواحات فى جزء لاحق من هذا البحث فى نهايته .

ونعود مرة أخرى إلى بقية الموظفين الجدد (من عصر قسطنطين) الذين يظهرون فى وثائق بردية من الواحات . ففى إحدى الوثائق نجد تعليمات عديدة من والى مصر إلى المدير المالى exactor للواحة الكبرى وبعض مرؤوسيه وخصوصاً الموظفين الذين كانت وظيفتهم المطالبة بتسليم إمدادات الزيت من الواحة[١٤] . وكانت التعليمات (الأوامر) من الوالى إلى « محصلى الزيت فى الواحة » تتعلق بالحاجة الملحة من جانب « أنبل الجند » γενναιο-τατων στρατιωτων إلى كميات من الزيت من الواحة وكذلك من أسوان مع أوامر صارمة بأن يحضروا معهم هذه الكميات من الزيت والوعيد بغرامة كبيرة تفرض عليهم فى حالة عدم الوفاء بالتزامهم[١٥] . أما عن التعليمات الموجهة إلى المدير المالى للواحة

الكبرى فقد كانت بخصوص نصيب الواحة فى مدفوعات ضرائب الشحن البحرى والمطالبة بالدفع الفورى لها طبقا للمرسوم الإمبراطورى عن عوائد الدخل فى العام السابق ، إذ أن هذه الضريبة عن العام الجارى لم تصل حتى ذلك الحين [١٦] . وفى فقرة أخرى من الوثيقة يخطر قائد الشرطة المحلى أو « قائد المائة εκατονταρ-χος» المدير المالى للواحة exactor عن قضية مرفوعة ضد اثنين من صغار موظفيه متهمين بإساءة استغلال سلطتهما وسرقة بعض أموال الضرائب [١٧] .

وفى وثيقة أخرى فإن رئيس المجلس البلدى πολιτευομε-νος بالواحة الكبرى – وهو الموظف الذى أصبح يضطلع بأغلب مهام حاكم الإقليم (الاستراتيجوس) فى النظام القديم – يرد على مرسوم صادر من الوالى إليه بشأن إرسال بعض الورثة من منطقته إلى المحكمة لكى يدافعوا عن أنفسهم ضد اتهامات موجهة إليهم [١٨] . وفى رده يحيط رئيس المجلس البلدى للواحة الوالى علماً بأنه قد حصل من هؤلاء الورثة على ضمانات كافية بشأن أرضهم المتنازع عليها بالإضافة إلى إقرارات مكتوبة ، وأنه (رئيس المجلس) قد أرسل إلى الوالى أحد الموظفين المسئولين عن الإقرارات المكتوبة حتى لا يفوت أنتباه الوالى أى أمر من الأمور [١٩] .

– علاقات وتجارة الواحات مع وادى النيل :

وننتقل الآن إلى الحديث عن علاقات سكان الواحات بسكان وادى النيل وتجارة الواحات مع الوادى . لقد سبق أن أثبتنا فى المبحث السابق متانة وتنوع هذه العلاقات فى العصر الرومانى . أما

فى العصر الرومانى المتأخر فهناك من القرائن ما يفيد باستمرارية هذه العلاقات رغم أنه صارت فيما يبدو أقل من ذى قبل

ففى التماس موجه إلى أحد مساعدى الوالى beneficarius من امرأة من الواحة الصغرى [٢٠] - كانت تعيش آنذاك فى أوكسيرينخوس العاصمة - تتهم فيه اثنين من جيران أمها المتوفاة بالاستيلاء على مقدار كبير من المنقولات تركته تلك الأم بعد وفاتها ومن بين تلك المنقولات مقدار لا بأس به من الذهب وكمية من الأثاث وبعض الملابس ذات القيمة العالية وأشياء أخرى [٢١] . وقد وقعت هذه السرقة حين كانت الإبنة مشغولة فى تجهيز وإعداد جنازة أمها . ويبدو أن الأم المتوفاة كانت سيدة ثرية ، ولكن من غير الواضح إن كانت قد كونت ثروتها هذه فى موطنها القديم فى الواحة أم بعد أن انتقلت إلى مدينة أوكسيرينخوس . وفى التماس آخر نجد رجلاً من واحة آمون (سيوة) كان يعيش فى ذلك الوقت فى مدينة أوكسيرينخوس [٢٢] وقد اشترى ربع منزل من رجل كان يملك المنزل بالاشتراك مع سيدتين أخرتين . وقد عطلت السيدتان هذا البيع الأخير للرجل الواحاتى ، وعليه تقدم هذا الشريك الجديد بشكوى إلى الوالى [٢٣] الذى أصدر تعليماته إلى موظف قضائى كبير بإقليم أوكسيرينخوس هو الـ «لوجيستيس » لتسوية النزاع وتقسيم المنزل تقسيماً عادلاً [٢٤] ولكن الأمر الغريب والمثير بعض الشىء هو المبرر الذى ساقه ذلك الرجل الواحاتى لتعطيل سرائه ربع المنزل من جانب السيدتين من إقليم أوكسيرينخوس وهو احتقارهما لمركزه الوضيع [٢٥] . هل تنطوى هذه العبارة على نوع من العنصرية من جانب أهل

أوكسيرينخوس ضد الواحاتيين ؟ لايمكن للمرء أن يجزم بذلك لاسيما فى ظل عدم وجود قرائن بردية أخرى تؤكده ، وإن كان لايمكن استبعاد هذا الشعور بالتعالى من جانب الأوكسيرينخيين - وبما غيرهم من سكان وادى النيل - تجاه الواحاتين خصوصاً وأنه كان يتم شراء عبيد من الواحات كما رأينا فى المبحث السابق . وفى خطاب شخصى من القرن الخامس الميلادى من أبن إلى أمه يطلب هذا الأبن من أمه أن تبعث إليه بعده أشياء ويكتب لها عن طلبات أخرى [٢٦] . ومن بين الأشياء التى طلبها من أمه طاقية من النوع الواحاتى لكى يلبسها [٢٧] .ولا ندرى إن كانت الأم فى ذلك الحين فى زيارة لإحدى الواحات أم أن هذا النوع من الطاقيات كان مشهوراً فى أماكن وأسواق عديدة من مصر بجودته ولذا طلب الأبن من أمه أن تشترى له هذا النوع خصيصاً من موطنها وترسله إليه فى مكانه .

أما بخصوص منتجات الواحات الزراعية فقد سبق أن رأينا فى المبحث السابق عن الفترة لرومانية ما قبل دقلديانوس منتجات مثل الشعير والثوم والزيوت . أما عن العصر الرومانى المتأخر فقد رأينا أعلاه فى هذا البحث تعليمات من والى مصر إلى « محصلى الزيت فى الواحة επαιτηται ελαιου εν Οασει » أن يحضروا كميات الزيت التى يحتاجها الجند بأسرع ما يمكن والا تعرضوا لغرامة باهظة [٢٨] . وهذا يعنى أن الواحات ظلت منتجاً كبيراً للزيت المستخرج من النباتات الزيتية التى تزرع بالواحات . ومن بين المنتجات الزراعية الأخرى التى تنمو فى الواحات - كما يتضح من

وثائق العصر الرومانى المتأخر – الكرومْ التى يصنع منها النبيذ الذى يرد ذكره فى عدد من وثائق تلك الفترة من القرنين الرابع والخامس الميلاديين تحت اسم « النبيذ الواحاتى » [٢٩]. كما أن صور الكروم تتضح بجلاء فى عدد من الآثار المسيحية المبكرة فى الواحات وخصوصاً مقابر « البجوات » فى واحة الخارجة كما شاهدها الباحث .

وهناك إشارات وقرائن فى بعض الوثائق البردية من العصر الرومانى لمتأخر عن تبادل تجارى بين الواحات ووادى النيل . فهناك مثلاً كشف حسابات لإحدى القرى من جانب اثنين من عمد القرى من قرية « تامبيتى » فى الإقليم الأوكسيرينخيتى موجه إلى مدير حسابات الإقليم (مراجع الحسابات) الملقب بالـ «لوجيستيس» ويتضمن كشف حسابات تلك القرية حسابات شهرين عن بيع البردى ومواد الكتابة إلى بابيلون والأقليم الأرسينويتى (الفيوم) مع أجور العمال الذين أرسلوا مع هذه السلع [٣٠] . وفى الأسطر المتبقية من الوثيقة نجد المعنى غير مكتمل بسبب الفجوات فى الوثيقة ، ولكننا نجد فيما تبقى من كلمات بعض ألفاظ مثل μεταφορα التى تعنى « نقل » ثم نجد فى سطر التالى كلمات Μικραν Ο[ασιν أى « الواحة الصغرى » [٣١] وهى فى حالة المفعول به ربما بعد حرف الجر εις « إلى » الذى يأخذ هذه الحالة من الإعراب . وهكذا يحق لنا أن نستنتج أن قرية « تامبيتى » من إقليم أوكسيرينخوس التى كانت تصنع وتصدر البردى والمواد الكتابية كانت تصدر جزءاً من هذه المنتجات إلى الواحة الصغرى .

وفى وثيقة أخرى من حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى نجد موظفاً يدعى ديمتريوس - كان فيما يبدو مسئولاً مركزياً بالاسكندرية عن الدخل الآتى من احتكار ملح النطرون - يخاطب موظفاً آخر يدعى ابينايوس كان يشغل وظيفة رئيس المعسكر -prae fectus castronum فى قرية ديونيسياس بالفيوم (٣٢) . أما موضوع المراسلة فيتمثل فى طلبه من ابينايوس أن يولى اهتماماً خاصاً بملح النطرون الذى يجلب إلى الإقليم الأرسينويتى (الفيوم) سواء من مريوط (من الشمال) أو من الجنوب (من مصر الوسطى والعليا وربما الواحات) أومن أماكن أخرى فى نطاق اختصاصه وأن يلقى القبض على المهربين ودواب الحمل التى يستخدمونها وأن يرسلهم إلى الإسكندرية أو إلى مرؤوسى الموظف الكبير ديمتريوس الذى أرسل الخطاب فى تيرينوثيس (وهى أقرب نقطة على النيل إلى وادى النطرون (٣٣) - كوم أبو بللو بالبحيرة) . لكن ما يعنينا فى شأن هذه الرسالة هو أنها مرسلة إلى أبينايوس عن طريق واحد من عبيد ديمتريوس كان قد توجه فى ذلك الحين إلى الواحة الصغرى (٣٤) . ومن المرجح أن يكون هذا العبد قد أمر من جانب سيده - المدير المسئول والمشرف على احتكار ملح النطرون - أن يؤدى مهمة مماثلة متعلقة باحتكار ملح النطرون والحيلولة دون تهريبة فى الواحة الصغرى (البحرية) ، وربما كان يحمل رسالة بنفس المحتوى إلى المسئولين عن الأمر هناك وعلى رأسهم رئيس أو قائد المعسكر - قياساً على ماسبق - خصوصاً وقد رأينا فى وثائق سابقة جنداً متمركزين فى الواحة الصغرى (٣٥) .

- وثائق حفارى القبور فى واحة الخارجة :

والآن نأتى إلى دراسة مجموعة من الوثائق البردية (منشورة فى المجلد الثانى من بردى جر ينفل) من قرية كوسيس فى الواحة الكبرى أو الإقليم الهيبيتى νομος Ιβιτης (نسبة إلى عاصمته هيبيس فى واحة الخارجة) كما يطلق عليه فى هذه المجموعة من الوثائق التى تغطى فترة سبعين عاماً تقريباً تمتد من حكم فيليب الأول (العربى) إلى ما بعد نهاية حكم دقلديانوس (حوالى ٢٢٤ إلى حوالى ٣١٤) . وتتناول هذه المجموعة من الوثائق معاملات مجتمع محلى من حفارى القبور νεκροταφοι من القائمين على دفن الموتى فى قرية « كوسيس » فى واحة الخارجة .

فى اثنتين من وثائق هذه المجموعة قام أحد هؤلاء الحفارين بتنفيذ عقدين هبة لأحد رفاقه من الحفارين . فى عقد الهبة الأول αποκτησιςالذى نفذ عام ٢٤٧ قام صاحب الهبة الحفار الأول أوريليوس بيتوزيريس بن بيتوزيريس بتقديم ربع مجموع أعماله كحفار قبور فى قرية كوسيس والقرى التابعة لها [٣٦] إلى رفيقه وزميله الحفار الآخر أوريليوس بيتيخون بن تمارسيس . أما فى عقد الهبة الثانى الذى نفذ بعد الأول باثنتين وعشرين عاماً سنة ٢٦٩ تنازل بيتوزيريس للمرة الثانية عن ربع μερος τεταρτον آخر من أعماله إلى بيتيخون [٣٧] . من هذه الوثائق وغيرها فى هذه السلسلة نستطيع أن ندرك أنه كانت هناك جبانة كبيرة فى قرية كوسيس مخصصة لدفن موتى هذه القرية وتوابعها من القرى المجاورة . وقد كانت قرية كوسيس والقرى المحيطة بها تشكل مركزاً من مراكز إقليم الواحة

الكبرى يطلق عليه « مركز كوسيس Τοπαρχια Κυσεως »[٣٨]، وقد كان لهذا المركز مكتب التسجيل أو الشهر الخاص به والذى سجلت فيه وثيقتى الهبة المشار إليهما أعلاه . ويتضح من عقود الهبة تلك أن بعض حفارى القبور هناك كانوا على درجة من اليسر وبحبوحة العيش تسمح لهم بتقديم وتنفيذ هبات تطوعية إلى بعض من رفاقهم الذين ربما كانوا محتاجين أو مكافأة لهم على صداقتهم المخلصة أو طيبتهم كما فى حالة عقدى الهبة المذكورين الذين كان سبب الإهداء فيهما طيبة أو لطف ευνοια المهدى إليه .

وهناك شواهد وقرائن أخرى فى هذه السلسلة من الوثائق تدل على يسر وثراء بعض أفراد هذه الجماعة من حفارى القبور فى كوسيس . ففى إحدى هذه الوثائق نجد سيدة من حفارى القبور νεκροταφη تقر بأنها قد تسلمت من كاساايانوس بن كاسيانوس – وهو حفار قبور من مركز كوسيس – عشرين دراخمة عن طعامها وكساءها خلال الفترة التى خدمت فيها كأمة من بين أربع إماء يعملن بمنزله[٣٩] وهذا دليل كاف على مدى ثراء الرجل . وهناك غيره من حفارى القبور ممن كانوا يمتلكون عدد كبيراً من العبيد وكانوا يقومون بعتق بعضهم أحياناً ، ولكن هؤلاء العتقاء كانوا لايزالون – حتى بعد عتقهم – يعرفون أنفسهم فى الوثائق الرسمية على أن الشخص منهم « من عتقاء .... حفار القبور » كما ورد فى عقد استلام دين مؤرخ بعام ٢٦٥ للميلاد[٤٠] . وفى وثيقة أخرى من حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى نرى أحد هؤلاء الحفارين من الواحة الكبرى ولديه ثروة كبيرة ومتنوعة المصادر وموزعة فى

أماكن عديدة . ففى هذه الوثيقة يشهر بيتيخون أمام كبير القضاة فى الاسكندرية αρχιδικαστης تنازله عن كافة أملاكه إلى ولديه بيتوزيريس وبيتيخون (ولديه من زوجتين) وإلى ابنتيه وعدد آخر من الأشخاص(٤١) . وكانت أملاك بيتيخون هذا تتضمن ملكية آلت إليه بالوراثة عن أبيه وأخرى حصل عليها بعقود شراء صحيحة وقانونية . وكانت هذه الأملاك متنوعة فمنها عيون ماء υδρευματα ومناطق صيد وقنص ومناطق قبور لدفن الموتى فى عدة أماكن بالواحة الكبرى (الخارجة) مثل هيبيس العاصمة والقرى المحيطة بها ، وفى مكان آخر يسمى Πουσι والقرى المحيطة به وفى قرية كوسيس (٤٢) . كما كانت هناك أملاك أخرى خاصة بـ « بيتيخون » فى نفس الوثيقة ولكن الأسطر التى تتضمن بقية هذه الأملاك مهشمة للأسف .

ومن بين المعاملات الأخرى المسجلة فى هذه الوثائق لهذه الطائفة من الحفارين نجد عقد طلاق بين زوج وزوجته من حفارى القبور فى كوسيس مؤرخ بأوائل القرن الرابع الميلادى . فى هذا العقد نبذ كل من سوليس وسنبيايس زوجته – من حفارى القبور – حياتهما الزوجية « بسبب روح شريرة » – حسب تعبيرهما – ويتفقان معاً على الانفصال والطلاق رسمياً . ويقر الطرفان فى العقد أن كلاً منهما قد تسلم من الآخر ما يستحق له من حقوق ، ويتضح من سياق الوثيقة أن الأمر برمته قد تمت تسويته ودياً وأن أياً منهما لن يتسبب فى إزعاج للآخر بعد الطلاق (٤٣) .

فى هذا الجو العام لمجتمع حفارى القبور فى قرية ومركز كوسيس التابعة لمدينة هيبيس هناك ملاحظة طريفة وجديرة بالذكر

تتجلى في الوثائق الآنفة الذكر . هذه الملاحظة هي أن جواً واضحاً من الألفة والود والثقة تشيع في هذا المجتمع ويمكن استشعارها بشكل ملموس من خلال أساليب وتعبيرات هؤلاء الحفارين في وثائقهم . فحين نجد أحد هؤلاء الحفارين وقد تنازل عن ربع أملاكه مرتين لزميل له على مدى حوالي عشرين عاماً نرى أن التنازل قد تم في الحالتين على سبيل الهبة لزميله نظير وده ولطفه [٤٤] . وفي العقد الآخر الذي تنازل فيه أحد الأثرياء من حفاري القبور عن كافة أملاكه – وهو على قيد الحياة – لأولاده وبناته وأشخاص آخرين كان دافعه إلى ذلك « رقة هؤلاء وصادق مودتهم » [٤٥] . ومن ناحية أخرى فإن ولدي هذا المهدي الكريم لم يعبرا على الإطلاق عن اعتراضهما أو امتعاضهما أن أناساً آخرين سوف يشاركونهما في أملاك أبيهما ، بل على العكس فإنهما عبّرا عن رضائهما وإقرارهما بما أرتضاه أبوهما وأكدا أنهما لن يقوما بملاحقتهم قضائياً ولن يثيرا أية مشكلة بشأن الملكية المهداة لهؤلاء الناس [٤٦] . وحتى عندما تعرضت الحياة الزوجية لزوجين من حفاري القبور للتعثر والفشل كان السبب – من وجهة نظرهما – هو « روح شريرة » [٤٧] ألمت بهما ، ولم يلق أحدهما باللائمة على الآخر وتم الانفصال بصورة ودية وبلا منازعات وردّ كل منهما للآخر مستحقاته . ولعل السبب في هذه الروح السمحة في هذا المجتمع من حفاري القبور هو أن رائحة الموت والعالم الآخر قد أوحت إليهم بأنه ما من شيء يستحق الصراع والنزاع في هذا العالم الفاني .

– المسيحية فى الواحات :

فى هذا الجو من السماحة والنوايا الحسنة وفى هذا المكان النائى البعيد عن أيدى السلطة المركزية فى الأسكندرية لابد أن أتباع ومعتنقى الديانة المسيحية الناشئة أو حديثة العهد نسبياً قد وجدوا ضالتهم فى ملجأ آمن أيام الاضطهادات التى مارسها الحكام الرومان ضد الديانة الجديدة وخصوصاً اضطهاد دقلديانوس الشهير وعصر الشهداء فى بدايات القرن الرابع للميلاد . ولدينا فى الوثائق البردية واحدة من أقدم الإشارات إلى المسيحيين فى مصر من بين هذه الجماعة الطيبة المتسامحة من حفارى القبور فى الواحة . هذه الوثيقة عبارة عن خطاب من شخص مسيحى – وهو كاهن presbyter فى الواحة الكبرى – إلى أحد رفاقه من الكهنة المسيحيين فى مكان آخر (غير محدد بالوثيقة) يخبره فيه عن « إمرأة من المدينة πολιτικη» (لاندرى أية مدينة وهل هى الاسكندرية) أرسلتها (أو بالأحرى نفتها) السلطات إلى الواحة ، وأنه قد عهد بها إلى عناية أولئك «الرجال الأخيار الصادقين من حفارى القبور » وأنه يتوقع وصول ابنها نيلوس (٤٨) . إن هذا الكاهن بعباراته المسيحية الواضحة الدلالة فى خطابه – مثل « أحييك بتحية الرب » و « من بطرفك من الإخوة فى الرب » ، و « عندما يحضر (بعناية) الرب » (٤٩) – لابد أنه أخذ على عاتقه حماية وتيسير أمور وإقامة أولئك المسيحيين الذين نفتهم السلطات الحاكمة إلى الواحات من أمثال تلك السيدة وولدها الذين يبدو واضحاً أنهما كانا من المسيحيين المضطهدين من قبل السلطات والمنفيين إلى الواحة (٥٠) .

وهكذا فإن عقاب هؤلاء المسيحيين – من وجهة نظر السلطات الحاكمة – تحول ليصبح نوعاً من المكافأة لهؤلاء المنفيين : إذ أصبحوا – فى تلك البيئة الجديدة – يعيشون بين رفاقهم وإخوانهم من المسيحيين المقصودين فى عبارة « وقد عهدت بها إلى عناية أولئك الرجال الأخيار المؤمنين καλοις και πιστοις من حفارى القبور » تحت إشراف هذا الكاهن المسيحى . هذا التنظيم السرى من أتباع العقيدة المسيحية – فى الواحات وأماكن أخرى – لابد أنه كان على أعلى درجة من السرية والتنظيم الفائق . وبعد نهاية اضطهاد دقلديانوس نجد خطاباً آخر (فى بردى جيسن) من مسيحى فى الواحة الكبرى إلى ابن له يدعى ستيفانوس – وهو شماس كان فى ذلك الحين فى مكان آخر ربما كان العاصمة « مدينة هيبيس » – وكذلك إلى أخيه ورفاق آخرين (٥١) . هذا الخطاب هو خطاب شخصى إلى ذلك الابن ويتضمن أموراً عن تجارة الكتان والملابس من سترات وغيرها ومعاملات مالية أخرى مع أشخاص آخرين (٥٢) ، ولكن على الرغم من هذه التعاملات المالية والتحيات المرسلة إلى الأقارب فإن الأب يحث ولده – فى موضع آخر من الرسالة – على القدوم إليه هو وأخوه بأسرع ما يمكن لكى يصطحبانه معهما (٥٣) . ويتكرر هذا الطلب مرتين بإلحاح فى الخطاب ، ويبدو أن ذلك كان هو الغرض الرئيسى من كتابة الخطاب من الأب إلى الأبن . ولكن من غير المحتمل أن يكون الدافع وراء هذا الطلب من الأب إلى ابنه هو اضطهاد دينى تجاه المسيحيين لأن الخطاب مكتوب بعد عام ٣٠٩ ، أى نهاية الاضطهاد الكبير ولأنه احتوى على قدر كبير من

الأمور الدنيوية من تجارة ومعاملات مالية . وفى نهاية الخطاب يذكر الأب أنه قبل مجيئه إلى الواحة كان قد توجه إلى ذلك المكان (٥٤) (الموجود به أولاده ورفاقه) ، ولكن للأسف تتهشم الأسطر الباقية (سطران) بعد تلك المعلومة .

ومن حوالى منتصف القرن السادس الميلادى نعلم من إحدى الوثائق (من بردى فلورنسا) أن منصب الشماس – تلك الوظيفة الكهنوتية المسيحية – عن أهل الواحات كان مقره جبل بقرية أفروديتى فى إقليم أنتايوبوليس (٥٥) (فى شمال سوهاج الحالية) . ربما كان سبب ذلك هو تدهور أحوال الواحات فى تلك الفترة . فى هذه الوثيقة يعرض أحد عمال الزيوت من تلك القرية استئجار ثلث معصرة زيوت ελαιουργιον خاصة بشماس الواحاتيين فى القرية ، وكانت مدة عقد الإيجار المقترح لمدة عامين (٥٦) .

من الوثيقتين السابقتين نرى أن رجال الكهنوت المسيحيين فى الواحات لم يكونوا متفرغين لواجباتهم الكهنوتية وإنما كانوا يمارسون حرفاً أخرى تدر عليهم ربحاً .

هذه نبذة بسيطة عن المسيحية فى الواحات حسب الوثائق المتاحة ، ولكننا سنلقى مزيداً من الضوء على المراحل المبكرة لظهور المسيحية وانتشارها فى الإمبراطورية الرومانية عموماً وفى مصر خصوصاً من خلال كتابات المؤرخين الرومان والمفكرين الوثنيين والمسيحيين والوثائق البردية فى المبحث القادم من هذا الكتاب بإذن الله .

- جوانب متفرقة من حياة الواحاتين :

نعود الآن مرة أخرى إلى مجموعة برديات جرنفل ، ولكن لكى نعالج هذه المرة بعض الشئون والمعاملات خارج نطاق جماعة حفارى القبور فى قرية « كوسيس » ، إذ تتصل المعاملات هذه المرة بسكان آخرين فى الواحة الكبرى وتلقى بعض الأضواء المتفرقة على جوانب من حياتهم .

فهناك - على سبيل المثال - عقد دين وآخر لرد دين آخر . فى عقد الدين المؤرخ بالفترة الواقعة بين ٢٩٠ و ٣٠٤ للميلاد يقر أوريليوس سوريس - وهو أحد سكان قرية كوسيس - بأنه قد استلم مبلغ تالنتين (٢ تالنت) من أوريليوس بسنتفثوس ، وهو أحد حراس حامية ديوسبوليس ومقيم بالواحة . ويتعهد سوريس برد مبلغ الدين مع الأرباح أو الفوائد المقررة عليه ، ولكن من الغريب أن تاريخ رد الدين غير محدد - على خلاف المألوف - ويقول المدين ببساطة «إلى حين السداد αχρι αποδοσεως » . وحسب نص العقد فإن من حق الدائن (المقرض) - فى حالة عدم الوفاء بالدين - الاستفادة من كافة مصادر دخل المدين [٥٧] ، ولكن دون تحديد كذلك لكيفية أو مدة هذه الاستفادة . وفى وثيقة أخرى عبارة عن عقد لرد دين مقداره ألف دراخمة بفوائدها ترد زوجة المدين الدين وفائدته نيابة عن زوجها إلى ابن ووريث الدائن الأصلى الذى توفى [٥٨] . وفى عقد رد الدين يقر ابن الدائن برد مبلغ الدين إليه ويتعهد بعدم المطالبة بالدين مستقبلاً . أما الطريف فى الوثيقة فهو أن ضمان الدين كان يتمثل فى اثنتين من عيون الماء -υδρευμα

τα كان الدائن قد اشترط فى عقد الدين الاستفادة منهما لمدة خمسة أيام فى حالة عدم دفع الفوائد عن كل شهر ، أما الآن وبعد سداد المبلغ الأصلى للدين كاملاً فإن الدائن قد تنازل كذلك عن أى حق أو مطالبة باستغلال البئرين [٥٩] .

وفى وثيقة أخرى من هذه المجموعة يشترى أحد سكان قرية كوسيس بالواحة الكبرى ناقة بيضاء اللون من جندى من الفرسان من الفرقة التراجانية الثانية التى كان مقرها آنذاك تنتيرا (دندرة) [٦٠] . وكان ثمن الناقة ٩ (تسع) تالنتات من الفضة بالعملة التى سكها دقلديانوس فى أواخر القرن الثالث ، وتمت عملية البيع فى دندرة [٦١] . ويبدو ثمن الناقة مرتفعاً للغاية ، ولكن ذلك يعكس المستوى العالى من التضخم فى ذلك الحين بسبب انخفاض قيمة العملة مما دفع دقلديانوس إلى محاولة معالجة هذا الوضع المتردى بإصدار مرسومه « عن أسعار السلع المعروضة للبيع de pretiis rerum venalium » [٦٢] .

من الوثائق المذكورة أعلاه نلحظ أمرين : الأول هو ما يمثل البيئة الواحاتية الصحراوية من عناصر لها أهميتها الخاصة فى تلك البيئة مثل عيون الماء والجمال (الإبل) ، والثانى التعاملات التى كانت تتم بين سكان الواحات وجنود الحاميات والفرق الرومانية فى الواحات وأنحاء أخرى من مصر العليا .

وفى وثيقة أخرى يشتكى أحد سكان توبارخية (مركز) كوسيس إلى والى مصر من أن امرأة ومعها زوجها الذى يبدو أنه كان أحد كبار أعضاء المجلس البلدى πρυτανευς ووالديهما قد

اختطفوا زوجته وأطفاله بحجة أنهم عبيد . ولكنه يؤكد أن زوجته وأطفاله لم يولدوا أحراراً فقط ، بل أن هناك إخوة لزوجته على قيد الحياة وأنهم من الأحرار[٦٣] . هذا بالإضافة إلى ماذكره فى بداية الالتماس من أنه متزوج من امرأة حرة تنحدر من أبوين من الأحرار [٦٤] . وهذا الموقف يدعم من جديد ما سبق أن نوهنا إليه من نظرة دونية إلى أهل الواحات من جانب بعض أهل الوادى أو علية القوم واعتبارهم عبيداً أو ما شابه ذلك حتى وإن لم يكونوا كذلك (أنظر موضع الحاشية ٢٥) .

أخيراً وليس آخراً نختتم موضوعنا بوثيقة طريفة من وثائق هذه المجموعة . هذه الوثيقة عبارة عن خطاب من شخص يدعى ميلاس من الواحة الكبرى إلى أشخاص آخرين لابد أنهم كانوا فى مكان ما بعيداً عن الواحة . ويقول ميلاس فى خطابه لهؤلاء الأشخاص أنه قد أرسل إليهم جثة أخيهم فيبيون ودفع نفقات نقل تصل إلى ٣٤٠ دراخمة عن نقل الجثة ، ولكنه اندهش من تصرفهم حين استلموا فقط المتعلقات المرسلة مع الجثة ورفضوا استلام جثة أخيهم المتوفى [٦٥] . ورداً على تصرفهم وسلوكهم هذا بعث إليهم ميلاس بكشف حساب يتضمن النفقات التى انفقها على شقيقهم أثناء مرضه وبعد وفاته بالإضافة إلى مصروفات نقل الجثة ، وبلغ مجمل ما أنفقه عليه ٥٢٠ دراخمة . وكان حساب النفقات الأخرى – بخلاف مبلغ النقل – هو كالآتى : ٦٠ دراخمة بالعملة القديمة (قبل تعديلات دقلديانوس) أنفقها على الدواء والعلاج ، ٢٨ دراخمة ثمن قارورتين من النبيذ فى اليوم الأول (من الوفاة فيما

يـدو) ، ١٧ دراخمة عن الطعام ، ١٢ دراخمة ثمن عيارين من الزيت ، ٢٠ دراخمة ثمن أردب من الشعير ، ٢٠ دراخمة عن (الكفن) من قماش هندى رقيق σινδων بالإضافة إلى أجرة الحانوتى الذى كفنه [٦٦] .

لعل الوثائق المذكورة فى هذا المبحث وسابقه تكون قد ألقت قدراً معقولاً من الضوء على بعض جوانب الحياة والمجتمع فى الواحات على مدى العصر الرومانى يضاف إلى الأدلة الأثرية من خلال المكتشفات الحديثة التى تفصح عنها جهود علماء الاثار .



الحواشي

1- An article already published in the Acta of the International Colloquium about "The Relations between Rome and Egypt in Classical Antiquity". Cairo, 6 - 9 Feb..1989.

2- H.J. Llewellyn Beadnell, An Egyptian Oasis, an account of the Oasis of Kharga, London, 1909, p. 107.

3- H.I.Bell, Egypt from Alexander the Great to the Arab conquest, Oxford, 1948, pp. 99 - 102; cf. also the chapter written by Bell in the Legacy of Egypt, Oxford, 1943 "Egypt and the Byzantine Empire", pp. 333 - 334.

4- Cf. P. Oxy. 2793, secondc/ third century A.D., 11. 6 - 7; P. Ox. 3362. Late 2nd century, 11. 16 - 17.

5- P. Amherst 137, Ashmunen, 288 - 9 A.D., 1.1 κιρ (ατιστω) επιστρ (ατηγω) Επτανομιας και Οασεως Μικρας (αρα)....

6- P.Ox. 888, Late 3rd or early 4th century A.D., 1.8: ε]ναρχω εξηγητη Οξυρυγχ[του κ]αι Μικρας Οασεως.

7- P.Ox. 1204, A.D. 299, 11. 3 - 5, 21 - 22.

8- Ibid., 11. 6 - 8: κατα καιρον εκεινον ειναι εν τη Μικρα Οασει προs εκσφονυευσιν των εκεισει διακειμενων στρατιωτων εκ προσταξεως του κυριου μου του διασημοτατου επαρχου Αιγυπτου Αιλιου Πουβλιου..........etc. cf. also 11. 18-19, 1.23.

9- P.Ox. 2766, A.D. 305, 11. 4-6: [H.P.C1]παρχ Αυρηλιου Τρυφωνos Θωγιου εξηγ(ητευσαντοs)

βου(λευτου) της λαμ(πρας) και λαμπ(ροτατης) Οξ(υρυγχειτωγ) πολεως επιμελητου σιτοκριθου ανακομιζομενου επι την Μικραν Οασιν.

10- Ibid., 11. 12, 16 - 17.

11- Ibid., introduction, and note on 1. 5.

12- P. Leipzig III, Provenance unknown, Handwriting of the 4th century A.D., 11. 14 - 17: Γνωθι δε, κυρι - ιε, μου αδελφε, οτι αδελφος σου ηλθεν απο τ[ου.......| παγου, εχων παραιποσιτουρα[ν] εις την Οασιν ευθυ| καί εν αυτη εστιν.

13- Ibid., 11. 3 - 4:

προ μεν [πα]ντων ευχομαι τω υψιστω Θε[ω] περι της σης υγιας και ολοκληριας....

14- P. Leipzig 64, Thebes, c. 368 A.D., 11. 1 - 2:
Φλ(αυιος) Ηρακλεος ο λαμπροτατος ηγεμϖν
'Ασκληπιαδη και Φιβιωνι οφ
ικιαλιοις | απαιτηταις ελαιου εν Οασει χαιρειν.
L. 9: Φλ(αυιος), Ηρακλειος ο λαμπροτα[τ]ος
,ηγεμϖν [...]εξακτορι Οασε [ως μεγαλης (?)]
χαιρει[ν].

15 - I bid., 11. 1 - 8.

16 - I bid., 11. 9 - 20.

17 - Ibid., 11. 50 - 60: Φλ (αυιος) Αριος (εκατονταρχος) εξακτορι Οασεως.

18 - P. Leipzig 36. The Great Oasis. 376/78 A. D., 11. 1 - 6: Φλαυιωι Αιλιωι Γεσσιωι τωι λαμπροτατωι ηγεμ[ο]νι Αυρηλιος Ισχοβουλος πολιτευομενος

Οασεωσ μεγαλης χαιρ[ει]ν. προσ[τ]αγμα εκομισαμην π(αρα) της σης λαμπροτητος, κυριε. το κελευον μοι παρ[α] πεμψαι εις το δικ[ασ]τηριον τους κληρονομους (their names) μ]ετ[η]λλ[αχοτων] [...] ρ.ους τους ζ[ητουμε] νους αποκριν[ας]θαι υπερ αυτων ε[ν] τω δικαστηριω [προς] τα επενεχ[θεντ]α επυ'εαυτου[ς].

19 - I bid., 11. 6 - 11.

20 - P. Ox. 1121. Oxyrhynchus. A. D. 295. 11. 2 - 5. Αυρηλιω Αμμωνιω β(ενε)φ(ικαριω) επαρχου Αιγυπτου παρα Αυρηλιασ Τεχσιος Διοδωρ[ο]υ μητρος Τεχσιος απο της Μικρας Οασεως καταγεινομενης εν τη λαμπρα και λαμπροτατη Οξυρυγχειτων πολει.

21 - Ibid., 11. 18 - 20: επισταντες τοις καταλιφθεισι υπ'αυτης κεινουμενοις τε πλειστοις, χρυσω ουκ ολιγω, ενδομενεια τοιαυτη αισθητι πολυτειμοτατη, και αλλοις.

22 - P. OX. 3126. Oxyrhnchus. A. D. 328. 11. 1 - 2: παρα Αυρη[λιου Καστορος Παραμμω]ν[ος α]πο της Αμμ[ωνιακης καταγινομεν[ου εν τη λα]μ(πρα) και ..... Οξυργχιτω[ν πολ]ει. Cf. also col. ii. 11. 4 - 5 of which the reading is nearly compelete.

23 - Ibid., col. II. 11.. 4 -13.

24 - Ibid., 11. 1 - 3.

25 - Ibid., col. II. 11. 10 - 11: μετριωτητος καταφρωνουντας, εκ τουτου καταφευ γω προς τους σους ποδας

του [|αξιϖν ελεσαντα μου το μετριον .

26 - P. Ox. 1300. 5th century A. D.

27 - Ibid., 11. 9 - 10:
και θελ[η]σον λαβιν | το κουκλιν το
Αυασιτικον παρα...... κτλ. εινα φο[ρω τουτ] ο ερχ
ομενος.

28 - See notes 12, 13.

29 - P. Ox. 3425. A. D. 359 - 365. 11. 1 - 2:
οινου Οασιτικουι | σπατια δ; P. Ox. 2048. 5th cent.
A. D. 11. 1 - 2: Οινου Οασιατικου| σπαθ(ια) δ.

30 - P. Ox. 859. Oxyrhyηchus. A. D. 305. 11. 12 - 15:
τιμης χαρτου και γραπ[τρων...] . ελιασ εργατωνι
|τριων απο– σταλεντ[ων...]
επι Βαβυλϖνα (δραχμαι) ρκ, | τιμης χαρτου και γρ
απ[ρων......ελι]ας αλλου εργατου ενος |
[αποστ]αλεντων επι [την......] ! τωγ πολιν
(δραχμαι) ρ[.

31 - Ibid., 11. 18 - 19. cf. also Grundzuge und
Chrestomathie 47.

32 - P. Lond. II. 231. PP. 284 - 85. Alexandria? A. D. 346
(Grundzuge und Cherst. 322) The two introductions.

33 - Ibid., 11. 10 - 18. and notes on lls., 4. 13.

34 - Ibid., 11. 8 - 10: και νυν δε δια | του ημετερου
παιδος
Σαραπιωνος απερχομεν εν τη Οασει τα αυτα
δηλω.
The Small Oasis is meant here. Cf. P. Lond. 231. 1. 9.

note. and Grundzuge 322 introduction.

35 - Cf. notes 6, 9 and 13

36 - P. Grenfell II. 68. A. D. 247 11. 3 - 8: ομολογω χαριζεσθ[α]ι σοι | χαριτι αναφαιρετω και αμετανοητω, ευνοιας εν[εκ]εν αμετανοη [τω] ην εδειξας εις εμε, απο της υπαρχουσης μοι κηδειας νεκροταφικης εν Κυσει με [τα] και | των κωμων τ]ης Κυσεως μερος τεταρτον απο | του νυν μεχρ[ι] παντος.

37 - P. Grenfell II. 70. A. D. 269. 11. 7 - 10. Roughly the same from as that in the previous note.

38 - P. Grenfell II. 76. A. D. 305 - 306. I. 1: Σουλις νεκροταφος τοπαρχιας Κυσε[ως ; 78 A. D. 307, 11. 2 - 3: παρα | Συρου Πετεχωντος νεω[τερου] εξωπυλιτου απο τοπαρχιας Κυσεως της Ιβιτων π[ολεως].

39 - P. Grenfell II. 75. A. D. 305. 11. 1 - 7: Ταπαους Πια[ουτ]ο̄[ς] νεκροταφη Μωθ[ει–των π[ολεως] Κ![σιαν]ν[ϖ] Κασινος νεκροταφου | Τοπαρχ[ια]ς Κ[υσεω]ς χαιρειν. ομολογω τετρο–| φεοκεν[αι] σοι το τεταρτον μερος της δου | λιας. εσχον [α] πο σου τα τροφια και τον ημα–|τισμον αργυριου Σεβαστων νομισματος εν νο υμοις ταλαντα εικοσιν.

40 - P. Grenfell II. 69. 11. 4 - 6: Πε[τε]χων Πολυ[δευκους...]. κεκ [.....]. [....]. | Πε-|τοσ[ιρ]ιος απελε [υθερος Πετ] εχωντ [ος] του [ιρ] νεκρο [ταφου απο] Κυσεως Κυσιτιδι | Αυρηλια ... κτλ.

41 - P. Gernfell II. 71. A. D. 244 - 248. col. I. 11. 3 - 11. 3 - 11: col. II. 11. 1 - 6.

42 - Ibid., col. I. 11. 11 - 17: ομπολογω χαριζεσθαι υμιν χαριτι ...κτλ. εξ ισου μερους παντα τα υπαρχοντα μου τ[α] δ'ελθοντα εις εμε|απο κληρονομιας του πατρος και απο δικαια[ς] ϖνης η'τοι μερεσι υδρευ –|ματων η
κυνη–γικοις τοποις και μερεσι κη[δει]ας νεκροταφ ικης εν Ιβι|και ταις περι κωμαις πασαις ομοιως κα ι εν Πουσι και εν ταις περπ| κωμαις
πασαι[ς μετα] της Κυ[σ] εως και......

43- P. Grenfell II. 76. A. D. 305 - 306.

44 - P. Grenfell II. 68. 11. 4 - 5: ευνοιας εν[εκ]εν|
και αμετανοη[τω] ην εδειξας εις εμε: 70. 11. 7 - 8.

45 - P. Grenfell II. 71. 11. 11 - 12:
ομολογω χαριζεσθαι υμπιν χαριτι αιωνια και ανα-|φαιρετω ευνοιας χαριν και φιλοστρογιας.

46 - Ibid., col. 2. 11. 6 - 10: Προσ – | ομολογουσιν δε και οι προκιμενοι υιοι Πετοσιρι κ[αι] Πετεχων ευδο – | κειν πασι τοις ενκεγραεμμνοις και μη μετελευσεσθαι αυτους | περι μηδενος απλως, μηδε εξεστω ημιν προσενεγκιν γραμματα | εξ ονοματος του πατρος ημων κατα των υπαρχοντων.

47 - P. Grenfell II. 76. 11. 3 - 5: επι εκ τινος πονηρου δαιμο-|νος συνεβη αυτους αποζευχθαι αλληλων την κοι-|νην αυτων συνβ ιωσιν.

48 - P. Grenfell II. 73. Late third century A. D. (Reign of Diocletian). 11. 7 - 15: οι νεκρο-|ταφοι ενηνοχασιν

ενθαδε| εις το εσω την πολιτικην την | πεμφθεισαν εις οασιν υπο της | ηγμονιας και ταυτην πα- |ραδεδωκα τοις καλοις και πι - ιστοις εξ αυτων νεκροτα-|φων εις τηρησιν εστ'αν ελ-|θη ο υιος αυτης Νειλος.

49 - Ibid., l. 3:
εν Κ(υρι) ω χαιρειν; 11. 5 - 6: και τους παρα σοι παντας | α[δ]- ελφους εν Θ(ε)ϖ; και | οταν ελθη συν Θεω.

50 - Ibid., l. 10. note.

51- P. Giessen 103. the Great Oasis. 4th cent. A. D. (after 309).

52 - Ibid., 11. 9 - 20:
Ε]νεγκον δε μοι | ερχομ[ε]νος τας τρις λιτρας των σιππιων και τα αργυ-|ρια απο [το]υ παστοφορου | δεξαι και αγορασον μοι | αυτα εν πορφυραις ......κτλ.

53 - Ibid., 11. 6 - 9: Αναγκαι–|ω[ς δε γραφω σοι ο]π̄ως ταχεως] η[μας καταλ]αβε πρι του ε. [.... cf. also] 1. 20 - 23: Ενεγκον δε τον | αδελφον σου Ιερακα συν | σοι, αλλα παντως ταχε - | ως ημας καταλαβε.

54 - Ibid., 11. 33 - 36:
εγω δε οτι πριν του εμε ελθειν εις | Οασιν εκι προσ εγενε- | το.

55 - P. Florence III. 285. Aphrodites kome (Antaiopolis). A. D. 552. 11. 4 - 5: [Τ]ω δικαιω της υμας διακονιας καλουμενης του Οασιτων κεκτημενης

εν τω ορει | [κω]μης Αφρ[ο]δ̣ιτης του Ανταιοπολιτου νομου....

56 - Ibid., 11. 7 - 11.

57 - P. Grenfell II. 72. A. D. 290 - 304. 11. 6 - 10: ομολογω ηριθμησθαι παρα σου εις ιδιαν μου χειραν αργυριου | Σεβαστων νομισματος ταλαντα δυο, γι(ενται) β, απερ σοι απο-|δωδον συν τοις επισυναχθεισι τοκοις αχρι απηοδοσεως. | ει δε μη αποδω, εξεσται σοι χρησασθαι κατα παντιας μου ευποριας.

58 - P. Grenfell II. 69. A. D. 265. also the village of Kusis in the Great Oasis. cf. note 38.

59 - Ibid., 11. 22 - 27; και μηδενα | λογον εχειν προς αυτην αυτον η αλλον τινα των αυτης απο του νυν περι τε των | προκειμενων (δραχπων) Α η τοκων η π[ιερι τω]ν | δηλουμενων ημερων πεντε [η των] προ - | κειμενων υδρευματων η περι αλλ[ου τινο]ς αηλως....

60 - P. Grenfell II. 74. A. D. 302. 11. 1 - 5.

61 - Ibid., 11. 6 - 9: ομολογω πε[π]ρακεναι σοι [εν Τε]ντυρη καμηλον | θηλειαν λευ[κο]χρωμον [εν τω εν] εστωτι η (ετει) και ιζ και η' | Πμης της π[ρος] αλληλους [συμπ]εφωνημενης αργυριου | καινου Σεβα[στω]ν νομισ[ατος] ταλαντα εννεα.

62 - Ibid., introduction.

63 - P. Grenfell II. 78. A. D. 307. 11. 9 - 13: και τ] ους

προκειμεν - ους συμ - | βιον [τ]ε και παιδας ε [...εις] την εαυτων εσ[τ]ιαν | καθ' ειρξαν, δουλιο[ν γενος? ελευ] θεροις προσαπτον -]τες; ων απαν μεν [πεφυκεν ελ] ευθερον ελευθεροι, δε νυν περιεισι δυγγε[νεις α]δελφοι.

64 - Ibid., 11. 3 - 5:
εισαγομην εμαυτω γυ-|ναικα, [ο]μοφυλον τσεκ [...ελ] ευθεραν εξ ελευθερων | γονεων.

65- P. Grenfell II. 77. Reign of Diocletian. 11. 8 - 12:
και θαυμαζω πανυ | {οτι} αλογως απεστητε μη αραντες | [το
σ]ωμα του αδελφου υμων, αλλα συλεξαντες οσα ειχειν και ουτως απεστητι...

66 - Ibid., 16 - 33: εστι δε τα αναλωματα τιμ(η) φαρμακου παλ(αιαι) (δραχμαι) ξ, τιμ(η) οινου τη πρωτη ημερα χο(ες) β παλ(αιαι) (δραχμαι) λβ [υπ(ερ)] δαπανης εν ψω-|μιοις και προσφαγιοις (δραχμαι) 15: [τ] ϖ νεκροταφω εις, το, ορος | μετα τον γεγραμμενον | μισθον, χο(υν) ενα (δραχπαι) κ. | ελαιου χο(ες) β (δραχμαι), β, κριθη (αρταβη) α (δραχμαι) κ, τιμ (η) σινδονος (δραχμαι) κ, | και μισθου ιδ προκ (ειται)(δραχμαι) τμ / επι του λ[ογο]υ της | ολης δα[πα]νης παλαιου | νομισματος δραχμαι | πεντακοσιαι εικοσι, γι(ενται) φκ.



الباب الخامس

المسيحية المبكرة



المبحث الحادي عشر

أضواء علي المسيحية المبكرة

بحث منشور (باللغة العربية) فى كتيب صادر عن دار المعرفة الجامعية - الأسكندرية
طبعة أولى ١٩٩٣ - طبعة ثانية ١٩٩٧ .



١ - المسيحية المبكرة من خلال كتابات المؤرخين الرومان والمفكرين الوثنيين ورجال الكنيسة

الغرض من هذا البحث كما يتضح من عنوانه إلقاء ضوء جديد - قدر الإمكان - على نشأة وانتشار الديانة المسيحية. وعلى الرغم من صعوبة هذه المهمة لأن المسيحية كديانة قد كتب عنها الكثير فما عسى باحث أن يضيف لما هو معروف عنها، إلا أن الأمر ليس بمستحيل من زاوية تخصص الباحث وهو التاريخ اليونانى والرومانى واعتماده على مصادر تلك الفترة من كتابات المؤرخين المعاصرين واعتماده كذلك على الوثائق البردية المعاصرة لذلك الحدث وهو نشأة وانتشار المسيحية. الباحث إذن لن يتطرق إلى الحديث فى الأمور العقائدية واللاهوتية فهى ليست من تخصصه فى شىء وإنما سيتناول الموضوع من منظور تاريخى يرتكز على الوثائق وشرحها وتحليلها والخروج منها بمعلومات قد تلقى أضواء جديدة على بعض النقاط والتفاصيل .

ولما كانت الوثائق البردية المتصلة بالموضوع من القرنين الأول والثانى الميلادى تكاد تكون نادرة لأن المسيحيين الأوائل فى تلك الفترة كانوا يعتنقون ديانتهم بشكل سرى حتى لايتعرضوا للمضايقات والاضطهاد من قبل الإدارة الرومانية كما سنرى على صفحات هذا البحث فإن اعتماد الباحث عليها سيكون محدودا نسبيا. هذا يعنى أن المسيحية لم تنعكس فى وثائق ومراسلات معتنقيها فى تلك الفترة بالاضافة إلى أنه لم تكن هناك أية إشارات عن المسيحية فى الوثائق القانونية والإدارية وما شابهها من تلك

الفـتـرة، وإن كـان هذا لايمنع من وجـود بعض القـرائن المتـصلة بالمسيحية فى بعض البرديات الأدبية مثل مقتطفات من إنجيل يوحنا اتفق علمـاء البرديات إلى نسبتـهـا للنصف الأول من القـرن الثـانى الميلادى ، وربما كانت من العقد الثانى من ذلك القرن وتعتبر أقدم قطعة موجودة من الكتابات المسيحية كـما أنهـا تنقض الرأى القـائل بأن الإنجيل الرابع لم يكتب إلا فى فترة متأخرة من القرن الثانى ، كـما عثر فى أوراق البردى من فترة لاحقة فى القرن الثانى (ربما بين ١٢٥ - ١٦٥ م) على شـذرات من إنجيل غـيـر مـعـروف وهى شذرات من البردى من المتحف البريطانى نشرها العالمان ت . سكيت وهـ . إ . بيل عام ١٩٣٥م. كـمـا أن هناك بردية من قرية كـرانيس القديمة بالفيوم هى عبارة عن أنشودة غنوصية عن المسيح من القرن الثانى مما يدل على وجود هذه الهرطقات فى مصر الوسطى فى القرن الثانى الميلادى [1] .

هذه البـرديات الأدبيـة المتـصلة بالمسـيـحـيـة من القـرن الثـانى الميلادى تعتبر من ناحية دليلا قويا على انتشار المسيحية فى مصر خلال ذلك القرن وحاجة التجمعات المسيحية الى كتابة وتدوين الأناجيل المعروفة حينئذ للتعرف على شئون دينهم، ولكنهـا من ناحية أخرى لاتعطينا فكرة واضحة عن كيفية دخولها أو انتشارها فى مصر أو عن المسيحيين الذين دونوا هذه الأناجيل أو استعملوها. إن البردى الوثائقى عن المسيحية فى مصر يبدأ فى الواقع مع بداية النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى مع اضطهاد الإمبراطور الرومانى ديكيوس وازداد بعد ذلك فى خلال النصف الثانى من ذلك القرن والنصف

إزاء هذا الوضع المتصل بالبردى الوثائقى حول المسيحية وندرته فى خلال القرنين الأول والثانى فلا مفر من الحديث عن هذه الفترة من خلال كتابات المؤرخين المعاصرين للأحداث أو اللاحقين عليها بفترة وجيزة من مؤرخين رومان ومن أباء الكنيسة وأساقفتها ومن الكتاب الوثنيين المناوئين للمسيحية مع الحيطة الواجبة فى التعامل مع هذه الكتابات وفهم السياق والدوافع لدى كل طرف من الأطراف ، ثم يلى ذلك الجزء المتصل بالوثائق البردية من القرنين الثالث والرابع وهو جزء حيوى فى هذه الدراسة من حيث مدى اضافته للموضع والأضواء الطريفة التى يلقيها على بعض نقاط الموضوع .

إذا بدأنا بالأحداث المبكرة فى المسيحية وبداية انتشارها كديانة سنجد أن أحداث هذه الفترة تغطيها مصادر مسيحية لاحقة ومتأخرة فى تاريخها عن هذه الأحداث مثل الكاتب المسيحى ترتليان المولود فى قرطاجة حوالى منتصف القرن الثانى الميلادى والذى كتب دفاعا عن المسيحية ضد هجوم الوثنيين عليها والأسقف المسيحى **يوسيبيوس** أسقف قيصرية أيام قسطنطين والذى توفى بعد وفاة قسطنطين عام ٣٣٧م بفترة قصيرة بعد أن كتب مؤلفه المعروف «التاريخ الكنسى» .

يذكر **ترتليان** فى مواضع متفرقة من مؤلفه ما حل بالمسيح على يد اليهود وموقف الإمبراطور الرومانى (تيبيريوس حينذاك) وكذلك مجلس السناتو من تلك الأحداث التى وقعت فى فلسطين فيقول :

« أحال تيبريوس – الذى دخل مسمى المسيحيين فى عهده الى العالم – ما بلغه من أنباء من سوريا الفلسطينية (أي إقليم فلسطين فى ولاية سوريا الرومانية)– وهى الأنباء التى أفصحت عن حقيقة ألوهية المسيح – إلى مجلس السناتو بعد أن أعطاها تصويته الأول وصدق عليها. ولكن السناتو رفض هذا الأمر لأنه لم يسبق أن أقره من قبل. أما قيصر (تيبيريوس) فقد أصر على موقفه وهدد بالحاق الأذى بمن يتهم المسيحيين » (٢) .

وقد رفض السناتو رأى الإمبراطور فى هذا الشأن لأنه « كان هناك مرسوم قديم يقضى بألا يرسم الإمبراطور إلها (جديدا) بغير موافقة السناتو ، حسب قول ترتليان فى أول الفقرة السابقة (٣) وهو أمر يثير سخرية واستهجان ترتليان إذ كيف تعتمد ربوبية أو ألوهية رب على قرار بشر إذ معناه أنه إذا لم يرض البشر عن هذا الرب فلن يكون إلها بحال من الأحوال (٤) .

ويروى ترتليان فى دفاعه عن المسيح والمسيحية رواية الأيام الأخيرة للمسيح على الأرض حينما بلغ اضطهاد اليهود له ذروته حيث أحضروه إلى بيلاطيس البنطى – الحاكم الرومانى على سوريا آنذاك – ومن خلال غضب وهياج قضاتهم ابتزوا بيلاطيس وانتزعوا منه الأمر بتسليم يسوع إليهم لصلبه (٥) ثم قدم بيلاطيس البنطى تقريرا عن أمر المسيح برمته إلى قيصر (الذى كان آنذاك تيبريوس) وكان بيلاطيس نفسه فى قراره نفسه مسيحيا ! نعم وكذلك القياصرة كان يمكن أن يؤمنوا بالمسيح لولا حاجة العالم إليهم أو لو أنه كان بإمكان القياصرة أن يكونوا مسيحيين (٦) . ربما قصد ترتليان هنا

القول بأن الأباطرة الأوائل كانوا مقتنعين بالمسيحية فى قرارة أنفسهم ولكنهم كانوا يخشون مواجهة الغالبية الساحقة من رعاياهم الوثنيين بهذه العقيدة .

وينقل المؤرخ الكنسى المشهور **يوسيبيوس** – أسقف قيصرية الذى ازدهر فى عصر قنسطنطين فى النصف الأول من القرن الرابع – هذه الأحداث عن ترتليان ولكن يضيف إليها بعضا من تعليقاته وأحيانا يبدل فى نص ترتليان كلمة تخدم غرضه فى إظهار مدى حماسه للمسيحية كرجل دين مسيحى كبير كان على يمين الإمبراطور قنسطنطين فى مجمع نيقيا المسكونى عام ٣٢٥م [٧] . فمن أمثلة تعليقاته ذات الصبغة الدينية على الأحداث التى رواها نقلا عن ترتليان أنه اعتبر أن عدم موافقة مجلس السناتو على التقرير الذى أحاله إليهم الإمبراطور تيبريوس بشأن صلب المسيح وألوهيته ليست بسبب قرار السناتو القديم بأنه لايمكن الاعتراف بالألوهية لأحد من جانب أباطرة الرومان مالم يصوت السناتو على الأمر ويصدر مرسوما بذلك « وإنما فى الحقيقة لأن التعاليم الإلهية المنقذة ليست بحاجة الى تصديق أو إعلان بقرار بشرى » [٨] . ومن أمثلة إبداله لكلمة فى نص ترتليان بكلمة أخرى لغرض فى نفسه أنه ذكر أن الإمبراطور تيبريوس حين رفض مجلس السناتو القرار الذى أحاله إليه الإمبراطور بشأن المسيح « أصر الإمبراطور على رأيه وهدد بإعدام من يتهمون المسيحيين [٩] » فى حين أن نص ترتليان الأصلى يذكر أن الإمبراطور هدد « بالحاق الأذى » بمن يتهمون المسيحيين .

هذه الروايات « المسيحية » عن بداية ظهور هذه الديانة وما

صاحبها من أحداث توحى بأن الحاكم الرومانى على يهودا الذى حدثت فى عهده أحداث الأيام الأخيرة للمسيح وهو بيلاطيس البنطى كان « مسيحيا فى قرارة نفسه » وأنه ما كان ليسلم المسيح لليهود لولا أنه تعرض لضغط وابتزاز من جانب اليهود . وسياق الروايتين – الأصلية لترتليان والمنقولة ليوسيبيوس – يبرز هذه الجزئية ويلح عليها بصورة ضمنية تتمثل فى ذلك الحماس من جانب الإمبراطور الرومانى للمسيحية ولألوهية المسيح إثر تلقيه تقرير واليه بيلاطوس البنطى عن الموضوع مما يوحى بأن ذلك التقرير قد صيغ بطريقة مقنعة للإمبراطور جعلته يصدق على التقرير ويصوت عليه أولا قبل مجلس السناتو ولكن المجلس رفض إقراره لأنه لم يسبق له مناقشة الموضوع وإقراره . ولكن رغم رفض السناتو أصر الإمبراطور على وجهة نظره وهدد بإلحاق الأذى (أو بالإعدام فى رواية يوسيبيوس) بمن يتهم المسيحيين .

هل يعنى ذلك أن الإمبراطور تيبريوس وواليه على يهودا كانا مؤمنين بألوهية المسيح أو متحمسين للمسيحيين أو على أقل الفروض متعاطفين مع المسيحية ، ضد اليهود فى فلسطين وأعضاء السناتو فى روما ؟ لانستطيع الإجابة بموضوعية عن هذا السؤال لأنه ليس هناك مصدر محايد أو غير مسيحى أو قريب من زمن الأحداث يعطينا معلومات عن أحداث تلك الفترة . وحتى إن صح ما رواه ترتليان من أن الإمبراطور أصر على رأيه فى شأن المسيح وألوهيته وراء رفض السناتو لتقريره وتهديد الإمبراطور بإلحاق الأذى (أو إعدام) متهمى المسيحيين فربما كان تفسير ذلك أن اعتراف الإمبراطور بالمسيح كان

كأحد الآلهة فى الدولة الرومانية وليس كإله أوحد ، وأن إصراره على ذلك وتهديده بإلحاق الأذى (أو إعدام) من يتهم المسيحيين كان رد فعل غاضب وعنيد لرفض السناتو لتقريره الذى أحاله إليه (لاسيما إذا علمنا أن العلاقة بين تيبريوس والسناتو كانت تتسم بالتحفظ والفتور مما اضطر الإمبراطور لأن يحكم من جزيرة كابرى لفترة من حكمه).

ومن **القرائن التاريخية** التالية حول المسيحية **نجد المؤرخ سويتونيوس** يذكر أن الإمبراطور **كلوديوس (٤١ -٥٤م) قد طرد من** روما اليهود الذين كانوا يثيرون القلاقل بتحريض من المسيح [١٠]. Iu-daeos impulsore Chresto assidue tumultuantis Roma expulit. (Suetonius 5. 25. 4)ومن الواضح أن المقصود بهؤلاء هم المسيحيين حيث يبدو أن المسيحيين لم يكونوا معروفين ومميزين آنذاك كأتباع دين مستقل وكان يعتقد أنهم طائفة من اليهود . هذه الإشارة إلى المسيحيين تدل على أن أتباع المسيحية قد انتشروا مبكرا فى روما بدرجة استفزت الإمبراطور وجعلته يطردهم من روما كما يشير سويتونيوس . وهناك فقرة فى يوسيبيوس تدل على مدى انتشار المسيحية بعد تيبريوس « فى كل مدينة وقرية نشأت كنائس مزدحمة بالآلاف من الناس مثل جرن حصاد يعج بالناس » [١١] .

هذا الخلط بين المسيحيين واليهود من جانب الإدارة الرومانية جعل الإدارة الرومانية تغض الطرف عنهم مما ساعد على انتشارهم فى هدوء بعيدا عن أعين الحكومة الرومانية بالصورة التى يصفها يوسيبيوس . وكان **أول اضطهاد لحق بالمسيحيين** هو اضطهاد

الإمبراطور نيرون (٥٤ - ٦٨م) لهم والذى وقع على الكنيسة وقع الصاعقة والذى يبدو أنه استمر لسنوات عديدة ولم يقتصر على روما فقط [١٢]. وكل ما يعرفه سويتونيوس عن هذا الاضطهاد هو أنه تعذيب ألحق بالمسيحيين وهى خرافة جديدة شريرة ومؤذية (يقصد بهذه الخرافة الديانة المسيحية) ,afflicti suppliciis Christiani genus hominumsuperstitionis novae ac maleficae (Suetonius 6.16.2) . أما المؤرخ الذى ذكر بعض التفاصيل عن هذا الاضطهاد فهو تاكيتوس فى حولياته عن الإمبراطور نيرون حيث يؤرخ بداية الاضطهاد بعام ٦٤م ويربط بين الاضطهاد وبين حريق روما الكبير . ففى عام ٦٤م دمر حريق هائل جزءا كبيرا من روما وحامت الشكوك حول الإمبراطور نيرون بأنه هو الذى أضرم النيران فى المدينة وذلك لسمعته الرديئة الفظيعة كقاتل لأخيه غير الشقيق وأمه وزوجته ويقولون أنه ارتدى ملابس عازف قيثارة وغنى أغنية « تدمير طروادة » على أطلال روما المحترقة [١٣] . وفى هذا الصدد يذكر المؤرخ تاكيتوس مايلى فى حريق روما واضطهاد المسيحيين :

« لن يفلح أى جهد بشرى أو أى كرم من جانب الإمبراطور أو غفران وتكفير من جانب الآلهة فى أن يخلص نيرون من التهمة المشينة المنسوبة اليه وهى أنه أمر بحرق (روما) . ولكى يخرس نيرون هذه الشائعات وجد كبش فداء يلصق به تلك الجريرة وعاقبهم بأشد أنواع العذاب (التعذيب) . وهؤلاء من يطلق عليهم العامة مسيحيين والذين كانوا مكروهين بسبب فظائعهم (أعمالهم المقززة) أما من يحمل أصل التسمية وهو المسيح فقد أعدم على يد الحاكم

بيلاطوس البنطى فى عهد تيبريوس . وفى ذلك الحين (عهد نيرون) فإن هذه الخرافة الرهيبة كانت قد قمعت ولكنها مالت الى الاندلاع مرة أخرى ليس فقط فى يهودا - مصدر الأذى - ولكن فى روما التى يتدفق منها كل ماهو وحشى ويلقى استجابة وترحيبا . وكان أول من ألقى القبض عليهم هم الرجال الذين اعترفوا بالتهمة ثم قبض على أعداد هائلة بناء على معلوماتهم ، ليس بصدد تهمة اضرام الحريق تحديدا، وإنما بتهمة كراهية الجنس البشرى وزاد التهكم والسخرية القاسية من وطأة الردى الذى أطبق عليهم . وكانوا يلفونهم فى جلود الحيوانات الضارية لكى يلقوا حتفهم تحت كلاب الصيد إربا أو كانوا يدقون بالمسامير فى الصلبان أو يحترقون كالمشاعل لكى يضيئوا الليل عندما ينسحب ضوء النهار . وكان نيرون يقدم حدائقه لتقديم هذا المشهد كما كان يقدم عرضا للسيرك ويختلط بالجموع المحتشدة فى لباس سائق عربة راكبا عربته. كل هذا ولد مشاعر التعاطف مع الضحايا رغم أنهم كانوا مذنبين ويستحقون أسوأ العقاب ، فقد شعر الناس أنهم (الضحايا المسيحيين) قد أفنوا ليس فى سبيل المصلحة العامة وإنما لإشباع نهم القسوة لدى فرد واحد (نيرون)» (١٤) .

ويعلق البعض على هذا الوصف من جانب تاكيتوس بأنه على الرغم من أن روايات تاكيتوس للأحداث غالبا ما تكون من الروايات التى يعتمد عليها بالمقارنة بالمصادر الأخرى ، إلا أنه يميل للتضليل فى هذه الرواية ليس فى ذكر الحقائق وإنما فى تفسير هذه الحقائق. فمما لاشك فيه أن الحريق الكبير قد حدث وأن نيرون قد حامت

حوله الشكوك فى ارتكاب الجرم وأن المسيحيين - بحديثهم عن قرب نهاية عصر بهذا الحريق - يبدون كبش فداء ملائم للغاية. ولكن هذا البعض يأخذ على تاكيتوس أنه أراد فقط أن يشوه صورة نيرون ويلطخها عن طريق إيجاد أكثر التفسيرات عدوانية عند تناول موضوع الاضطهاد حيث استخدم المسيحيين كعصا يضرب بها نيرون دون أن يكون فى نفسه تعاطف أو فهم حقيقى لهم. وربما كان ما حدا بتاكيتوس إلى اتخاذ هذا الموقف أنه تقلد منصب الحاكم الرومانى فى آسيا فى العام التالى لإثارة بلينى الأصغر حاكم بيثنيا موضوع المسيحيين أمام الإمبراطور تراجان كما سنرى لاحقا فى هذا البحث . لقد أدرك تاكيتوس أن بلينى اكتشف أن الاتهامات الفظيعة بالجرائم الموجهة ضد المسيحيين كانت اتهامات زائفة، رغم أنه لايلون روايته عن نيرون بهذا الموقف المعاصر. ومع ذلك فإن تاكيتوس لايعترف بالمسيحيين ولم يخطر له على بال أن يكونوا على صواب (١٥) .

ويسجل **المؤرخون المسيحيون** أن **نيرون** كان أول امبراطور يضطهد المسيحيين ويشنون هجوما عليه ويذكرون فظائعه. فالمؤرخ **ترتليان** يذكر مخاطبا معارضى المسيحية من الرومان « ولسوف تجدون - إذا ما راجعتم تواريخكم - أن نيرون هو أول من استشاط غضبا بسيفه الإمبراطورى ضد هذه الطائفة (المسيحيين) عندما ارتفع شأنها فى روما. ولكننا نباهى ونفاخر بأن يكون مثل هذا الرجل قد كرس نفسه لإدانتنا. ولعننا لأن من يعرف ذلك الرجل يمكن أن يفهم أنه مالم يكن الشيء طيبا عظيما فلن يدينه نيرون » (١٦) .

أما الأسقف **يوسيبيوس** فيهاجم نيرون ويقول إن الكثيرين قد سجلوا تاريخه بغاية الدقة ومن خلالهم يمكن إدراك مدى خرقه وجنونه الغريب مما جعله يقدم على قتل الآلاف ولم يفلت من قبضته حتى أقرب الأقربين اليه أو أعز الأصدقاء حتى أنه قتل أمه وأخوته وزوجته وآلاف غيرهم ممن لهم صلة بعائلته كما لو كانوا أعداء ألداء (١٧) . كما يذكر يوسيبيوس أنه يروى أن القديس بولس والقديس بطرس قد استشهدا فى روما أثناء اضطهاد نيرون : الأول بقطع رأسه والثانى بصلبه (١٨) .

ولكن قبل الاستمرار فى تسجيل ومتابعة نماذج الاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون حتى نصل لعصر الاضطهاد الأكبر أو « عصر الشهداء » فى عهد دقلديانوس (خاصة منذ عام ٣٠٣م حتى ٣٠٥م) ينبغى أن نذكر **الأسباب** التى حدث بالحكومة الرومانية إلى اضطهاد وملاحقة أنصار الديانة الجديدة، وهو أمر جدلى لايزال يدور حوله النقاش. فعلى الرغم من التسامح الذى اتسمت به الوثنية تجاه العقائد المختلفة إلا أن الأمر اختلف بالنسبة للمسيحية، فما هو الشىء الذى استثار روما فى المسيحية وجعلها تقلع عن نهج التسامح المألوف الذى اتبعته مع أنصار العقائد الأخرى ومنها اليهودية مثلا ؟ يعتقد البعض من العلماء أن هذا الاضطهاد غير المألوف يعود إلى أسباب سياسية أو أخلاقية أو كليهما معا حيث كانوا يفترضون أنها تهدد الأمن والنظام العام فى المجتمع الرومانى بحكم كونها أقلية خارجة على الإجماع ومارقة ولا تشارك فى عقائد الدولة. وكانت هناك حساسية فى الامبراطورية تجاه المجتمعات الخاصة المغلقة وترى فيها

بؤرا للإزعاج ولذا كانت تصر على أن تحصل على ترخيص أو تصريح من الدولة، ومن يستمر من هذه المجتمعات فى الاجتماع بدون ترخيص يعرض نفسه لأشد العقوبات . وكانت تهمة الخيانة العظمى من بين التهم الموجهة للمسيحيين وقد كانت تهمة شائعة تحاك وتلصق بالآخرين فى عهد الإمبراطورية المبكرة. وكان يفترض أن المسيحية تنطوى على ممارسات لا أخلاقية متدنية ولا إنسانية مثل أكل لحوم البشر والزنا بالأقارب والقتل وأمور أخرى كريهة [١٩] . ومن جراء هذه الفكرة التى ترسبت فى الأذهان حول المسيحية فى نفوس العامة فإذا اذا ما لحق الدولة أى إخطار أو كوارث يرجح معها أن الالهة غاضبة ناقمة على الرومان كان ذلك يعد دافعا يضاف لبقية دوافع اضطهاد المسيحيين ، ويعبر ترتليان عن ذلك تعبيرا حيا نابضا حين يقول :

« إذا ما فاض التيبر ووصل الى الأسوار وإذا ما انخفض النيل ولم يصل للحقول وإذا ضنت السماء بأمطارها، واذا مازلزلت الأرض أو حدثت مجاعة أو حل وباء أو طاعون ارتفعت الصيحة على الفور «ألقوا بالمسيحيين للسباع » [٢٠] .

والأن لنعد مرة أخرى الى موجات الاضطهاد الرومانى للمسيحية . سبق أن رأينا المؤرخ سويتونيوس يذكر أن الامبراطور كلوديوس طرد من روما اليهود الذين كانوا يثيرون الاضطرابات فى روما بإيعاز من المسيح ، وما فى هذه العبارة من خلط بين المسيحيين واليهود والاعتقاد بأن المسيحيين طائفة من اليهود ، ولاندرى ما إذا كان نيرون فى اضطهاده للمسيحيين كان يدرك أنهم أتباع ديانة

مستقلة أو باعتبارهم أتباع طائفة خارجة من طوائف اليهود فى روما. ولكن التمييز بين الديانتين اليهودية والمسيحية يبدو أنه كان واضحا وملموسا فى عهد الإمبراطور فسبسيان كما يتضح فى فقرة من كتابات مؤرخ متأخر هو سولبكيوس سيفيروس يتحدث فيها عن عقد تيتوس بن فسبسيان لمجلس حرب لكى يقرر ما إذا كان سيدمر المعبد اليهودى فى أورشليم أم لا .

يقول سيفيروس :

يقال أن تيتوس استدعى مجلسه الاستشارى – قبل أن يفعل أى شىء – وأخذ يتدبر فى الأمر وعما إذا كان سيدمر معبدا بمثل هذه الصنعة الرائعة، فقد كان يتراءى للبعض بأنه لاينبغى تدمير معبد مقدس وعلى درجة من الروعة تفوق كل أعمال البشر : فإذا ماتم الحفاظ عليه سيكون ذلك برهانا على اعتدال روما ورصانتها أما إذا هدم وخرب فسيكون وصمة أبدية على قسوتها. وكان هناك آخرون من بينهم تيتوس نفسه يعارضون ذلك ويعتقدون أن تدمير المعبد كان على درجة قصوى من الأهمية من أجل القضاء كلية على ديانة اليهود والمسيحيينن وكان رأيهم أن هذه الديانات رغم أنها كانت متعارضة مع بعضها إلا أنها بدأت من نفس المنابع أى أن المسيحيين قد خرجوا من عباءة اليهود وأنه بتدمير الجذر سوف يموت الساق (الجذع) بسهولة ويسر » [٢١] .

هذه الفقرة رغم أنها تظهر أن تيتوس – حسب زعم كاتبها – كان يدرك أن اليهودية والمسيحية ديانتان مختلفتان بل ومتعارضتان إلا أنه كان يصنف المسيحية على أنها – بصورة أو بأخرى – طائفة من

اليهود خارجة عن الديانة الأم أو بمعنى آخر إحدى الهرطقات اليهودية. وهكذا ظن تيتوس أن القضاء على الجذر وهو اليهودية بتدمير معبد أورشليم سوف ينجم عنه تلقائيا ذبول وموت الجذع المنبثق عنه ألا وهو المسيحية وبذلك يكون قد ضرب عصفورين بحجر واحد .

وبعد هذه الضربة التى تلقاها اليهود فى أوشليم على يد تيتوس عام ٧٠م . وتدمير معبدهم تغير وضع اليهود نحو الأسوأ بصورة جادة وتحولت الضريبة التى كان يساهم بها اليهود فى صيانة معبدهم فى أورشليم الى ضريبة تدفع من أجل معبد جوبيتر فى الكابيتول فى روما وخصص صندوق خاص بهذا الغرض كانت أمواله تجبى بصورة قاسية وشديدة. ومن المرجح أنه على إثر هذا التشديد والقسوة مع اليهود لجباية الضريبة المذكورة بدأ الفرق يتضح بين اليهود والمسيحيين فى فلسطين وغيرها: فعند استجواب الشخص لمعرفة ما إذا كان يهوديا وبالتالى عرضة لدفع هذه الضريبة كان يوجه إليه السؤال إن كان قد ختن أم لا فإذا أنكر شخص مختون (وكان الختان من تقاليد اليهود) أن يكون يهوديا ، فماذا عساه أن يكون ؟ إنه مسيحى. وهل للمسيحيين ميثاق خاص مثلما لليهود ؟ وهل لهم الحق فى أن يعيشوا كمسيحيين ؟ لا . وبهذه الطريقة تكرر وتدعم الحكم والموقف الذى اتخذه نيرون فى الأصل من المسيحيين [٢٢] .

أما فى حكم **الامبراطور دوميتيان (٨١ -٩٦م)** فقد استمر فى اضطهاد اليهود جريا على عادة أخيه تيتوس فكان يجبى الضريبة على اليهود التى أسلفنا الحديث عنها بغاية الشدة والصرامة وأدين كثير ممن يمارسون طقوس اليهودية بعدم التدين والإلحاد بمعنى أنهم

كانوا يرفضون المشاركة فى تقديم الأضحيات والقرابين للإمبراطور. وقد لمس العامة هذه الاجراءات العقابية ولفتت أنظارهم بوضوح لأنه كان من ضحاياها شخصيتان بارزتان فى المجتمع الرومانى هما القنصل فلافيوس كليمنس الذى أعدم فى نفس عام قنصليته سنة ٩٥م فى أواخر عهد دوميتيان وزوجته فلافيا دوميتيلا قريبة الامبراطور التى نفيت وذلك لأنهما كانا متعاطفين مع اليهودية أكثر من كونهما يهودا بالمعنى الحرفى للكلمة كما يرى البعض [٢٣] ، أو أنهما كانا مسيحيين كما يستنتج البعض الآخر [٢٤] من التهم الموجهة اليهما من « الحاد » و « قعود الهمة الذى يتسم بالاحتقار الشديد (كما ذكر عنه سويتونيوس) . ولكن هنا يبقى التساؤل : هل موجة الاضطهاد التى قام بها دوميتيان كانت ضد اليهود أساسا استمرارا لما فعله أخوه تيتوس وعلى نفس النهج الذى رأيناه من أن اجتثاث جذور اليهودية سيؤدى حتما الى ذبول واندثار الجذع الذى تفرع عنها وهو المسيحية ؟ أم كان اضطهاده موجها ضد المسيحية أساسا وأنه - كما يذكر يوسيبيوس - « برز كخليفة لنيرون فى حملة العداء للرب وكان ثانى من يحرك الاضطهاد ضدنا (أي ضد المسيحيين) » [٢٥] ؟

الارجح أن وجهة النظر الأولى أكثر إقناعا حيث من الواضح أن دوميتيان تأثر بفكر تيتوس ورأى أن الاصل والفرع (اليهودية والمسيحية) على نفس القدر من الخطورة من حيث عدم مشاركتهما فى طقوس العبادات الرومانية وخصوصا عبادة الامبراطور والتهم التى كانت توجه لمن يمارس ضده الاضطهاد من إلحاد وعدم تدين والتوانى (عن ممارسة طقوس الديانة المألوفة) الممزوج بالاحتقار

الشديد (لهذه الطقوس) هى تهم تصدق فى الواقع على كل من اليهود والمسيحيين الذين يبدو أنهم وضعوا فى خندق واحد فى اضطهاد دوميتيان . ولذلك لايظهر بوضوح ما اذا كان القنصل الذى أعدم فلافيوس كليمنس وزوجته فلافيا دوميتيلا التى نفيت كانا من أنصار الديانة اليهودية أم من معتنقى الديانة المسيحية الجديدة .

هذا عن أهم الأحداث المرتبطة بالمسيحية خلال القرن الأول الميلادى كما تظهر فى المصادر التاريخية بالنسبة لروما عاصمة الامبراطورية أما عن **المسيحية فى مصر** فى خلال ذلك القرن فلا تكاد تصلنا معلومات ذات قيمة من المصادر التاريخية على الرغم من قرب مصر الجغرافى من فلسطين وعلى الرغم من هروب العائلة المقدسة من فلسطين الى مصر خوفا من بطش الملك هيرود الذى أخبرته نبوءة بمولد المسيح فى بيت لحم فأمر بقتل كل الأطفال الذين ولدوا هناك قبل عامين (٢٦) . ومع ذلك فهناك اشارات ضمنية فى بعض المصادر وبعض المعلومات غير المؤكدة من مصادر متأخرة لم ترد فى المصادر المبكرة التى كتبها علماء اللاهوت المسيحى بالاسكندرية ، فمثلا أورد **يوسيبيوس** أسقف قيصرية من القرن الرابع الميلادى أن **القديس مرقص** كان أول من أقام كنيسة الإسكندرية فى مصر وصارت هذه الرواية من بعده تقليدا سار عليه كل من كتب عن المسيحية من بعده. ولكن صيغة هذه الرواية كما وردت عنديوسيبيوس ضعيفة إذ يقول « يقولون أن مرقص هذا كان أول من أرسل إلى مصر ليبشر بالإنجيل الذى شارك بنفسه فى كتابته وكان أول من أقام كنائس فى الإسكندرية ذاتها (٢٧) ولم يذكر يوسيبيوس مصدره فى هذه المعلومة رغم أنه اعتاد فى أجزاء كثيرة من

مؤلفه « التاريخ الكنسى » أن يحدد مصادره بل ويقتبس منها فقرات كاملة ، ولكنه فى هذه الحالة اكتفى بضمير الغائب فى « يقولون φασιν» وتركه دون تحديد ، بالإضافة إلى ذلك فإن علماء اللاهوت المسيحى من الإسكندرية ذاتها من أواخر القرن الثانى حتى منتصف القرن الثالث الميلادى سانت كليمنت وأوريجين لم يوردوا هذه المعلومة عن القديس مرقص مما يزيد من غموضها [٢٨] .

ومن الوثائق المشهورة فى مصر فى القرن الأول الميلادى خطاب الإمبراطور كلوديوس إلى الإسكندرين بمناسبة النزاعات الحامية بين الإسكندريين واليهود فى المدينة فى تلك الفترة ، ويذكر فى إحدى فقرات هذا الخطاب موجهاً كلامه لليهود « وألا يستقدموا أو يدعوا يهوداً ممن يبحرون جنوباً من سوريا إلى مصر وبذلك يضطروننى إلى أن أنظر للموضوع بقدر كبير من الريبة ، وإلا فإننى سأنتقم منهم بكل السبل لأنهم ينشرون وباءاً عاماً فى العالم بأسره» . [٢٩] وقد فسر بعض العلماء هذه الفقرة على أنها إشارة للرسل المسيحيين الذين كانوا يأتون إلى مصر من أنطاكية فيتسببون فى قلاقل واضطرابات فى الجالية اليهودية فى الإسكندرية كما يتضح من كلمة « وباء » νοσος التى استخدامها الإمبراطور (٣٠) . ولكن رغم ضآلة المعلومات عن المسيحية فى مصر فى هذه الفترة فمما لاشك فيه أن الإنجيل لابد أن يكون قد وصل إلى الإسكندرية قبل أواخر القرن الأول الميلادى حيث كانت الإسكندرية أعظم ميناء فى شرق البحر المتوسط وكانت مدينة عالمية يبحر إليها الناس من كل حدب وصوب ولاسيما من سوريا واسيا الصغرى واليونان . ويتضح

من خطاب كلوديوس وغيره من الوثائق البردية أن اليهود السوريين (سوريا هنا تشمل سوريا الكبرى التى تضم كذلك الساحل الفينيقى وفلسطين) كانوا يتدفقون على مصر وأن يهود الإسكندرية كانوا يذهبون فى أحيان كثيرة إلى أورشليم . ولابد أنه كان هناك مسيحيون بين هؤلاء وأنهم سعوا إلى نشر الإنجيل بالإسكندرية [٣١] .

نعود الآن مرة أخرى للحديث عن **وضع المسيحية فى العالم الرومانى فى القرن الثانى الميلادى كما تظهر فى المصادر التاريخية**. وأول ما يتبادر للذهن فى هذا الصدد خطاب معروف من الكاتب **بلينى الأصغر** (٦١ - ١١٤ م) صاحب مجموعة من الرسائل الأدبية جمعت فى عشرة كتب ، وهذا الخطاب موضوع دراستنا موجه من بيلنى الأصغر إلى الإمبراطور تراجان (٩٨ - ١١٧ م) عن المسيحية وانتشارها فى بيثينيا فى اسيا الصغرى . ففى عام ١١٠ م. استبد القلق الشديد بتراجان بشأن الأوضاع المالية لمدن بيثنيا فبعث بصديقه بلينى الأصغر فى مهمة خاصة ليكون حاكما على بيثنيا . وكان بلينى محامياً ورجلا مثقفاً ومتفتحاً وذا شخصية لطيفة ، ولما تولى حكم بيثنيا وجد فى انتظاره بعض الصعوبات الخطيرة فى حكم بيثنيا وكان يستشير الإمبراطور تراجان بشأنها ، وكان من بين هذه الموضوعات التى استشار فيها الإمبراطور قضية المسيحيين . فلنرى ماذا ذكر بلينى للإمبراطور فى هذا الشأن وكيف رد عليه .

« إن من مبدأى ياسيدى أن أحيل إليك كل النقاط التى يساورنى الشك بشأنها ومن أفضل منك يمكن أن يرشدنى إذا ترددت

أو يعيننى على جهالتى ؟ لم يسبق لى مطلقاً أن حضرت محاكمات المسيحيين ولذلك فلا أعلم ماهو العقاب والاستجواب فى العادة وما المدى الذى يمكن أن ينساق إليه . وعلى ذلك فقد خامرنى قدر كبير من عدم الثقة فى نقاط عديدة : هل ينبغى أن يكون هناك تمييز على أساس السن أم يعامل الشباب الصغار بطريقة لا تختلف عن معاملة من هم فى سن الرشد والنضج ؟ هل يصفح عن التائبين النادمين أم أن الشخص الذى اعتنق المسيحية فى وقت من الأوقات لن يفيده شيئاً إن هو أقلع عنها ؟ هل يعاقب الشخص إن هو أقر باسمه (المقصود اعترف بكونه مسيحياً) وإن كان لم يرتكب جرائم خطيرة أم يتم العقاب عن الجرائم التى تقترن بالاسم ؟ وفى انتظار نصيحتك فإننى قد اتبعت الآتى مع أولئك الذين مثلوا أمامى كمسيحيين : سألتهم شخصياً إن كانوا مسيحيين ، فاذا ما اعترفوا وأقروا بذلك كنت أكرر سؤالى مرتين وثلاثة فإن أصروا على اعترافهم كنت آمر بإعدامهم . ولم يكن يساورنى أدنى شك فى أنه أيا كانت طبيعة هذا الاعتراف فإن إصرارهم وعنادهم الجامح كان يستحق أقصى عقوبة . كما كان هناك آخرون ممن ابتلوا بهذا البلاء . ولكن نظراً لكونهم مواطنين رومان كنت أضيف إلى حالتهم ملحوظة تفيد بضرورة إرسالهم إلى روما . وبعد ذلك فعند عقد محاكمات لأمثال هذه القضايا وتوزع الاتهامات كنت أواجه أنماطاً عديدة من السلوك : فكانت تعلق على الملأ وثيقة غير ممهورة باسم وكانت تضم العديد من الأسماء ، فكنت أرى أن من الملائم إطلاق سراح من يصرحون منهم بأنهم لم يكونوا ولم يسبق لهم مطلقاً أن

كانوا مسيحيين وذلك بعد أن يتضرعوا للآلهة – وفقاً لما أتلوه عليهم – ويصلوا بالنبيذ أمام تمثالكم الذى أمرت بإحضاره مع التماثيل المقدسة ، وبعد أن يكونوا فوق هذا كله – قد لعنوا المسيح – وهى كلها أفعال يقال أنه من غير الممكن إجبار من يؤمنون بالمسيح حقيقة على الإتيان بها . وهناك آخرون من بين من سماهم المبلغ فى وثيقة كانوا يصرحون فى بادىء الأمر أنهم كانوا مسيحيين ولكنهم أنكروا ذلك لاحقاً أى أنهم كانوا مسيحيين فى وقت من الأوقات ولكنهم أقلعوا عن ذلك منذ سنوات عديدة مضت ، وهؤلاء قلة لا تتجاوز خمسة وعشرين شخصاً . وهؤلاء جميعاً تعبدوا لتمثالك وتماثيل الآلهة ولعنوا المسيح . ولكنهم ظلوا يؤكدون لى أن كل ذنبهم وجريرتهم هو أنهم كانوا قد اعتادوا على أن يجتمعوا فى يوم محدد قبل الفجر وأن يغنوا أنشودة للمسيح كإله وأن يأخذوا على أنفسهم عهداً مشفوعاً بقسم على ألا يقترفوا جريمة أو سرقة أو لصوصية أو زنا وألا ينكصوا عن إيمانهم وألا ينكروا وديعة أؤتمنوا عليها عند طلبها ، وبعد ذلك كانوا يفرقون مرة أخرى لتناول طعام وهو طعام عادى وبرىء تماماً . وقد كفوا وأقلعوا حتى عن فعل ذلك بعد أن أصدرت مرسومى الذى حظرت فيه التجمعات حسب تعليماتكم . كل ذلك جعلنى أشعر بأنه من الضرورى أن أتثبت من الحقيقة من فتاتين من الخدم كانوا يطلقون عليهما شمامسة – واستخدمت فى ذلك التعذيب ، وكان كل ما استطعت التوصل إليه هو خرافات شريرة ومتطرفة ، لذلك فقد أجلت المحاكمة ولجأت إلى طلب النصح منك . والسبب الأساسى الذى جعلنى أعتقد أنه من الملائم أن

أستشيرك هو عدد الأفراد الذين يتهددهم الخطر : فهناك الكثيرون من كافة الأعمار والمستويات من كلا الجنسين يدخلون فى دائرة الخطر وسوف يدخل غيرهم . إن آفة هذه الخرافة لم تقتصر على مدن وقرى وإنما امتدت حتى إلى الريف ، ولكن فى تقديرى فإنه بالإمكان السيطرة عليها وعلاجها . ولدى إحصاءات مؤكدة تظهر بالفعل أن المعابد التى طالما ظلت مهجورة بدأت تغص بروادها من جديد ، وأن المواكب والاحتفالات الدينية التى تقطعت طويلا عادت من جديد ، وأنه أصبح هناك مرة أخرى سوق للحوم الأضحيات التى لم يكن يعثر على مشترى لها إلا بالكاد حتى وقت قريب . كل ذلك المجال يجعلنى أدرك كم من الناس يمكن إصلاح شأنهم إذا ما أفسح المجال للتوبة والندم » [٣٢] .

ورد الإمبراطور تراجان عليه قائلا :

« عزيزى سيكوندوس : لقد انتهجت الطريق الصحيح والسلوك القويم فى بحثك وتقصيك فى الحالات التى مثلت أمامك كمسيحيين ، فى الحقيقة ليس من الممكن إصدار قواعد عامة يمكن أن تكون أشبه بصيغة محددة وقاطعة : إذ لا ينبغى تعقبهم ، ولكن إذا اتهموا وثبتت إدانتهم فلابد من عقابهم بشرط وحيد وهو أنهم إذا أنكر شخص ما أنه مسيحى وثبت ذلك بالفعل أى بالصلاة لآلهتنا فلابد من الصفح عنه من خلال توبته أياً كانت درجة الشك فى ماضيه . ولا يجب إبراز وثائق غير ممهورة بتوقيع فى أى تهمة ، إن ذلك سيكون سابقة مزدولة لا أسمح بها فى عصرى » [٣٣] .

وخطاب بلينى طريف وغنى بالمعلومات ويرصد ظواهر هامة فى

تطور انتشار المسيحية : إذ يذكر بلينى للإمبراطور أنه « لم يسبق له حضور محاكمات المسيحيين » . هذه العبارة توحى بأن محاكمات المسيحيين كانت أمراً مألوفاً فى تلك الفترة من حكم تراجان مما يوحى بأن الظاهرة استفحلت وانتشرت وأصبحت تهدد الديانة الوثنية الرسمية بصورة جادة لايمكن معها غض الطرف عنها . والأكثر والأهم من ذلك أن المسيحية فى هذا الخطاب من أوائل القرن الثانى أصبحت واضحة تماماً كديانة ولا لبس أو غموض بينها وبين اليهودية كما كان الأمر من قبل وأصبح الاضطهاد مركزاً عليها والمحاكمات تعقد لأتباعها . كما يتضح من الخطاب أن أشخاصاً من كافة الأعمار والطبقات ومن الجنسين قد اعتنقوا الديانة الجديدة ، بل وأشخاص من المواطنين الرومان فى بيثنيا وليس فقط من أهل الولاية دخلوا فى المسيحية . ومن النقاط التى يثيرها الخطاب أيضاً كثرة أعداد من اعتنقوا الديانة الجديدة وانتشارهم فى المدن وقرى الريف وإصرارهم على ألا ينكروا دينهم حتى تحت ظروف الضغط والإرهاب من الإدارة الرومانية وكان هذا الإصرار من جانبهم يثير حنق رجال الحكم الرومانى – حتى المستنيرين منهم والمتفتحين من أمثال بلينى وتراجان – ويجعلهم يحكمون عليهم بالإعدام . ورغم ذلك كانت هناك « قلة » ممن اعتنقوا المسيحية ترضخ أمام هذا الاضطهاد وتتراجع – حتى ولو كان تراجعاً ظاهرياً بغرض التقية – وتمارس ما يطلب منها من طقوس وثنية وتسب المسيح أمام رجال الإدارة . ويبدو أن هذا الاضطهاد للمسيحية كان فرصة لتصفية بعض الحسابات والثأرات الشخصية بين بعض الأفراد فظهرت وثائق غير

ممهورة بتوقيع – أى من مجهولين – تتهم البعض باعتناق لمسيحية حتى يتعرض لمسائلة الإدارة واضطهادها ، وهو الأمر الذى استنكره الإمبراطور فى رده على بلينى ولم يسمح بهذه البلاغات المجهولة التى أسماها « سابقة مرذولة » فى عصره . ولكن بلينى فى نقله لما دار بينه وبين بعض من سبق لهم اعتناق المسيحية وأثناهم بلينى عنه يروج – دون أن يدرى – للمسيحية إذ لم يرتكب هؤلاء من ذنب أو جريرة سوى أنهم أقسموا على أن يلتزموا بالفضائل – إن كانت الفضيلة ذنباً أو جريرة – فهم يتعهدون بألا يقترفوا جريمة من قتل أو سرقة أو زنا وأن يحفظوا عهدهم ولا يحنثوا بأيمانهم . وفى محاولة من بلينى لإظهار مدى جهده الناجح فى تطويق ظاهرة المد المسيحى والتهوين من شأنه نجده يعترف بمدى تأثير انتشار المسيحية على الطقوس الوثنية وعبادتها فى بيثنيا حين يقول بأن المعابد (الوثنية) قد ظلت مهجورة فترة طويلة وأن الاحتفالات (الوثنية) كانت متقطعة وأن لحوم الأضحيات لم تكن تجد من يشتريها ، كل هذا يعنى أن المسيحية صارت منافساً قوياً للعبادات الوثنية . وإذا كان بلينى يذكر أن هذه الظواهر قد ضعفت – بعد إجراءاته فى مقاومة المسيحية – إلا أن هذا الإضعاف للمسيحية وإحياء الوثنية كان أمراً موقتاً وربما كان سطحياً وظاهرياً فقط كنتيجة لحملة المواجهة أمام المسيحية . ورغم هذا كله فإن رد الإمبرطور على بلينى يحمل فى طياته بوادر المهادنة والتسامح وغض الطرف عن انتشار المسيحية : فهو لا يسمح بتعقب المسيحية ولا يقبل البلاغات المجهولة ويغض الطرف عن ماضى الشخص حتى وإن سبق اعتناقه للمسيحية طالما أنكر هذه

التهمة وصلى للآلهة الوثنية (حتى ولو كان ذلك ظاهرياً فقط) ، وهو فى ذلك يؤمّن على اقتراح بلينى فى نهاية خطابه إليه .

وقد ظل هذا المبدأ الذى أرساه تراجان فى التعامل مع المسيحيين سارياً لفترة طويلة حتى حوالى منتصف القرن الثالث الميلادى وهو ألا تسعى الحكومة الرومانية إلى إثارة وإشعال نار الاضطهاد ، مع اعتبار اعتناق المسيحية خروجاً على القانون . ومع ذلك كان الاضطهاد يحدث خلال هذه الفترة بشكل متقطع وبصورة عارضة إلى حد ما وكان يعتمد فى حدوثه على أهواء العامة والغوغاء أو رغبة حكام الولايات فى نيل الحظوة لدى الأباطرة والتقرب إليهم من خلال إعمال الاضطهاد ضد المسيحيين . ولكن أحداث الاضطهاد كانت عارضة كما ذكرنا لأن أباطرة القرن الثانى كانوا فى معظمهم رجالا ذوى شخصية سامية ولديهم حس قوى بالمسئولية الإمبراطورية .

وتأكيداً لهذا النهج والمسئولية نجد أن مثلا أن الإمبراطور هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) يحذو حذو سلفه تراجان فى التعامل مع المسيحيين حين يسأله حاكمه على ولاية اسيا سيرنييوس جارانيانوس فى أوائل حكم هادريان عن محاكمات المسيحيين – كما فعل بلينى مع الإمبراطور تراجان من قبل – وحين رد هادريان كان ذلك فى عهد الحاكم التالى للولاية وهو مينوكيوس فوندانوس فخاطبه الإمبراطور هادريان قائلا :

« إلى مينوكيوس فوندانوس ، تلقيت خطاباً كتبه لى سيرينيوس جرانيا نوس وهو رجل فذ الذكاء خلفته أنت فى المنصب ، إننى أرى

أن الأمر لا ينبغى أن يظل بغير تحقيق حتى لا نثير قلق وانزعاج الناس وحتى لا نزود الوشاة والمبلغين بمادة لأنشطتهم الحاقدة . وإذا كان سكان الولايات يركنون بوضوح على التماسهم ضد المسيحين حتى يثيروا الأمر أمام محكمتك فتوجههم إلى هذا (الإجراء القضائى) وليس إلى الطلبات والصيحات الغاضبة وحدها : فمن الأنسب إلى أبعد حد أن تفصل أنت فى الاتهامات إذا ما رغب أى شخص فى توجيه اتهام . وحينئذ إذا قام أى شخص بالفعل بتوجيه اتهام وأظهر أنهم يتصرفون تصرفات منافية للقانون فعليك أن تتخذ قرارك بدون ضجيج طبقاً لمدى فداحة (جسامة) الجرم . ولكن عليك - بحق الآلهة - إذا أثار أى شخص الأمر من أجل الابتزاز أن تتخذ القرار الملائم لهذا العمل القاسى وأن تستوثق من أنك تطبق الجزاء والقصاص العادل » [٣٤] .

ومن القرائن التى تنسب كذلك للإمبراطور **هادريان** ويذكر فيها المسيحيون خطاب فى سلسلة « **تاريخ الأباطرة** » ينسب إلى الإمبراطور هادريان موجه لشخص من أصدقائه ربما - يدعى سيفيروس - يبدو أنه امتدح للإمبراطور كثيراً مصر وأبدى إعجابه بها ولكن الإمبراطور يختلف معه فى الرأى ويبدى فى هذا الخطاب انتقاداته للإسكندرية عاصمة مصر وأهلها ويذكر ما يلى :

« إن عبدة سرابيس هناك (فى الإسكندرية) من المسيحيين ومن يطلق عليهم أساقفة المسيحيين يعبدون سرابيس . وليس هناك مشرف واحد على صومعة يهودية كما لا يوجد سامرى واحد أو كاهن مسيحى لا يعمل منجماً أو مشعوذاً والناس فى غاية العناد

ويتسمون بالغرور والاستعلاء . أما المدينة فهى غنية ثرية مرفهة : البعض فيها يعملون فى نفخ الزجاج والبعض يصنعون الورق وآخرون ينسجون ويغزلون الكتان ، ولكل امرىء فيها حرفته التى يشغل بها . وحتى المرضى منهم بداء النقرس والخصيان والعميان يزاولون حرفاً ، وحتى العجزة المصابون بالشلل لا يعدمون عملا ، إن لهم رباً واحداً اسمه المال وهو المعبود الذى يتعبد له فى الحقيقة الكل من مسيحيين ويهود ووثنيين على حد سواء » (٣٥) .

ما يعيننا من هذا الخطاب – إن صحت نسبته للإمبراطور هادريان – هو فى حديثه عن المسيحيين ، وهو حديث فيه قدر من الغرابة والدهشة حين يذكر أن المسيحيين يتعبدون للإله سرابيس (وهو الإله الذى أدخله بطلميوس الأول « سوتير » أول ملوك البطالمة فى مصر كمعبود رسمى للدولة البطلمية واستمرت عبادته حتى وقت متأخر من العصر الرومانى) واتهامهم بالتنجيم والشعوذة وحب المال والولع به . ورغم أن هذه الأمور التى يتحدث عنها الخطاب – باستثناء عبادة سرابيس – لم تكن قاصرة على المسيحيين وإنما شملت اليهود أيضاً ، إلا أن الأمر مع أتباع الديانة الجديدة التى كانت تنتشر فى الخفاء وتتعرض لاضطهادات من حين لآخر كما رأينا يحتاج إلى وقفة ومحاولة للفهم . هل كان مسيحيو الإسكندرية يعبدون سرابيس فعلا وهل رأى هادريان ذلك عند زيارته لمصر فى السنة الخامسة عشرة من حكمه ؟ وهل لو صح ذلك أن يكون قد علم بوجود مسيحيين وتساهل معهم أم أنهم أرادوا أن يضللوا الإمبراطور عن هويتهم الحقيقية كمسيحيين فتعبدوا لإله وثنى هو

سرابيس ؟ أم أن الأمر غير ذلك وأن حديث الإمبراطور عن المسيحيين فى خطابه مستقى من تقارير واردة إليه من موظفيه بالإسكندرية ؟ وهل لو كان الأمر كذلك يكون ما فعله المسيحيون تضليلا للسلطات التى كانت تضعهم تحت المراقبة أو أن ذلك حقيقى وأنه نتيجة للديانات والفلسفات المتعددة الموجودة فى الإسكندرية واتصالها ببعضها البعض وتأثيرها على بعضها البعض مما جعل المسيحية تتأثر ببعض هذه العبادات كعبادة سرابيس مثلا كما يرى البعض (٣٦) ؟

عموماً فإن كل هذه الاحتمالات واردة وليس هناك شواهد أو قرائن ترجح أيا من هذا الاحتمالات .

على هذا المنوال تسير أحداث القرن الثانى الميلادى مع المسيحية بين هذا التسامح وعدم السعى إلى إثارة وإشعال نار الاضطهاد ضد المسيحية مع اضطهاد متقطع من حين لآخر كلما حدثت كوارث فى الإمبراطورية يعتقد العامة معها أن المسيحيين هم سبب البلاء ، أى بعبارة أخرى أنه رغم التسامح النسبى مع المسيحين فى القرن الثانى الميلادى إلا الأمر لم يكن ليخلو من بعض «حوادث» الاضطهاد من وقت لآخر . ولعل فى خطاب **الفيلسوف جستين** (٣٧) الذى كان يعيش فى روما فى عصر أنطونينوس بيوس (١٣٨ - ١٦١) والذى كان مسيحياً ما يلقى الضوء على الكراهية التى كان المسيحية يتعرضون لها من طوائف الشعب رغم تسامح الحكومة وغضها الطرف عنهم ، إذ يخاطب الإمبراطور قائلا : «نيابة عن أولئك الناس من كافة الأجناس الذين يتعرضون بلا مبرر للكراهية واللعنات، وأنا جستين بن بريسكوس بن باخيوس من فلافيا

التابعة لنابلس في سوريا الفلسطينية واحد من هؤلاء (المسيحيين) أخاطبك وأرفع لك أكف الضراعة والالتماس »[٣٨] . هذه هي مقدمة دفاع جستين عن المسيحيين إلى الإمبراطور أنطونينوس بيوس، وتعليقاً على هذه الفقرة من جستين يذكر يوسيبيوس أن نفس هذا الإمبراطور كان قد تلقى التماسات أخرى من إخوة (يقصد مسيحيين) من آسيا تعرضوا لكل أنواع الإهانة والأذى من جانب السكان المحليين . هذا الأمر جعل الإمبراطور يرسل مرسوماً إلى مجمع آسيا ، وهو أحد مجالس الولايات التابعة للإمبراطور وكان يتألف من مندوبين عن المناطق والولايات المختلفة وكان من بين مسئولياته الأمور الدينية في الولايات[٣٩] . وخلاصة هذا المرسوم حسبما أورده يوسيبيوس أنه وصلته تقارير كثيرة عن المسيحيين كما وصلت لأبيه هادريان من قبله ، وأن رده عليها يتفق مع رأى أبيه الذى سبق أن أصدره فى مرسوم - ذكرناه من قبل - وفحوى المرسوم الجديد « ألا يتدخل أحد فى شئونهم إلا فى حالة ثبوت تآمرهم ضد الحكومة الرومانية وأن من يصر بعد ذلك على أن يتخذ إجراء ضد أى من هؤلاء الأشخاص على أساس أنه كذلك (مسيحى) فيطلق سراح المتهم حتى لو ظهر أنه كذلك (أى أنه مسيحى) ويتعرض من وجه له الاتهام للعقاب[٤٠] » . وقد نشر هذا المرسوم الإمبراطورى فى إيفسوس حيث عقد مجمع أو مجلس آسيا .

هذه الشواهد - إن صحت - تبرز أمرين : أولهما أن انتشار المسيحية كان نشيطاً فى آسيا وهو أمر سبق أن تأكد لنا من مصادر

غير مسيحية مثل مراسلات بلينى الأصغر والإمبراطور تراجان ، وأن القلق من الانتشار السريع للمسيحية كان يساور حكام هذه المناطق من الرومان مما جعلهم يرسلون بمخاوفهم هذه للأباطرة بعد تراجان وهم هادريان وأنطونينوس بيوس كما رأينا فى الفقرة السابقة . بل أن هذا القلق والضيق من انتشار المسيحية كان يستبد بعامة الناس من الوثنيين وهو ما ظهر فى صورة مضايقات وكراهية للمسيحيين تردد صداها فى شكوى المسحيين للإمبراطور من أنواع الإهانة والأذى التى يلقونها على أيدى مواطنيهم . الأمر الثانى وهو هذا التسامح وغض الطرف المطلق عن انتشار المسيحية من جانب الأباطرة طالما لم يفكر المسيحيون فى التآمر على الإمبراطورية . وما أورده يوسيبيوس على لسان أنطونينوس بيوس من تعرض من يضايقون المسيحيين للعقاب وتبرئه المسيحيين من الاتهام حتى لو ثبت فعلا أنهم مسيحييون يثبت أن التسامح مع المسيحيين قد خطا فى عهد أنطونينوس بيوس خطوة واسعة إلى الأمام حيث لم تعد المسيحية تهمة يعاقب عليها وإنما العقاب لمن يتآمر على الحكومة الرومانية ، وهى فى الواقع تهمة يتعرض لها المسيحى وغير المسيحى على حد سواء . إذن فخطاب أنطونينوس بيوس – إن صحت رواية يوسيبيوس له – يعد اعترافا ضمنياً بالمسيحية يكاد يرقى إلى مرتبة الاعتراف الصريح بها كإحدى ديانات الدولة الرومانية .

رغم ذلك الجو من التسامح من الناحية الرسمية فإن القلق الذى استبد بالوثنيين من انتشار المسيحية فى عهد أنطونينوس بيوس أسفر عن اضطهاد وقتل المفكرين المسيحيين البارزين فى ذلك

الحين حين ألقى القبض فى سميرنا (أزمير الحالية) على ساحل آسيا الصغرى على المعلم ورجل الدين المسيحى بوليكارب وتعرض لقدر كبير من الترغيب والترهيب والتعذيب على يد البروقنصل الرومانى الذى تولى مساءلته لكى يثنيه عن مسيحيته . ولكن بوليكارب تصدى بشجاعة فائقة لكل هذه المحاولات مما جعل الحاكم الرومانى يصدر قراره بإحراقه حياً رغم شيخوخته ووسط هتاف وصياح وتهليل الوثنيين واليهود فى سميرنا مصفقين لإعدامه لأن « هذا هو معلم (المسيحية) فى آسيا وأبو المسيحيين ومدمر آلهتنا وهو الذى الذى يعلم الناس أن يمتنعوا عن تقديم الأضحيات والعبادة (للآلهة الوثنية) » . إن يوسيبيوس يظهر فى هذه الفقرة عن استشهاد بوليكارب [٤١] أن يهود سميرنا كانوا فى غاية الحماس لقتل بوليكارب كما هو دأب اليهود دوماً فى مثل هذه المواقف ، مما يدل على استمرار كراهية اليهود للمسيحية والكيد لها كما كادوا وتآمروا على المسيح منذ البداية . كما تعرض الفيلسوف والمفكر المسيحى جستين الذى كان يعيش فى روما للاضطهاد والاستشهاد نتيجة مؤامرة فيلسوف معاصر له فى روما يدعى كريسكنس كان أقل شأناً فى علمه وحكمته من جستين وكان جستين قد هاجمه من قبل مما أوغر صدر كريسكينس عليه وجعله يكيد له ويدبر مؤامرة انتهت باستشهاد جستين فى روما فى عهد أنطونينوس بيوس [٤٢] .

ويبدو أن الإمبراطور الفيلسوف **ماركوس أوريليوس** (١٦١ – ١٨٠م) وكذلك لوكيوس فيروس (١٦١ – ١٦٩) ابنى أنطونينوس بيوس بالتبنى قد احتذيا حذوه فى التعامل مع المسيحية والمسيحيين .

وفى هذا الصدد يذكر ترتليان « إن ماركوس أوزيليوس فى الواقع لم يسقط العقوبة عن المسيحيين صراحة ولكنه تخلص منها بطريقة أخرى ألا وهى إلحاق الإدانة بمن يتهمونهم بل وبطريقة أكثر قسوة (٤٣) » ، وهى نفس طريقة أبيه بالتبنى أنطونينوس بيوس كما رأينا . ويدين ترتليان فى بقية الفقرة القوانين التى كانت تطبق ضد المسيحيين ويصم من يقومون على تطبيقها بالإلحاد والظلم والفساد والقسوة والغرور والجنون ويعدد الأباطرة الذين أحجموا عن تطبيقها مثل تراجان الذى أحبط هذه القوانين وحظر تعقب المسيحيين ، وهادريان رغم أنه كان يسعى بحثاً عن كل ماهو غريب ، وفسبسيان رغم أنه شن حرباً على اليهود ، وأنطونينوس بيوس وفيروس .

من كل ما سبق ندرك أن الإدارة الرومانية أو بمعنى أصح من كانوا يتبوأون مكان الصدارة منها وهم أباطرة الرومان لم يتخذوا موقفاً متشدداً من المسيحية فى القرن الثانى بل غضوا الطرف عن أتباعها طالما لم يصدر عنهم ما يهدد الحكومة الرومانية . وكان لهذا الموقف الرسمى المتسامح أثره فى سرعة انتشار المسيحية فى أرجاء الإمبراطورية رغم ما كان يعترضها أحيانا من حوادث اضطهاد لأتباعها على أيدى الجماهير الوثنية المتعصبة التى كانت تخشى من هذا المد . **ولكن الأمر الأهم أن محاولات مضايقة واضطهاد المسيحيين لم تصدر فقط عن العامة والدهماء وإنما كذلك عن مثقفين ورجال فكر من الوثنيين** حاولوا التقليل من قيمة المسيحية كديانة ومذهب فكرى وبحثوا فيها عن الثغرات ونقاط الضعف حتى يسددوا إليها سهامهم محاولين الإجهاز عليها . وفى المقابل تولى

مفكرون مسيحيون الرد على هذه المطاعن التى اثارها خصوم المسيحية . وسنكتفى فى هذا المقام بذكر أمثلة محددة من هذا الجدل الدائر على الجانبين لأنه جدل واسع لا يتسع له هذا البحث لأنه - فى كثير من نقاطه - جدل لاهوتى ليس هذا مجال الخوض فيه ولا يدعى الباحث معرفة به .

سبق أن ذكرنا فى مجال الحديث عن أسباب الاضطهاد للمسيحية من جانب الرومان أنه كان من بين هذه الأسباب تهم تتعلق بممارسات أخلاقية متدنية تجافى الأعراف السائدة فى ذلك الحين مثل أكل لحوم البشر والزنا بالأقارب والقتل . ويبدو أن الكتاب الوثنيين المناوئين للمسيحية روجوا لهذه الإتهامات بغية تنفير الناس من اعتناق المسيحية .

والكتابات التى لدينا فى مهاجمة المسيحية على أيدى الكتاب الوثنيين وردود الكتاب المسيحيين عليها تكثر فى القرن الثانى الميلادى ولاسيما فى النصف الآخير من ذلك القرن . وربما يكون تفسير ذلك أن هذا القرن اتسم بالتسامح والتساهل من جانب أباطرة الأسرة الأنطونينيية (وخصوصاً من تراجان حتى كومودوس أى من أوائل ذلك القرن كما رأينا فى مراسلات بلينى الأصغر مع الإمبراطور تراجان حتى نهاية عصر كومودوس سنة ١٩٢م) . هذا التسامح ربما كان دافعاً للفريقين (الوثنين والمسيحيين) للكتابة تأييداً ودعماً لمعتقدات كل منهما : فيبدو أن الوثنيين لم يرحبوا كثيراً بهذا التساهل إزاء المسيحية والمسيحيين من جانب الإدارة الإمبراطورية لأن التشدد ضد المسيحيين من قبل كان يعفى الوثنيين من الجماهير

والمفكرين من عبء مواجهة المسيحية والتصدى لها ، أما والوضع كذلك والتسامح ظاهر مع المسيحية فإنها استشرت وانتشرت فى أرجاء كثيرة وأصبحت تمثل خطراً حقيقياً ليس على الفكر الوثنى فحسب بل وعلى الوجود الوثنى ذاته ولم يعد هناك بد من أن يشهر المفكرون والكتاب الوثنيون أقلامهم طعناً فى المسيحية وذماً فى المسيحيين . وعلى الجانب الآخر فإن مفكرى المسيحية استفادوا من مناخ التسامح السائد فى القرن الثانى وكتبوا كتابات مضادة رداً على الوثنيين وتسفيهاً لمزاعمهم ، بل وتجاوز الكتاب المسيحيون مرحلة الدفاع وانتقلوا من خندق الدفاع إلى مرحلة الهجوم على الوثنية وتقويض أركانها .

وقبل أن ندخل فى هذه الهجمات المتبادلة بين الوثنيين والمسيحيين من الناحية الفكرية نذكر بإيجاز رأى بعض مثقفى الرومان من أوائل القرن الثانى فى المسيحية . ينظر المؤرخ تاكيتوس والأديب والسياسى الرومانى بلينى الأصغر – وهما من أوائل من انتبهوا لظاهرة المسيحية كما سبق أن رأينا – إلى المسيحية نظرة ازدراء واستهجان باعتبارها « خرافة مهلكة exitiabilis superstitio » و «parva et immodica superstitio خرافة تافهة ومتطرفة » و «عناداً جامحاً inflexibilis obstinatio » بمعنى أن المسيحيين كانوا جماعة من المتعصبين للخرافات ممن استسلموا للحماس الزائد المتهور. ويصفهم تاكيتوس بأنهم كانوا يكرهون البشرية وينعتهم كريسكنس – وهو فيلسوف كلبى من منتصف القرن الثانى الميلادى – بأنهم كفرة وملحدين ! ولكن كل هذه النعوت والأوصاف كانت

تمثل انطباعات عارضة وشائعات تعكس نفـور الرومان من كل ماهو جديد [٤٤] ولم يسبق تجربته دون أن توضح – إلا فى القليل النادر – نقاط الاعتراض على الديانة الجديدة .

أما بداية الهجوم على المسيحية فربما يبدأ مع **الخطيب لوكيان** الذى ولد فى ساموساطا (سيـميـسـاط فى سوريا) عـام ١٢٠ م . ويتمثل هذا الهـجوم على المسيحية من جانب لوكيان عندما يروى قصة حقيقية عن أحد الفلاسفة الكلبيين فى عصره ويدعى بروبتوس وأطلق عليه لوكيان تسـمية « الغريب » وأسـمى قصته التى حكاها عن « موت الغريب » أو عن **نهاية الغريب** περι της Περεγρι–νου τελευτης . وتتلخص قصة الغريب – كـما يرويها لوكيان – فى أنه كان فيلسوفاً كلبياً – أو بالأحرى دجالا – يسعى بهـمـة وحـمـاسـة وبكل السـبل وراء تحـقـيق الشـهـرة والذيوع وليس وراء الحقيقة . ويروى لوكيان كيف أن هذا الغريب كان فى مطلع شبابه داعراً وفاسقاً وأنه خنق أباه وتخلص منه لأنه لم يحتـمل بقـائه فوق سن الستين وحينمـا ذاع هذا الأمر حكم على نفـسه بالنفى وظل هائماً على وجهه من بلد لآخر . وفى أثناء طوافه وتجواله حدث أن اعتنق المسيحية لبعض الوقت حين مر بفلسطين وألقى فى السجن لبعض الوقت – ومسألة اعتناقه للمسيحية هى أهم ما يعنينا فى هذا المقـام – ثم أفرج عنه حاكـم سوريا الذى كـان مـغرماً بالفلسفـة . وحين عاد إلى مـوطنه فى بلدة باريوم (باريون باليونانية : وهى بلدة تقع على الدردنيل وأصـبحت مـوقعاً لمستوطنة رومـانيـة منذ عـصـر أغسطس Lucian, peregrinus, 14, note 2) وجد أن مـوضـوع

قتله لأبيه لايزال ساخناً وأن الكثيرين لايزالون يطالبون بمحاكمته .
وكانت معظم أملاكه قد صودرت أثناء غيابه ولم يتبق منها سوى مزارعه التى تبلغ قيمتها خمس عشرة تالنتا ، فما كان من بروپتوس (الغريب) إلا أنه تخلى عن أملاكه التى ورثها عن أبيه للدولة وأعلن ذلك أمام الجمعية العمومية فى باريوم فنال استحسان وإعجاب الناس هناك مما جعلهم يهتفون به على أنه الفيلسوف والوطنى الأوحد وجعلوا منه بطلا فى مدينته . ثم عاد للتجوال مرة أخرى وكان قد انتهك تقاليد المسيحية وأكل من الطعام ما حرم عليهم فلم يقبلوه فى دينهم مرة أخرى ، فعاد وحاول استرداد ثروته التى تنازل عنها لمدينته من قبل فلم يفلح فى ذلك . ثم ذهب إلى مصر حيث تعلم الزهد والتقشف واللامبالاه وكان يمارس الدجل والشعوذة ، ومنها ذهب إلى إيطاليا وأخذ يسب الجميع بمن فيهم وعلى رأسهم الإمبراطور أنطونينوس بيوس (١٣٨ - ١٦١) الذى عرف باعتداله ورقته فلم يأبه بشتائم هذا (الغريب) مما جعله يتمادى فى سبابه للإمبراطور مما دفع حاكم المدينة لطرده وقد زاد ذلك من شهرته بوصفه الفيلسوف الذى نفى بسبب صراحته الزائدة . ثم أخذ يذهب إلى أوليمبيا فى إقليم إيليس فى بلاد الإغريق لمشاهدة الاحتفالات والألعاب الأوليمبية التى كانت تعقد هناك كل أربع سنوات وكان يسب ويلعن أهل إيليس وكان ينصح الإغريق بحمل السلاح ضد الرومان ولكنه لم يفلح هذه المرة فى جذب انتباه الناس والتمتع بالشهرة . ولكى يبقى فى دائرة الضوء -كما يروى لوكيان - لجأ إلى وسيلة أخرى وهى أن أعلن للجماهير المحتشدة فى الأوليمبياد أنه

سيحرق نفسه الأوليمبياد القادم ونفذ ذلك بالفعل.فى الأوليمبياد التالى . وكان لوكيان شاهداً على ذلك وكتب قصته بعد انتحاره محترقاً بصفته إنساناً غريب الأطوار تقلب بين مذاهب ومعتقدات عديدة (٤٥) .

بعد هذا التعريف الموجز بقصة برويتوس أو « الغريب » كما يرويها لوكيان نأتى الآن لنتعرف على كيفية استغلال لوكيان للغريب وقصته فى إبداء وجهة نظره فى المسيحية ومعتنقيها من خلال اعتناق هذا الشخص الغريب الأطوار للمسيحية فى إحدى مراحل حياته ولندع لوكيان يروى لنا هذه المرحلة من حياة الغريب وكيفية تعامل المسيحيين معه :

« وفى ذلك الحين تعلم معارف المسيحين الغريبة من خلال اختلاطه بقساوستهم وكتبتهم فى فلسطين . ولكن ماذا فى ذلك ؟ ففى فترة وجيزة جعلهم يبدون كالأطفال وأصبح هو بمفرده عرافاً وزعيماً دينيا وعلى رأس صومعة وكل شيء ! وكان يشرح ويفسر بعضاً من كتبهم بل وألف كثيراً منها وكانت نظرتهم إليه كما لو كان إلهاً واستفادوا منه كمشرع وأنزلوه منزلة حاميهم بعد ذلك الذى لايزالون يعبـدونه وهو الرجل الذى صلب فى فلسطين لأنه أدخل هذه العقيدة الجديدة وقدمها للعالم (يقصد المسيح طبعاً) .

« وعند ذلك ألقى القبض على برويتوس لهذا السبب وأودع السجن وهو الأمر الذى أضفى عليه ذيوعاً كبيراً يضاف لحياته المستقبلية وللدجل والنصب والسعى وراء الشهرة الذى أغرم به . ولكن عندما سجن اعتبر المسيحيون الأمر كارثة ، وبذلوا كل ما فى

وسعهم من جهد من أجل الإفراج عنه . ولما كان الإفراج عنه أمراً مستحيلاً فقد أبدوا نحوه كل سبل العناية والاهتمام بصورة دؤوبة متحمسة لم تفتر للحظة . ومنذ مطلع الشمس ترى العجائز من الأرامل والأطفال اليتامى ينتظرون إلى جوار السجن فى حين كان من يشغلون الوظائف من بينهم يبيتون معه داخل السجن بعد رشوتهم لحراس السجن ، وكانت تجلب له الوجبات الفاخرة وكانت تتلى كتبهم المقدسة وكان هذا « الغريب » الرائع – إذ كان لايزال ينادى بذلك الاسم – يطلق عليه من جانبهم « سقراط الجديد » . بل لقد كان هناك أناس يأتون إليه من مدن آسيا أرسلهم المسيحيون هناك على نفقتهم الخاصة من أجل مؤازرة الرجل والدفاع عنه ورفع معنوياته . وإنهم يبدون سرعة منقطعة النظير حينما يحدث أمر من هذه الأمور العامة والاضطهادات إذ سرعان ما يجودون بكل مالديهم، وهكذا كان الموقف فى حالة الغريب إذ أتاه منهم مال كثير بسبب سجنه وكون منها دخلا لا بأس به » « لقد أقنع هؤلاء البائسون أنفسهم بأنهم سيخلدون ويعيشون إلى الأبد » (يقصد هنا المسيحين بطبيعة الحال) .

το μεν ολον αθανατοι εσεσθαι και βιωσεσθαι τον αει χρονον

ونتيجة لذلك فإنهم يحتقرون الموت بل وحتى يسلمون أنفسهم ليسجنوا طواعية فى معظمهم . والأكثر من ذلك فإن مشرعهم الأول (المسيح) أقنعهم بأنهم جميعاً أخوة لبعضهم البعض بعد أن نبذوا إلى الأبد آلهة الإغريق وبعد أن صاروا يعبدون ذلك السوفسطائى

. المصلوب ويعيشون فى ظل قوانينه . لذلك فإنهم يحتقرون كل شىء بلا تمييز ويعتبرون كل شىء مشاعاً ، وقد تلقوا مثل هذه التعاليم بصورة تقليدية ودون أى دليل محدد دقيق . ولذلك فإذا أتى إليهم نصاب محترف وأمكنه أن يستغل هذه الأمور لاكتسب ثروة كبيرة على الفور باستغلال هؤلاء البسطاء والاحتيال عليهم .

« ولكن أطلق سراح الغريب على يد حاكم سوريا فى ذلك الحين وهو رجل مغرم بالفلسفة والحكمة وأدرك مدى تهور (الغريب) واستعداده للموت فى سبيل أن يترك وراءه شهرة وسمعة فى هذا الصدد أطلق سراحه واعتبر أنه لا يستحق حتى العقوبة العادية [٤٦] » (وهى الجلد) .

من هنا نرى لوكيان يصور المسيحيين فى عصره على أنهم سذج بسطاء يستطيع شخص محتال أن يندس بين صفوفهم بل وأن يتبوأ مكانة كبيرة بينهم كما فعل هذا الغريب الذى فسر بعض كتبهم وألف الكثير منها كما يزعم لوكيان . إن لوكيان بذلك يهاجم المسيحية ويلمح من طرف خفى إلى أن عقيدتهم لم تكن قوية أو على أسس راسخة وأنهم تلقوا تعاليمهم تلك دون أى برهان دقيق -ανευ τινις ακριβους πιστεως τα τοιαυτα παρ- αδεξαμενοι . وأن أى محتال محترف يستطيع أن يتكسب من وراءهم ويثرى بالاحتيال والنصب عليهم مستغلا حماسهم لديانتهم . وتعد هذه الرؤية من جانب لوكيان هجوماً على المسيحية من جانب آخر وهو التلميح بأن من كانوا يسجنون أو يعذبون أو حتى يقتلون من المسيحيين لم يكونوا يصدرون فى ذلك جميعاً عن عقيدة راسخة

وإيمان وإنما كان البعض منهم يفعلون ذلك سعياً وراء غرض دنيوى من مال أو شهرة أو كليهما معاً .

ورغم محاولة لوكيان إظهار المسيحيين فى صورة السذج والبسطاء والمغفلين إلا أنه أظهر سر قوه المسيحية وسرعة انتشارها رغم الضغوط ، وطبعاً يكمن ذلك السر فى تماسكهم وتضامنهم الشديد وفى أخوتهم التى علمهم إياها السيد المسيح . ولعل خير شاهد على ذلك تلك الصورة التى يرسمها لوكيان والتى رأيناها أعلاه من وقفة المسيحيين الصلبة المتحمسة الدائمة مع واحد منهم (حسب تصورهم) أثناء فترة سجنه فالرجال يرشون حراس السجن لكى يمكنوهم من المبيت معه ، وتنتظر الأرامل والأيتام بجوار السجن منذ مطلع الفجر لكى يروه ويمدوه بالوجبات الفاخرة ، بل ويأتى إليه فى سجنه فى فلسطين رجال أرسلهم المسيحيون من كافة المدن الآسيوية على نفقتهم لمساعدته والدفاع عنه والشد من أزره . لقد قصد لوكيان ذم المسيحيين فمدحهم دون أن يدرى لأن هذه الصورة تدعو للإعجاب من أى قارىء متجرد . ولكن لوكيان يشكك فى عقيدة الخلود عند المسيحيين ويسخر منها رغم أن البعث والحياة الأخرى موجودة فى ديانات وثنية أقدم من المسيحية كما كان الحال فى مصر القديمة مثلا .

وإذا كان لوكيان قد هاجم المسيحية بصورة عارضة فى أثناء حديثه عن « الغريب » وكيف احتال على السذج والبسطاء المسيحيين كما صورهم لوكيان ، فإن كاتباً آخر من أواخر القرن الثانى الميلادى يدعى **كيلسوس** (حوالى عام ١٨٥ م) هاجم

العقيدة المسيحية هجوماً ضارياً وألف فى ذلك عملا أسماه « عن العقيدة الصحيحة » . وهذا الكتاب يكاد يكون قد وصلنا فى مجمله لأن **المفكر المسيحى المعروف أوريجين** من النصف الأول للقرن الثالث الميلادى رد على هجوم كيلسوس فى مؤلف أسماه « **ضد كيلسوس** » وفيه أورد نقاط هجوم كيلسوس على المسيحية والرد عليها . وهذا الأمر لم يتوفر بالنسبة لأقوى خصوم المسيحية وربما أكثرهم علماً **وهو بورفيرى** من القرن الثالث الذى ألف خمسة عشر كتاباً ضد المسيحيين ولكنها أحرقت بأمر من الأباطرة ثيودوسيوس الثانى وفالنتيان الثالث عام ٤٤٨م ووصلت إلينا فقط بعض الاقتباسات من أعماله فى كتابات آباء الكنيسة [٤٧] .

ولم يكن كيلسوس فى هجومه على المسيحية من أنصار مذهب فلسفى بعينه وإنما كان فيلسوفاً يميل إلى مدارس فكرية عديدة كالأفلاطونية والرواقية كما كان دراساً للتاريخ والعادات الدينية عند أمم كثيرة .ولم يهاجم كيلسوس أخلاقيات المسيحيين كما فعل غيره وإنما هاجم معتقداتهم على أساس فلسفى وبذلك رفع مستوى النقاش على الجانب المسيحى من مجرد دفاع إلى جدل ومناظرة ، وأخذ كيلسوس الهجوم على المسيحية مأخذ الجد [٤٨] وليس فى صورة اتهامات وانطباعات مسطحة .

وسنوجز فيما يلى **صورة مختصرة للنقاط التى طرحها كيلسوس فى هجومه على المسيحية** حيث بدأ هجومه بالدفاع عن قرار تحريم وحظر المسيحية فى الإمبراطورية على اعتبار أن المسيحية — من وجهة نظره — لا تقدم جديداً أو شيئاً مثيراً للإعجاب فيما تطرحه

من تعاليم أخلاقية وأنها سطحية بالمقارنة بالفلسفات لأخرى . كما يذكر أن المسيحية ديانة غير أصيلة وأن المصدر المباشر المستقاة منه وهو اليهودية ماهو إلا واحد من بين الأفكار والمعتقدات القديمة ولايمكن تعميمه أو جعله معياراً وذلك لكونه لا يطرح سوى منظور واحد ناقص ومبتور عن العالم وأصوله ونشأته . كما يذكر أن اليهودية تشارك الحضارات العظيمة الأخرى من مصرية وهندية وفارسية ويونانية ورومانية فى إدراكها للعقيدة الصحيحة القديمة . وهو بذلك يشير إلى أنه كانت هناك وحدة فى المعتقدات والتاريخ والتقاليد فى العالم القديم ، هذه الوحدة انتهكها المسيحيون وخرجوا عليها . ورغم ذلك فإن كيلسوس لم يكن يحبذ اليهودية وكان يعتبرها ديانة منتحلة كما لم يكن يحبذ التوحيد الصارم عند موسى وكان يعتبره ساحراً ، وكانت كراهيته الحقيقية تنصب على المسيحية لأنه كان يعتبر أنها ورثت عن اليهودية أسوأ ملامحها ، ثم يوجه هجومه إلى السيد المسيح ويشكك فى نسبه ويسخر من اعتقاد المسيحيين فى ألوهيته وفى كونه ابن الرب ويزعم أنهم تعلموا السحر فى مصر ، وهى اتهامات زددها اليهود من قبله . ثم يناقش إنجيل متى والأناجيل أو الكتابات الغنوصية مناقشة منطقية ويبرز فيها ما يعتبره تناقضات وسخافات حول تأليه المسيح ونبوءات العهد القديم حول المسيح ويذكر أنها لا تنطبق بالضرورة على المسيح وحده وإنما على آلاف غيره . كما يثير غير ذلك الكثير من الجدل اللاهوتى محاولا إخضاعه لمنطقه هو . وهو يعتبر أن هذه التناقضات التى أثارها حاسمة ولا سبيل لمقاومتها ، وكانت نظرته للأناجيل باعتبارها أدب تبشيرى

دعائى ولم ينظر إليها كسيرة مقدسة أو كوثائق قويمة ومعترف بها للكنسية المسيحية . كما كان كيلسوس على بينة تامة بالانشقاقات الداخلية فى الكنيسة وذكر بأن المسيحيين فى أول عهدهم كانوا متحدين فى غرضهم ولكنهم منذ وقت قريب (من زمن كيلسوس) انقسموا شيعاً وأحزاباً حتى أنهم الآن (فى زمن كيلسوس) لم يعد يربطهم سوى أمر واحد وهو مسمى المسيحية . ويهاجم كيلسوس انتشار المسيحية بين الفقراء والعامة والبسطاء ويقول « إنهم هم أنفسهم (المسيحيين) يعترفون بأن الجهلاء وغير المتعلمين هم وحدهم الجديرون بإلههم (إله المسيحيين) وهم بذلك يظهرون أنهم ليس بوسعهم أن يقنعوا سوى الحمقى والشائنين والأغبياء والعبيد والنساء والأطفال الصغار » . ويهاجم هذه العقيدة فى أن رب المسيحيين يحنو ويعطف فقط على من أسرفوا على أنفسهم وارتكبوا الرذيلة وكانوا من الخطائين وأنه يستجيب لدعواتهم وتوسلاتهم ، وفى هذه النقطة يذكر كيلسوس أنه بهذا المنطق فإن الإنسان السوى الخير يكون لا قيمة له عند ذلك الإله لأن مثل هذا الإله يثبت ذاته أساساً فى ما يسبغه من رحمة على الخطائين والمذنبين . ومن هنا يذكر سبب عداء المسيحية للفلاسفة – من وجهة نظره – وهو أنهم (أى المسيحيين) يرون فى « المعرفة داء للروح وأن الروح التى تكتسب المعرفة تهلك » . ثم يهاجم صلب العقيدة المسيحية فى تناقض يراه هو أساساً يتعلق برب المسيحيين إذ يذكر أن الإله الحق يكون بوسعه أن ينقذ البشرية بقدرته المقدسة وحدها وبذلك يثبت أنه على كل شىء قدير . وهنا يتساءل عن ضرورة أن يلجأ الرب إلى أن

ينزل من عليائه وعن الدافع لنزوله : هل لكى يثبت علمه بكل شيء ؟ إن كان الأمر كذلك - يقول كيلسوس - فإنه قد أثبت عدم علمه ومعرفته وإلا لتنبأ بنتائج أفعاله ، وإن كان ليثبت قدرته على كل شيء فقد أوضح بنزوله أنه محدود القدرة لأنه لم يتمكن من منع وقوع مآسى حلت بابنه . وفى نفس هذا لسياق يطرح كيلسوس فكرة أن « الرب الذى ينتظر طويلا قبل أن يساعد الجنس البشرى على الخلاص من بؤسه لا يمكن أن يعد خيّراً : إذ أنه يرقب فى لا مبالاه انتصار الشر على الخير » [٤٩] .

هذه نماذج من انتقادات كيلسوس وهجماته على المسيحية والمسيحيين وقد تصدى لآراء كيلسوس وهجماته على المسيحية والمسيحين أوريجين وهو أبرز اباء الكنيسة فى الإسكندرية . ولد أوريجين بالإسكندرية حوالى عام ١٨٥م . من عائلة مسيحية واستشهد أبوه عام ٢٠٢ م فى عصر اضطهاد الإمبراطور سبتميوس سيفيروس حين كان أوريجين شاباً متحمساً فى السابعة عشرة وكاد هو الآخر يلقى حتفه لكى يشارك أباه فى مصيره لولا توسلات أمه كما يروى يوسيبيوس أسقف قيصرية . وفى سن الثامنة عشرة عينة ديمتريوس أسقف الإسكندرية على رأس مدرسة الإسكندرية اللاهوتية الجدلية خلفاً لكليمنت السكندرى وظل على رأس هذه المدرسة حتى عام ٢٣٢م حين اختلف مع الأسقف ديمتريوس ورحل إلى قيصرية واستقر بها . وفى عام ٢٥٣ توفى فى صورة نتيجة للتعذيب الذى تعرض له فى اضطهاد الإمبراطور ديكيوس [٥٠] . وكان من بين كتابات أوريجين الغزيرة ثمانية كتب ألفها ضد كتاب كيلسوس

ولكن للأسف فإن كتب أوريجين في الرد على كيلسوس ليست متاحة أمام الباحث وقت كتابة هذا البحث (في جامعة الكويت) ولذلك سيذكر الباحث المقدمة التي كتبها أوريجين لمؤلفه هذا منقوله عن مرجع اقتبسها كالتالي :

« عندما واجهت سيدنا ومنقذنا يسوع المسيح شهادة زور كاذبة ظل صامتاً ، وحينما اتهم لم يحر جواباً . فقد كان مقتنعاً بأن حياته بأكملها وفعاليته وأنشطته بين اليهود كانت شاهداً في صفه بصورة أكثر فعالية من الأقوال التي يدلي بها لدحض شهادة الزور ومن الكلمات التي يتفوه بها دفاعاً عن نفسه ضد الاتهامات .... وإنني لاتجرأ وأعتقد بأن ذلك النوع من الدفاع الذي تطالبونني به ربما يضعف الدفاع الذي تسوقه الحقائق وقوة يسوع التي يمكن أن يراها بوضوح كل من له عينان تبصران . ولكن لكي لا أبدو وكأني قد رفضت المهمة التي أوكلتموها لي من خلال كسلي الصرف فقد حاولت أن أصوغ ما يتراءى لي أنه إجابة واضحة وصريحة على كل نقطة أثارها كيلسوس على أحسن ما أوتيت من مقدرة ، رغم أن هذه (النقاط التي أثارها كيلسوس) لايمكن أن تهز إيمان وعقيدة أي مؤمن . وأتمنى ألا يكون هناك أحد على قدر ضئيل من التجربة والخبرة في حب الرب يسوع المسيح بحيث يمكن أن يتزعزع في يقينة بكلمات كيلسوس أو أي فرد على شاكلته ... !

وعلى القارىء أن يدرك أن هذا الرد على كيلسوس لم يكتب للمؤمنين الراسخين في إيمانهم وإنما كتب إما لمن ليس لديهم دراية على الإطلاق بالإيمان بالمسيح أو لأولئك الذين يصفهم بولس

بأنهم « ضعاف الإيمان » ... ولكن الأفضل هو من لا يحتاج على الإطلاق للإجابة على مؤلف كيلسوس حتى وإن صادفه ، وإنما يمر مر الكرام على كل ما يحتويه الكتاب لأن أى مسيحى بسيط الإيمان يمكن – من خلال الروح التى بداخله – أن يعامله حقيقةً « باحتقار » (٥١) .

ويرى أوريجين أن كيلسوس ربما يعتبر مدافعاً عن النظام القديم وقيمه الدينية وكان ينظر للمسيحية على أنها عقيدة تثير الفتن بشدة لأنها تأتى بأفكار تبدو له على أنها تعديلات فى العقائد القديمة لا مبرر لها (٥٢) .

وفى رد أوريجين على مزاعم كيلسوس نجده يرد مثلا على تكذيب كيلسوس لمعجزات المسيح بالقول بأن كيلسوس نفسه قد أقر بأن هذه المعجزات ربما كانت حقيقية ويقول فى هذه النقطة : «وفى الموضوع التالى فإن كيلسوس وقد تشكك فى أننا سنطرح الأعمال العظيمة ليسوع والتى سبق أن ذكرناها بشكل طفيف للغاية يعود فيقر ويسلم بأنها ربما كانت حقيقة – يقصد بذلك كل ما سجل عن شفاء المرضى وإعادة الموتى للحياة أو عن الجماعة الكبيرة من الناس الذين تغذوا على بضع أرغفة قليلة وتركوا وراءهم كسراً وفيره منها وبقية القصص الأخرى جميعها التى يعتقد ويظن أن تلاميذ وحواريى المسيح صاغوها من نسج خيالهم ويضيف « حسناً ، لنفترض أننا صدقنا أنكم فعلتم هذه الأمور حقاً » . ثم سرعان ما يضع هذه الأمور على قدم المساواة مع أعمال السحرة على أساس أن حيلهم وحرفتهم لاتزال تثير قدراً أكبر من الدهشة والعجب كما

يضعهم على قدم المساواة مع ممارسات المصريين الذين يبيعون فنونهم المبجلة بدراهم معدودات على قارعة الطريق فى السوق العامة ويخرجون الأشباح من البشر ويزيلون الأمراض ويستحضرون أرواح الأبطال ويعرضون ولائم غالية ومكلفة بموائد وأنواع من الكعك والحلوى لا وجود لها ويحركون الجماد الذى لا حياة فيه كما لو كانت حيوانات تتحرك ويضفون عليها مناظر الحيوانات » . ثم يردف « إذا كان السحرة يفعلون ذلك فهل لابد لنا أن نعتقد أنهم أبناء الرب أم أننا سنقول بأن هذه ممارسات أشرار بائسين » [٥٣] .

وقبل أوريجين كان هناك من تصدى أيضاً لمناوئى المسيحيين والمسيحية ودافع عن المسيحية وأتباعها ولكنه كان دفاعاً من نوع آخر، نه دفاع عن المسيحية ضد اضطهاد وقهر الحكام الرومان فى الولايات والتفرقة التى يمارسونها بين معاملة المسيحيين ومعاملة بقية رعايا الإمبراطورية الرومانية . صاحب هذا الدفاع عن المسيحية هو محامى ولد فى قرطاجة عام ١٦٠ م. وتربى فى أسرة وثنية هناك وكان أبوه « قائد مائة » فى الجيش الرومانى هناك ، وفى شبابه اعتنق ذلك المحامى ترتليان (**فلورنس كوينتوس سبتميوس ترتليانوس** : حوالى ١٦٠ – ٢٢٥م) المسيحية ، وكان قد تعلم من قبل البلاغة والخطابة والفلسفة والقانون . وفى حوالى عام ١٩٧م. ألف رسالة فى الدفاع عن المسيحية Apologeticus فى صورة حديث موجه من محامى إلى حكام الولايات لرومانية ويسعى من ورائه إلى أن يكفل للمسيحيين الحماية من هجمات العامة والدهماء ومن الإجراءات غير القانونية عند مثولهم أمام المحاكم واستخدم فى ذلك مزيجاً من

عاطفته المتأججة كمسيحى وسخريته اللاذعة [٥٤] .

وسوف نقتبس فيما يلى بعضاً من فقرات هذا المؤلف الذى يتضح من ثناياه أن المسيحيين قد أصبحوا فى ذلك الحين على درجة كبيرة من التأثير وأن أعدادهم صارت كبيرة بالدرجة التى لايمكن معها تجاهلهم أو احتقارهم والحط من شأنهم .

ففى ذكره لكثرة أعداد المسيحيين وانتشارهم فى كل مكان وعلى كافة المستويات يقول « إن الناس يتصايحون أن الدولة اكتظت بنا ، فهناك مسيحيون فى المزارع (الريف) والقرى والجزر : إنهم من كل جنس وسن ووضع ! نعم إن الشرف نفسه ليسعى نحو ذلك الاسم » [٥٥] . ويقول فى موضع آخر عن نفس النقطة : « إننا أبناء الأمس (يعنى أن المسيحية حديثة النشأة) ومع ذلك فقد شغلنا كل أماكنكم من مدن وجزر وقلاع وبلدان ومصارف بل ومعسكرات وقبائل وعشائر وقصور ومجلس السناتو والسوق العامة ، ولم ندع لكم سوى المعابد » [٥٦] . وعن ظلم وتعسف حكام الرومان مع المسيحية - فى رأى ترتليان - يسوق الأمثلة على ذلك ويرى مثلا أن الإمبراطور تراجان كان متناقضاً لأنه يقول « لا يجب تعقبهم (أى المسيحيين) مما يوحى بأنهم أبرياء ثم يأمر بعقابهم مما يوحى بأنهم مذنبون . إنه يطلق سراحهم ويثور ويغضب عليهم ، إنه يتظاهر بأنه لا يراهم ثم يعاقبهم » [٥٧] .

وعن التفرقة فى المعاملة بين المسيحيين وغيرهم يقول فى إحدى الفقرات : ربما كنا مجرد فلسفة جديدة ، ولكنكم لاتضطهدون الفلاسفة ، إنهم يهدمون آلهتكم صراحة ويهاجمون

خرافاتكم فى أطروحاتهم وأنتم تصفقون لهم . وكثير منهم ينجون ضد أباطرتكم فتدعمونهم وتكونون أميل لمكافأتهم بالتماثيل والمنح بدلا من إدانتهم وإلقائهم للضوارى ، حقاً ! فهؤلاء يسمون فلاسفة وليسوا مسيحيين ! » [٥٨] .

هذا عن التفرقة فى معاملة فكر الفلاسفة والفكر المسيحى ، ثم يتطرق إلى نوع آخر من التفرقة وهو التفرقة فى الإجراءات القضائية المتبعة مع المسيحيين مقارنة بغيرهم من سكان الإمبراطورية فيقول :

« أيا كانت التهمة التى توجهونها إلينا فإنكم حين تتهمون أناساً آخرين فإن هؤلاء الآخرين يستخدمون فصاحتهم وبلاغتهم الشخصية ويلجأون إلى خدمات محامين يستأجرونهم من أجل إثبات براءتهم . ويكون لهم حرية الإجابة على التساؤلات وطرح الأسئلة أثناء الاستجواب لأنه لا يجوز فى الحقيقة إدانة أشخاص دون أن يدافعوا عن أنفسهم ومن غير أن نسمعهم . أما بالنسبة للمسيحيين دون سواهم فلا يسمح لهم بقول أى شىء لتوضيح قضيتهم وللدفاع عن الحقيقة ولإنقاذ القاضى من اقتراف الظلم ، وإنما يكون سعيكم نحو شىء واحد ضرورى لإثارة كراهية الجماهير ألا وهو الاعتراف بالاسم ، (أى الهوية الدينية Confessio nominis (أى الاعتراف من الشخص بأنه مسيحى) دون تحقيق فى التهمة . ومع ذلك فإذا كنتم تحاكمون أى مجرم آخر وأعترف (ذلك المجرم) بمسمى جريمته من قتل أو سرقة معبد أو انتهاك حرمته أو زنا أو عداء الدولة – أشير هنا للاتهامات التى توجه إلينا – فإنكم لا

تكتفون ولا ترضون بإصدار الحكم عليه مالم تقوموا بإجراء التحريات الكافية عن نوعية الفعل (الجرم) وعدد مرات ارتكابه ومكان وكيفية وزمان ارتكابه والمحرضين عليه والشركاء فى الجرم » (٥٩) .

ثم يدافع عن المسيحيين وما يشاع عنهم من قبل مناوئيهم فيقول مثلا « إننا ننكر ألعابكم العامة ونتبرأ منها بشدة كما نتبرأ من أصولها لأننا ندرك ونعلم أن أصولها ومفاهيمها نابعة من الخرافات . وندع جانباً تلك الأمور المتصلة بها . ولا يعنينا فى شىء قول أو رؤية أو سماع جنون السيرك ووقاحة وخزى المسرح وهمجية ووحشية حلبة المصارعة وتفاهة الجمنازيوم . ما الذى يضايقكم إن كنا نتخذ متعاً أخرى غير متعكم ؟ وإن كنا لانرغب فى التمتع فإنها خسارتنا نحن على أية حال وليست خسارتكم . إننا نرفض ما يمتعكم ، وما يسرنا لايدخل السرور عليكم . ولكنكم سبق أن سمحتم للأبيقوريين بأن تكون لهم نظرتهم عن حقيقة المتعة من وجهة نظرهم وقد وجودها فى راحة النفس وهدوء البال ... أما بالنسبة للمسيحيين فالجدل واسع » (٦٠) .

ويقول فى موضع آخر :

« إننا مجتمع يشعر بإحساس دينى واحد وبوحدة التنظيم ويربطنا رابط مشترك هو الأمل ... إننا نلتقى ونتذكر كلمات الرب المقدسة ، وبهذه الكلمات المقدسة نغذى إيماننا ونرفع أملنا ونؤكد يقيننا » (٦١) .

وفى موضع آخر :

« أنظر – هكذا يقولون – كيف يحبون بعضهم البعض (المسيحيين) – (لأهم هم يكرهون بعضهم البعض) – ومدى استعدادهم للموت فى سبيل بعضهم البعض (فى حين هم «الوثنيون » أكثر استعداداً لقتل بعضهم البعض) » [٦٢] .

تلك كانت مقتطفات من دفاع ترتليان عن المسيحية والمسيحيين .

ويبدو أن هذا الدفاع من جانب ترتليان قد أثر وترك بصماته على المدافعين عن المسيحية من بعده فى أوائل القرن الثالث ق.م. ومن هذه الأعمال التى تأثرت بطريقة ترتليان **أطروحة تسمى «أوكتافيوس»** كتبها أيضا محامى وخطيب كان يمارس مهنته فى روما ويدعى م . **مينوكيوس فيلكس** اعتنق المسيحية فلم يعد مؤهلا لممارسة المحاماة فى روما . وقد كان مينوكيوس فيلكس مثقفا طليقاً ومقروئاً يقتبس بحرية من فرجيل وأوفيد ولوكريتوس وتأثر فى الخطابة بشيشرون وسينيكا وتأثر فى الموضوع والمعالجة بترتليان المحامى القرطاجى وإن كان جو هذه الأطروحة ومشاهدها مأخوذة من روما المدينة العالمية فى ذلك الحين [٦٣] . ويسجل مينوكيوس فيلكس فى هذه الأطروحة «أوكتافيوس » مناظرة جرت بين اثنين من أصدقائه أحدهما وثنى ويدعى كوينتوس كايكيليوس ناتاليس والآخر مسيحى ويدعى أوكتافيوس جانواريوس الذى أطلق اسمه على الأطروحة كلها . وفى هذه المناظرة يبدأ كايكيليوس ممثلا للجانب الوثنى والفكر الوثنى ويهاجم المسيحية ويبرز الإدعاءات الموجهة إليها ويصورها على أنها ديانة هادمة للذات ولكل متع الحياة ، وبعد أن ينتهى

كايكيليوس من ذكر مآخذ على المسيحية يتحدث مينوكيوس فيلكس – حكم المناظرة – وينتهز الفرصة ليستعرض فطنته وبراعته القضائية على قواعد من القرائن والأدلة ويتحدث عن العلاقة بين الخطابة والبلاغة من ناحية والجدل المنطقى من ناحية أخرى ، وأخيراً ينغمس أوكتافيوس ممثل المسيحية فى الدفاع الحار عن المسيحية والرد على نقاط كايكيليوس . وتنتهى المحاورة باعتناق كايكيليوس للمسيحية من خلال جدية وفصاحة وسحر بيان صديقه أوكتافيوس [٦٤] .

وسوف نعرض هنا مقتطفات من نقاط هجوم كايكيليوس فى هذه المناظرة على المسيحية من دفاع أوكتافيوس عنها وهى مساجلة طريفة بصورة متميزة تعطى صورة للأوضاع الاجتماعية والدينية فى روما فى نهاية القرن الثانى الميلادى ، ومن بين هذه الأوضاع التفاعلات بين المسيحية الأفريقية والمسيحية فى روما التى تشكل أحد الملامح التنويرية [٦٥] . وفى دفاع كايكيليوس عن الوثنية يذكر فضل الآلهة الوثنية فى انتصارات الرومان المبكرة وتكوين امبراطوريتهم الواسعة التى تعد مثلاً مجسداً [٦٦] – من وجه نظره – على صدق وحقيقة العقيدة الوثنية ويضرب أمثلة على ذلك من التاريخ الرومانى . ثم يهاجم المسيحية ويذكر المآخذ والتهم الموجهة للمسيحية من خصومها والتى روج لها الوثنيون وهى قصص وشائعات عن أكل لحوم البشر ولعق دمائهم من جانب المسيحيين وقيامهم بطقوس وشعائر احتفالات حب صاخبة ومعربدة وعلاقات جنسية غير مشروعة وشائعة بين « الإخوة » و « الأخوات » ، وعن عبادتهم لشخص آثم مصلوب ، وعن أداء طقوس سرية فاحشة تجتنب ضوء النهار فيقول

مثلا : « إنهم (أى المسيحيين) يتعرفون على بعضهم البعض بعلامات وإشارات غامضة ، وهم يقعون فى الحب قبل أن يتعارفوا ويدخلون فى كل مكان عقيدة ذت طابع شهوانى وعلاقات زنا بين الإخوة والأخوات تنقلب - تحت ستار اسم مقدس - إلى زنا بالأقارب . وهكذا فإن خرافاتهم الفارغة الحمقاء تجعلهم يباهون بالجريمة .

« لقد قيل لى أنهم تحت وطأة حمق وبلاهة يقدسون رأس الحمار ويتعبدون لها - وهو أحقر الحيوانات - فهى إذن ديانة جديرة بهؤلاء البشر الذين أفسحوا الطريق لها . ويقول آخرون أنهم يقدسون أعضاء وأطراف مرشدهم وكاهنهم الأكبر ...

« إن تفاصيل طقوس ضم أعضاء جدد أو معتنقين جدد لعقيدتهم لتفاصيل مثيرة مستفزة سيئة السمعة : إذ يوضع مغطى بالعجين فى صندوق بجوار الشخص الذى سيعتنق عقيدتهم وذلك لخداع هؤلاء البسطاء ذوى النية الحسنة . ثم يحث ذلك المعتنق الجديد - وهو معصوب العينين - على توجيه ضربات تبدو غير مؤذية على قطعة العجين مما يؤدى إلى قتل الطفل متأثراً بجراحه وهنا يلعقون - ياللهول ! - دمائه بصورة شرهة ويمزقون أوصاله بشغف شديد ويعقدون اجتماعهم ويأخذون عهدهم وميثاقهم فوق هذه الضحية ، ومن خلال مشاركتهم فى الجرم يلزمون أنفسهم بالصمت المتبادل » إلى نهاية الفقرة من اتهامات مشابهة بالشهوانية والممارسات الجنسية غير المشروعة فى طقوسهم الاحتفالية (٦٧) .

ثم يطرح أسئلة هجومية عن المسيحية وأتباعها مثل :

« لماذا يبذلون كل هذه الجهود من أجل حجب وإخفاء موضوع عبادتهم فى الوقت الذى تبتهج فيه كل الأمور الكريمة الشريفة بالنور والعلانية وتتسم الآثام والشرور بالسرية والكتمان ؟ لماذا لانجد لديهم مذابح ولا معابد ولا صور أو تماثيل معترف بها ؟ لماذا لا يتحدثون على الملأ ولا يلتقون فى العلن إلا إذا كان ما يعبدونه ويخفونه إما إجرامياً أو شائناً ؟ » [٦٨] .

ثم يهاجم بعض المعتقدات الدينية المسيحية ومنها البعث والخلود فيقول :

« إنهم يقولون أنهم يولدون من جديد بعد الموت من الرماد والثرى ولا أدرى ما هذه الثقة التى يصدقون بها أكاذيبهم المشتركة ... إنهم ينكرون العدم لأنهم بعد أن يموتوا ويفنوا – فنحن مخلوقات تولد لتفنى – يعدون أنفسهم بالخلود والأبدية » [٦٩] .

أما أوكتافيوس فيرد على كايكيليوس ويبدأ فى تفنيد مزاعمه بملاحظة أن كايكيليوس قد اتبع فى حديثه بالكامل اتجاها رافضاً ونافياً وملتبساً غير واضح المعالم : فقد أثار دعاوى وصعوبات معينة ولم يأت بأدلة أو قرائن فى دفاعه تثبت حجية الاعتقاد فى تعدد الآلهة ومنطقيته ، ويثير أوكتافيوس قضية مفادها أن العقل والمنطق هو نقطة تميز الإنسان وأنه حتى الفقراء والبسطاء يجب أن يصدروا فى أحكامهم عن ضمائرهم وقدراتهم [٧٠] . ثم يستعرض أوكتافيوس بالتفصيل وبطريقة بلاغية جدلا عن الآلهة الوثنية وطبيعتها مستقى بصورة كبيرة من أطروحة شيشرون « عن طبيعة الآلهة "De Natura Deorum" ومن آراء سينيكا فى ذلك الموضوع [٧١] . ثم يناقش على

أسس مشابهة أصل هؤلاء الآلهة فى الفولكلور (التراث الشعبى) والأسطورة والشعر وعبادة الأبطال مع أمثلة توضيحية غزيرة بها عناصر بربرية بشعة وغير عقلانية ومنحدرة ووضيعة تحتفظ بها الأساطير والطقوس وأشكال العبادة . ثم يأتى بأمثلة من التاريخ تدل على عدم تميز وتفرد آلهة الرومان ، فقد كانت هناك أمم عظيمة وامبراطوريات عظمى ذات آلهة وكهانة مختلفة سبقت ونافست الرومان ، ومن جهة أخرى فإن الأمم التى أخضعتها روما لها آلهة اتخذتها روما أرباباً لها واعترفت بها على قدم المساواة مع آلهة روما ، بل أن آلهة الذين انهزموا تتمتع بشعبية ورواج أكثر من آلهة المنتصرين الغزاة .

إن آلهة الرومان المحلية وطقوسهم – من وجهة نظر أوكتافيوس – ذات مقومات أفقر وأقل نفوذاً من آلهة الإغريق وفريجيا وسوريا ومصر . ويشن حملة هجوم على ما يزعم الرومان أنه أصول مقدسة لمدينة روما ويتناول تاريخهم وكيف أن مدينة روما أسست كملجأ لجماعة من المتشردين والقتلة ثم اختطاف الرومان لنساء السابين وموجات العنف المتلاحقة ، والعقيدة الفاسدة وانتهاك الحرمات والمقدسات من جانب الرومان ، وهى الدعائم التى قامت عليها الامبراطورية الرومانية (٧٢) .

يبدو أن مثل هذه الهجمات على الرومان وعقائدهم وأصولهم التاريخية هى السبب فى اتهام الأباطرة والموظفين الرومان للمسيحيين بأنهم أعداء الدولة وفى نظرة التشكك والعداء لهم ولأهداف ودعايات المسيحية .

ثم يبدأ أوكتافيوس بعد ذلك فى الدفاع المنطقى عن النقاط

التى أثارها كايكيليوس عن عبادة وطقوس وعقيدة المسيحيين وعن التهم الموجهة إليهم وسنورد فيما يلى مقتطفات من ذلك الدفاع . فرداً على تهمة أن المسيحيين يعبدون رأس حمار ويعبدون شخصاً آثماً مصلوباً ويعبدون الصليب الخشبى رمزاً للصليب الذى صلب عليه مسيحهم يرد أوكتافيوس على هذه النقاط كما يلى :

« إن من الظلم إصدار أحكام - كما يفعلون - دون معرفة وتحرى وتثبت كما يذكرنا الضمير المذنب المعذب . لقد كنا نحن (المسيحيين) أيضاً فى نفس وضعكم ذات يوم وكنا نشاطركم أفكاركم بطريقة عمياء غبية وكنا نفترض أن المسيحيين كانوا يعبدون الوحوش ويلتهمون الأطفال ويقيمون ويشتركون فى احتفالات كلها زنا ؛ ولم نكن ندرك حينئذ أن الشياطين هى التى كانت تروج لهذه الخرافات دون تثبت أو برهان ... إن المسيحيين المتهمين بعيدون كل البعد عن اقتراف أى جرم من أى نوع وهم لذلك لا يخجلون ولا يهابون ، وإنما يأسفون على شىء واحد هو أنهم لم يكونوا مسيحيين من قبل »[٧٣] .

« أما عن الأقاويل التى تذكر أنك سمعتها عن اتخاذنا رأس حمار كشىء مقدس : « من ذلك الأحمق الذى يعبد مثل هذا ؟ من ذلك الأكثر حماقة الذى يصدق أن هناك عبادة مثل هذه ؟ ربما لايصدق ذلك سوى أولئك الأشخاص من بينكم الذين يحتفظون بحمير كاملة فى اسطبلاتكم لتقديمها تقرباً وزلفى لربتكم أو ربتهم (إيبونا) (إيبونا هى الربة الحامية للخيل والحمير والبغال عند الرومان : أنظر الملحوظة على ذلك أسفل النص اللاتينى) كما

أنكم تزينون هذه الحمير برفقة إيزيس فى المواكب وتقدمون الأضحيات وتتعبدون لرؤوس الثيران والكباش كما أنكم تكرسون آلهة نصفها ماعز ونصفها إنسان وآلهة لها رؤوس سباع أو كلاب . ألا تشاركون المصريين فى تبجيل وتغذية العجل أبيس ؟ وتقرون الطقوس التى تقام تبجيلا للثعابين والتماسيح وكل الحيوانات والطيور والأسماك وهى آلهة يعاقب من يقتلها أو يذبحها بالموت؟ » (٧٤) .

« أما عن عبادة إنسان شرير آثم وصليبه وهو ما تعزونه إلى عقيدتنا وديننا فإنكم تجافون الحقيقة وتنأون بعيداً عنها تفترضون أن إنساناً أو مجرماً مؤذياً يمكن أن يُصدَّق على أنه إله . إنه لإنسان بائس يستحق الرثاء ذلك الذى يعقد آماله على بشر فان فينهار كل ما بناه عليه إذا ما لقى حتفه » (٧٥) .

« وكذلك فإننا لا نعبد الصلبان ولا نعقد آمالنا عليها . أما أنتم يا من تكرسون آلهة من الخشب فمن الممكن جداً أن تقدسوا صلباناً خشبية كأجزاء من آلهتكم . أليست أعلامكم وراياتكم وشارات معسكراتكم عبارة عن صلبان مذهبه ومزركشة ؟» (٧٦) .

ثم يرد أوكتافيوس بعد ذلك على نقطة تجمع المسيحيين فى الخفاء وعدم وجود أضرحة أو مذابح أو تماثيل لهم فيقول :

« هل تفترضون أننا نخفى ما نعبد لأنه ليس لدينا أضرحة أو مذابح ؟ ما هى الصورة التى أتخذها للرب إذا كان الإنسان نفسه - إن صح القول - على شاكله الرب ؟ وأى معبد يمكن أن أشيده له والكون بأسره من صنعته ولا يمكن أن يحتويه ؟ أيكون بوسعى أنا - وأنا بشر وأسكن فى كون فسيح - أن أقيد فى ضريح صغير قوة

بمثل هذا الجبروت ؟ أليس من الأفضل أن نكرس الرب فى عقولنا أو فى سويداء قلوبنا وبين حنايانا ؟ هل أقدم للرب ، قرابين وأضحيات أسبغها هو على لكى أستفيد بها وبذلك أرد عليه نعمه وعطاياه ؟ إن من يحرصون على الطهارة من الإثم يصلون للرب ، ومن يتبع العدالة فهو يقدم القرابين للرب ومن يجتنب الغش والخداع يسترضى الرب ومن ينقذ إنساناً من الخطر فكإنما قدم (ذبح) أفضل أضحية . هذه هى أضحياتنا وهذه هى طقوسنا المقدسة للرب . أن الأتقى عندنا هو الأعدل (أى أن العدالة هى معيار التقوى) .

« (ولكنكم تذكرون) أن الرب الذى نعبده لا نظهره ولا نراه. كلا ! فمن هنا نعتقد فيه كإله لأننا نستطيع أن ندركه رغم أننا لا نراه : فنحن نبصر حقيقته الماثلة على الدوام فى أفعاله وفى كل حركات الكون : فى الرعد والبرق والصواعق والسماء الصافية (حين ترعد السماء وتبرق وترسل بصواعقها وتصفو) .

ليس هناك إذن ما يدعو للعجب حين لا ترى الرب ، فكل شىء يندفع ويهتز ويضطرب ويرتبك نظامه من جراء الريح والعواصف ومع ذلك فإنه لا الريح ولا العواصف تدركها الأبصار . إننا لانستطيع النظر إلى الشمس رغم أنه هى سبب رؤيتنا لكل الأشياء ، فأشعتها تخطف الأبصار وتجعل نظر الرائى يعتم ، وإذا ما أمعن الإنسان النظر إليها يتلاشى وينطفىء بصره كلية فكيف - والأمر كذلك - يمكنك أن تتحمل النظر إلى خالق الشمس ذاته أى إلى ذلك الفيض من الضياء وأنت تحول وجهك عن برقه وتختفى من صواعقه . هل تتوقع أن ترى الرب بأعين من لحم بشرى وأنت لا تستطيع أن

ترى أو تمسك بروحك التى هى مصدر حياتك وحديثك [٧٧] ؟
وكان كايكيليوس قد قارن فى أثناء حديثه بين اليهود والمسيحيين وذكر أنه لأمر عجيب أن يكون هناك إله واحد متفرد يتعبد إليه الناس . ويذكر أنه « وإن كانت أمه اليهود البائسة قد عبدت إلهاً واحداً ولكنهم كانوا يعبدونه فى العلن : فى معابد ومذابح وبأضحيات ومواكب احتفالية ، ومع ذلك فقد كان إلهاً ضعيفاً لا حول له ولا قوة وكان هو وأمته أسيراً للرومان » [٧٨] .

وفى رد أوكتافيوس على هذه النقطة يقول :

« ولكن ما الذى جناه اليهود من أنهم هم أيضاً قد عبدوا إلهاً واحداً فى معابد ومذابح وبأقصى تقديس وتبجيل ؟ (هذا هو سؤالكم) ولكنك تنزلق إلى الجهل إذا ما سجلت – عن سهو أو عن جهل – المرحلة المتأخرة (من تاريخ اليهود) وأغفلت تاريخهم المبكر . إن اليهود عندما عبدوا ربنا الواحد – وهو إله واحد للجميع – فى طهارة وبراءة وقداسة ، وعندما كانوا يطيعون تعاليمه المنقذة كانوا قلة فصاروا كثرة وكانوا فقراء فصاروا أغنياء وتحولوا من عبيد إلى ملوك وتغلبوا رغم قلة عددهم وعتادهم على من يفوقونهم عدداً وعتاداً ... وإذا ما قرأت كتاباتهم هم (اليهود) ، أو فلندع جانباً كتابهم القدامى ونتجه إلى فلافيوس جوسيفوس ، أو إن كنت تفضل الرومان فيمكنك أن تطالع أنطونيوس يوليانوس عن اليهود ، ولسوف ترى أن المصير السيىء الذى آلوا إليه كان من جراء شرهم وكيدهم وأن كل ما حدث لهم كان هناك تنبؤ مسبق به وبحدوثه إذا أصروا على غيهم . ولسوف تدرك أنهم تخلوا عن الرب قبل أن يتخلى

عنهم وأنهم لم يقعوا فى الأسر مع ربهم - كما تزعم زوراً وبهتاناً وإنما أسلمهم الرب لأنهم هجروا تعاليمه ونظمه » [٧٩] .

أما عن الرد على الاستهزاء بالبعث والحياة الأخرى فى المسيحية فيرد قائلا :

« فننظر أيضا كيف أن الطبيعة - وهو أمر مريح لنا - توحى فى كل ظواهرها ببعث مستقبلى : فالشمس تغرب ثم تولد من جديد ، والنجوم تغيب عن البصر ثم تعود والأزهار تتساقط ثم تتجدد حياتها ، والأشجار تشيخ ثم تزهر وتورق ، والبذور لابد لها أن تذوى لكى تتجدد حياتها . إن الجسد فى القبر مثل أشجار الشتاء التى تخفى اخضرارها تحت رداء جفافها . لماذ تصر على أن تعود للحياة وتزدهر فى زمهرير الشتاء ، لابد أن ننتظر حتى يأتى ربيع الجسد » [٨٠] .

ثم يرد على تهمة الزنا بالأقارب التى ألصقت بالمسيحيين فيقول :

« إنكم (للوثنيين) تحرمون الزنا وتمارسونه ، أما نحن فقد جُبلنا على أن نكون أزواجاً لنساءنا فحسب : إنكم تعاقبون على الجرائم بعد ارتكابها ، أما بالنسبة لنا فالتفكير فى الجريمة خطيئة ، أنتم تخشون صوت الشهود أما نحن فنخشى صوت الضمير دون سواه وبدونه لا نستطيع أن نكون . وأخيراً فإن السجون تعج بأتباعكم، وليس بها مسيحى واحد باستثناء المتهمين فى دينهم كمارقين وكفرة (بالوثنية) » [٨١] .

نكتفى بهذا القدر من مقتطفات دفاع أوكتافيوس عن المسيحية والمسيحيين ومن خلالها نرى مدى ما أصبح للمسيحيين من قوة وانتشار وقوة منطق داخل روما نفسها فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى . ولعل هذا يعوض نسبياً عدم تمكننا من إيراد مقتطفات كبيرة من رد أوريجين السكندرى على اتهامات كيلسوس – وهو رد لاحق زمنياً على رد أوكتافيوس المذكور – وذلك لعدم توافر المصدر الخاص بأوريجين تحت يد الباحث كما أسلفنا .

٢ - المسيحية من خلال الوثائق البردية

مقدمة :

والآن ننتقل إلى الجزء الثانى من هذا البحث وهو الجزء الخاص بالمسيحية كما تبدو فى الوثائق البردية منذ حوالى منتصف القرن الثالث . ولكن قبل أن ندع الوثائق البردية تتحدث ونستشف من ثناياها وضع المسيحية فى مصر - موطن هذه الوثائق البردية - فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين نشير إلى أننا كنا قد وصلنا إلى وضع المسيحية فى الإمبراطورية الرومانية فى أواخر القرن الثانى وأوائل القرن الثالث الميلادى وهو وضع وصل إلى درجة من القوة والتغلغل فى أرجاء الإمبراطورية - من خلال التسامح النسبى مع المسيحيين على يد أباطرة القرن الثانى - جعلت الفزع ينتشر بين الوثنيين من سكان الامبراطورية . وقد نجم عن ذلك الفزع الوثنى حالات اضطهاد وتآمر ضد المسيحيين فى أى فرصة تتاح لهم ، كما أثارت حنق مفكرى الوثنية ومثقفيها وجعلتهم يهاجمون المسيحية وتعاليمها ويروجون ضدها بعض المزاعم التى حفزت مثقفى المسيحيين وجعلتهم يردون عليها بصورة دفاعية بل وهجومية على الوثنية وقيمتها وجدواها ، ورأينا صوراً مقتطفة من الجدل والحوار السخن بين ممثلى المعسكرين. ورأينا أن آخر هذه السلسلة من المدافعين عن المسيحية فى الفترة التى تعرضنا لها هو زعيم مدرسة الإسكندرية اللاهوتية وخليفة القديس كليمنت وهو أوريجين الذى رد على مطاعن كيلسوس عن المسيحية فى كتابه «عن العقيدة الصحيحة» بثمانية كتب فى خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى

قبل أن يتعرض للاضطهاد وهو فى مدينة صور فى عهد الإمبراطور ديكيوس ثم وفاته عام ٢٥٣م .

وقبل أن ندخل فى الوثائق البردية نشير فى إيجاز إلى الوضع الرسمى - بعدما رأينا الوضع الفكرى والاجتماعى - للمسيحية فى خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى ، سبق أن رأينا عند الحديث عن أوريجين أن أباه قد قتل عام ٢٠٢م . أثناء الاضطهاد الذى مارسه الامبراطور **سبتميوس سيفيروس** ضد المسيحيين . وعن هذا الاضطهاد يذكر يوسيبيوس القيصرى فى مؤلفه « التاريخ الكنسى» أنه كان اضطهاداً موجهاً ضد الكنائس . وشهد مصرع شهداء عظام من أبطال التقوى والورع فى كل مكان ، ولكن كانت منهم كثرة فى الإسكندرية على وجه الخصوص حيث سيق إلى هناك أبطال الرب من مصر ومن كل الإقليم الطيبى الذين تحملوا بثبات أنواعاً من العذاب متعددة وصنوفاً من الموت فتوجهم الرب بأكاليله [٨٢] . ولكن رغم ذلك فإن **نساء البيت الامبراطورى جوليا دومنا وجوليا مايسا وجوليا ماميا** من العائلة الملكية والكهنوتية فى حمص كانت لهن ميول دينية واسعة وشغف بالدين . ويذكر أن جوليا ماميا أم **الإمبراطور سيفيروس الإسكندر** (٢٢٢ - ٢٣٥م) التقت بالفعل بأوريجين وحاورته ، وأن الامبراطور سيفيروس الإسكندر نفسه كان يحتفظ بصورة المسيح وإن كان ذلك أمراً مشكوكاً فيه [٨٣] . على أى حال فإن ذلك يعنى أن حكم سيفيروس الإسكندر لم يشهد - على الأقل - اضطهاداً للمسيحية والمسيحيين، بل أن معظم أهل البيت الامبراطورى كانوا من المؤمنين Προς τον

Αλεξανδρου οικον, εκ πλειονων πιστων συνεστω-
τα.

ثم حدث اضطهاد فى عهد **الإمبراطور ماكسيمينوس الأول** (٢٣٥ - ٢٣٨م) الذى أحب الجيش وحده وكره كل من عداه [٨٥] وراح نتيجة هذا الاضطهاد زعماء الكنيسة وكان ذلك انتقاماً من سلفه سيفيروس الإسكندر وأسرته المتدينة [٨٦] .

أما الإمبراطور **فيليب العربى** (٢٤٤ - ٢٤٩م) فقد كان متزوجاً من زوجة مسيحية هى أوتاكيليا سيفيراً وكان على علاقة طيبة بالكنيسة بل ويذكر أنه اعتنق المسيحية [٨٧] . كما اشتكى الوثنيون من قلة حماسه عندما احتفل بالعيد الألفى لنشأة روما عام ٢٤٧م . أما عن خليفة فيليب العربى تراچان ديكيوس (٢٤٩ - ٢٥١) الذى نصبته على العرش جيوش الدانوب فزعم أنه تراجان الثانى الذى سيعيد قوة الرومان وفضائلهم Virtus ويسحق العناصر الضعيفة التى كانت تهددها . وقد أمضى ديكيوس فترة حكمه فى صراع مرير ضد القوط بزعامة كنيفا ولقى مصرعه فى ميدان القتال فى أبريتوس عام ٢٥١م . ولكنه قبل وفاته كان أول من شرع فى أول اضطهاد عام ضد المسيحيين . وهنا يبدأ دور الوثائق البردية فى إلقاء الضوء على المسيحية وتكثر هذه الوثائق فى أواخر القرن الثالث والقرن الرابع الميلادى وتتناول موضوعات عديدة . وسنحاول فيما يلى إبراز بعض الموضوعات المتعلقة بالمسيحية والتى وردت فى الوثائق البردية ونختار بعضاً من النقاط ذات الأهمية فى تطور الديانة المسيحية وسنبدأ باضطهاد ديكيوس .

أ – اضطهاد ديكيوس :

في أواخر عام ٢٤٩ ق.م. أصدر الإمبراطور ديكيوس مرسوما يطالب فيه كل سكان الإمبراطورية بأن يقدموا الأضحيات للآلهة الوثنية وأن تصدر شهادات لمن قدموا هذه الأضحيات من الموظفين المحليين كل في منطقة اختصاصه تثبت تنفيذ هؤلاء السكان للأمر الامبراطورى وكان يطلق على هذه الشهادات الاسم اللاتيني Libel-li. وهناك في الوثائق البردية ٤٥ وثيقة من هذا النوع في صورة التماسات مقدمة من أفراد قاموا بتقديم هذه الأضحيات والقرابين للالهة تنفيذاً للمرسوم الامبراطورى ويطلبون من الموظفين المحليين أن يوقعوا لهم بما يفيد تنفيذهم لأمر الامبراطور في هذا الصدد . وقد تم تجميع ٤١ وثيقة من هذه الوثائق ونشرت معاً عام ١٩٢٣ ثم بعد ذلك ظهرت ٤ وثائق نشرت في أماكن متفرقة . ومعظم هذه الوثائق أو الشهادات من إقليم الفيوم – وخصوصاً من قرية ثيادلفيا (بطن حريت) حيث وصلنا منها ٣٤ شهادة من هذا النوع – وبعضاً من إقليم أوكسيرينخوس (البهنسا الحالية في مصر الوسطى) [٨٨] .

وقد كان يظن أول الأمر أن هذا الإجراء الخاص بتقديم الأضحيات للآلهة الوثنية كان مقصوداً به فقط من يشك في اعتناقهم للديانة المسيحية [٨٩] . فمن خلال هذا الإجراء يقطع الشك باليقين فمن يلتزم بأداء هذه الطقوس الوثنية تنتفي عنه تهمة المسيحية أو يكون – على الأقل – قد ارتد للوثنية وإن امتنع يكون قد أكد الشك فيه ويلقى العقاب والاضطهاد . وهناك من يعتقد بأنه لم يصدر مرسوم واحد في هذا الصدد بل اثنان الأول موجه ضد زعماء

الكنيسة والثانى أشمل وأوسع نطاقاً على المستوى الإمبراطورية كلها ، بل ومن يظن أن الاضطهاد مر بمراحل ثلاثة [٩٠] ، ولكن ليس هناك من قرائن تدعم هذه الافتراضات . الأرجح أن ديكيوس أصدر مرسوماً واحداً فقط فى هذا الشأن يطالب جميع سكان الامبراطورية بلا استثناء – كما أسلفنا – بإقامة طقوس العبادات الوثنية فى حضور لجان محلية تخصص لإثبات ذلك . ومما يؤكد ذلك بشكل قاطع أن كاهنة وثنية من مدينة الفيوم (أرسينوى) طلب منها إقامة هذه الطقوس ونورد هنا نص التماسها إلى اللجنة المسئولة عن ذلك :

« إلى أعضاء اللجنة لمنتخبة للإشراف على الأضحيات من أوريليا أمونوس ابنة ميستيس كاهنة بيتيسوخوس الإله الأعظم الخالد وآلهة مويويس (المنطقة المجاورة لبحيرة مويريس أى بحيرة قارون الحالية) فى حى مويويس . إننى أقوم على الدوام بتقديم الأضحيات للآلهة **طوال حياتى** ، والآن – ووفقاً للأمر الصادر وفى حضوركم – قدمت الأضحيات وسكبت قرباناً وتذوقت لحوم الأضحيات ، وأطلب منكم أن ترفقوا توقيعاتكم » [٩١] .

هذه الوثيقة تؤكد أن هذا الاختبار لم يكن قاصراً على من يشك فى اعتناقهم المسيحية لاسيما وأن هذه السيدة كاهنة – فى الخدمة وليست سابقة [٩٢] – لأحد الآلهة الوثنية المعروفة فى إقليم الفيوم، وصيغة تعبيرها عن الموقف تنم عن دهشة – وربما استنكار – لذلك التصرف حيالها لأنه بالنسبة لها أمر يجافى المنطق إذ تذكر «إننى أقوم دوماً بتقديم الأضحيات للآلهة طوال حياتى » أى أنها تمتحن فى أمر بديهى بالنسبة لها وأنها تفعل ذلك بطبيعتها وطوال

حياتها دون انتظار لمرسوم امبراطورى يطلب ذلك [٩٣] . هذا يدل على أن المرسوم كان يسرى على كل سكان الامبراطورية بغير استثناء وينطبق حتى على من لا تحوم ذرة من الشك حول اعتناقهم المسيحية من أمثال هذه الكاهنة .

ولم يكن القيام بهذه الطقوس يطلب من الكبار أو البالغين فقط وإنما أيضا من القصر الذين كانوا يؤدون هذه الطقوس – وفقاً للمرسوم الامبراطورى – مع ذويهم وخاصة أمهم كما يظهر فى بعض الوثائق [٩٤] ، وفى بعض الأحيان نرى هؤلاء القصر يقومون بهذا الإجراء بمفردهم كما نرى فى حالة صبى فى الحادية عشرة من عمره من قرية تابعة لأوكسيرينخوس ، وصدق له على هذا الإجراء لجنة مشكلة من ستة أفراد أقرت قيامه بالطقوس المطلوبة [٩٥] .

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : ما الهدف من هذا المرسوم ومن تطبيقه على الامبراطورية بأسرها ؟ هل كان الغرض منه أن يكون إجراء مضاداً للمسيحية كما كان يعتقد ويشعر المسيحيون فى ذلك العصر ؟ أم أنه كان يهدف إلى ضمان تماسك وصلابة الامبراطورية ووحدتها من خلال وحدة عبادتها والتقرب إلى الآلهة لدفع حالة عدم الاستقرار السياسى والاجتماعى التى أفسدت الامبراطورية ؟ [٩٦] أم أن الدافع من وراءه كان سياسياً كما يؤكد يوسيبيوس القيصرى عندما يعزو الدافع إلى مرسوم ديكيوس إلى كراهية ديكيوس لسلفه فيليب العربى الذى أعتقد يوسيبيوس أنه ربما كان مسيحياً ؟ [٩٧] .

إن معظم الشواهد والقرائن ترجح أن ديكيوس أصدر المرسوم كإجراء مضاد للمسيحية ، ويرى جوزيف فوجت [٩٨] أن ديكيوس كان واحداً من مجموعة من الأباطرة الذين يمكن أن نطلق على نظرتهم للدين والآلهة أنها كانت نظرة « قديمة وعفا عليها الزمن » إذ كانوا يعتقدون بأن القدر – خيره وشره – مصدره الآلهة ، وقياساً على هذا فإن التفسير الوحيد للكوارث العديدة فى منتصف القرن الثالث هو عدم رضا هذه الآلهة وإنه لابد من إرضاء هذه الآلهة من أجل استعادة الأمن ولكى تسير الأمور سيراً حسناً ، وكان يعتقد أن المسيحيين هم مصدر هذا السخط والحنق الإلهى كما رأينا فى أقوال ترتيليان من قبل .

ومما يرجح هذه النظرة أن رجال الدين المسيحى من تلك الفترة فى منتصف القرن الثالث الميلادى يصفون مدى المعاناة والاضطهاد الذى تعرض له المسيحيون فى ظل مرسوم ديكيوس إذ يحتفظ لنا يوسيبيوس القيصرى بخطاب لديونيسيوس أسقف الإسكندرية الكبير فى منتصف ذلك القرن يعطى فيه صورة حية لهذه الفظائع ويصف كيف كان الرجال والنساء يضربون بالعصى وتسمل أعينهم بأغصان مدببة وحادة ويسحبون على الأرض الخشنة من الشوارع إلى إحدى الضواحى حيث يرجمون أو يحرقون حتى الموت . ويبدو أن هذا المرسوم الامبراطورى كان بمثابة تفويض مطلق للوثنيين فى الإسكندرية فى القيام بأعمال عدائية ضد المسيحيين وتنفيذ هذه الجرائم السالفة الذكر والتى كانوا متورطين فيها بالفعل قبل اثنى عشر شهراً [٩٩] . كما أن بعض كتاب المسيحية يعتبر مقتل ديكيوس

سنة ٢٥١م على يد القوط «انتقاماً إلهياً Ultio divin» وينظر إلى ما قام به ضد المسيحيين بوصفه « اضطهاد عدوانياً Persecution in-festa» [١٠٠] . ومما يؤكد هذا المنحى من جانب ديكيوس ضد المسيحيين والمسيحية هو استشهاد الباب فابيانوس فى روما فى تاريخ مبكر من عهد ديكيوس فى العشرين من يناير سنة ٢٥٠م [١٠١] ، وهناك عبارة تنسب إلى ديكيوس عقب مقتل فابيانوس تعد – فى حالة صحة نسبتها إليه – دليلا قوياً على اتجاهه المضاد للمسيحية ونيته فى تعقبها إذ يعزى إليه قوله « أفضل لى أن أتلقى أنباء عن منافس لى على العرش من أن أسمع بأسقف أخر فى روما [١٠٢] » .

ومع ذلك يذكر البعض أن ديكيوس لم يأمر المسيحيين بالتخلى عن عقيدتهم ولكنه لم يكن ليتسامح مع من يرفض منهم المشاركة فى الطقوس الوثنية العامة ، حيث أن زعماء المسيحية كانوا يغرون بقية رعايا الامبراطورية على ألا يبدوا التبجيل والتقديس للديانة التى كانت العمود الفقرى للدولة [١٠٣] . وهذا الرأى متناقض لأن الامبراطور يعلم جيداً أنه إذا قام مسيحى بتلك الطقوس الوثنية فمعنى ذلك أنه ارتد عن مسيحيته – ولو ظاهرياً على الأقل – لأنه لايمكن للفرد أن يجمع بين المسيحية والوثنية معاً ، بمعنى أن إقامة هذه الطقوس الوثنية فى حد ذاتها معناه الارتداد عن المسيحية حتى ولو لم يذكر ذلك صراحة . كما أن هذا الرأى يتناقض وأساليب التعذيب والاضطهاد للمسيحيين فى عصر ديكيوس كما شاهدنا فى رواية الأسقف يوسبيوس أعلاه عن تعذيب مسيحى الإسكندرية وعن تعذيب أوريجين السكندرى فى « صور » أيام اضطهاد ديكيوس

ووفاته بعدها بقليل سنة ٢٥٣ م . وأعتبر أن أدق تصوير لاضطهاد ديكيوس هو عبارة لأحد الباحثين يصف فيها إجراءات ديكيوس ومرسومه بأنها « كانت شبكة ذات ثقوب دقيقة لاتسمح للمسيحيين بالإفلات منها ، لأنهم إما أن يُقاسوا ويتحملوا من أجل عقيدتهم أو أن يقدموا الأضحيات (للآلهة الوثنية) أو – على الأقل – أن يستصدروا شهادات تفيد بأنهم قدموا هذه الأضحيات » [١٠٤] . صحيح أن المرسوم كان يطبق على كافة سكان الامبراطورية ولكن كان من بين أهدافه الأساسية غير المباشرة كشف المسيحيين وتعقبهم.

أما عن الصيغة الشكلية لهذه الوثائق المسماة بـ libelli فقد كان يوجهها الشخص الذى يقوم بتقديم الأضحيات للآلهة الوثنية فى الأغلب الأعم إلى « أعضاء اللجنة المسئولة عن الأضحيات » وهى لجان ذات طبيعة محلية أنشئت عقب إصدار مرسوم ديكيوس للإشراف على تنفيذه ، ويبدو أن التعليمات المصاحبة للمرسوم لم تحدد عدد أعضاء هذه اللجان المحلية وتركت ذلك الأمر لمجالس المدن فى عواصم الأقاليم لتحديد عدد أعضاء هذه اللجان حسبما تقتضيه الظروف المحلية من منطقة لأخرى [١٠٥] . وفى هذه الوثائق التى تأخذ شكل التماسات إلى هذه اللجان يذكر الشخص اسمه والقرية أو المنطقة التى ينتمى (أو تنتمى) إليها ثم يذكر ما يفيد بأنه «مواظب على الدوام على تقديم الأضحيات للآلهة وأنه يقوم الآن – حسب التعليمات وفى حضور اللجنة – بتقديم الأضحيات وسكب القرابين وتذوق لحوم الأضاحى » [١٠٦] ثم يطلب من أعضاء اللجنة التوقيع له

أدناه بما يفيد قيامه بهذه الأمور . وفى بعض هذه الالتماسات نجد توقيع اللجنة وشهاداتها بقيام الشخص بالطقوس المطلوبة مرفقاً وبذلك تصبح شهادة معتمدة من الموظفين المنوط بهم ذلك ، وأحياناً لا نجد هذه التوقيعات مرفقة مما يدل على أن الوثيقة التى وصلتنا ربما لم تكن هى الأصل الذى قدم لأعضاء اللجنة وإنما مجرد مسودة . من خلال هذا الشكل يمكن أن نتوقع أن الأفراد الذين كانوا على استعداد للقيام بهذه الطقوس الوثنية حسب مرسوم الامبراطور كانوا يعدون هذه الالتماسات سلفاً ويأخذونها معهم وهم فى طريقهم لأداء هذه الطقوس ، وبمجرد قيامهم بها كانوا يأخذون عليها توقيع أعضاء اللجان وتصبح شهادة معتمدة رسمياً .

أما عن **تصرف المسيحيين إزاء هذه المحنة** فقد تفاوت إذ ارتد الكثيرون تحت وطأة هذا الاضطهاد وقاموا بالطقوس الوثنية المطلوبة مما قوض استقرار الكنيسة بصورة خطيرة . ومما يدل على كثرة من نفذوا هذه التعليمات الوثنية أنه حتى بعض غلاة الحركة المونتانية فى شمال أفريقيا (الذين كان ينتمى إليهم ترتليان من قبل) قد ارتدوا ونفذوا ما نص عليه المرسوم الامبراطورى . وسعى البعض من المسيحيين إلى شراء مثل هذه الشهادات libelli دون القيام بالطقوس الوثنية وذلك عن طريق رشوة الموظفين القائمين على أمر إصدار هذه الشهادات أو التوقيع عليها كما سبق أن رأينا ، وبذلك حصلوا على شهادات زائفة تفيد قيامهم بالطقوس الوثنية فأراحوا ضميرهم من الخطيئة وذنب الارتداد على حساب الغش والخديعة ، وكان يطلق على المسيحيين الذين حصلوا على هذه الشهادات بهذه الطريقة

مسمى libellatici. وبالإضافة لهؤلاء وأولئك كان هناك من ثبتوا على عقيدتهم وتحملوا أهوال السجن والتعذيب فى سبيلها واعترفوا بمسيحيتهم وأطلق عليهم فى الكنيسة لاحقاً مسمى « المعترفون Confessores » ، وهناك من صمدوا فلم يفروا ولم يقدموا الأضحيات للآلهة الوثنية وشاءت ظروفهم ألا يحبسوا وأطلق عليهم «الصامدون Stantes» .

وبعد أن خمد هذا الاضطهاد وخفت حدته فى خريف عام ٢٥٠م ولم تعد هناك فرصة لتكراره بعد مقتل ديكيوس عما ٢٥١م فى حربه ضد القوط بدأت بوادر أزمة وانشاق فى الكنيسة بسبب اختلاف الآراء حول من ارتدوا من المسيحيين مؤقتاً أيام الاضطهاد ومن ارتد شكلا بشراء شهادات الوثنية المزيفة وهل يجوز إعادتهم للكنيسة وللمسيحية بعد مواقفهم هذه أم يطردون من الكنيسة ولايسمح لهم بالعودة ، حيث لاينبغى أن يستوى من اعترفوا بمسيحيتهم وتحملوا السجن والتعذيب ومن صمدوا ولم يستجيبوا لهذا المرسوم الامبراطورى بمن ارتدوا عند الاختبار أو لجأوا للحيلة والرشوة لشراء شهادات وثنية مزيفة . كان هذا هو الرأى المتشدد داخل الكنيسة ، أما الرأى المعتدل والإنسانى فكان أصحابه يرون متى أنه أثبت الشخص الذى ضعفت عزيمته أثناء الاضطهاد ندمه الخالص على ما فعل وفرط من أمره فينبغى السماح له بالرجوع إلى حظيرة المسيحية والكنيسة . وقد انتصر أنصار التيار المعتدل ولكن على حساب انقسام وحدة الكنيسة ، وكانت مسألة كيفية تعامل الكنيسة مع من يرتدون من المسيحيين فى عصور الاضطهاد (عصر ديكيوس

ثم الاضطهاد الأكبر فى عصر دقلديانوس فى أوائل القرن الرابع الميلادى) تكمن وراء انقسام الدوناتيين فى شمال أفريقيا كما كانت السبب الوحيد للانقسام الميليتى فى مصر [١٠٧] عقب الاضطهاد الأعظم لدقلديانوس . وسننتقل الآن للحديث عن هذا الأنقسام الميليتى وظهوره فى الوثائق البردية .

ب - الأنقسام الميليتى

بعد انتهاء اضطهاد ديكيوس قام امبراطور آخر بإحياء مثل هذا الاضطهاد بصورة جادة وهو **الامبراطور فاليريان** (٢٥٣ - ٢٥٩/٢٥٨م) ولكن الضربة كانت موجهة هذه المرة إلى كبار رجال الكنيسة أى الأساقفة ربما ليصرف الانتباه عن الكوارث التى حلت بالعالم الرومانى فى عهده ولكى يفرض بالقوة الاعتراف بالديانة الرسمية للدولة كعلاج لهذه العلل . وربما كان قد آزر ديكيوس من قبل فى إجراءاته ضد المسيحيين فلما أصبح هو نفسه امبراطوراً أصدر مرسومين أولهما فى أغسطس عام ٢٥٧ وأمر بمقتضاه كبار رجال الكنيسة المسيحية بتقديم الأضحيات لآلهة الدولة ، أما المرسوم الثانى الأشد والأقسى فقد صدر فى الشرق فى العام التالى ٢٥٨م وقام السناتو بتعميمه على حكام الولايات وهذا المرسوم جعل رجال الكهنوت المسيحى عرضة لعقوبة الإعدام وكان من بين استشهد من جراء هذا المرسوم البابا سيكستوس الثانى وسان لأورينس الذين أحرقا حتى الموت فى روما ، وكبريان الذى أعدم فى قرطاجة [١٠٨] . وبعد ذلك حدثت كارثة غريبة لاتصدق حين وقع الامبراطور فاليريان نفسه فى أسر الملك الفارسى عام ٢٥٩/٢٥٨م وهو ما اعتبره الوثنيون سوء حظ غير مفهوم فى حين نظر إليه المسيحيون باعتبار إشارة جلية للانتقام الإلهى ممن اضطهدهم [١٠٩] .

واستمر فى حكم الامبراطورية بعد فاليريان ابنه وشريكه **جالينوس** الذى حكم معه منذ عام ٢٥٣ واستمر فى الحكم حتى عام ٢٦٨م . ولكنه انقلب على سياسة أبيه فى اضطهاد المسيحيين

لكى يضمن تأييدهم وتعاطفهم – وخصوصاً تجمعاتهم فى الشرق – ضد الملك الفارسى سابور[١١٠] . وأصدر جالينوس فى هذا الصدد مرسوماً سمى « بمرسوم التسامح الأصغر » منح بمقتضاه المسيحيون سلاماً من نوع ما واستمر هذا السلام حتى اندلاع « **الاضطهاد الأكبر** » **تحت حكم دقلديانوس** فى ٢٣ فبراير من عام ٣٠٣م[١١١] .

أما عن **دقلديانوس** وموقفه من المسيحية فيذكر أنه كان هناك مسيحيون بين خدمه بل أن زوجته وابنته كانتا مسيحيتين ، ويذكر كذلك أنه أراد التقريب بين مفهوم المسيحية القائم على الاب والابن وبين الوثنية فجعل نفسه فى حمى جوبيتر كبير الآلهة « الآب » وسمى نفسه Jovius» أى المنتمى لجوبيتر وجعل شريكه فى حكم الامبراطورية فى الغرب الأغسطس ماكسيميان تحت حماية هيراكليس ابن جوبيتر « الابن » الذى أطلق عليه Heraclusأى المنتمىٰ لهيراكليس » ، وظن أن هذا الوضع سيحظى بقبول المسيحيين الضمنى على الأقل . ولكن رغم ذلك كان للوثنية أنصار متعصبون يؤمنون بها ويلقون باللوم على الكنيسة فى كل مآسى روما والامبراطورية ، وكان من أبرز هؤلاء جاليريوس مساعد دقلديانوس فى الشرق والذى كان يحمل لقب « قيصر » وهو أدنى مرتبة من لقب « أغسطس » الذى كان يحمله دقلديانوس نفسه . وقد بدأ الفأل السىء والنذير لاضطهاد المسيحيين عام ٢٩٦م حين بدأت عملية تطهير الجيش والإدارة المدنية من المسيحيين ربما بإيعاز من القيصر جاليريوس . أما الاضطهاد العنيف فقد بدأ كما ذكرنا أعلاه عام ٣٠٣ ففى هذا العام شب حريق فى القصر الامبراطورى فى

نيقوميديا ربما بتدبير من القيصر جاليريوس وأتباعه لتنفيذ مخططاتهم ضد المسيحية . وألقيت التهمة على المسيحيين فانطلق الاضطهاد العنيف من عقاله على شاكلة اضطهاد ديكيوس وفاليريان ولكن بصورة أكثر عنفاً وشمولا إذ دمرت الكنائس وأحرقت الكتب المقدسة وتم احتجاز وسجن الأساقفة ، وبدأ الاضطهاد من نيقوميديا ثم انتشر. وكان دقلديانوس نفسه ينوى أن ينأى بنفسه عن سفك الدماء ولكن أقعده عن ذلك انهيار عصبى لازمه بضعة أشهر فلما شفى منه كان الاضطهاد قد بلغ مداه واعتزل دقلديانوس وشريكه ماكسيميان الحكم سنة ٣٠٥م [١١٢] .

وقد بلغ الاضطهاد ذروته فى الشرق أما فى الغرب فإن قنسطنطيوس خليفة ماكسيميان جعل هذا الاضطهاد فى حدود معينة [١١٣] . وكان من جراء هذا الاضطهاد العنيف فى الشرق أن ارتد البعض مؤقتاً عن المسيحية تحت وطأة الاضطهاد كما حدث فى عهد ديكيوس وسمى هؤلاء المرتدون lapsi وحدث انشقاق بين رجال الكنيسة فى مصر بشأنهم . ولم يكن هذا الانشقاق عقائدياً أو مذهبياً وإنما اندلع فى أثناء « الاضطهاد الأكبر » فى عصر دقلديانوس سنة ٣٠٥م وكان محوره هؤلاء الذين ارتدوا عن المسيحية وكيفية معاملتهم بعد ذلك : إذ كان بطرس أسقف الإسكندرية يمثل التيار المعتدل بينما ميليتيوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط) كان يمثل التيار الأكثر تشدداً . والغريب أن أياً من الطرفين لم يقترح استبعاد هؤلاء المرتدين نهائياً من الكنيسة كما لم يفكر أى منهما فى السماح لهم بالعودة ثانية دون قيد أو شرط وإنما كان

الخلاف بينهما ينصب فقط على الفترة التي يبقون خلالها مستبعدين إلى حين السماح لهم مرة أخرى بالعودة للكنيسة وعلى وضعهم بعد العودة . ورغم ذلك فإن إصرار كل طرف على رأيه جعل الخلاف ينتهي بانشقاق بين الطرفين رغم أنه لم يصل في أول الأمر إلى قطيعة نهائية في العلاقات . وفي أثناء الاضطهاد وفي عام ٣٠٦م حاول ميليتيوس أن يزيد من عدد أتباعه خارج نطاق أسقفيته في أسيوط حين كان عدد من الأساقفة في السجون ثم استشهدوا . وفي ذلك العام توجه ميليتيوس إلى الإسكندرية حيث كان بطرس مختبئاً فشرع ميليتيوس في عزل وحرمان عدد من القساوسة ، ولكن بطرس كتب لرعيته أن يعتبروا ميليتيوس معزولا ومحروماً كنسياً . وفي تاريخ لاحق ألقى القبض على ميليتيوس ونفى مع عدد من أتباعه إلى مناجم فلسطين وظل هناك إلى أن أصدر جاليريوس مرسوماً بالتسامح مع المسيحيين عام ٣١١م بعدما أصيب بداء عضال وطلب من المسيحيين الدعاء له بالشفاء . ولكن سرعان ما تجدد الاضطهاد بمجرد وفاة جاليريوس على يد خليفته ماكسيمين دازا الذى كان من أول ضحاياه الأسقف السكندرى بطرس الذى استشهد في ٢٥ نوفمبر سنة ٣١١م . وقد استمر الانشقاق بين الفريقيين حتى بين المنفيين في فلسطين حيث لم يكن هناك اتصال بينهما وكان ميليتيوس يرسم أساقفه وقساوسة من طائفته والتى حملت لقب « كنيسة الشهداء » . وبعد وفاة الأسقف بطرس فإن جماعة ميليتيوس حافظت على تنظيمها وإن كانت علاقتها بالفريق الآخر لم تكن فيما يبدو معادية تماماً تحت أسقفية خليفة بطرس وهو

الأسكندر . وقد كان آريوس فى أول الأمر من أتباع ميليتيوس ثم تصالح بعد ذلك مع الفريق المضاد له أى مع الجماعة الأرثوذكسية ثم أخذ يعلن هرطقته المخالفة فى تفسيرها لطبيعة المسيح عن فكر المجموعة الأرثوذكسية . وفى مجمع نيقيا عام ٣٢٥ م تم نفى وإدانة آريوس كما تم النظر فى أمر الانشقاق الميليتى وتقرر أن يستمر ميليتيوس فى حمل لقب أسقف دون أن يباشر واجبات وظيفته وإن تم إعادة ترسيم من قام هو من قبل بترسيمهم ويحتفظون بدرجتهم الكهنوتية ومهامهم . ويبدو أن ميليتيوس وكذلك الإسكندر توفيا بعد مجمع نيقيا بقليل وتم اختيار خليفة لكل منهما فى جماعته فاختير أثناسيوس أسقفاً للإسكندرية وترك ميليتيوس خليفة له يدعى « يوحنا أرخاف John Archaph » . واضطهد أثناسيوس جماعة ميليتيوس التى اعترضت على انتخابه وطعنت فى صلاحيته مما جعلها ترسل وفداً للامبراطور لتقديم مظالمها ، ولكن الامبراطور رفض استقبالهم فتحالفوا مع جماعة فى نيقوميديا من ذوى الميول الأريوسية وأثبت هذا التحالف جدواه وأدى فى النهاية إلى نفى أثناسيوس لأول مرة . وقد كان التحالف بين الميليتيين والأريوسيين سياسياً فى أول الأمر ثم تأثر الميليتيون بالأريوسية بمرور الوقت وأصبح الميليتيون أشبه ما يكونون بطائفة أريوسية ، وبذلك استمر العداء بين الميليتين والأثناسيوسيين [١١٤].

وهناك بعض الوثائق البردية التى تلقى الضوء على هذه الطائفة الميليتية المنشقة ومعاملاتها مع الأثناسيوسيين ومعاملات أفرادها بعضهم مع البعض وروح الأخوة التى تربطهم . وهذه المجموعة

المكونة من عشر وثائق من بردى المتحف البريطانى نشرها السير هارولد إدريس بيل فى المجلد السادس للبردى اليونانى المعنون « اليهود والمسيحيون فى مصر » وهذه الوثائق العشرة (P.Lond. 1913 - 1922) سبعة منها باللغة اليونانية وثلاثة بالقبطية هى الوثائق الثلاثة الأخيرة منها ، وتاريخ هذه المجموعة من الوثائق يقع فى الفترة مابين ٣٣٠ - ٣٤٠م [١١٥] .

وسنورد فيما يلى نماذج من هذه الوثائق لإيضاح هذا الانشقاق الميليتى وسنبدأ بوثيقة يعتبرها ناشرها السير هـ . إدريس بيل أنها أهم وثائق الأرشيف بأكمله من الناحية التاريخية وربما ترقى حقيقة إلى أن تكون من المصادر الأولية للتاريخ الكنسى فى مصر فى القرن الرابع الميلادى . هذه الوثيقة هى عبارة عن خطاب كتبه شخص يدعى كاليستوس وهو بلا شك أحد الرهبان الميليتين وقد كتبه من الإسكندرية إلى شخص يدعى بايبوس - الذى وجهت إليه معظم خطابات هذه المجموعة - ويسبق اسمه لقب « أبا » بمعنى قسيس أو كاهن والذى من الواضح أنه كان زعيماً لطائفة ميليتية كبيرة فى إحدى مناطق مصر الوسطى بين الأشمونيين وأسيوط والتى ربما كانت على الأرجح منطقة كينوبوليس [١١٦] (وهى منطقة الشيخ فضل المواجهة لبنى مزار فى محافظة المنيا الحالية) [١١٧] . وفى هذا الخطاب يروى كاليستوس أوجه المعاناة والعذاب التى لحقت به وبرفاقه الميليتيين على أيدى أثناسيوس وأتباعه [١١٨] . ولندع الآن كاليستوس يتحدث فى خطابه إلى بايبوس :

« إلى أخى الحبيب أبا بايبوس وباتابيت القساوسة ،تحية فى

الرب المهيمن من كاليستوس ، نود أن نحيطكم علماً بما حدث هنا حيث أنكم سمعتم في حينه بما عانيناه في تلك الليلة في منزل هيراكليوس المسجل ، لأنه كان هناك بعض الإخوة الذين أتوا إليكم ممن كانوا معنا في المنزل وبوسعهم أن يخبروكم بما حدث . فبعد ذلك اليوم وفي الرابع والعشرين من باخون وصل إسحاق أسقف ليتوبوليس (أوسيم) إلى هيراسكيوس في الإسكندرية وأراد أن يتناول العشاء مع الأسقف في المعسكر . ولذلك فعندما علم أتباع (أنصار) أثناسيوس أتوا ومعهم جند القائد والمعسكر الذين أتوا وهم في حالة سكر في الساعة التاسعة مساء بعد أن أغلقوا المعسكر وأرادوا إلقاء القبض عليه وعلى الأخوة . وعندما علم بعض جند المعسكر ممن يخشون الرب بالأمر أخذوهم وأخفوهم في مخازن المعسكر . وعندما لم يتم العثور عليهم انصرف الجند ولكنهم وجدوا أربعة من الأخوة في طريقهم إلى المعسكر فضربوهم ضرباً مبرحاً وأسالوا منهم الدماء حتى كادوا يهلكون وطردوهم خارج نيكوبوليس (مقر المعسكر في الإسكندرية) . وبعد انصرافهم (الجند) غادروا إلى بوابة الشمس إلى فندق كان ينزل به الإخوة وألقوا القبض على خمسة آخرين منهم هناك وحبسوهم في المعسكر في المساء واحتجزوهم حتى مجيء البرابيوزيبوس (أحد كبار موظفي الإدارة في مصر في العصر البيزنطي) إلى حجرة الحراسة قرب الصباح ، وتسلمهم البرايبوزتيوس والكاتب وأمر بطردهم خارج نيكوبوليس ، أما صاحب النزل فقد أوثقوه وأهانوه وأصدروا إليه الأوامر وهددوه قائلين « ما السبب الذى دعاك للسماح للرهبان الميليتين بالاقامة في النزل : κατα ποιαν ετιαν τους μ[ο]ναχους των Μελιτιανων ηασας εν

τη μωνη;

وهناك أخ آخر هو آمون كان فى المعسكر وكان يقوم على استقبال الإخوة فحبسوه فى المعسكر ومنعوه من استقبال رهبان فى منزله ، ولم يكن هناك من أخ آخر يستقبل الأخوة سوى هذين الأخوين فجعلوهما يصرفان النظر ويجبنان . ولذلك فإننا نعانى معاناة شديدة حيث شتتونا فى كل مكان ، وما يحزننا أنهم لايسمحون لنا بالذهاب إلى « البابا » هيرايسكوس وزيارته . وفى الليلة التى أهين فيها الأخوة فإن برايبوزيتوس الجند أرسل تقريراً إلى الأسقف يقول فيه « لقد ارتكبت اثماً وكنت مخموراً فى الليل مما جعلنى أهين الأخوة » وأقام صلاة محبة εποιησεν δε και αγαπην فى ذلك اليوم – رغم أنه أغريقى – تكفيراً عن الإثم الذى اقترفه .

إن أثناسيوس محبط إحباطاً شديداً وهو من جانبه يتسبب فى شقائنا ومحنتنا بسبب ما يتلقاه من تقارير وكتابات تأتى إليه من الخارج ، إذ أن الامبراطور وجد ماكاريوس فى الخارج فى البلاط (ثم سطرتن مهشمين تقريباً) وقد رحل أرخيلاوس ابن ... و ... مع أثناسيوس بن كابيتون وهم ينوون أن يلقوا القبض على مكاريوس ووصل هذا التقرير إلى أبا يوانيس فى أنطاكية فأتى وألقى القبض عليهم واحتجزهم لأنهم « كتبوا قذفاً وتشويهاً لسمعة هيرايسكوس » επιδη επι συκοφαντια και δινα ησαν γραψαντες κατα Ηραεισκου (ll. 35 - 36).

وقام أرخيلاوس بنقل هذه الكتابات للخارج . إن الرب هو الذى أرسل بهم للخارج وأبقاهم فى الخارج . وهكذا استمع

أثناسيوس لهذه الأخبار وهى إلقاء القبض على أرخيلاوس وشعر بإحباط شديد ، وكانوا يأتون إليه كثيراً ولكنه لم يغادر البلاد حتى الآن ولكنه نقل أمتعته إلى البحر (إلى السفن) كما لو كان على وشك الرحيل ثم عاد وأعاد الأمتعة من السفينة مرة ثانية ولم يشأ أن يغادر البلاد . أننى أكتب إليك حتى تعلم مدى مانحن فيه من معاناة إذ قام (أثناسيوس) باحتجاز أسقف من الوجه البحرى وحبسه فى سوق اللحوم وقسيس من نفس المنطقة وحبسه فى المحبس (المخفر) وشماس فى السجن المركزى . وحتى الثامن والعشرين من باخون كان هيرايسكوس لايزال محتجزاً فى المعسكر ولكن شكراً للرب أنهم كفوا عن ضربه وإيذائه ، وفى يوم السابع والعشرين (من باخون) قام (أثناسيوس) بترحيل سبعة من الأساقفة خارج البلاد ، من بينهم إيميس وبطرس بن توبيستيس .

لذلك لا تنسونا أيها الأخوة إذ أنهم تركوا الخبز وراءهم حتى لا يؤخذ للخارج وذلك من أجل الأسقف حتى يظل الخبز معه (وهى فقرة صعبة تستعصى على الفهم الدقيق والترجمة الصحيحة كما يلاحظ هـ . إ . بيل فى ملحوظاته على هذه الأسطر ٤٨ – ٥٠) فعندما اشتريت أرغفة لغذائنا اشتريت أردب القمح بأربعة عشر تالنتاً ، لذلك فإن وجدتم الشخص الملائم فابعثوه إلىّ سريعاً بقليل من الخبز ... »[119] .

الأسطر لمتبقية من هذا الخطاب من ٥٢ – ٦٣ عبارة عن تحيات مرسلة للأخوة والرفاق المقيمين مع وبالقرب من أبا بايبوس .

من خلال هذا الخطاب ندرك مجموعة من الحقائق حول هذه

الطائفة الميليتية المنشقة عن الكنيسة فى مصر والتى كان أسقفها (أسقف الكنيسة المصرية) فى ذلك الحين أثناسيوس أسقف الإسكندرية الذى انتصر فى صراعه ضد المذهب الأريوسى بنفى أريوس بعد مجمع نيقيا سنة ٣٢٥م .

يتبين لنا من خلال هذا الخطاب البالغ الأهمية أن أفراد الطائفة الميلتية المناوئة لتيار الكنيسة الأرثوذكسية العام كانوا يذهبون من أسقفياتهم فى مصر الوسطى - حيث كان أغلب تركزهم بحكم أن ميليتيوس كان أصلا أسقف أسيوط كما رأينا - إلى الإسكندرية سراً كما يتضح من لهجة الخطاب وكانوا يرتادون أماكن معينة كان لهم فيها أنصار يعتنقون فكرهم ويأوونهم ويعقدون الاجتماعات عندهم . ومن بين هذه الأماكن المعسكر الرومانى فى نيكوبوليس الذى كان لهم فيه صديق يدعى آمون كان يستقبلهم فى المعسكر وفى منزله والنزل القريب من بوابة الشمس وصاحبه هيراكليديس الذى كان ينزلهم ويأويهم عنده . ويبدو أن أتباع أثناسيوس كانوا يرصدون خطوات هؤلاء الرهبان الميلتيين ويعرفونهم حيث داهموهم فى المعسكر والنزل وألقوا القبض على عدد منهم وانهالوا عليهم بالضرب المبرح واعتقلوهم فى المعسكر لبعض الوقت وأمروا بطردهم بحيث لم يعد للرهبان الميليتيين من مكان يجتمعون فيه سراً فأصبحوا يختبئون فرادى فى أماكن معينة ويرسلون من مخابئهم تلك التقارير لإخوانهم فى مصر الوسطى عن الأوضاع حول الصراع المذهبى فى الإسكندرية مثل هذا التقرير من كاليستوس . وواضح من الخطاب كذلك الإهانة والأذى والإرهاب الذى تعرض له من يأوى الرهبان

الميليتيين على أيدى أنصار أثناسيوس بحيث لم يعودوا يجرؤون على ذلك .

إن تاريخ هذا الخطاب كما يرجحه ناشر هذه الوثيقة السير هارولد إ. بيل هو فى أواخر مايو أو أوائل يونيو من عام ٣٣٥ م. أى قبيل مغادرة أثناسيوس الإسكندرية فى ١١ يوليو لحضور مجمع صور المسكونى الذى نفى بعده أثناسيوس لأول مرة وعاد من المنفى فى ٢٣ نوفمبر سنة ٣٣٧م .

ولإيضاح الوضع الذى تشير إليه الوثيقة فقد سبق أن ذكرنا أنه حدث تحالف بين جماعة أريوسية فى نيقوميديا يسمون الـ «يوسبيون» وبين الميليتيين فى حوالى أواخر عام ٣٣٠م وبالتالى أصبحوا مناوئين بصورة واضحة لكنيسة الإسكندرية الأرثوذكسية التى يترأسها أثناسيوس . وفى أواخر عام ٣٣١م وجهت اتهامات لأثناسيوس تتصل بسوء معاملته للميليتيين واستدعى إلى البلاط الإمبراطورى فى هذا الصدد ولم يعد للإسكندرية إلا بعد عيد الفصح عام ٣٣٢م بعد أن برئت ساحته ودعم الإمبراطور موقفه بخطاب منه . عقب ذلك يبدو أن أثناسيوس وجد أن موقفه قد تدعم وأن هذه فرصة مناسبة لتسوية الحساب مع الميليتيين المناوئين له فى مصر بعد أن لاحظ أنهم بدأوا يشكلون خطراً عليه [١٢٠] .

إن هيرايسكوس الذى ذكر مراراً فى الوثيقة وكان الميليتيون على اتصال وثيق به سراً وكان يلتقونه فى المعسكر إلى أن اكتشف أمرهم يبدو أنه كان زعيم المعارضة الميليتية فى الإسكندرية وكان يتمتع بأهمية كبيرة حتى خارج مصر ، ورأيناه فى الوثيقة وقد أطلق

عليه لقب «بابا» ربما من وجهة نظر الميليتيين الذين ربما نصبوه كـ «بابا» مضاد لأثناسيوس وإن كان ذلك أمراً مشكوكاً فيه لعدم وجود ما يدعمه فى كتابات أثناسيوس أو المؤرخين الكنسيين [١٢١] . ومما يدل على مدى أهمية هذا الرجل أن ثلاثة من أتباع أثناسيوس قد ألقى القبض عليهم فى أنطاكية لأنهم روجوا كتابات فيها طعن وقدح وتشويه لهذا الرجل ، وهو أمر أصاب أثناسيوس بإحباط شديد وجعله يمعن فى اضطهاد الأساقفة الميليتيين ويسجنهم ويطرد سبعة منهم كما رأينا فى الوثيقة .

هذا الموقف برمته يشير إلى إرهاصات لحدث كبير : فالحرب الخفية دائرة على أشدها بين الميليتيين (مع حلفائهم الأريوسيين) من جانب والأثناسيوسيين من جانب آخر . فقد رأينا فى الوثيقة كيف كان الميليتيون يبثون عيونهم فى الإسكندرية للتلصص على أخبار خصومهم وخططهم والاستفادة من الموقف بتفكير مضاد، وكيف كان الأثناسيوسيون فى المقابل يرصدون تحركاتهم السرية ويقمعونها ويضيقون الخناق عليها ويحاولون تشويه صورة الميلتيين خارج مصر . ولكن اتضح أن كفة الميليتيين كانت تميل إلى الرجحان حيث ألقى القبض فى أنطاكية على ثلاثة من أنصار أثناسيوس كما رأينا فى الفقرة السابقة مما أصابه بإحباط وارتباك . ويبدو أن هذا الموقف جعل الامبراطور يستاء من تصرفات أثناسيوس ويرسل له لحضور مجمع صور فى شهر يوليو سنة ٣٣٥م ربما لمسائلته فى المخالفات المنسوبة إليه . وكانت ترد إليه تقارير مكتوبة من الخارج من أنصاره وواضح أنها نقلت إليه هذه الأخبار غير السارة

وانعكس ذلك بالسلب على تصرفاته مع الميليتيين فى الأسكندرية كما رأينا فى سطرى ٢٩ ، ٣٠ من خطاب كاليستوس إلى أبا بابيوس . ونتيجة لهذا الجو المضاد لأثناسيوس والذى استشعر من التقارير الواردة إليه من الخارج تردد فى قبول دعوة الامبراطور لحضور مجمع صور سنة ٣٣٥م ، وهى الحدث الكبير الذى أشرنا إليه فى بداية الفقرة إذ ربما توجس شراً من نتائجه . وتعكس الوثيقة هذا التردد والاضطراب فى قرار أثناسيوس فى حضور هذا المجمع فبعد أن حمل السفينة بأمتعته للتوجه إلى هناك أعاد هذه الأمتعة مرة أخرى ولم يشأ أن يغادر البلاد كما نعلم من هذه الوثيقة (أسطر ٣٩ – ٤١) . هذا الموقف ليس بجديد على أثناسيوس الذى رفض من قبل حضور مجمع قيصرية فى فبراير أو أوائل مارس سنة ٣٣٤ على أساس أن المجمع كان متحيزاً [١٢٢] . إن خصوم أثناسيوس يصورورنه على أنه رجل عنيد متشبث برأيه صعب المراس وأنه كان يعامل حتى السلطة الامبراطورية باحتقار [١٢٣] . ولكن يبدو هذه المرة أن الضغط كان شديداً على أثناسيوس فاضطر فى نهاية الأمر إلى حضور ذلك المجمع الذى كان يتوجس منه وبالفعل وقع المحظور ونفى أثناسيوس عقب هذا المجمع حتى ٢٣ نوفمبر سنة ٣٣٧ م وهو النفى الأول له ، وبذلك حقق الميليتيون وحلفاؤهم الأريوسيون انتصاراً جزئياً على خصومهم من الأثناسيوسيين وعلى شخص أثناسيوس نفسه .

أخيراً يمكن القول أن هذا الخطاب الوثيقة الذى تناولنا أعلاه يكتسب أهمية وطرافه كبرى من الناحية التاريخية لكونه يلقى ضوءاً جديداً على الأحداث التى سبقت مجمع صور سنة ٣٣٥ م وتزداد

قيمته أكثر لأنه يأتى من الطرف الميليتى الذى يعطينا الجانب الآخر من الصورة لأن المصادر الأدبية لتلك الفترة تعبر أساساً عن وجهة نظر المنتصر وهم الأثناسيوسيين [١٢٤] .

وهناك وثيقة أخرى من هذه الوثائق الميليتية تلقى الضوء على حياة المجتمع المسيحى - والطائفة الميليتية خصوصاً - وتبرز إحساس الإخوة الذى كان قوياً بينهم كما تبرز تحقيق واجب التراحم والتكافل بينهم فى أكمل صورة ، كما تلقى الضوء من جهة أخرى على الأوضاع الاقتصادية القاسية التى كانت تعانى منها الطبقة المتوسطة فى مصر . هذه الوثيقة هى عبارة عن خطاب من شخص يدعى هيربوس إلى بايبوس - الأسقف الذى رأيناه فى الوثيقة السابقة والذى كان الخطاب أيضاً موجهاً إليه - ويتحدث كاتب هذا الخطاب عن شخص من الطائفة الميليتية مر بضائقة مالية شديدة واضطر للاستدانة وعجز عن السداد واضطر لبيع أثاث منزله ورهن أطفاله الصغار ، وهذا الخطاب دعوة موجهة لأفراد الطائفة الميليتية لمساعدته حسب طاقتهم . وها هو نص الخطاب :

« إلى أخى بايبوس من هيربوس أحييك بتحية الرب . إن الرب يحضنا على تقديم العون لمن يقعون فى ضائقة وخصوصاً لإخواننا. ولما كان أخونا بامونثيوس قد وقع فى براثن تقلبات عامة غير مواتية وذاق الأمرين بصورة مخجلة للغاية على أيدى أناس لا يرحمون ولا يعرفون الرب حتى أنه يمكن القول أن ضغط الظروف قد حرمه من إملنا المبارك . ولهذا السبب توسل إلينا أن نتوجه لجماعة الإخوة من بيننا بهذه الرسائل موضحاً وضعه بالتفصيل حتى يمكن أن تتعرفوا

على ماحل به وتتذكروا أمر المبعوث المبارك بعدم إهمال الضعفاء ليس فقط فى العقيدة وإنما كذلك فى الشئون الدنيوية . لقد كان أخونا هذا فى السابق بائع نبيذ فألحف عليه الموظفون (الماليون) فى موطنه وفرضوا عليه التزامات فوق طاقته ولذلك اقترض مبلغاً كبيراً من المال . ولما طالبه الدائنون ولم يتمكن من الوفاء بدينه اضطره الدائنون إلى أن يبيع كل ما يملك حتى الملابس التى تستر عورته ، وبعد أن باع هذه الأشياء تمكن من سداد نصف المبلغ المستحق لدائنيه فقام هؤلاء الغلاظ الكفرة بانتزاع كل أولاده الذين كانوا فى طفولتهم المبكرة . ولذلك نبعث إليكم بهذا الخطاب ونطلب منكم معاونته قدر طاقتكم حتى يستردهم منهم (وبذلك تكونون ؟) أبناء أبينا الذى فى السماء ... ساعدوه بكل ما أوتيتم .. ساعدوا هذا الأخ لأنهم انتزعوا منه أولاده واسترقوهم . لذلك لا تهملوا الأمر ، برجاء التصرف بسرعة وبكل وسيلة » [١٢٥] .

حـ محاكمة الأسقف فيلياس

إذا كان الموضوع السابق تناوله حول الانشقاق الميليتى يعد أحد الأمور التى ترتبت على الاضطهاد الأعظم الذى حدث فى عهد دقلديانوس بمعنى أنه كان أحد نتائجه ، وإذا كان ميليتيوس قد تسبب فى انشقاقه هو ومن معه عن الكنيسة بسبب تشدده مع من ارتد من المسيحيين أمام ضراوة الاضطهاد فى حين كان بطرس أسقف الإسكندرية أقل تشدداً معهم ،فينبغى أن نتعرف على نماذج من الصامدين المعترفين بمسيحيتهم Confessores ομολογηται الذين لقى الكثير منهم حتفهم دفاعاً عن العقيدة المسيحية ولم يضعفوا أمام التهديد والوعيد والموت . ربما كانت هذه الأمثلة الرائعة فى الذود عن العقيدة بالحياة ذاتها هى التى جعلت أسقفاً مثل ميليتيوس يتشدد مع من لانوا وضعفوا وارتدوا لبعض الوقت زمن الاضطهاد ولم يتقبل أن يتساوى هؤلاء فى نهاية المطاف أو حتى يقتربوا من مكانة من صمدوا وتحملوا قسوة الاضطهاد وبطشه سواء من لقى منهم حتفه أو من ظل على قيد الحياة .

من هذه الأمثلة الصلبة التى لم تلن لها قناة أمام الاضطهاد فى مصر الأسقف فيلياس أسقف ثمويس فى مصر (تسمى الأمديد فى الدقهلية حالياً) الذى استدعى للمحاكمة خمس مرات لقى بعدها حتفه . وقبل أن يستشهد تعرض لمساءلة فى المسيحية من جانب الوالى فى الإسكندرية «كولكيانوس» الذى حاول بكل سبل النقاش والتهديد والوعيد إثناء فيلياس عن العقيدة المسيحية وجع له يقدم الأضحيات للآلهة الوثنية ولكن دون جدوى فأمر بإعدامه . وأعدم

فيلياس بين أوائل عام ٣٠٤م وشتاء عام ٣٠٦ / ٣٠٧م . وهناك وثيقتان برديتان كتبتا بعد خمنسين عاماً من استشهاده أى احتفظت بها ذاكرة بعض معاصريه من الأحياء .

الوثيقة الأولى نشرها ف . مارتن وهى من بردى بودمر

V. Martin, Papyrus Bodmer xx. l'Apologie de Phileas, eveque de Thmouis (Cologne / Geneva, 1964).

وبعد وقت قصير ظهر عمل آخر عن فيلياس تفوق على عمل مارتن وهى وثيقة بردية أخرى فى مجموعة شيستر بيتى نشرها العالم بيترسما :

A. Pietersma, The Acts of Phileas, Bishop of Thmouis. P. Chester Beaty xv.

وبالإضافة لنشره للوثيقة الجديدة أعاد بيترسما نشر الوثيقة التى سبق لمارتن أن نشرها . والترجمة التالية هى ترجمة لنص P. Bodmer xx الذى أعاد بيترسما نشره وإختلف فى بعض قراءاته مع النشر الأول للوثيقة editio princeps الذى قام به مارتن [١٢٦] .

« الدفاع الذى قام به فيلياس أسقف ثمويس ، وأرخون الإسكندرية (المقصود دفاع كل من فيلياس والوالى فى الإسكندرية كل منهما عن وجهة نظره أو بالأحرى رد فيلياس على تساؤلات والى الإسكندرية) حينما أوتى به إلى المحكمة للمرة الخامسة ، وبعدها لقى حتفه . ففى دفاعه الأول وجه إليه قدر كبير من السباب على أيدى الهيجيمون (أى الوالى) وقدر كثير من

الصياح ؛ وشد الرجال القائمون على التعذيب (actionarii)جسده على مخلعة (أداة تعذيب قديمة) مثبتة على أربعة خوازيق عدة مرات ثم ألقوه فى سجن ثمويس لمدة يومين . ثم طافوا به وهو حافى القدمين وفى الأغلال حيث ذهب فى رحلة طويلة إلى الإسكندرية وألقى به فى السجن وأحضر أمام المحكمة ، ورغام الإهانات التى وجهت إليه والضربات لم يتزحزح عن موقفه . وكذلك كان الحال فى الاستجوابين الثالث والرابع ، فبعد العديد من الإهانات والصفعات قيل لفيلياس « لقد قتلت الكثير من الناس لأنك لم تقدم الأضحيات، وأنقذ بيريوس الكثيرين حين أذعن » . وحين استدعى للمرة الخامسة مع جماعة القساوسة الذين كانوا معه وعددهم عشرين تولى الوالى مساءلة فيلياس « ألا يمكن أن تكون متعقلا فى نهاية المطاف ؟ » فقال فيلياس « إننى متعقل على الدوام وأدرب نفسى على التعقل » فقال الوالى « فلتقدم الأضحيات » ورد فيلياس « لن أقدم أضحيات » ، قال كولكيانوس (... عمودان مفقودان من النص) « إن التضحية تتم فى أورشليم فقط . والآن كذلك فإن اليهود ينتهكون القانون حين يقيمون شعائرهم ويحتفلون بها فى مكان أجنبى » ، قال كولكيانوس « أى نوع من الأضحيات يتطلبها الرب إذن ؟ » قال فيلياس « قلب نظيف وروح طاهرة وحواس تجلب للمرء أفعالا تتسم بالورع والعدل ، وفى سبيلها سوف يثاب كل فرد » ، قال كولكيانوس « هل نحن بذلك نبدى اهتماماً بالروح ؟ » ، قال فيلياس « بالروح والجسد » ، قال كولكيانوس » لماذا ؟ ، رد فيلياس ، لقد قلت (أننا نفعل ذلك لكى نحصل على المكافأة

والثواب من أعلى إذا أحسسننا » ، قال كولكيانوس « الروح وحدها أم الجسد أيضاً ؟ » ، فيلياس « الروح والجسد » ، كولكيانوس « هذا الجسد ؟ » ، فيلياس « نعم ، كولكيانوس » هذا الجسد سوف يبعث ثانية ؟ قالها وهو مشدوه ثم كررها مرة أخرى «هذا الجسد سوف ينهض ثانية ؟ » ، قال فيلياس « هذا الجسد (اللحم البشرى) سوف ينهض مرة أخرى ... بين الخطائين (؟)... عذاب أبدى أو ...الخير ... والحياة الأبدية » ، قال كولكيانوس « انج بنفسك وكل فرد من شعبك وقدم الأضحيات » ، قال فيلياس «إننى أنجو بنفسى وكل من ينتسمون إلىّ حين لا أقدم الأضحيات » ، قال كولكيانوس « وبولس ألم يرتد ؟ » ، قال فيلياس « لا بالتأكيد!» ، كولكيانوس « من هو الشخص الذى ارتد ؟ » ، فيلياس « أرفض القول » ، كولكيانوس » إننى استحلفك : هل كان بولس هو الذى ارتد ؟ » ، فيلياس « بالتأكيد لا ، إن رسول الرب لم يرتد » ، كولكيونوس « لقد أقسمت فلتقسم أنت أيضاً ! ، فيلياس «لا يحق لنا أن نقسم لأن الكتاب السماوى المقدس يقول (إن قلت نعم فلتكن نعم وإن قلت لا فلتكن لا » ، كوليكانوس « ألم تقسم يميناً على الإطلاق إذن . ؟ » ، فيلياس « لا ولو كنت فعلت لأثمت » ، كولكيانوس « حسنا فلتأثم الآن » ، فيلياس « هناك فروق بين الآثام» ، كولكيانوس « هل كان يسوع إلهاً ؟ » ، فيلياس « نعم » ، كولكيانوس « حسناً إذن كيف لم يقل عن نفسه أنه إله ؟ » ، فيلياس « لأنه ليس بحاجة إلى هذه البينة لأنه يؤدى أعمال الرب بقدرة متمكنة » كوليكانوس « ماذا فعل ؟ » ، فيلياس « لقد طهر

المجذومين وجعل العميان يبصرون والصم يسمعون والعجزة يسيرون والبكم ينطقون والضعفاء المهزولين يصحون . لقد طرد الشياطين من المخلوقات بأمره ، وجعل المشلولين يستردون عافيتهم وأعاد الموتى إلى الحياة وقام بعدد كبير من الإيماءات والمعجزات » ، كولكيانوس « ولكن كيف يكون إلهاً ثم يصلب ؟» ، فيلياس « إنه كان يعلم أن ... وأنه سوف يجلد ويضرب ويهان ، وارتدى تاجاً من الأشواك وتحمل المعاناة فى صبر وجلد ، كما قدم بذلك نموذجاً لخلاصنا وقدم نفسه لذلك عمداً من أجلنا . ، وهذه الأمور قائمة وموجودة فى الكتاب المقدس الذى يعتمد عليه اليهود : لقد تنبأوا بقدومه و ..» ، كولكيانوس « وهل كان بولس إلهاً ؟» ، فيلياس «لا» كولكيانوس « حسناً إذن من كان هو ؟ » ، فيلياس «إنه كان أول من نادى بالعدل بين البشر فقد كانت فيه روح الرب كقوى ربانية . لقد كان على علاقة طيبة بالقوة الإلهية والروح » ، « ألم يكن شخصاً غير متعلم ويتحدث الآرامية ؟ » فيلياس « لقد كان يهودياً وكان أول الرسل وتحدث الإغريقية وكان أول الإغريق» ، كولكيانوس « ألم يكن شخصاً قليل الخبرة ؟ إنه لم يكن بالتأكيد من عينة أفلاطون ؟ » ، فيلياس « لقد فاق أفلاطون ، إذ لم يكن أكثر فلسفة وحكمة من أفلاطون بل أيضاً من كل الفلاسفة ، كما أنه أقنع كل البشر وإن شئت أخبرتك بكلماته » ، كولكيانوس «فلتقدم الأضحيات الآن فى نهاية الأمر » ، فيلياس « لا أضحى ولن أفعل ذلك مطلقاً » ، كولكيانوس « هل لك ضمير ؟ » ، فيلياس «نعم» ، ثم كررها ثانية « هل لديك ضمير ؟ » ، فيلياس « لقد قلت نعم » ،

كولكيانوس « لماذا لاتجعل ضميرك متيقظاً فيما يتصل بأطفالك وزوجتك وإخوانك ؟ » ، فيلياس « لأن ضميرى نحو الرب أكثر أهمية وله الأولوية على كل ماعداه . إن الكتاب المقدس يقول :

« لسوف تحب الرب الذى خلقك » ، كولكيانوس « أى رب ؟» ، فيلياس رافعاً يديه نحو السماء « الرب الذى خلق السماء والأرض والبحار وكل ما فيهم ، هو الخالق الذى لايرى ،ولايمكن التعبير عنه ، المعصوم من الخطأ والزلل ، الراسخ ، الذى لا يحيط به أحد ، الذى تخدمه وتخضع له جميع الكائنات والمخلوقات سواء فى السموات أو على الأرض أو تحت الأرض ... لأنه هو نفسه الحاكم الأوحد لكل شيء وليس هناك حاكم سواه » ، وقال المحامون لفيلياس وهو يتحدث « لا تقف فى وجه الوالى فى أى أمر آخر » ، فقال فيلياس « إننى أجيب عما يسألنى عنه » ، فقال له المحامون «انظر إلى ... و ... عمودان مفقودان من النص » ، كولكيانوس «إن ما أفعله هو فضل أسديه إلى أخيك وعليك أنت أن تسدى هذا الجميل والمعروف إلىّ » ، فيلياس « إننى أطلب هذا الصنيع والمعروف الأخير : استخدم قسوتك وأفعل ما تؤمر به » ، كولكيانوس « إذا ما كنت أحد الجهلة الذين أسلموا أنفسهم بسبب فاقتهم لما كنت قد صبرت عليك . ولكن بما أنك تملك وفرة كافية لترعى وتتكفل ليس بنفسك فقط وإنما بمدينة بأكملها ، ولهذا السبب عليك أن تنجو بنفسك وتقدم الأضحيات » ، فيلياس « لن أقدم أضحيات » ، وقال المحامون الذين كانوا موجودين « لقد قدم أضحيات فى غرفة المجلس » ، فقال فيلياس « لم أقدم أضحيات ،

وإن كنت قد قدمت أضحيات فعلى الوالى أن يقول ذلك » ، وعندما لم يصبح بالإمكان تحويله أو زحزحته عن موقفه فإن المحامين وكل هيئة المحكمة مع اللوجيستيس (موظف قضائى) طلبوا من الوالى منحة وقتاً للتفكير وتدبر الأمر ، فقال كولكيانوس « هل تريد منى أن أمنحك وقتاً للتفكير ؟ » ، فيلياس « لقد تدبرت الأمر مراراً وهذا هو ما اخترته » . وعند ذلك فإن المحامين والمحكمة واللوجيستيس طلبوا من فيلياس المبارك وحاولوا إقناعه بأن يذعن لما أمر به . ولما لم يتحول عن موقفه بدأوا يسبونه ويكدرونه حتى يفكر فى الأمر والسلام على كل القديسين (١٢٧) .

د – الرهبنة فى مصر

هناك وثيقة بردية طريفة من قرية كرانيس بالفيوم تشير إلى موضوع الرهبنة فى مصر . وتتمثل طرافة هذه الوثيقة فى كونها أقدم وثيقة بردية يظهر فيها « راهب μοναχος» بصفة مألوفة معترف بها فى مجتمع القرية المصرية ، وتزداد طرافة هذه المعلومة حين ندرك أن هذه الوثيقة لا تتحدث عن أمور دينية أو كهنوتية وإنما هى التماس مقدم من شخص يدعى « أوريليوس إيزيدوروس » (أوريليوس ليس اسماً وإنما كنية كانت تعطى للأفراد الذين أصبحوا مواطنين رومان بمقتضى قانون كاركللا سنة ٢١٢م بمنح المواطنة الرومانية لكل سكان الإمبراطورية الرومانية ما عدا المستسلمين) . فى هذا الالتماس الذى يرفعه إيزيدوروس إلى أحد موظفى الإدارة البيزنطية المبكرة فى المنطقة التى تتبعها قرية كرانيس يشكو إيزيدوروس من أن بقرة جيرانه قد اتلفت مزروعاته فأمسك بها وتوجه بها من حقله نحو القرية ولكن فى الطريق شاهده أصحاب البقرة فطرحوه أرضاً وأنهالوا عليه بهراوة غليظة وأشبعوه ضرباً حتى كاد يموت لولا أن تصادف مرور الشماس أنطونينوس والراهب اسحاق اللذين أنقذاه من براثن جيرانه [١٢٨] .

وقد تناول العالم E.A. Judge هذه الوثيقة وعلق عليها وتناول أصول الرهبنة فى مصر فى مقالة قيمة [١٢٩] لمن يرغب غى المزيد من التفاصيل عن الموضوع .

إن ذكر أنطونينوس الشماس هنا يعد أقدم ذكر لشماس فى وثيقة بردية رسمية تصور الحياة العامة فى القرى المصرية وسيتلو هذه

الوثيقة المؤرخة بالسادس من يونيو سنة ٣٢٤م وثائق أخرى تذكر هؤلاء الشمامسة διακονες حتى منتصف ذلك القرن . ومن مجموع هذه الوثائق سيتضح أن هؤلاء الشمامسة كانوا شخصيات بارزة ونشيطة ومؤثرة فى شئون القرية . وأنطونينوس الشماس المذكور فى وثيقتنا هذه هو المثال الوحيد بين هؤلاء الشمامسة الذى يذكره شخص لا علاقة له بالكنيسة ، وذكره بهذه الطريقة فى شكوى لأحد الموظفين العموميين يؤكد أن ذكره ومرتبته يضيف ثقلا للالتماس المقدم من إيزيدوروس وأن شهادته سوف تضفى دعماً لدعوى إيزيدوروس (١٣٠) .

أما إذا انتقلنا إلى « الراهب » المذكور فى الوثيقة وهو إسحاق فيذكره إيزيدوروس فى التماسه مع الشماس أنطونينوس بصورة مساوية، وارتباطه بالشماس فى الوثيقة يرجح أنه كان على صلة ما بالكنيسة وأنه لم يكن راهباً من أحد الأديرة النائية التى يؤمها النساك . ونظراً لعدم وجود تفاصيل حوله يمكن افتراض أن هذا الراهب ينتمى لقرية كرانيس وأن الإشارة إليه فى وثيقة مدنية تنطوى على أنه بوجوده أكسب إيزيدوروس – مقدم الالتماس – أماناً واطمئناناً [١٣١] . ولكن هذا المفهوم للرهبنة يتعارض مع المفهوم المتعارف عليه من أنها نسك وتعبد واعتزال للمجتمع ولجوء إلى أديرة فى الصحراء . فما هو التفسير المحتمل لهذا الأمر الذى يبدو متناقضاً ؟

لمحاولة الإجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نحاول معرفة مفهوم الرهبنة فى ذلك العصر . إن أول ذكر لكلمة μοναχος عند كاتب كنسى نجدها فى تعليق يوسيبيوس القيصرى على المزامير وهو تعليق

يبدو أنه كتبه فى أوائل العقد الأخير من حياته الذى بدأ عام ٣٣٠م.
إن يوسيبيوس يعطى تأملاته وانطباعاته حول معنى ومغزى التراجم الإغريقية الأربعة المختلفة للمزمور ٧/٦٧ : إن أحد هذه التراجم يستخدم كلمة μοναχοι لتعبير عن الرهبان وتعتبر أن هؤلاء « الرهبان هم الصف الأول من الذين ينعمون بالمسيح وأنهم قلة نادرة» ، وفى ترجمة أخرى يطلق عليهم μονογενεις بمعنى أنهم هم وحدهم دون سواهم الذين أنجبوا وتم تشبيههم بابن الرب الذى أنجبه دون سواه ، وفى رواية ثالثة وهى الترجمة السبيعينية للتوراة التى تصفهم بأنهم « من يلتزمون بطريق واحد μονοτροποι، ولا يسيرون فى سبل متعددة ولا يغيرون طريقهم ونهجهم وهم الذين يسيرون فى طريق مستقيم إلى ذروة الفضيلة » ، وفى رواية رابعة يوصفون بأنهم « وحدهم الذين يحيطهم نطاق μονοζωνοι وأنهم يحيون حياة منفردة منعزلة وطاهرة [١٣٢] μονηρη και αγνον κατορθουντες . وتفسر بقية الفقرة عند يوسيبيوس القيصرى المقصود بعبارة هم وحدهم الذين يحيط بهم نطاق « إذ يذكر أن المسيح قال يوصى حوارييه ألا يكنزوا ذهباً أو فضة فى أحزمتهم ، ومن هنا يوصفون عند يوسيبيوس وعند بعض رواياته التى يعلق عليها بأنهم وحدهم الذين يشدون الأحزمة حول أنفسهم وهى أحزمة خاوية لا مال فيها ، ويكبحون جماح شهوتهم الجنسية : ως αν μονη-ρεις και καθ; εαυτους ανεξωσμενος

على أية حال فإن الروايات أو الترجمات الإغريقية الأربعة التى يعلق عليها يوسيبيوس والخاصة بالمزمو ٧/٦٧ المتعلق بالرهبنة

يجمعها قاسم مشترك وهو وصف هؤلاء الرهبان بالوحدة والتفرد عن غيرهم فى صفة أو سمة بعينها وكلها تبدأ بالصفة الدالة على الوحدة والتفرد مركبة مع الصفة الأخرى التى يضيفها صاحبها عليهم : فهم متفردون فى الألم والمعاناة وهو المعنى اللغوى القاموسى لكلمة μοναχος ربما بحكم قدرة الرهبان الفريدة على الحياة الخشنة المتقشفة ،أو هم وحدهم الذين أنجبهم الرب μονογενεις أسوة بالمسيح ابن الرب الذى أنجبه دون سواه - حسبما يعتقد المسيحيون - وبالتالى فإن مرتبتهم عالية عند الرب ، وهم متفردون فى أتباعهم لمنهاج وسبيل واحد μονοτροποι يؤدى بهم إلى ذروة الفضيلة ولا يجعل السبل تتفرق بهم ، كما أنهم متفردون عن غيرهم فى -μον οζωνοιالأنعزال والبعد عن الدنيا وزخرفها وشد الأحزمة الخاوية -من الذهب والفضة -حول أنفسهم ، وفى انتهاج حياة قوامها الانعزال والتطهر الذى لا تلوثه أية أدران .

إذن فإن أهم مقومات الرهبنة كما وردت فى هذه الروايات هى القدرة على التحمل والمعاناة والانعزال عن المجتمع والبعد عن زخرف الدنيا والعيش فى حياة طاهرة نظيفة وكبح جماح الشهوة الجنسية أو العيش فى تبتل بل زواج [١٣٣] .

ولكن نعود مرة أخرى إلى الراهب إسحاق الذى ورد ذكره فى الوثيقة البردية التى بدأنا بها الحديث عن موضوع الرهبنة لنجد أنه لا تنطبق عليه أهم شروط الرهبنة وهو الانعزال عن المجتمع واللجوء إلى أديرة الصحراء فهذا الراهب يسير فى طريقه إلى قرية كرانيس بين المزروعات بمعية أحد رجال الكنيسة هناك وهو الشماس أنطونينوس

ويتدخل لفض مشاجرة فى الطريق ويذكر اسمه فى هذا الالتماس المقدم لأحد رجال الإدارة مما يدل على أنه كان معروفاً لأهل القرية وكان دائم التردد عليها .

إن التفسير لهذا الموقف نجده عند القديس جيروم (٣٤٧ م - ٤٢٠ م) الذى تحدث عن ثلاثة أنواع من الرهبان فى مصر: فمنهم الرهبان النساك فى الأديرة Coenubium وهؤلاء يتحدثون لغة قومية متوارثة gentili Lingua ويمكن القول بأنهم يعيشون فى تجمعات in commune viventes ، والرهبان المعتزلين anachore-tae الذين يعيشون بمفردهم فى الأماكن الصحراوية المهجورة وأطلقت عليهم هذه التسمية لأنهم ينسحبون ويبتعدون عن الناس ، أما النوع الثالث من الرهبان فيطلق عليهم سان جيرون اسم rem-nouth ويهاجمهم بضراوة وعنف قائلا أنهم أسوأ الرهبان وأكثرهم إهمالا وأنهم كانوا يسكنون كل اثنين أو ثلاثة على الأقل معاً ويعيشون حسب ما يتراءى لهم وحسب قدرتهم وطاقتهم . وكان رهبان هذه الفئة الثالثة يتجمعون فى جماعات وسط الجموع التى يعملون بينها حتى يحصلوا على غذائهم ، وأغلبهم كانوا يقطنون المدن والقرى ، ونظراً لأن المهارة والحيلة هى الأمر المقدس لديهم وليس الحياة فإنهم كانوا يبيعون أى شىء بسعر أغلى من ثمنه، وغالباً ما تجد بينهم البغضاء والمشاحنات ، ولم يكونوا يطيقون أن يخضعوا لأحد لأنهم كانوا يعيشون ليأكلوا فقط . كما تجد بينهم الشغف بكل شىء : بالأكمام الطويلة والأحذية والملابس ، وأنفاسهم ثقيلة وهم شغوفون كذلك بزيارة العذارى . ويسب جيروم

علاقاتهم برجال الكنيسة ، ويذكر أنهم فى أيام الأعياد يسرفون فى الطعام حتى يصابوا بالتخمة ويتقيأون [١٣٤] .

واضح إذن أن ذلك النوع الثالث من الرهبان الذين يهاجمهم سان جيروم ربما ينطبق على حالة الراهب إسحاق فى قرية كرانيس الذى ورد فى التماس إيزيدوروس [١٣٥] إذ ربما كان هذا الراهب من بين الرهبان الذين يعيشون فى قرية كرانيس وعلى صلة برجال الكهنوت فيها يتضح من مرافقته للشماس أنطونينوس .

نعود الآن لمتابعة تطور تاريخ الرهبنة فى مصر : ربما كان أول من لجأ إلى الصحراء وانعزل عن الناس وعاش حياة النسك والوحدة فى الصحراء للعبادة والتأمل والتكفير عن الخطأ شخص يدعى **بولا الطيبى** الذى كتب جيروم قصة حياته - وإن شكك البعض فى مدى مصداقية هذه السيرة كوثيقة تاريخية واعتبروها مجرد مقالة كتبها سان جيروم فى مجال سير القديسين - وصوره فى صورة ناسك مثالى فر إلى الصحراء وهو فى سن السادسة عشرة لكى يفلت من اضطهاد ديكيوس واستقر فى نهاية الأمر فى الصحراء الشرقية قرب الدير الذى أطلق اسمه عليه (دير الأنبا بولا) الذى ربما أقيم فى القرن الخامس أو السادس الميلادى [١٣٦] .

أما عن مؤسس الرهبنة فى مصر فهو **الراهب انطونيوس** الذى تعزى كتابة سيرته إلى **البطريك** أثناسيوس صديقه وراعيه الروحى . ولد أنطونيوس حوالى عام ٢٥١ فى مصر الوسطى فى قرية كوما القريبة من هيراكليوبوليس (إهناسيا) لأبوين ميسورى الحال نسبياً يتحدثان اللغة المصرية وقد توفيا وهو فى الثامنة عشرة أو العشرين من

عمره وتركا له أخته الصغرى ليرعاها . ولم يكن هو يتحدث الإغريقية وعلى الرغم من كونه أمى فإنه لم يتلق تعليماً على النمط الإغريقى . وبعد وفاة أبويه بستة أشهر سمع أنطونيوس قول يسوع وهو يتلى فى الكنيسة وهو يقول لأحد الشباب « إن كنت تنشد الكمال فأذهب وبع ما لديك واعطه للفقراء ولسوف يكون لك كنز فى السماء : ثم تعال واتبعنى » (انجيل متى ١٩ : ٢١) . وقد فسر أنطونيوس هذه الكلمات حرفياً وتصرف فى أملاكه وسلعه باستثناء مبلغ صغير أبقاه لإعالة أخته ومارس حياة الرهبنة والنسك بالقرب من قريته فى بادىء الأمر وكان يتلقى التعليمات من ناسك قديم ، ثم اعتكف بعد ذلك بعيداً عن قريته فى قبر مهجور وكان أحد أتباعه يحضر له الخبز من حين لآخر . وفى حوالى عام ٢٨٥ م انسحب إلى بقعة نائية أكثر فأكثر فى قلعة مهجورة عبر النهر أطلق عليها فى سيرة أنطونيوس اسم « بيسبى » وهو مكان يحتفظ التراث المحلى بذكراه فى دير الميمون ، وفى ذلك المكان كان الخبز يصله مرتين سنوياً وكانت الرطوبة المتسربة تمده بمياه الشرب . ومن هناك انتشرت سمعته ولكنه أصم أذنيه أمام توسلات من كانوا يأتون لطلب نصحه ومشورته الروحية حتى اقتحموا عليه خلوته آخر الأمر ، وأقام هؤلاء الأتباع لهم نمط حياة هناك . وبعد ذلك انطلق إلى أعماق الصحراء ووجد الملاذ والمأوى فى جبل « كولزون » على مسيرة ثلاثة أيام بمحاذاة وادى العربة وهو طريق القوافل المؤدى من النيل عند بنى سويف إلى البحر الأحمر بعد أن أمضى عشرين عاماً فى الميمون وضاق بعد ذلك بقطع خلوته المتكرر بسبب شهرته وما جلبته من

توافد الأتباع عليه . وفى مكانه الجديد توافد عليه أتباع جدد وألحوا عليه وأزعجوه وأقاموا مجتمعاً ثانياً لايزال ديراً حتى اليوم هو « دير مار أنطونيوس » المطل عبر خليج السويس نحو جبال سيناء ، ويقال أنه عاش هناك فى أعلى الدير حيث اشتهر عنه أنه عاش هناك حتى بلغ عمره ١٠٥ سنوات وتوفى هناك عام ٣٥٦ م .

إن الميراث الذى تركه أنطونيوس يتمثل فى أنه أسس درجة ما من التنظيم الرسمى لحركة الرهبنة ، وقد لقى فى مهمته دعماً وتأييداً من البطريرك الكبير أثناسيوس الذى طبع حركة الرهبنة – التى كانت فى الأساس حركة غير كهنوتية – بطابع رسمى وأعطاها موافقة واعترافاً كنسياً . ومع ذلك لم تتم صياغة قواعد مكتوبة أو دستور للرهبنة ولم يفرض عهد بالطاعة لشخص أسمى مرتبة ، وإنما كان يسمح لكل الرهبان فى نمط الحياة الدينية بحرية انتهاج الطريق الذى يرونه مناسباً للخلاص والإنقاذ وكانوا يحيون حياة صلاة وعبادة وتكفير عن الذنوب فى صوامعهم cellae المتباعدة عن بعضها البعض [١٣٧] .

ويبدو أن تأييد ودعم أثناسيوس للرهبان كان من بين أهدافه كسب دعمهم وتأييدهم له ضد خصومه من أنصار آريوس من المعتقدين فى مذهب الطبيعة الواحدة للمسيح ، وكان أثناسيوس يحاول تعبئة الرهبان وحشدهم ضد تسرب أنصار آريوس بين صفوفهم. وهناك نسخة نقشية من خطاب كان موجهاً من أثناسيوس لهؤلاء الرهبان هذا نصه :

« من أثناسيوس إلى الرهبان الأرثوذكس فى كل مكان ممن

يمارسون حياة الوحدة والانعزال والراسخين فى إيمانهم بالمسيح – تحية من الرب إلى الأخوة الأحباب الذين نشعر بغاية الشوق والحنين إليهم »(١٣٨) .

إن بولا الطيبى وأنطونيوس يعتبران – حسبما رأينا من سيرتهما – من نوعية الرهبان المعتزلين anachoretae التى رأيناها فى تصنيف سان جيروم لرهبان مصر أعلاه إذ ابتعدوا عن الناس ولاذوا بالصحراء للتعبد والتأمل . ورغم أن ثانيهما لاحقة المريدون والأتباع وعكروا صفو خلوته إلا أنه لم يقم مجتمعات رهبنة ذات قواعد محددة تحكمها كما سبق أن ذكرنا وإنما تركت المسألة لتقدير كل راهب فى اختيار طريقه للنجاة والخلاص . أما أول من وضع نظاماً محدداً واضح المعالم لمجتمعات الرهبان يخضع له جميع الرهبان ، أو بعبارة أخرى **أول من وضع أسس الرهبنة المنظمة** coenobium فإنه كذلك مصرى آخر يدعى **باخوميوس** الذى توفى عام ٣٤٩ م .

ولد **باخوميوس** فى أواخر القرن الثالث الميلادى قرب إسنا فى صعيد مصر ولم يكن يعرف اليونانية مثل أنطونيوس ، ولكنه تعلمها فى مرحلة متأخرة من حياته لكى يعلم من خلالها الأجانب الذين سعوا للانضمام إليه . كان أول اتصال لباخوميوس بالمسيحيين عندما كان مجنداً بالجيش الرومانى عندما استقبلت وحدته التى ينتمى إليها بكرم وحفاوة من المسيحيين أثناء توقفها القصير فى طيبة . وبعد أن سرح من الخدمة فى سن مبكر عُمِّد فى منطقة مجاورة تسمى خينو بوسكيون (حالياً تسمى القصر والصياد كما يذكر جون بول فى كتابه ص ١٤٤ ،انظر هامش رقم ١١٧) وأصبح بعد ذلك من

أتباع الراهب بالايمون . وفى حوالى عام ٣٢٠ م أقام مجتمعاً للرهبان فى قرية مهجورة تدعى تابينيسى قرب أخميم تنفيذاً لرؤيا رأها فى منامه . وإذا كان الرهبان فى ظل أنطونيوس كانوا يعيشون فى صوامع أو قلايات Laura تتمتع بالاستقلالية وكانت فى صورة تجمعات من الصوامع لها مكان اجتماع مشترك ، فإن حياة الرهبان فى ظل باخوميوس قد نظمت فى أدق تفاصيلها من خلال قواعد رسمية مدونة . وكان المنضمون لهذه الجماعات من الرهبان ينزلون فى «منازل » حسب الحرف التى يمتهنونها ، وكان لكل منزل رئيسه الذى كان مسئولا أمام كبير الدير عن تعليم ونظام رهبانه . وكان من يتقدم بطلب للانضمام لهذه الأديرة يلزم بأن يقضى بعض الوقت كفترة اختبار فى دار ضيافة ويتعلم خلال هذه الفترة ويحفظ عن ظهر قلب أدعية وصلوات معينة ويتعلم قواعد الرهبنة قبل أن يسمح له بالانضمام للجماعة وارتداء مسوح الرهبان . وكان لابد من القيام بالعمل فى الدير بما فيه زراعة الأرض لأنه لابد من توفير الاكتفاء الذاتى لمجتمع الدير . ولم يكن هناك إفراط فى الصيام أو مبالغة فى إظهار واستعراض أشكال النسك والزهد أو فى طول الصلوات مما قد ينجم عنه ضعف وهزال جسمانى للأفراد من الرهبان.

وقد لاقى هذا النظام الذى أرساه باخوميوس نجاحاً فورياً وانتشرت مؤسسات الرهبنة التى تتبعه فى أماكن نائية مهجورة حتى بلغت عند وفاته حوالى عام ٣٥٠ م أحد عشر مؤسسة منها اثنتان للنساء ، وبذلك أصبح نظام الرهبنة المنظمة Coenobium هو

القاعدة للرهبنة فى مصر العليا والوسطى [١٣٩] .

نكتفى بهذا القدر من الحديث عن نشأة المسيحية حتى حوالى منتصف القرن الرابع الميلادى ، وإن كان الموضوع متعدد الجوانب ويحتاج لمزيد من المعالجة فى مقالة أو مقالات أخرى بإذن الله إلا أن الباحث اختار فى بحثه هذا نقاطاً معينة من الموضوع وألقى بعض الضوء عليها .

الحواشي

(1) H.I. Bell, Cults and Creeds in Gracco - Roman Egypt, Liverpool, 1954, pp. 79 - 82.

(2) Tertullian, Apologeticus, 5.2 :

Tiberius ergo, cuius tempore nomen christianum in saeculum introivit, adnuntiata sibi ex Syria Palestina, quae illic veritatem ipsius divinitatis revelaverant, detulit ad senatum cum praerogative suffragii sui. Senatus, quia non ipse probaverat, respuit, Caesar in sententia mansit, comminaus periculum accusatoribus christianorum..

(3) Ibid, 5.1 :

Vetus erat decretum, ne qui deus ab imperatore consecrartur nisi a senatu probatus.

(4) Ibid.

(5) Ibid., 21. 18 :

ut postremo oblatum Pontio Pilato, Syriam tune ex parte Romana procuranti, violentia suffragiorum in crucem Iesum dedi sibi extorserint.

(6) Ibid., 21. 24 :

Ea omina super Christo Pilatus, et ipse iam pro sua conscientia Christinus, Caesari tunc Tiberio nuntiavit. Sed et Caesares credidissent super Christo, si aut Caesares non essent necessarii saeculo, aut si et Christiani potuissent esse Caesares.

(7) Eusebius, Ecclesiastical History (Loeb), vol. 1, Introduction, p. XI.

(8) Ibid., 2.2.2 :

Τη δ'αληθεια, οτι μηδε της εξ ανθρωπων επικρισεως τε και συστασεως η σωτηριος του θειου κηρυγματος εδειτο διδασκαλια.

(9) Ibid., 2.2.6 :

ο δε εν τη αυτου αποφασει εμεινεν απειλησας "θανατον" τοις των Χριστιανων κατηγοροις.

(10) Suetonius apud Harold Mattingly, Christianity in the Roman Empire, New York, 1967, p. 30.

(11) Eusebius, Ecclesiastical History, 2.3.2 :

και δητα ανα πασας πολεις τε και κωμας πληθουσης αλωνος δικην, μυριανδροι και παμπληθεις αθροως εκκλησιαι συνεστηκε–

σαν.

(12) H. Mattingly, op. cit., p. 31.

(13) Ibid.

(14) Tacitus, Annales, 15. 44 :

> Sed non ope humana, non largitionibus principis aut deum placamentis decedebat infamia, quin iussum incendium crederetur. Ergo abolendo rumori. Nero subdidit reos et quaesitissimis poenis adfecit, quos per flagitia invisos vulgus Christiano appellabat. Auctor nominis eius Christus Tiberio imperitante per procuratorem Pontium Pilatum supplicio adfectus erat; repressaque in praesens exitiabilis superstitio rursum erumpebat, non modo per ``Iudaeam, originem eius mali, sed per urbem etiam, quo cuncta undique atrocia aut pudenda confluunt celebranturque. Igitur primum correpti qui fatebantur, deinde indicio eorum multitudo ingens haud perinde in crimine incendii quam odio humani generis convicti sunt. Et pereuntibus addita ludibria, ut ferarum tergis contecti laniatu canm interirenl, aut crucibus adfixi aut flammandi, atque ubi defecisset dies, in usuim

nocturni luminis urerentur. Hortos suos ei spectaculo Nero obtulerat et circense ludicrum edebat, habitu aurigae permixtus plebi vel curriculo insistens. Unde quamquam adversus sontis et novissima exempla meritos miseratio oriebatur, tamquam non utilitate publica, sed in saevitiam unius absumerentur.

(15) H. Mattingly, op. cit, pp. 32 - 33.

(16) Tertullian, op. cit, 5.3.

Consulite commentarios vestros, illic reperietis primum Neronem in hanc sectam cum maxime Romae orientem Caesariano gladio ferocisse. Sed tali dedicatore damnationis nostrae etiam gloriamur. Qui enim scit illum. intellrgere potest non nisi grande aliquod bonum a Nerone damnatum.

(17) Eusebius, op. cit., 2.25. 2-3.

(18) Ibid., 2.25. 5.

Παυλος δη ουν επ;αυτης Ρωμης την κεφαλην αποτμηθηναι και Πετρος ωσαυτως ανασκολ–οπισθηναι κατ αυτον ιστορουνται.

(19) H.I. Bell, op. cit., p. 82; H. Mattingly, op.,cit. p.

33; M. Rostovtzeff, Rome (Translated from Russian by J.D.Duff) Oxford University Press, 1960, p. 302.

(20) Tertullian, op. cit., 40. 2.

Si Tiberis ascendit in moenia, si Nilus non ascendit in arva, si caelum stetit, si terra movit, si fames, si lues, statim Christianos ad leonem adclamatur.

(21) Tacitus, Historiae, Fragmenta 2, from Sulpicius Severus Chron. 2. 30. 6.

2. Fertur Titus adhibito consilio prius deliberasse an templum tanti operis everteret. Etenim nonnullis videbatur aedem sacrataim ultra omnia mortalia inlustrem non oportere deleri, quae servata modestiae Romanae testimonium, diruta perennem crudelitatis notam praeberet. At contra alii et Titus ipse evertendum in primis templum censebant quo plenius Iudaeorum et Christianorum religio tolleretur : quippe has religiones, licet contrarias sibi, isdem tamen ab auctoribus profectas; Christianos ex Iudaeis extitisse : radice sublata stirpem facile perituram. - Sulpicius Severus,

Chron. ii. 30. 6.

(22) H. Mattingly, op. cit, p. 35.

(23) Michael Grant, The Roman Emperors, New York, 1985; pp. 63 - 64.

(24) H. Mattingly, loc. cit.

(25) Eusebius, op. cit, 3. 17 :

Τελευτων της Νερωνος θεοεχθριας τε και θε–ομαχιας διαδοχον εαυτον κατεστησατο δευ–τρος δητα τον καθημων ανεκινει διωγμον.

(26) Eusebius, op. cit., 1.8.

(27) Ibid., 2.16. 1 :

τουτον δε [Μαρκον] πρωτον φασιν επι της Αιγυπτον στειλαμενον, το ευαγγελιον, ο δη και συνεγραψατο, κηρυξαι, εκκλησιας τε πρωτον επ,αυτης Αλεξανδριας συστησασθαι.

(28) H.I. Bell, op. cit., p. 79.

(29) P. London 1912, ll. 96 - 100.

(30) H. I. Bell, op. cit, p. 78.

(31) Ibid., p. 79.

(32) Pliny The Younger. Epistulae, 10. 96.

XCVI

C. PLINIVS TRAIANO IMPERATORI

1 - SOLLEMNE est mihi, domine, omnia de quibus dubito ad te referre. Quis enim potest melius vel cunctationem meam regere vel ignorantiam instruere? Cognitionibus de Christianis interfui num quam : ideo nescio quid et quatenus aut puniri soleat aut quaeri. Nec mediocriter haesitavi, sitne aliquod discrimen aetatum, an quamlibet teneri nihil a robustioribus differant; detur paenitentiae venia, an ei qui omnino Christianus fuit, desisse non prosit : nomen ipsum, si flagitis careat, an fiagitia cohaerentia nomini puniantur. Interim, <in> iis qui ad me tamquam Cristiani deferbantur, hunc sum secutus modum. Interrgavi ipsos an essent Christiani. Confitentes iterum ac tertio interrogavi supplicium minatus : perseverantes duci iussi. Neque enim dubitabam, qualecumque esset quod faterentur, pertinaciam certe et inflexibilem obstinationem debere puniri. Fuerunt alii similis amentiae, quos, quia cives Romani erant, adnotavi in urbem remittendos.

Mox ipso tractatu, ut fieri solet, diffundente se crimine plures species inciderunt. Propositus est libellus sine auctore multorum nomina continens. Qui negabant esse se Christianos aut fuisse, cum praeeunte me deos adpellarent et imagini tuae, quam propter hoc iusseram cum simulacris numinum adferri, ture ac vino supplicarent, praeterea male dicerent Christo, quorum nihil cogi posse dicuntur qui sunt re vera Christiani, dimittendos putavi. Alii ab indice nominati esse se Christinos dixerunt et mox negaverunt; fuisse quidem sed desisse, quidam ante triennium, quidam ante plures annos, non nemo etiam ante viginti. <Hi> quoque omnes et imaginem tuam deorumque simulacra venerati sunt et Christo male dixerunt. Adfirmbant

autem hanc fuisse summam vel culpae suae vel erroris, quod essent soliti stato die ante lucem convenire, carmenque Christo quasi deo dicere secum invicem seque sacramento non in scelus aliquod obstringere, sed ne furta ne latrocinia ne adulteria committerent, ne fidem fallerent, ne depositum adpellati abnegarent. Quibus peractis morem sibi

discedendi fuisse rursusque coeundi ad capiendum cibum, promiscuum tamen et innoxium. quod ipsum facere desisse post edictum meum, quo secundum mandata tua hetaerias esse vetueram. Quo magis necessarium credidi ex duabus ancillis, quae ministrae dicebantur, quid esset veri, et per tormenta quaerere. Nihil aliud inveni quam superstitionem pravam et immodicam.

Ideo dilata cognitione ad consulendum te decucurri. Visa est enim mihi res digna consultatione, maxime propter periclitantium numerum. Multi enim omnis aetatis, omnis ordinis, utriusque sexus etiam vocantur in periculum et vocabuntur. Neque civitates tantum, sed vicos etiam atque agros superstitionis istius contagio pervagata est; quae videtur sisti et corrigi posse Certe satis constat prope iam desolata templa coepisse celebrari, et sacra sollemnia diu intermissa repeti passimque venire <carnem> victimarum, cuius adhuc rarissimus emptor inveniebatur Ex quo facile est opinari, quae turba hominum emendari possit, si sit paenitentiae locus.

○ • ○

(33) Ibid., 10. 97 :

Actum quem debuisti, mi Secunde, in excutiendis causis eorum, qui Christiani ad te delati fuerant, secutus es. Neque enim in universum aliquid, quod quasi certam formam habeat, constitui potest. Conquirendi non sunt; si deferantur et arguantur, puniendi sunt, ita tamen ut, qui negaverit se Christianum esse idque re ipsa manifestum fecerit, id est supplicando dis nostris, quamvis suspectus in praeteritum, veniam ex paenitentia impetret. Sine auctore vero propositi libelli <in> nullo crimine locum habere debent. Nam et pessimi exempli nec nostri saeculi est.

(34) H. Mattingly, op. cit., pp. 41 - 42.

(35) SHA. Saturninus 8 : VIII. "Hadrianus Augustus Serviano consuli salutem. Aegyptum, quam mihi laudabas, Serviane carissime, totam didici levem, pendulam et ad omnia famae momenta volitantem. illic qui Serapem colunt Christiani sunt, et devoti sunt Serapi qui se Christi episcopos dicunt. nemo illic archisynagogus Iudaeorum, nemo Samarites, nemo Christianorum presbyter non math-

ematicus, non haruspex, non aliptes. ipse ille patriarcha cum Aegyptum venerit, ab aliis Serapidem adorare, ab aliis cogitur Christum. genus hominum seditiosissimum, vanissimum, iniuriosissimum; civitas opulenta, dives, fecunda, in qua nemo vivat otiosus. alii vitrum conflant, aliis charta conficitur, omnes certe linyphiones aut cuiuscumque artis esse videntur; et habent podagrosi quod agant, habent praecisi quod agant, habent caeci quod faciant, ne chiragrici quidem apud eos otiosi vivunt. unus illis deus nummus est. hune Christiani, hunc Iudaei hunc omnes venerantur et gentes. et utinam melius esset morata civitas, digna profecto quae pro sui fecunditate, quae pro sui magnitudine totius Aegypti teneat principatum. huic ego cuncta concessi, vetera privilegia reddidi, nova sic addidi ut praesenti gratias agerent. denique ut primum inde discessi, et in filium meum Verum multa dixerunt, et de Antinoo quae dixerint comperisse te credo nihil illis opto, nist ut suis pullis alantur, quos quemadmodum fecundant, pudet dicere. calices tibi allassontes versicolores transmisi, quos mihi sacerdos templi obtulit, tibi

et sorori meae specialiter dedicatos; quos tu velim festis diebus conviviis adhibeas. caveas tamen ne his Africanus noster indulgenter utatur".

(36) Ibid., pp. 9 - 10.

(37) Justin Martyr, Apologia, 1. 69; Eusebius, op. cit., 4.9. (Translated, of course, from Latin to Greek).

(38) Eusebius, op. cit., 4. 12 :

– υπερ των εκ παντος γενους ανθρωπων.

αδικως μισουμενων και επηρεαζομενων,

– Ιουστινος Πρισκου βακχειου των απο .

– Φλαυιας Νεας πολεως της Συριας .

– Παλαιστινης, εις αυτων, την προσφωνησιν και εντευξιν πεποιημαι.

(39) Ibid., (Loeb, vol. 1, 1975 by Kirsopp Lake), p. 332, note 1.

(40) Ibid., 4. 14. particularly 6 - 7.

οις και αντεγραψεν μηδεν ενοχλειν τοις τοιουτοις, ει μη εμφαινοιτο τι περι την Ρωμαιων ηγμονιαν εγχειρουντες.

– ει δε τις επιμενοι τινα των τοιουτων εις

Πραγματα φερων ως δη τοιουτον, εκεινος ο καταφερομενος απολελυσθω του εγκληματος και εαν φαινηται τοιουτος ων, ο δε καταφερων ενοχος εσται δικης.

(41) Ibid., 4. 15.

(42) Ibid., 4. 16.

(43) Tertullian, op. cit., 5. 6 - 7 :

Sicut non palam ab eiusmodi hominibus poenam dimovit, ita alis modo palam dispersit, adiecta etiam accusatoribus damnatione, et quidem tetriore. Quales ergo leges iste quas adversus nos soli exercent impii, iniusti, turpes, truces vani, dementes?... etc.

(44) R. Joseph Hoffmann, Celsus, On the True Doctrine, Oxford, 1987, Introduction, pp. 24 - 25.

(45) Lucian, vol. v (Loeb Classical Library), The Passing of Peregrinus, 9 - 21.

(46) Ibid., 11 - 14.

(47) R. Joseph Hoffmann, op. cit., p. 29.

(48) Ibid., p. 30.

(49) Ibid., pp. 33 - 44.

عن التفاصيل الكاملة لآراء كيلسوس وهجومه على المسيحية – إنظر الترجمة الانجليزية الكاملة لهذا المؤلف فى نفس المرجع المشار إليه فى هذا الهامش فى الصفحات 126 - 53

(50) Eusebius, op. cit., 6. 1-2, 23 - 24, 39.

(51) Origen, Contra Celsum, Introd. 1.3.6. apud H. Kraft, Early Christin Tinkers, pp. 60 - 61.

(52) Origen, Against Celsus, 5.26 apud R. Goseph Hoffman, op. cit., p. 33.

(53) Origen, Contra Celsum, 1.68 apud H. Mattingly, op. cit., p. 85.

(54) Oxford Companion to Classical Literature, Oxford, 1989. Art.Tertulian.

(55) Tertullian, Apologeticus, (Loeb Classial Library) 1.7.

(56) Ibid., 37. 4.

(57) Ibid., 2.8.

(58) Ibid., 46. 4-5.

(59) Ibid., 2. 2-5.

(60) Ibid., 38. 4-5.

(61) Ibid., 39. 1-3.

(62) Ibid., 39. 7.

(63) Minucius Felix, Octavius (Loeb), Introduction, p. 304.

(64) Ibid., pp. 306 - 311.

(65) Ibid., p. 304.

(66) Minucius Felix, Octavius7:

(67) Ibid., 9.

(68) Ibid., 10. 1-2.

(69) Ibid., 11. 2 - 3.

(70) Ibid., 16.

(71) Ibid., 17 - 19 .

(72) Ibid., 20 - 24.

(73) Ibid., 28. 1 - 2 .

(74) Ibid., 28. 7 - 9.

(75) Ibid., 29. 2.

Nam quod religioni nostrae hominem noxium et crucem eius adscribitis, longe de vicinia veritatis potuisse, qui putatis deum credi aut meruisse nox-

ium aut terrenum. Ne ill miserabilis, cuius in homine mortali spes omnis innititur : totum enim eius auxilium cum extincto homine finitur.

(76) Ibid., 29. 6 - 7.

Cruces etiam nec colimus nec optamus. Vos plane, qui. ligneos deos consecratis, cruces ligneas ut deorum vestrorum partes forsitan adoratis. Nam et signa ipsa et cantabra et vexilla castrorum quid illud quam inauratae cruces sunt et ornatae?

(77) Ibid., 32. 1 - 6 .

(78) Ibid., 10. 4.

(79) Ibid., 33. 2 - 5.

(80) Ibid., 34. 11 - 12.

(81) Ibid., 35. 6.

(82) Eusebius, op. cit., 6. 1.

(83) H. Mattingly, op. cit., p. 43.

(84) Eusebius, op. cit, 28.

(85) Mattingly, loc. cit.

(86) Eusebius, loc. cit.

(87) H. Mattingly, loc. cit. Cf. Eusebius, op. cit., 6. 34.

(88) See

H.I.Bell, Cults and Creeds, p. 85; C.H.R. Horsley, New Documents Illustrating Early Chrisianity (A Review of the Greek Inscriptions and Papyri published in 1977), Macquaire Univerity, 1982, no. 105 : A libellus of the Decian persecution, pp. 180 - 185.

أما عن الـ ٤١ شهادة التى نشرت نصاً فقد نشرها :

J.R. Knipfing, "The Libelli of The Decian Persecution" in Harvard Theological Review, 16, pp. 345 - 390.

وعن الشهادات الأربعة المنشورة لاحقاً - أنظر :

C.G.R Horsly, op. cit., p. 181.

(89) H. I. Bell, loc. cit.

(90) C.H.R. Horsley, op. cit., p. 183.

(91) Wilcken, Chrestomatie 125; J.R. knipfing, art, cit., no. 3.

(92) H.I. Bell, loc. cit.

(93) C.H. Horsley, op. cit, p. 182.

(94) Knipfing, No. 7 and no. 30.

(95) Knipfing, No. 37, Narmouthis, 4/6/250.

(96) Cf. j. Molthagen, Der romische Staat und die Christen im zweiten und dritten Jahrhundert, 1970, pp. 81 - 82.

(97) Eusebius, op. cit., 6. 39. 1.

(98) Joseph Vogt, Zur Religiositat der Christen verfolger im romischen Reich, Heidelberg, 1962, S. 21.

(99) Eusebius, loc.cit.

(100) Cyprian, "De Lapsis" apud C.H.R. Horsley, op. cit., p. 184.

(101) Ibid., p. 183.

(102) Michael Grant, The Roman Emperors, New York, 1985, p. 157.

(103) Ibid.

(104) H. Mattingly, op. cit., p. 43.

(105) C.H.R. Horsley, op. cit., 181 - 182.

(106) See, for example, J.R. Knipfing, HTR 16, 1923, pp. 345 - 390, No. 37, LL. 5 - 11 :

αει μεν τοις θεοις θυων | δ[ι]ατετελεκα και

νυν δε | κατα τα κελευσθεντα επι πα | ρ [ο]υσιν υμιν εθυσα [και ε –] | σπ[ει] σα και των ιεριων εγευ – | σαμην και αξιω υμας υπο – | σημιωσασθαι.

(107) H.I. Bell, op. cit., p. 86; C.H.R. Horsley, op. cit., p. 185.

(108) M. Grant, op. cit., pp. 167 - 168.

(109) H. Mattingly, op. cit., pp. 44, 53.

(110) M. Grant, op. cit., p. 172.

(111) C.H.R. Horsley, op. cit., p. 185.

(112) H. Mattingly, op. cit., pp. 56 - 57.

(113) Ibid., p. 58.

(114) H.I. Bell, Jews and Christians in Egypt, London, 1924 (Vol. VI of the Greek Papyri in the British Museum), pp. 38 - 41.

(115) Ibid, pp. 38 - 99.

(116) Ibid., pp. 43 - 44.

(117) John Ball, Egypt in the Classical Geograhers, Cairo, 1942, p. 63.

(118) P. Lond. 1914, Introd., p. 53.

(119) Ibid., LL. 1 - 52.

(120) Ibid., Introduction., pp. 54 - 56.

(121) Ibid., L. 7, note.

(122) Ibid., Introd., p. 56.

(123) Ibid., p. 57.

(124) Ibid.

(125) P. London 1915 and its introduction. See also 1916.

(126) C.H.R. Horsley, New Documents Illustrating Early Christianity. A Review of the Greek Inscriptions and Papyri published in 1977. The Ancient History Documentary Research Centre, Macquaire University, 1982, No. 106. The Trial of the bishop Phileas, pp. 185 - 191, introd., pp. 185 - 186.

(127) Ibid., pp. 186 - 188.

(128) P. Collectanea Papyrologica (= P. Coll. Youtie) II. 77, edited and translated by N.Lewis (1976), LL. 13 - 16 :

και ει μη βοηθειας ετυχο(ν)υπο | των παρ–

αγενομενων Αντωνινου διακο– νος και Ισακ μοναχου ταχεως τελεον με απωλεσαν .

(129) E.A. Judge. The Earliest Use of Monachos for Monk (p. Coll. Youtie 77) and the Origins of Monasticism, (Jahrbuch fur Antike und Christentum, Jahrgang 20, 1977), pp. 72 - 89.

(130) Ibid., pp. 72 - 73. See also : S.B. VI. 5 (1963), 9622, Theadelphia, 6 April 343 A.D.; P. Abinnaeus 55 (1962), Fayoum, 11 February 351 A.D.: etc...

(131) Judge, art. cit., pp. 73 - 74.

(132) Eusebius 23, 689 B and E.A. Judge, Art. Cit., note 6, p. 74 :

Το γουν πρωτον ταγμα των εν Χριστω προ– κοπτοντων το των μοναχων τυγχανει. Σπανι– οι δε εισιν ουτοι διο κατα τον Ακυλαν μονο– γενεις ωνομασθησαν αφωμοιωμενοι τω μονογενει Υιω του Θεου. κατα δε τους Εβ– δομηκοντα μοντροποι τυγχανουσιν, αλλ'ου πολυτροποι, ουδε αλλοτε αλλως τον εαυτων μεταβαλλοντες τροπον, ενα δε μονον κατορ–

θουντες, Τον εις ακρον ηκοντα αρετης. Μον–οζωνους δε αυτους η πεμπτη εκδοσις ωνομα–σεν, ως αν μονηρεις και καθ'εαυτους ανεχω–σμενους. τοιουτοι δε παντες εισιν οι τον μονηρη και αγνον κατορθουντες βιον, ων πρωτοι γεγονασιν οι του Σωτηρος ημων μαθηται, οις ειρητο. Μη κτησησθε χρυσον, μηδε αργυρον εις τας ζωνας υμων.... κτλ.

(133) E. A. Judge, art., cit., pp. 74 - 76.

(134) Ibid., P. 79 where the Latin text of St. Jerome (Ep. 22. 34) is presented :

Tria sunt in Aegypto genera monachorum : coenobium, quod illi sauhes gentili lingua vocant, nos in commune viventes possumus appellare; anachoretae, qui soli habitant per deserta et ab eo, quod procul ab hominibus recesserint, nuncupantur; tertium genus est, quod dicunt remnouth, deterrimum atque neglectum et quod in nostra provincia aut solum aut primum est. hi bini vel terni nec multo plures simul habitant suo arbitratu ac dicione viventes et de eo, quod laboraverint, in medium partes conferunt, ut habeant alimenta communia. habitant autem quam plurimum in ur-

bibus et castellis, et quasi ars sit sancta, non vita, quidquid vendiderint, maioris est pretii. inter hos saepe sunt iurgia, quia, suo viventes cibo non patiuntur se alicui esse subiectos, apud hos affectata sunt omnia : Laxae manicae, caligae follicantes, vestis grossior, crebra suspiria, vistiatio virginum, detractio clericorum, et si quando festior dies venerit, saturantur ad vomitum.

(135) E. A. Judge, loc. cit.

(136) A. F. Shore, Christian and Coptic Egypt (Chapter 14 in the Legacy of Egypt, Oxford, 1987, pp. 390 - 433), pp. 401 - 402.

(137) Ibid., pp. 404 - 405.

(138) S. B. 8698, LL. 4 - 9 apud E. A. Judge, Art. Cit, P. 77 : -

[Αθ] ανασιος τοις απ[ανταχου ο–|ρθ] οδοξοις μοναχο[ις τοις τον μ–] | ον] ηρη βιον ασκουσ[ι. και εν πιστ–] |[ει] Χ [ριστο)υ ιδρυ–μενοις, α[γαπητοις και] | πο] θεινοτατοις [αδελφοις εν κυρ–]ιω χαιρειν.

(139) A. F. Shore, art cit., pp. 407 - 408. Cf. H.I. Bell, Cults and Creeds.... pp. 99 - 100.

رقـم الإيــداع
٢٠٠٠/١٧٠١٠
الترقيم الدولىI.S.B.N
977-51 59-46-6

ملحق الخرائط

الخرائط المرفقة فى هذا الملحق منقوله من كتاب :

J. Yoyotte, P. Charvet et S. Gompertz,

Strabon, Le Voyage en Egypte, un regard romain, Paris, 1997, pp. 280 - 284.

ويشمل الخرائط الآتية .

١ - خريطة عامة لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى تشمل أهم المواقع .

٢ - خريطة بأهم مواقع الدلتا فى تلك الفترة .

٣ - خريطة بأهم مواقع مصر الوسطى (إقليم النومات السبع).

٤ - خريطة بأهم مواقع الأقليم الطيبى أو مصر العليا .



(١) خريطة عامة لمصر فى العصرين البطلمى والرومانى تشمل أهم المواقع